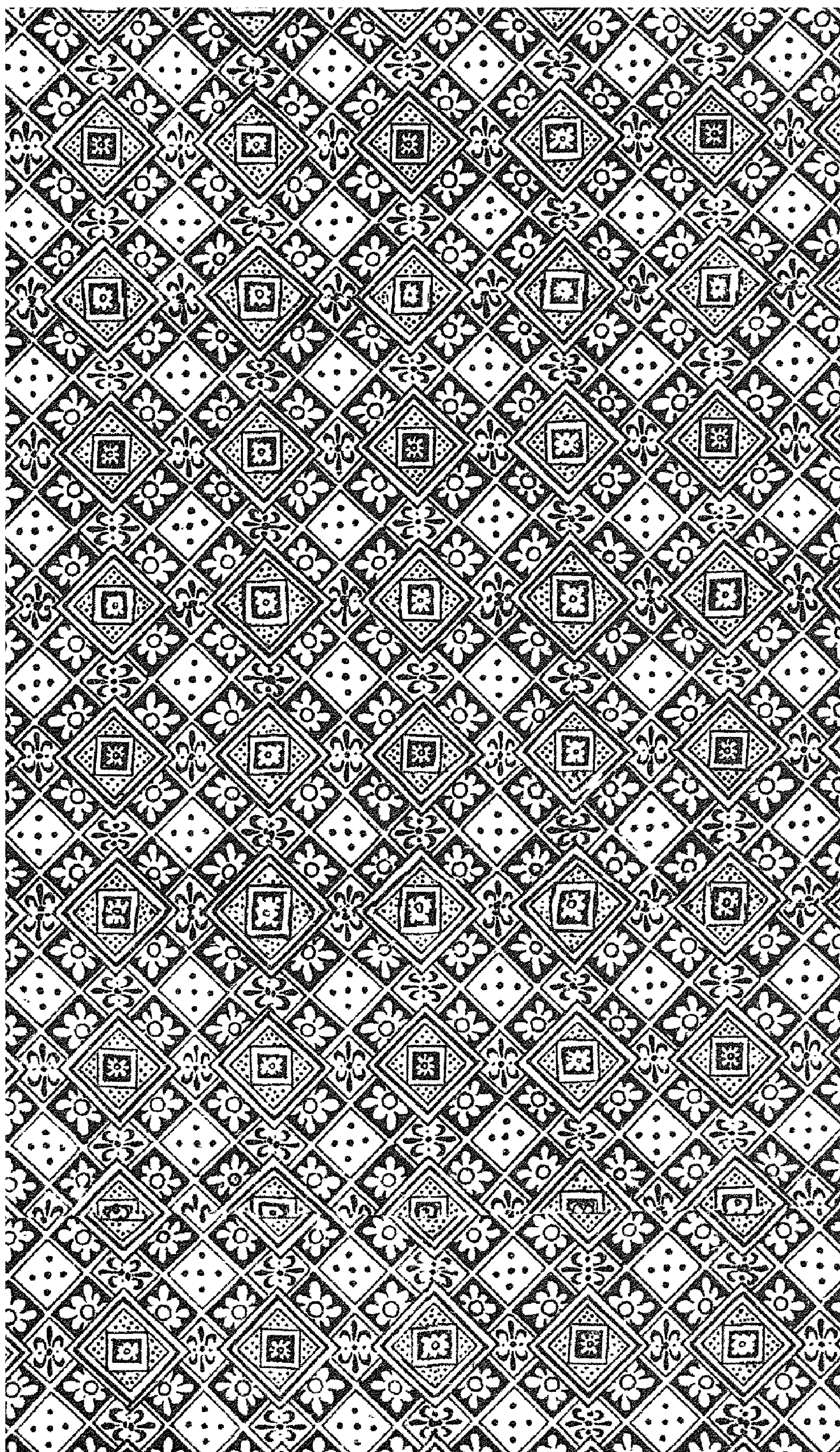
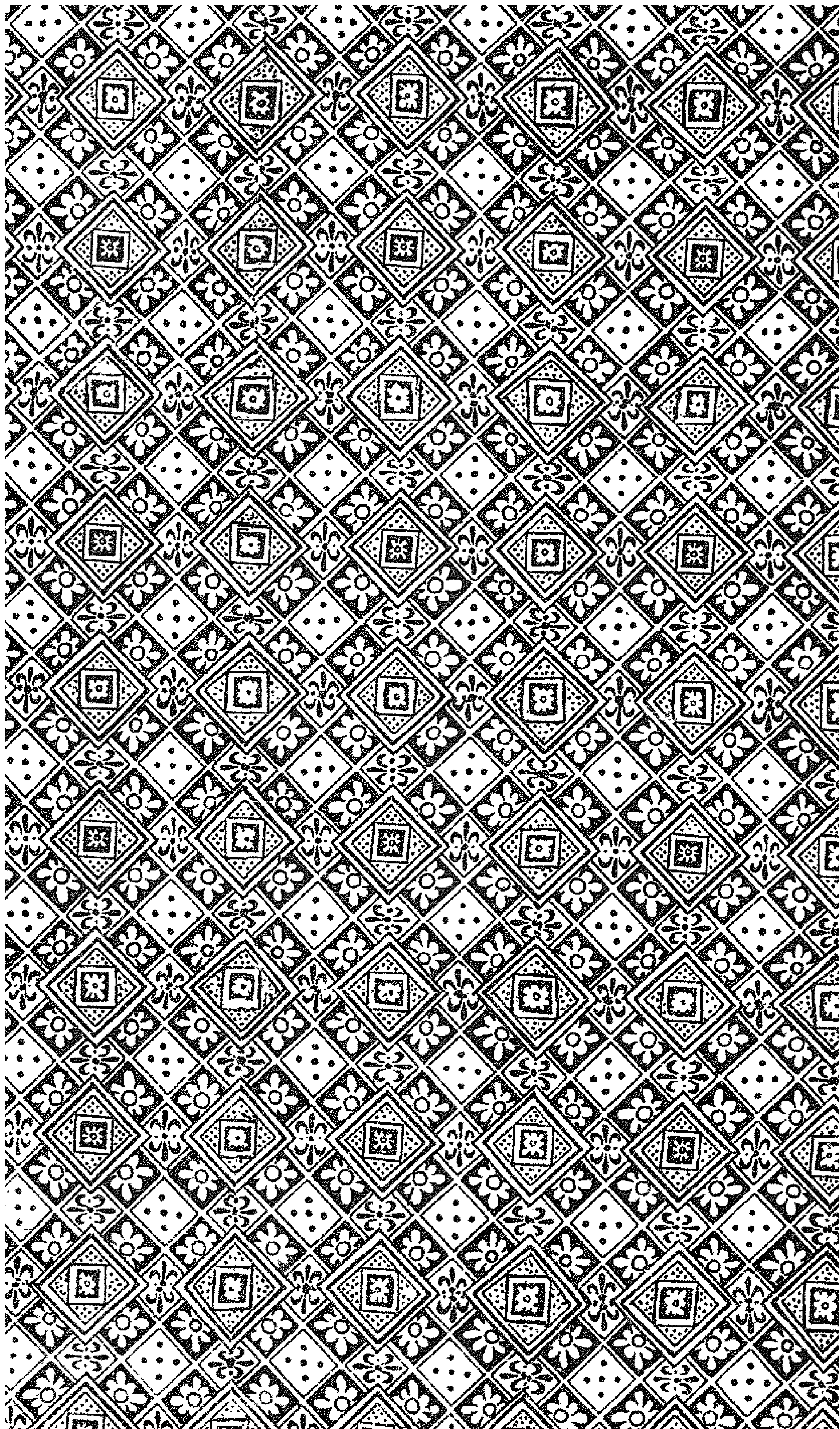






الإهـــــداء

مولاى صاحب الجلالة (احمد فؤاد الاول)
ملك مصر حرس الله ذاته

رأيتك يامولاى : تحب الدين وتحوط ولاته . فأهديت إلى جلالتكم قصص حماته الأولين . الأخيار المصطفين فأرجو قبول هدية عبدكم المخلص ؟

عبد الوهاب النجار

كتــــــــاب

قصص الأنبياء

هدية الى حضرة الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل من مؤلفه عبد الوهاب النجار
١-١١-١٩٣٢

عليهم الصلاة والسلام

(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)

(قرآن كريم)

تأليف

عبد الوهاب النجار

مدرس التاريخ الاسلامى

بكلية أصول الدين (نوع الوعظ والارشاد)

بالجامعة الازهرية

وناظر مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا

١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م

مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنينة لاظ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي قص الله عليه أحسن القصص فى كتابه الكريم . وعلى اخوانه من الرسل والانبياء أهل القدر العظيم .

وبعد فقد وجهت مشيخة قسم التخصص بالازهر الشريف الى هذا العبد الضعيف أن يلقى دروساً على طلبة قسم الوعظ والارشاد فى قصص الانبياء الاطهار الذين ورد ذكرهم فى القرآن وكان ذلك فى سنة ١٩٣٠-١٩٣١ الدراسية .

لم أجد بداً من إمتثال الأمر وقد قمت من هذه المهمة الكبيرة مما وصل اليه الامكان على وجه أرجو أن يكون مرضياً عند الناس مقبولا عند الله

ولابد لى من بيان الطريق الذى سلكته ليكون القارىء على بينة من الامور واقفا على المغزى الذى عنيته

١ — أخذت نفسى بأن أبدأ بذكر اسم النبى صلى الله عليه وسلم الذى أريد الكلام فى شأنه وأبين كم مرة ورد ذكره فى القرآن الكريم وأدل على رقم

الآيات التى ذكر فيها من السور المختلفة وقد استعنت على ذلك بالقاموس أو الفهرس الذى عمله الدكتور فلوجل العالم الألمانى غير أني جعلت الأرقام على مقتضى المصحف الكريم الذى طبعته الحكومة المصرية

٢ — أقسم قصص النبي من الانبياء إلى عدة مواقف استوفى فى كل موقف شأنه فيه ثم اتبع ذلك بالآيات الكريمة التى تدل عليه مع ذكر رقم كل آية بعدها غالبا

٣ — يغلب أن أذكر ذلك الموقف ان كان له ذكر فى كتب العهد القديم أو العهد الجديد . وهو أحيانا يوافق القرآن وأحيانا يخالفه ولا يعزب عن فكر القارىء الكريم أن القرآن جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فما جاء به الحق الذى لامراء فيه وكل مايخالفه لامعول عليه

٤ — أن أبين أوجه العظة والعبرة التى فى القصة على وجه الاختصار

ملاحظة

لايفوتني فى هذا المقام أن أنبه القارىء الى أن كتب العهدين (القديم والجديد) ليس لهما سند متصل ولم تخل من تحريف المحرفين خطأً أو عمداً ولكنى بذلك انبه الطالب الذى سيكون عرضة للاتصال بأهل الكتابيين بحكم مهمته وبصدد أن ترد عليه النصوص منهما فى الموضوعات المختلفة ليكون على استعداد للاجابة عما يسأل عنه وتكون عنده فكرة عنهما وليأخذ منهما ما يساعده على أدلته وبراهينه وليبطل ببعض نصوصهما مايمكن إبطاله من الدعاوى التى قد يدعيها أهل الكتابين

ولا يغرب عن فطنة القارىء انى فى تلخيص القصة وايراد آى القرآن لا أقصد الى تحليل الكلمات وبيان اعجاز الآيات والافاضة فى بيان مافيها من اطناب وايجاز أو قصر أو تأخير أو نحو ذلك مما يعمد اليه المفسرون وإنما

أقصد الى تلخيصها تلخيصا يجمع اطرافها ويحيط بمغزاها

واذا وقفت على رأى مفسر أو مفسرين لا يلتئم وما افهم من القصة أوردته واتبعت ذلك بالرد عليه مبينا الوجه الوجيه الذى اليه قصدت واياه عنيت وأورد ماقد يساعدني على ماقدذهبت اليه من أقوال ثقات المفسرين

أما الكتب التى رجعت اليها فى هذا الغرض الشريف فهى

(١) القاموس المحيط للفيروزبادى
(٢) لسان العرب لابن منظور
(٣) تفسير البيضاوى
(٤) « الالوسى
(٥) « الطبرى
(٦) « ابن كثير
(٧) « الفخر الرازى
(٨) البخارى
(٩) تاريخ الطبري
(١٠) » ابن الاثير
(١١) القرآن الكريم
(١٢) كتب العهد القديم ثم الجديد
(١٣) اظهار الحق لرحمة الله الهندى
(١٤) الفارق بين المخلوق والخالق
(١٥) تفسير المنار

واني فى هذا المقام أشكر لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الازهر الشريف ورئيس مجلس الازهر الاعلى والاستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ورئيس قسم التخصص — حسن ظنهما بشخصى الضعيف وتقدير اني أفيد الطلبة فيما أسند الى وأشكر لطلبة القسم قسم التخصص ان كانوا يناقشونني فى الموضوعات التى آتيهم بها مناقشة تحمل على الدرس والمراجعة وتحقيق الحق الواجب الاتباع

والذى ارجوه من كل مطلع على هذه الكلمات ان يتفضل بأن يرسل الى مايعن له من الملاحظات أو يقف عليه من خطا أو زلل لاثبت له رأيه إذا إذن الله بطبع هذه الكلمات كتابا مرة أخرى والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

قصة آدم عليه السلام

ذكر آدم فى القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة فى خمس وعشرين آية وها كم الآيات التى ذكر فيها

رقم السورة	السورة	الآيات
٢	البقرة	٣١ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٧
٣	آل عمران	٣٣ ٥٩
٥	المائدة	٢٧
٧	الاعراف	١١ ١٩ ٢٦ ٢٧ ٣١ ٣٥ ١٧٢
١٧	الاسراء	٦١ ٧٠
١٨	الكهف	٥٠
١٩	مريم	٥٨
٢٠	طه	١١٥ ١١٦ ١١٧ ١٢٠ ١٢١
٣٦	يس	٦٠

أول من قص الله تعالى علينا قصصهم فى القرآن الكريم من الانبياء آدم أبو البشر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . وقد ذكرت قصته فى سورة البقرة وفى سورة الاعراف وفى سورة الحجر وفى سورة الاسراء وفى الكهف وفى سورة طه وفى سورة ص وكلها بمعنى واحد لا يختلف فى معناها ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط . وذلك مما يدل على اعجاز القرآن الكريم فان أكتب الكاتبين وابلغ البلغاء اذا كتب قصة مرة يستحيل عليه ان يكتبها

مرة أخرى بالفاظ غير الاولى مع المحافظة على المتانة فى الاسلوب والبلاغة فى التعبير كما فى القرآن الكريم

٢— خلق آدم من طين وأمر الملائكة بالسجود له وامتناع ابليس عن السجود تكبرا

تتلخص قصة آدم فى ان الله تعالى اخبر ملائكته انه سيخلق بشرا من طين وامرهم اذا سواه ونفخ فيه من روحه ان يقعوا له ساجدين سجود تكريم بالطبع لا سجود عبادة لان الله لا يأمر أحدا ان يتوجه بالعبادة الى سواه سوى الله تعالى آدم من طين من حمأ مسنون (متغير) حتى اذا صار ذلك الطين صلصالا (يصل اذا ضرب) كالفخار نفخ فيه من روحه فاذا هو انسان حى من لحم ودم وعظم وعصب يتحرك بارادته ويدرك فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وابي ان يسجد استكبارا ونسب الى الله الظلم فى امره بالسجود لآدم وقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فطرده الله من الجنة

أقرأ قوله تعالى !

سورة ص — « اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ٧١ فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ٧٢ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ٧٣ الا ابليس استكبر وكان من الكافرين ٧٤)

سورة الحجر — (لقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ٢٦ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ٢٧ واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ٢٨ فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ٢٩ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ٣٠ الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ٣١)

سورة الكهف — (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس

كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ٥٠)

سورة البقرة — (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ٣٤)

سورة الاعراف — (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ١١) والمعنى خلقنا اصلكم الذى نسلكم وكنتم من ابنائه فخلقنا له خلق لكم وتصويرنا له تصوير لكم.

٣ـ محاجة ابليس لخالقه فى مخالفته عن أمره بالسجود وانظاره الى يوم الدين

سأل الله تعالى ابليس وهو أعلم عن السبب الذى منعه من السجود اذ أمره فاحتج بأنه أفضل من آدم الذى خلقه من طين من صلصال من حمأ مسنون ، وان من الظلم ان يخلق هو من عنصر النار الذى هو أشرف من الطين ثم يؤمر بالسجود لتلك الكتلة ونسب الله تعالى الى الظلم وأبدى غاية التكبر . فاعلمه الله بأنه من أهل النار لاستكباره وبأنه مطرود من الجنة لذلك السبب وهو الكبر ونسبة الظلم الى الله . فطلب من الله تعالى ان ينظره الى يوم الدين وتوعد آدم الذى طرد بسببه من الجنة بأن يغوى ذريته ويفسدهم على الله وان يسعى فى أن يجعل أكثرهم غير شاكرين لله الا عباد الله المخلصين فتوعده الله وكل من أطاعه من ذرية آدم بالنار

فى سورة ص — قال « يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ٧٥ » . قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ٧٦ قال فاخرج منها فإنك رجيم ٧٧ وان عليك لعنتى الى يوم الدين ٧٨ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون ٧٩ قال فانك من المنظرين ٨٠ الى يوم الوقت المعلوم ٨١ قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين ٨٢ الا عبادك منهم المخلصين ٨٣ » ..

وسورة الحجر — قال يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين ٣٢ قال لم أكن

لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ٣٣ قال فاخرج منها فانك رجيم ٣٤ وان عليك اللعنة الى يوم الدين ٣٥ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون ٣٦ قال فانك من المنظرين ٣٧ الى يوم الوقت المعلوم ٣٨ قال رب بما أغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم أجمعين ٣٩ الا عبادك منهم المخلصين ٤٠ قال هذا صراط على مستقيم ٤١ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ٤٢ وان جهنم لموعدهم أجمعين ٤٣ »

وفى سورة الاعراف ـ « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ١٢ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ١٣ قال انظرني الى يوم يبعثون ١٤ قال إنك من المنظرين ١٥ قال فبما أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ١٦ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين ١٧ قال أخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم أجمعين ١٧ »

وفى سورة الاسراء ـ « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ٦١ قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا ٦٢ قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ٣٢ واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ٦٤ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ٦٥ » .

٤ آدم خليفة الله فى أرضه

أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيجعل آدم خليفة فى الارض فقالوا « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » وتدعنا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولا نعصى أوامرك ولا نفعل شيئاً من نواهيك فاخبرهم الله تعالى أنه يعلم فى هذا المخلوق من الاسرار مالا يعلمون ويعلم مايبدون وما يكتمون وأنهم غير

عالمين بالسر فى استخلافه آدم وانه اختصه بعلم مالا يعلمون

ومعنى الخلافة عن الله فى الارض أنه سيكون سلطانا عليها متصرفا فى موادها ليجعلها ملائمة لحاجاته ويرتفق بما فيها من زروع وثمار ومعادن وحيوان وهواء وماء

سورة البقرة — (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون ٣٠)

قد يظن القارئ لهذا السؤال ان الملائكة قاموا بمظاهرة أمام الله واحتجوا عليه لاستخلافه آدم فى الارض فيقول كيف يحصل هذا منهم وهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون ؟

والذى أفهمه أن شيئاً من ذلك لم يحصل ولكن خواطر خطرت بأنفسهم وهى تشوقهم لمعرفة الحكمة فى استخلاف ذلك المخلوق الذى من شأنه تلك الاشياء والسر أيضا فى تركهم من هذا الامر وهم المجبولون على تسبيحه وتقديسه فأراد الله أن يعلمهم بالعمل أنه أودع فيه من السر والقدرة على وضع أسماء الاشياء مالم يودعه فيهم

٥ — تعليم الله آدم أسماء المسميات التى تقع تحت حسه

أراد الله تعالى أن يحقق للملائكة بالفعل ويكشف لهم بالعمل ما غاب عنهم وان آدم الذي استحقره أولئك الملائكة محل لعناية الله وايثاره بما لم يعطه لهم فعلم الله آدم الاسماء كلها

والذى افهمه انه علمه جميع اسماء الاشياء التى فى جنة عدن والهمه واقدره على وضع اسم لكل ما تقع عليه عينه هناك من زروع واجزائها واشجار وثمار وفروع وورق ولب ونوى وجميع الاوعية والادوات التى هناك وجميع مافيها من حيوان واجزائه لاحتياجه اليها

ومعلوم ان معرفة آدم لهذه الاشياء فى طعامه وشرابه وسائر مايتلذذ به فى تلك الدار أمر طبيعي بخلاف الملائكة فانهم لايحتاجون الى شيء من ذلك لأنهم لايحتاجون الى طعام ولا الى شراب ولا يباشرون شيئاً من هذه الأشياء فكان علمه بها أمراً معقولا صحيحا اذ الحاجة تفتق الحيلة ويشهد لما ذهبت اليه قوله تعالى فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء الاشارة للمرئي الحاضر وتكلف أنه صور له ما كان وما يكون وأشار اليه تحميل للآية مالا تحمله.

ثم ان الله تعالى عرض على الملائكة المسميات وطالبهم بأسمائهم فلم يعلموا ما يجيبون. فقالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا فقال الله تعالى يا آدم أنبئهم بأسمائهم ففعل وقال الله للملائكة ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون

اقرأوا قوله تعالى:

فى سورة البقرة - (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ٣١ قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ٣٢ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ٣٣

يبالغ بعض الناس فيزعم ان الله تعالى علم آدم كل شيء كان ويكون، وعرض صورة هذه الاشياء مما كان موجودا ومما سيوجد، وان آدم سمى كل شيء باسمه وهذه مبالغة غير مقبولة لاأميل اليها، بل أميل إلى أنه سمى الأشياء التى وقع عليها حسه ومنها الطيور والبهائم وكل أنواع الحيوان الموجودة هنا

ولا يخفى أن استخلاف آدم فى الأرض يشتمل على معنى سام من الحكمة الالهية التى خفيت عن الملائكة. فانه تعالى لو استخلف الملائكة فى الأرض لما عرفت أسرار هذا الكون وما أودع فيه من الخواص والعلوم

الغزيرة . فان الملائكة ليسوا فى حاجة إلى شيء مما فى الأرض إذهم على وصف يخالف وصف الأنسان فما كانت السفن لتصنع ولا تزرع الأرض بمختلف الزروع والغراس. وماوجدمنها لا يهتم أحد بمعالجته واستخراج خباياه فلا تعرف الأطياب ولا خواص الأشياء ولا المركبات الكيماوية ولا الفوائد الطبيعية ولا الفلكية ولا المستحدثات الطبية ولا الطبائع النفسية ولا شيء من هذه العلوم الكثيرة التي تفنى السنين ولا يدرك الانسان لعلم منها نهاية فسبحانه وتعالى عزيز حكيم

٦ — سكنى آدم وزوجه الجنة وخروجهما منها بسبب اغراء ابليس لهما

أمر الله تعالى آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلق له حواء يسكن اليها وأباح لهما كل شيء فى الجنة إلا شجرة عينها لهما ولكن ابليس وسوس لهما بالأكل منها وأغراهما بأنواع المغريات وقال لهما أن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة أو تكونا خالدين لا يقرب الموت والفناء ساحتكما وقال لآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ولم يزل يفتله فى الذروة والغارب ويمنيه معسول الامانى ويرفؤه بالقول اللين حتي نسى آدم أنه عدوه الذى أبى السجود له وان الله حذره منه أشد الحذر بقوله « إن هـذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » فأكل آدم وحواء من الشجرة فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فيسترا عورتهما ويجعلان ورق الشجر على هيئة الثوب الساتر وعاتب الله آدم على مخالفته أمره والأكل من الشجرة فندم آدم وأخذ يعتذر فطرده هو وحواء من الجنة وطرد ابليس قائلا « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع إلى حين» فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهداه واجتباه وبقى فى الأرض هو وبنوه الذين أتي بهم من حواء فى الأرض — اقرءوا قوله تعالى :

فى سورة طه – « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ١١٥
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى ١١٦ فقلنا يا آدم
ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ١١٧ ان لك ألا تجوع
فيها ولا تعرى ١١٨ وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ١١٩ فوسوس اليه الشيطان
قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ١٢٠ فأكلا منها فبدت
لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ١٢١
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ١٢٢ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو
فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ١٢٣

وفى سورة الاعراف – ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ١٩ فوسوس لهما الشيطان ليبدى
لهما ماووري عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن
تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ٢٠ وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ٢١
فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين ٢٢ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ٢٣
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين ٢٤
قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ٢٥ »

وفى سورة البقرة – « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها
رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ٣٥ فأزلهما الشيطان
عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض
مستقر ومتاع الى حين ٣٦ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب
الرحيم ٣٧ قلنا اهبطوا منها جميعا فأما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ٣٨ »

مسائل نحب ان نعرض لها فى هذه القصة ونجيب عنها

الأولى - ان ابليس لم يكن من الملائكة فهو غير مأمور بالسجود لآدم فكيف يعاقب على مخالفته أمراً لم يوجه اليه ؟

الجواب

ان ابليس لو لم يكن مأموراً لقال لله انك لم تأمرنى حين قال الله له مالك ألا تسجد اذ أمرتك ولكنه أظهر التكبر ولم ينف الأمر ففهمنا أنه كان مأمورا وانه وان كان من غير الملائكة ولكن الله تعالى كان قد أمر الشاهدين لنفخ الروح فى آدم وابليس كان حاضراً وانما عبر الله تعالى بالملائكة لأنهم كانوا الجمهور الاعظم فى الحاضرين ووجود فرد من غيرهم لا يضر فى صدور الأمر على هذه الصورة فهو كان من الحاضرين المأمورين حقيقة وان كان غير ملك وليس لأحد أن يكون أقوم بحجه ابليس من ابليس نفسه — وهناك رأى آخر وهو أن من الملائكة صنف يقال لهم الجن فلفظ الملائكة يشمله

الثانية — نعلم أن ابليس طرد من الجنة عقب آبائه السجود فكيف وصل الى آدم فى الجنة حتى أغواه ودلاه وزوجه بغرور ؟

الجواب

ان طرده من الجنة لا يجعل دخولها مستحيلا عليه وانه قد دخلها عاصيا آثماً لاغواء من حسده من أول يوم . على أن ابليس تصل وسوسته الى النفس وان كان بعيدا كما يصل تأثير السحر الى الغائب والبعيد وكما يصل صوت البعيد بواسطة التليفون اللاسلكى فلا مانع من أن يصل تأثير وسوسته إلى آدم من خارج الجنة الى داخلها وانى أميل إلى أنه دخلها آثماً عاصياً أمر

ربه بدليل قول الله تعالى « اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو »

الثالثة — من أى شيء خلقت حواء ؟

الجواب

ان الله تعالى قال « وخلق منها زوجها » هذه العبارة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعا من اضلاع آدم وخلق من ذلك الضلع حواء وقد قال بذلك كثير من العلماء وهي بعينها عبارة سفر التكوين آية (٢١) فأوقع الرب الآله سباتا على آدم فنام فأخذوا حدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما (٢٢) وبنى الرب الآله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم (٢٣) فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمى تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت (من الاصحاح الثاني) تكوين

ومن الجائز أن يكون خلقها كما خلق آدم وأن يكون قوله تعالى « وخلق منها زوجها » أى من جنسها وعلى صورتها وحينئذ تكون المادة التى أخذت منها المرأة غير متعرض لها والرأي الاول النفس اليه أميل

الرابعة — أين توجد الجنة التى كان فيها آدم وطرد منها ؟

الجواب

ان العلماء اختلفوا فى تلك الجنة فيزعم جماعة أنها الجنة التى وعد المتقون وان آدم حين هبط منها هبط فى (سرنديب بسيلان) وهى جزيرة فى جنوب الهند وهناك مزار لموضع هبوط آدم وأثر أقدام هائلة يدعون أن ذلك أثر قدم آدم ويقولون أيضا أن حواء هبطت (بجدة) وان آدم التقى معها (بعرفات) ويدعى بعض أهل جدة ان حواء ماتت ودفنت عندهم وقد جعلوا لها قبرا وعليه ثلاث قباب هدمها الوهابيون قبة عند الرأس وقبة عند السرة وقبة عند

القدمين وكل هذا عندى من قبيل الخرافة ولم لم يهبط الله آدم وحواء فى مكان واحد على ان جدة انما أنشئت فى زمن عثمان بن عفان ولم يكن بها شيء من ذلك ولا حدث به أحد

وفريق من العلماء يقولون أنها جنة من جنات الدنيا وان معنى الهبوط منها الخروج الى مكان آخر فان الانسان يقول هبطت أرض مصر منذ سنة مثلا ولا يشترط فى ذلك ان يكون قد أتي من مكان مرتفع أو منخفض والله تعالى يقول لبنى اسرائيل (اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم)

وقد جاء وصف تلك الجنة فى الاصحاح الثاني من سفر التكوين بما يفيد أنها عند منابع دجلة والفرات وهذه الآيات المتضمنة ذلك

٨ وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ووضع هناك آدم الذى جبله ٩ وانبت الرب الاله من الارض كل شجرة شهيه للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر ١٠ وكان هناك نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤس ١١ اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجمع أرض الحويلة حيث الذهب ١٢ وذهب تلك الأرض جيد وهناك المقل وحجر الجزع ١٣ واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجمع أرض كوش واسم النهر الثالث حدافل وهو الجارى شرق أشور (دجله) والنهر الرابع الفرات

وعلى ذلك فموضعها جبال أرمينية التى هى منبع لنهرى دجلة والفرات

ومن رأيي تفويض أمر تلك الجنة الى الله تعالى فهو الذى يعلم ان كانت فى السماء أو الارض

الخامسة — هل آدم نبي ورسول ؟

الجواب

ان نبوة آدم قد أخذت دوراً مهما من عدة سنوات إذ ظهر بمدينة

(دمنهور) رجل أنكر أن يكون آدم نبيا وقد رفعت عليه الدعوى بالمحكمة الشرعية وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بذلك الانكار ولما استأنف الحكم الى محكمة الاسكندرية كان كلامه أمامها يفيد أنه لم ير لفظا فى القرآن يذكر آدم بالنبوة وأنه يعتقد بنبوته فصدر حكمها بالغاء الحكم الاول وأعيدت اليه زوجته

والجواب أيضا أن القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بازاء آدم كما ذكر ذلك بازاء غيره من الانبياء كاسماعيل وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولكن ذكر انه خاطبه بلا واسطة وشرع له فى ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون ان يرسل إليه رسولا وهذا هو كل معانى النبوة فمن هذه الناحية نقول أنه نبي وتطمئن أنفسنا بذلك

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه .وشأننا ان نفوض علم ذلك إلى الله تعالى . على أنى رأيت فى حديث أبى هريرة فى الشفاعة الواردة فى صحيح مسلم ان الناس يذهبون الى نوح ويقولون له أنت أول رسل الله الى الارض فلو كان آدم رسولا لما ساغ هذا القول . والعلماء القائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان وهو تأويل متكلف

السادسة ـ اذا كان نبياً فكيف عصى والانبياء معصومون من المعصية ؟

والجواب على ذلك من وجوه

الاول :ان يكون ذلك منه على سبيل النسيان وأنما سمى ما أتاه ناسيا خطيئة ومعصية وغواية لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان ليس كأحد من الناس وكان التنبه والحذر من مخالفة الله لازماله فاذا نسى عد ذلك خطيئة فى حقه وان كان غير خطيئة اذا صدر من غيره.وحسنات الابرار سيئات المقربين

الثانى : أنه تأول فيما فعل اذفهم أن الامر والنهى ليسا جازمين بحيث يترتب على المخالفة الغضب والمجازاة بل فهمه أمر ارشاد فقط ونهى ارشادوما كان من هذا القبيل لاتحرم مخالفته . كاحمل الفقهاء الامربكتابة الدين على انه أمر ارشاد ولا اثم بتركه

الثالث : ان ماحصل منه من الذنب صغيرة وهذا لا يتأتي إلاعلى رأى من يقول ان الانبياء غير معصومين من الصغائر

الرابع : ان ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية.وهوجواب حسن لولا أنه وقع بعد صدور الامر والنهى إليه بلا واسطة وهو ماجعلناه من امارات نبوته

السابعة : هل آدم هذا هو أول البشر ولم يكن أحد قبله من جنسه ؟

الجواب

ان العقل لايجعل من المحال ان يكون الله خلق آدم غير آدم هذا ولكن الله تعالى لم يذكر سوي آدم الذى نعرفه أبا البشرفالقول بوجود غيره مجازفة بلابرهان وقد وجد فى البشرفى الازمان الغابرةوالحاضرة من يدعون ان عمران بلادهم أقدم من خلق آدم كاهل الهند — وقد كانوا فى الزمن السابق يدعون أن آدم كان عبدا من عبيدهم هرب إلى الغرب وجاء بأولاده والى هذا يشير المعرى بقوله :

تقول الهند آدم كان قنا لنـا فسعى اليه مخببوه

وإلى القول بوجود أو ادم سوى آدم يشير بقوله :

جائز ان يكون آدم هذا قبله آدم على أثر آدم

وقوله

وما آدم فى مذهب العقل واحدا ولكنه عنـد القياس أوادم

ويقول

قال قوم ولا أدين بما قا لوه ان ابن آدم كابن عرس
جهل النـاس من أبوه على الده ر ولكنه مسمى بحرس
فى حديث رواه قوم لقوم رهن طرس مستنسخ أثر طرس

ويقول

قالوا وآدم مثل أوبر وابنه كبناته جهل امرؤ ماأوبر

وهناك فريق من الناس يرجح أن آدم ليس أول نوعه ويستأنسون لذلك بقول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ويقول أن الملائكة لم يقولوا ذلك إلا لرؤيتهم من تقدموا آدم من الخلق الذين على صورته قد فعلوا ذلك وان آدم إنما كان خليفة عن بشر كانوا من جنسه وبادوا

وكل هذه الاقوال تهافت واستناد إلى أشياء ليست نصا فيما يريدون

وعلى أية حال فالمسألة لا تعنينا ولا يترتب عليها نفع ولا ضرر والله لم ينص على شيء منها فى كتاب من الكتب السماوية فوجب السكوت عنها

الثامنة — ظهر رأى فى البلاد الاوروبية وقبلـه كثير من علمائهم وهو أن الانسان أصله قرد ترقى بسبب عوامل مجهولة حتى صار هذا الانسان وذلك يبطل أن يكون أصل الانسان آدم فما الرأي ؟

الجواب

إن هذه النظرية لم تزل موضع بحث. للاخذ والرد فيها مجال ولها أنصار مؤيدون كما أن لها خصوما يبطلونها. وعندنا القرآن الكريم يدل بنصوصه الظاهره على أن أصل الانسان آدم ولم يكن قرداً تحول ولا شيئاً آخر ترقى

وهو الثقة فاذا وصل أصحاب النظرية إلى الادلة القاطعة التي تجعل هذه القضية بديهية تساوي فى بداهتها (كل عدد زوجى ينقسم الى متساويين) و (السماء فوقنا والارض تحتنا) كان لزاما علينا أن نؤول القرآن ليوافق الواقع كما هى القاعدة القائلة ان القرآن يؤخذ على ظاهره بدون تأويل إلا إذا منع من ذلك مانع فيعمد إلى تأويله

ذلك أن القرآن إنما خاطب العقلاء بما عندهم من العقل ويلجأ إلى العقل فيما خالف الناس فيه مقاصد القرآن

وقد ذكر العقل ومشتقاته فى القرآن الكريم (نحو من بعد ماعقلوه ويعقلون وتعقلون لو كنا نسمع أو نعقل وما يعقلها إلا العالمون) تسعا وأربعين مرة وهاكم جدولا بأرقامها وسورها

رقم السورة	السورة	ارقام الايات	رقم السورة	السورة	ارقام الايات
		(عقلوه)			(يعقلها)
٢	البقرة	٧٥	٢٩	العنكبوت	٤٣
		(يعقلون)			(تعقلون)
٢	»	١٦٤ ١٧٠ ١٧١	٢	البقرة	٤٤-٧٣-٧٦-٢٤٢
٥	المائدة	٥٨ ١٠٣	٣	آل عمران	٦٥ ١١٨
٨	الانفال	٢٢	٦	الانعام	٣٢ ١٥١

رقم السورة	السورة	أرقام الآيات	رقم السورة	السورة	أرقام الآيات
		(يعقلون)			(تعقلون)
١٠	يونس	٤٢ ١٠٠	٧	الاعراف	١٦٩
١٣	الرعد	٤	١٠	يونس	١٦
١٦	النحل	١٢ ٦٧	١١	هود	٥١
٢٠	الحج	٤٦	١٢	يوسف	٢ ١٠٩
٢٥	الفرقان	٤٤	٢١	الانبياء	١٠ ٦٧
٢٩	العنكبوت	٣٥ ٦٣	٢٣	المؤمنون	٨٠
٣٠	الروم	٢٤ ٢٨	٢٤	النور	٦١
٣٦	يس	٦٨	٢٦	الشعراء	٢٨
٣٩	الزمر	٤٣	٢٨	القصص	٦٠
٤٥	الجاثية	٥	٣٦	يس	٦٢
٤٩	الحجرات	٤	٦٧	الصافات	١٣٨
٥١	الحشر	١٤	٤٠	غافر	٦٧
		(نعقل)	٤٣	الزخرف	٣
٦٧	الملك	١٠	٥٧	الحديد	١٧

فالدين الذى يعتمد على العقل فى اقامة براهينه وبسط حججه لا يمكن ان يجانب العقل وينافيه فاذا أثبت العلماء نظرياتهم اثباتا قاطعا وجب علينا أن نؤول ظهار القرآن تأويلا يتفق وما أثبته العلم وقطع العقل بانه الحق الذى لامحيص عنه

أتذكر أنه قبيل الحرب العظمى كان أحد العلماء الأمريكان أرسل الى المرحوم

جورجى زيدان بك كتابا يرجوه فيه أن يأخذ جواب علماء المسلمين فى مصر من الازهر وغيره عن أسئلة وجهها اليهم — منها !

ماهو رأى العلماء المسلمين في نظرية (داروت) وهل تجد نجاحا وما هو مقدار الاقبال عليها وما هو رأى علماء الازهر فيها ؟

وقد كان لى الشرف بأن وجهت إلى هذه الأسئلة كما وجهت الى كثيرين غيري. لكن لم يجب عليها أحدسواي فيما أعلم. وجاءنى خطاب شكر من السائل وانه سينشر جوابي (مترجماً بالانجليزية طبعا) وصورتي وقد مرّت الاعوام ولم ينشر الكتاب الذى كان يريد ان يجعله معرضا عاما لآراء العلماء فى العالم فى نظرية (داروت) وتوفى المرحوم جورجي بك زيدان ولم أعلم بشىء عن هذا الشأن الى اليوم وجوابي يتلخص فى ان علماء الاسلام انما يأخذون عقيدتهم عن العقل يوجبون ما أوجبه ويحيلون ما أحاله ويجيزون ما أجازه ومن صريح القرآن فيما لا يعارض العقل ويصادمه فاذا كانت عبارة القرآن تخالف مقطوعا به عقلا وجب تأويل نص القرآن ليطابق العقل وقد جاء القرآن بأن الله قد خلق شخصاً اسمه آدم وزوجه (حواء) وانهما أصل النوع الانساني وانه خلق آدم من الطين ونفخ فيه من رروحه وجعله بشرا فهذا القول عندنا صريح لا يعدل عنه الى تأويله إلاإذا قامت الأدله التي لا ترد على نظرية (داروت) وان الانسان ليس أصلا بنفسه بل جنس أو نوع مشتق من غيره — اذا صارت أدلة (داروت) بديهية فى حكم (السماء فوقنا والأرض تحتنا) وجب أن نسلم بها وان نلجأ الى تأويل نصوص القرآن بما لا يخالف الواقع

ولكن نظرية (داورن) لم تبلغ من المتانه هذا الحد الذي يجعلها أمراً قطعياً (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)

والمسلم الحقيقى لا يترك الساق إلا ممسكا ساقا أقوى منها وامتن فليس من المعقول ان يترك الاعتقاد المتين الذى تلقاه من القرآن الى نظرية لم تثبت

وقد كان علماء الأزهر فى ذلك الحين بعيدين عن العناية بأمثال هذه المباحث فلم يسمع لهم صوت فى هذا الأمر ولم يأبهوا بشىء من هذا

وهذه امريكا عاقبت أحد المدرسين فى احدى الجامعات لانه أظهر لطلبته صحة قول (دارون) وأتباعه وأبطل ما تضمنته التوراة فى شأن آدم — وأظن ان من الجرأة أن يكتب انسان صكا على نفسه يقطع فيه بأن نساء الجنس البشرى قد أعقمن ان يلدن أعظم من دارون وأقدر على اثبات عكس نظريته

بقى ان أقول لكم ان عالما ألمانيا يقول ان القرد انسان متقهقر وليس الانسان قردا مرتقيا ونظريته التى يقول بها عكس نظرية (دارون) وأتباعه وقد جعل أدلة دارون وبراهينه أدلة وبراهين على صحة نظريته

وعلى الجملة فما دام الأمر نظرية مطروحة على مشرحة البحث والتنقيب فانها لا تكون حجة ملزمة لاحد أصلا

هبوا ان الطبيعة قد غضبت على هذه الأرض فهزتها هزاً عنيفاً بغير شفقة وزلزلتها زلزالا شديداً فدكت كل بناء شامخ وانهار كل صرح باذخ والحقت القصور بالاكواخ وازالت معالم الناس ودورهم ومصانعهم وسككهم الحديدية وكل شىء للانسان فيه صناعة وعادت الأرض كما كانت قبل ان يسكنها هذا الجيل الذى يسمونه انسانا

فهل يتصور أن الغورلا والشمبانزى وسائر الفصيلة القردية تهب لعمران الأرض كما عمرها الانسان ويكون بينها المصلحون الدينيون والمخترعون والمبتدعون ويقوم من بينها أمثال افلاطون وسقراط وابيكورس وبقراط وجالينوس وارسطوطاليس وارشميدس وابن سينا والفارابى وابن رشد ونيوتن

ولبلاس وغاليلى وكوبرنيق وبونزن ولوكلانش وواط واستيفن وزبلن وادسن ومركوني ومورس وهنرى مريون وكورى ومدام كورى . ويرسمون الكرة الارضية مسطحة ومجسمه ويبينون فى الخرائط خطوط الطول وخطوط العرض وخط الاستواء ومدار السرطان ومدار الجدى وتيارات البحار ويبينون سببها ونتيجتها ويخترعون الآلات الهندسية من النظارات والبلانشيطة والبلانومتر والمساطر التى تبين النسب ويوجدون اللوغاريتمات والنسب والمتواليات العددية والهندسية وحساب المثلثات وقواعد الجبر ويخترعون نظارة العبور والتيودوليت والنظارة النجمية والساعات على اختلاف أنواعها ودقة صنعها ويعرفون الصعود والمطالع المستقيمة والمزاول والتلسكوب والسبكترسكوب والسسموجراف والترمومتر والبارومتر والاريومتر والراديو والتليفون والتليفون اللاسلكى والطائرات والغواصات والمناطيد ويكتشفون القارات والعناصر الاولية للمادة والمركبات الدوائية وسائر ما تكلم عنه الانسان فى المادة الطبية ويسمون الكواكب الثابتة والسيارة ويحللون ألوان الضوء ويعرفون الطيف ويستخدمون الاشعة المختلفة كأشعة رونتجن وأشعة اكس والاشعة الحمراء والبنفسجية وفوق البنفسجية وفوق الحمراء فى العلاجات ويضعون لها الاسماء ويميزون الدائرة الكسوفية ومنطقة فلك البروج وغيرها ويعرفون أن النجم أوفا فى مجموعة قنطاريس أقرب الثوابت الى الارض وأن ضوءه يصل الى الارض فى سنتين ضوئيتين وأن بتالجس (باط الجوزاء) فى صورة الجبار عملاق النجوم وأن ضوءه يصل الى الارض فى مليونى سنة ضوئية وأن الجدى فى الدب الاصغر غير الجدى الذي بين القوس والدلو ويسمون قيفاوس والمرأة المسلسلة وبرشاوش ويفرقون بين الفرس الاكبر والفرس الاصغر ويضعون الاساطير لبروشاوش وراس الغول . والشعريين وسهيل . والدبران والثريا .

وكيف هم اريد أن ينهش الجبار فى رجله فرفعها جزعا ويخترعون الصواريخ لمحاولة الخروج من جذب الارض ويعلمون أن الخسوف يحصل من دخول القمر فى المخروط الظلى للارض وكسوف الشمس من توسط جرم القمر بينها وبين الارض الى غير ذلك

أقول إني كلما فكرت فى ذلك جزمت بأن ذلك محال وقطعت بأن القرد لا بد أن يبقى قردا مدى الدهر وان القردة لا تلد إلا قردة (١)

قصة آدم فى سفر التكوين

وقد ذكرت قصة آدم فى الاصحاحين الثانى والثالث من سفر التكوين وهى لا تخالف ما جاء فى القرآن الا مخالفة بسيطة فانها لم تذكر مسألة السجود لآدم ولا مخالفة ابليس وتكبره وطرده من الجنة ولم تذكر الحوار بين الله تعالى وملائكته وجعلت المغرى لآدم وزوجه على الاكل من الشجرة (الحية) وها أنذا أنقل لكم ذلك مع ما قد نقلته فيما قبل

(من الاصحاح الثانى تكوين) ٧ وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية ٨ وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ووضع هناك آدم الذى جبله ٩ وانبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر ١٠ وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة

(١) راجعوا مقالة اتجاه العلم الحديث نحو روحانية الشرق) المنشورة بملحق العدد ١٩٣٢ ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٢ من جريدة السياسة فانكم واجدون أن فطاحل العلماء مثل هلدان واللورد رذرفورد قد هدموا المذهب الذى بنى عليه دارون نظريته والمقالة بقلم أحمد خيرى سعيد افندى وهى قيمة فليرجع اليها

رءوس ١١ اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب ١٢
وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع ١ واسم النهر الثاني جيحون
وهو المحيط بجمع أرض كوش ١٤ واسم النهر الثالث حداقل وهو الجارى شرقى
أشور والنهر الرابع الفرات

١٥ وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها ١٦ وأوصى
الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ١٧ وأما شجرة معرفة
الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت ١٨ وقال الرب الاله ليس
جيداً ان يكون آدم وحده فاصنع له معينا نظيره ١٩ وجبل الرب الاله من
الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا
يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها ٢٠ فدعا آدم بأسماء
جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه فلم يجد معينا
نظيره ٢١ فأوقع الرب الاله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه
وملأ مكانها لحما ٢٢ وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة واحضرها
الى آدم ٢٣ فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمى هذه تدعى
امرأة لأنها من امرىء أخذت ٢٤ لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته
ويكونان جسداً واحداً ٢٥ وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته
وهما لا يخجلان

(الاصحاح الثالث) ١ وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها
الرب الاله فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ٢ فقالت
المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل ٣ وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة
فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ٤ فقالت الحية للمرأة لن تموتا ٥
بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير

والشر ٦ فرأت المرأة ان الشجرة جيدة للأكل وانها بهيجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لانفسهما مآزر وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة ٩ فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ١٠ فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لاني عريان فاختبأت ١١ فقال من أعلمك انك عريان هل أكلت من الشجرة التى وصيتك ألا تأكل منها ١٢ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت ١٣ فقال الرب الاله للمرأة ماهذا الذى فعلت . فقالت المرأة الحية غرتنى فأكلت ١٤ فقال الرب الاله للحية لانك فعلت هذا ملعونة من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين . وترابا تأكلين كل أيام حياتك ١٥ واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه ١٦ وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حياتك بالوجع تلدين أولادا والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك ١٧ وقال لآدم لانك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لاتأكل منها : ملعونة الارض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ١٨ وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل ١٩ بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود الى الارض التى أخذت منها لانك تراب والى تراب تعود ٢٠ ودعا اسم امرأته حواء لانها أم كل حي ٢١ وصنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما

بقى مسألتان

الاولى : من هم الملائكة ؟

والجواب ــ أن الملائكة خلق من خلق الله تعالى لا نعلم حقيقتهم ولم نرهم واعتقاد وجودهم واجب وهى من الامور السمعية التى لا يوجبها العقل . ولكن

المعصوم صلى الله عليه وسلم اخبر بوجودهم وجاء فى الكتاب الكريم وفى الكتب السماوية اسماء بعضهم فوجب اعتقادنا وجودهم لانهم ذكروا بنص قاطع الثبوت والدلالة

ولولا ان المعصوم اخبر بوجودهم ما علمنا بهم وقد أخبر الله عنهم فى القرآن انهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وانهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

ويفهم من فحوى الخطاب بينهم وبين الله تعالى انهم مجبولون على الطاعة منزهون عن المعصية وذلك فى قوله تعالى حكاية عنهم . (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

وقد اختلفت كلمة العلماء فى شأنهم . ففريق يقول . انهم افضل من البشر كما يدل عليه قوله تعالى (قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكون من الخالدين) فانه دناهما بالاكل من الشجرة أن يرتقيا الى مرتبة اعلى وهى مرتبة الملائكة . وكما يدل عليه قوله تعالى عن صواحب يوسف (وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم)

وقال آخرون أن النوع الآدمي أفضل من الملائكة لان اطاعة الملائكة بالجبلة ولم تركب فيهم الشهوة فلا فضل لهم فى العصمة وأما الآدمى فانه يجاهد شهواته وميوله

وقال آخرون . ان عموم الملك أفضل من عموم البشر ولكن خواص البشر وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة

ومن رأيي أن الدخول فى مسألة التفضيل دخول فى مجهول وأن الاسلم الامساك وأن وضع كل فى مرتبته بيد من يعلم سرهم ونجواهم.

وقد ذكر لفظ الملك والملائكة ٨٨ مرة فى ست وثمانين آية من القرآن الكريم وها كم جدولا بالآيات التى ذكر فيها

السورة	رقمها	أرقام الآيات	السورة	رقمها	أرقام الآيات
البقرة	٢	٣٠، ٣١، ٣٤، ٩٨، ١٠٢، ١٦١	السجدة	٣٢	١١
		١٧٧، ٢١٠، ٢٤٨، ٢٨٥	الاحزاب	٣٣	٤٣، ٥٦
آل عمران	٣	١٨، ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٨٠، ٨٧	سبأ	٣٤	٤٠
		١٢٤، ١٢٥	فاطر	٣٥	١
النساء	٤	٩٧، ١٣٦، ١٦٦، ١٧٢	الصافات	٣٧	١٠٠
الانعام	٦	٨، ٩، ٥٠، ٩٣، ١١١، ١٥٨	ص	٣٨	٧١، ٧٣
الاعراف	٧	١١، ٢٠	الزمر	٣٩	٧٥
الانفال	٨	٩، ١٢، ٥٠	فصلت	٤١	١٠٤
هود	١١	١٢، ٣١	الشورى	٤٢	٦
يوسف	١٢	٣١	الزخرف	٤٣	١٩، ٥٣، ٦٠
الرعد	١٣	١٣ ٢٣	القتال	٤٧	٢٧
الحجر	١٥	٧، ٨، ٢٨، ٣٠	النجم	٥٣	٢٦، ٢٧
النحل	١٦	٢، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٤٩	التحريم	٦٦	٤، ٦
الاسراء	١٧	٤٠، ٦١، ٩٢، ٩٥	الحاقة	٦٩	١٧
الكهف	١٨	٥٠	المعارج	٧٠	٤
طه	٢٠	١١٦	المدثر	٧٤	٣١
الانبياء	٢١	١٠٣	النبأ	٧٨	٣٨
الحج	٢٢	٧٥	الفجر	٨٩	٢٢
المؤمنون	٢٣	٢٤	القدر	٨٧	٤
الفرقان	٢٥	٧، ٢١، ٢٢، ٢٥			

وقد جاء ذكر الملائكة فى الكتب السماوية القديمة كثيرا نورد وهنا بعضه

١ ص ١٦ تكوين

٧ فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية ٩ فقال لها ملاك الرب ارجعي الى مولاتك ١٠ وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك ص١٩ تكوين

ص ٢١ تكوين . ٩ فجاء الملاكان الى سدوم ١٥ ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا

ص ٢١ تكوين . ١٧ فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء ولو أردنا ان نتتبع كل مافى الكتب الخمسة وكتب الانبياء لطال بنا المطال فلنعمد الى الانجيل لننقل لكم بعضه

ص ١ متى . ٢ وفيما هو متفكر فى هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ٢١ فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب

ص ٢ . ١٣ وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم

ص ٤ متى . ٦ وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب ان الله يوصى ملائكته بك ١١ ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه

ص ٢٨ متى . ٢ واذا زلزلة عظيمة قد حدثت لان ملاك الرب نزل من السماء ٥ فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا

ص ١ مرقص . كما هو مكتوب فى الانبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيء طريقك قدامك

الثانية من هم الجن ؟

الجواب — ان الجن خلق من خلق الله لا نعلم حقيقتهم ولم نرهم لقوله تعالى (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) والاعتقاد بهم واجب . وهو من الامور

السمعة الروائية بأنه المعصوم صلى الله عليه وسلم بنص قاطع الثبوت والدلالة ولولا أن الله ذكرهم في القرآن لما علمنا بوجودهم ولا سلمنا

وهم مكلفون ومحاسبون لقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) . ومنهم البار والفاجر . لقوله تعالى (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) ولم يقل أحد أنهم أفضل من البشر

وقد ذكر لفظ الجن والجان والجنة ٣٢ مرة في احدى وثلاثين آية من القرآن الكريم وهاكم جدولا بهذه الآيات

أرقام الآيات	نمرة	السورة	أرقام الآيات	نمرة	السورة
١٢ ، ١٤ ، ٤١	٣٤	سبا	١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٢٠٠	٦	الانعام
١٥٨	٣٧	الصافات	٣٨ ، ١٧٩	٧	الاعراف
٢٥ ، ٢٩	٤١	فصلت	١١٩	١١	هود
١٨ ، ٢٩	٤٦	الاحقاف	٢٧	١٥	الحجر
٥٦	٥١	الذاريات	٨٨	١٧	الاسرا
١٥،٣٣،٣٩،٥٦،٧٤	٥٥	الرحمن	٥٠	١٨	الكهف
١ ، ٥ ، ٦	٧٢	الجن	١٧ ، ٣٩	٢	النمل
٦	١٤٤	النـاس	١٣	٣٢	السجده

وقد ذكر الجن في كتب الأنبياء : وفي الانجيل بلفظ جن وجان وابليس وشيطان وشياطين . وها أنا أورده لكم بعض ذلك

ص ٩ لاويين ٣١ . لاتلتفتوا الى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم أنا الرب الهكم

ص ٤ متى ٤ : ١ ثم صعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس ٥ ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة . ١٠ حينئذ قال يسوع اذهب ياشيطان ١١ ثم تركه ابليس

ص ٨ متى ٣١ فالشياطين طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فاذن لنا نذهب الى قطيع الخنازير

ص ٩ متى ٣٣ فلما أخرج الشيطان تكلم الاخرس - ٣٤ أما الفريسيون فقالو برئيس الشياطين يخرج الشياطين

ص ١٠ متى ٨ أشفوا مرضى طهروا برصا اقيموا موتى اخرجوا شياطين

ص ١٨ متى ١٨ فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة

ص ١٨ صموئيل الأول ٧٠ فقال شاول فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فقال له عبيده . هو ذا امرأة صاحبه جان فى عين دور ٨ فتنكر شاول ولبس ثيابا أخرى وذهب هو ورجلان معه وجازوا الى المرأة ليلا وقال اعرفى لى بالجان واصعدي لى من أقول لك

ينكر بعض الناس وجود أحياء من الملائكة والجن فيؤول الكلمات الدالة على وجود هذين الصنفين من العوالم بأن الملائكة هى قوى النظام والنواميس الخاضع لها العالم وأن الجن والشياطين وابليس إنما تدل على الناس ذوى الشر المتمردين وروح الافساد

هذا الفريق من الناس رأى الماديين لا يثبتون الا ما وقع تحت حسهم ولا يقرون بشيء وراء المادة فحذا حذوهم ليقال أنه راق مثلهم وعمد الى صريح القرآن يؤوله حتى يجمع بين الايمان بالله والقرآن وجحد الملائكة والجن

والذى أقوله أن ذلك التأويل ليس ضروريا فان الملائكة والجن ليس وجودهم من المستحيل فى شيء حتى يكون ذكرهم مضادا للعقل فنلجأ الى التأويل حتى لا يعارض المعقول والمنقول بل وجودهم فى دائرة الامكان

العقلى وعدم رؤيتنا للفريقين لا يستلزم عدم وجودهما فقد كانت كل الميكروبات وسائر مالا يري إلا بالآلات المكبرة غائبة عن حس أهل هذا العالم زمناً طويلا فلم يوجب عدم رؤيتها الحكم بعدم وجودها بل كانت فى كل هذه الآماد العظيمة موجودة تكبر و تنمو و تتكاثف ولا علم لنا بوجودها — وأى مانع يمنع من القول بأن الله تعالى لو ركب حواسنا تركيبا آخر لانكشف لنا عالم الملائكة وعالم الجن وعوالم أخرى لم نخبر بها ولا خطر فى فكر أى إنسان هاجس عنها فالالتجاء إلى تأويل لفظ الجن و لفظ الملائكة على النحو الذى ذهب إليه لا ضرورة إليه. وما نجهل حقيقته كثير فى جنب ما نعلم

توجد أمور كثيرة لا نراها ولا نعلم حقيقتها وإنما نحس آثارها كالكهرباء والمغناطيسية والجاذبية والضوء ومع ذلك فاننا نقول بها

والطبيعة موجود فيها أمور كثيرة وقوى خاصة ربما أظهرها العلم فى المستقبل فهل من حقنا أن ننكرها لأن أبصارنا وحواسنا لا تقع عليها ؟ كلا فان الناس مع كثرة الاختراع والابتداع منذ وجد الناس الى اليوم لم يقفوا من أسرار الكون على جزء من مليون (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

قد يكون هؤلاء المنكرون للملائكة قد غرهم ما كتبه أستاذنا الأمام فى تفسيره من تأويل الملائكة على وجه لم ينكره الماديون ومن نزع منزعهم فأن الأمام رحمه الله لم يتنكر الملائكة كما ينكرون . وإنما يعمد إلى التأويل لمن ينكر عالم الغيب ويجحد الملائكة وقد أورده على أنه مذهب آخر لبعض المفسرين فى فهم معنى الملائكة وذلك لتقريب المعنى من أذهان الجاحدين من الماديين وغيرهم .

وعلى الجملة : فأني أرى أن فهمهم على الوجه الذي بينت أولى بالمؤمن فاذا

وجد منكر لهم قربنا له المعنى على الوجه الذى أورده الأستاذ الامام رحمه الله راجع ص ٢٧٤ من الجزء الأول من تفسير المنار

العظة فى قصة آدم

(١) ان الله تعالى قد يحجب سر حكمته عن أقرب خلقه اليه كما حجب حكمة استخلاف آدم فى الارض عن الملائكة حتى تحيروا واشتاقوا الى معرفة الحكمة من هذا الاختيار

(٢) أن عناية الله تعالى اذا وجهت الى الشيء الحقير خلعت عليه حلل البهاء والجلال وصيرته عظيما . كما توجهت عنايته تعالى الى التراب الذى جبل منه آدم فصيرته بشرا سويا وجعلته مظهرا لاسرار قدرته وحكمته وعلمه الواسع فافاض عليه من العلم والمعرفة ما أقر الملائكة بالعجز عن ادراكه

(٣) أن الانسان مهما أوتي من التجلة والكرامة ففى طبعه الضعف فهو عرضه لان ينسى ويأتي ما لا يتفق مع اجلال الله له كما فى نسيان آدم وصية الله تعالى فأطاع ابليس الذى هو أعدى أعدائه واصغى اليه وأكل من الشجرة التى نهى عن الاكل منها

(٤) ان رحمة الله تعالى لا ييأس منها من عصاه وخالف عن أمره فان آدم قد تاب الله عليه واجتباه وهداه حين ندم على ما فرط منه من النسيان ومخالفة وصية الله . فعلى العبد اذا قارف معصية ان يلجأ الى الله بالندم والاستغفار والاقلاع عن الذنب كما قال تعالى – ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم

نوح عليه الصلاة والسلام

هو النبي الثاني ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام . والاول بعد آدم هو جده الاكبر ادريس عليه الصلاة والسلام . وهو أول الرسل كما فى حديث الشفاعة عن أبي هريره فى صحيح مسلم : يانوح أنت أول الرسل الى الارض وبعضهم يؤول هذا الحديث ويقول برسالة آدم وادريس

وهو نوح بن لامك بن متو شالح بن أخنوخ وهو ادريس بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم أبي البشر

هذا هو الذى ورد فى كتب التاريخ وفى التوراة فى سفر التكوين وان كنت اشك كثيرا فى نسق هذا النسب لاني اعتقد ان بين نوح وآدم اكثر من ذلك وسيأتيكم بالمدة بين خلق آدم وولادة نوح حسب مافى ترجمة التوراة العبرية

واعلموا أنه يوجد تفاوت بين ترجمة التوراة العبرية والتوراة السامرية وترجمة التوراة اليونانية فليرجع اليها من شاء فى كتاب اظهار الحق للشيخ رحمه الله افندى الهندى وهاكم الجدول الموعود به

سنة

١٣٠ عمر آدم حين ولد له شيث

١٠٥ المدة التى أقامها شيث قبل أن يولد ابنه انوش

٩٠ » » » انوش » » » » قينان

٧٠ » » » قينان » » » » مهلئيل

٦٥ » » » مهلئيل » » » » يارد

١٦٢ » » » يارد » » » » اخنوخ

٦٥ » » » اخنوخ » » » » متوشالح

١٨٧ » » » متوشالح » » » » لامك

١٨٢ » » » لامك » » » » نوح

١٠٥٦ المدة بين خلق آدم وولادة نوح

٩٣٠ عمر آدم إلى وفاته على مافى التوراة

١٢٦ مابين وفاة آدم وولادة نوح

ورد ذكر نوح فى ثلاثة واربعين موضعا من القرآن الكريم وها كم جدولا بالآيات التى ورد ذكره فيها

السورة	رقمها	أرقام الآيات	السورة	رقمها	أرقام الآيات
آل عمران	٣	٣٣	الشعراء	٢٦	١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٦
النساء	٤	١٦٣	العنكبوت	٢٩	١٤
الانعام	٦	٨٤	الاحزاب	٣٣	٧
الاعراف	٧	٥٩ ، ٦٩	الصافات	٣٧	٧٥ ، ٧٩
التوبة	٩	٧٠	ص	٣٨	١٢
يونس	١٠	٧١	غافر	٤٠	٥ ، ٣١
هود	١١	٢٥ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٢	الشورى	٤٢	١٣
		٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٨٩	ق	٥٠	١٢
ابراهيم	١٤	٩	الذاريات	٥١	٤٦
الاسراء	١٧	٣ ، ١٧	النجم	٥٣	٥٢
مريم	١٩	٥٨	القمر	٥٤	٩
الانبياء	٢١	٧٦	الحديد	٥٧	٢٦
الحج	٢٢	٤٢	التحريم	٦٦	١٠
المؤمنون	٢٣	٢٣	نوح	٧١	١ ، ٢١ ، ٢٦
الفرقان	٢٥	٣٧			

ذكرت قصة نوح مفصلة فى القرآن الكريم فى سورة الاعراف وسورة هود وسورة المؤمنون وسورة الشعراء وسورة القمروسورة نوح وهى مختلفة اللفظ بحسب ماتكون العناية موجهة نحوه من البيان

وهى تتخلص بحسب نصوص القرآن فيما يأتي ؟

قوم نوح

كان قوم نوح قد عكفوا على عبادة غير الله تعالى واتخذوا لهم أصناما يعبدونها من دونه

(إرسال الله نوحا إلى قومه)

اختار الله تعالى نوحا من بين أولئك القوم لينذرهم عذاب الله اذا تمادوا فى غيهم وضلالهم فعتوا عن أمر ربهم. واجتمع ملأ قومه وكبراؤهم وأهل الثراء منهم على تكذيبه واحتقاره هو ومن اتبعه

استبعدوا أن يكون واحد منهم لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء يأتى لهدايتهم دون أن يكون ملكا أو يمتاز عليهم بفضل من الغنى والثروة — وأنفوا أن يكونوا مثل الذين اتبعوا نوحا من الضعفاء . وزعموا أنهم انما اتبعوه من غير روية ولا أحكام رأى وطلبوا إليه أن يطرد الذين آمنوا به تقززاً من أن يجتمعوا معهم فى دين. فأبى عليهم خوفاً من الله تعالى وبين لهم انه اذا طردهم لا يجد له ناصراً يدفع عنه عقاب الله تعالى .وبين لهم انه انما جاءهم من الله تعالى بالهداية ولم يكن رجل مال قد مكنه الله من خزائنه أو أطلعه على غيبه فهو حفى بعلم الغيب — ولم يدع انه ملك وانما هو بشر اختاره الله تعالى لدعوتهم وتبليغهم أمر الله تعالى وان أتباعه من المؤمنين الذين تزدريهم أعينهم ويدعون انهم لا يمكن ان يدركوا خيراً أو يحصلوا على سعادة أمرهم الى الله الذى هو أعلم بسرائرهم. لان ادراك السعادة والهداية الى الحق لا يكونان بالبزة والرواء الرائق للعيون وانما يكون ذلك باطمئنان النفس وركونها الى الهدى مع استيقانه والرضى به وبين انه لا يطلب بدعوته اياهم أجراً من جاه أو مال وانما يطلب أجره من الله تعالى

وهذا كله معنى قوله تعالى فى سورة هود .

(فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ٢٦ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وأنتم لها كارهون ٢٧ وياقوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ٢٨ ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون ٢٩ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ولا أقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين ٣٠

اجتهاد نوح فى دعوته

بذل نوح منتهى وسعة واجتهد بغاية امكانه ان يتبعه قومه فى الايمان بالله تعالى وان يقلعوا عن عبادة تلك الاصنام — وطال الزمن وهو يغاديهم بالنصح ويراوحهم بالعظة سرا وعلانية وهم لا يزدادون الا اعراضا ونأيا عن طريقته مع بيان المسرات المترتبة على الايمان والنعم التى تنتظرهم فى عاجل حياتهم من ارسال المطر لسقياهم وسقيا ارضهم ووفرة الاموال وكثرة الذرية

ويضرب لهم الامثال ويلفتهم الى صنع الله تعالى بخلقهم أطوارا مختلفة وعنايته بهم فى أدوار حياتهم الجنينية وحياتهم فى الدنيا وخلقه السموات والارض وان من بدأهم قادر على اعادتهم — ذلك أن من خلق لهم الارض ومتعهم بما خلق فيها قادر على اعادتهم ومجازاتهم

وكانوا يتبرمون به وينالونه بالاذي فعصوه واتبعوا بعض كبرائهم الذين

لا يزيدونهم الاخسارا ومكروا فيا بينهم مكرا عظيما الى ان نفدت حيلته ويئس من صلاحهم وبيتوا فيا بينهم إلا يذروا عبادة ودوسواع ويغوث ويعوق ونسر وقالوا فى تبرم وأنفة انك قد اكثرت الجدل وانا لن نترك ما نحن عليه فائتنا بالعذاب الذي تخوفنا نزوله بنا ـ فردعليهم بانأمرعذابهم بيد الله الذى ارسله لا بيده

اقرءوا ان شئتم قوله تعالى فى سورة نوح :

(انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم قال ياقوم انى لكم نذير مبين ٢ ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ٣ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ٤ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ٥ فلم يزدهم دعائى الا فرارا ٦ وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصرو واستكبروا استكبارا ٧ ثم انى دعوتهم جهارا ٨ ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ٩ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ١٠ يرسل السماء عليكم مدرارا ١١ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ١٢ مالكم لا ترجون لله وقارا ١٣ وقد خلقكم أطوارا ١٤ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ١٥ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ١٦ والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ١٨ والله جعل لكم الارض بساطا ١٩ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ٢٠ قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ٢١ ومكروا مكراً كباراً ٢٢ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ٢٣ ولا يغوث ويعوق ونسرا ٢٤ وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالا ٢٥)

وفى عجبهم أن يكون الرسول بشراً منهم نزل قوله تعالى فى سورة الاعراف:

(أو عجبتم إن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ٦٣)

ومن حمقهم وتبرمهم بنوح وبعدهم عن استعمال العقل وارتياد ماهو أنفع لهم (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) فرد عليهم نوح بما قصه الله تعالى فى قوله (قال انما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى إن اردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون)

يأس نوح من هداية قومه

ولما بلغ نوح درجة اليأس من ايمان قومه بعد تسعماية وخمسين سنة على ما نصه القرآن . أقامها فيهم يدعوهم ولا يألوهم نصحا كان ماقصه الله بقوله (واوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون)

وتوجه إلى ربه بالدعاء عليهم فقال . (رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)

نوح يصنع الفلك

أمره الله تعالى بعمل الفلك لتكون اداة لنجاته ومن معه من الغرق العتيد أن يأتى على القوم فصاروا إذا مروا عليه سخروا منه ومن عمله ولعل أشد ما أثار سخريتهم منه أن علموا أنه يعمل تلك السفينة لينجو بها ومن معه من العذاب النازل بهم استبعادا منهم لوقوعه. فكان هو أيضا يسخر منهم ومن غفلتهم

عن الحق. وبلادتهم عن أخذ الحيطة لانفسهم باتباعه باحسان وتنجية أنفسهم وصار يتهددهم بذلك العذاب

اتمام نوح سفينته

فلما أتم نوح عدته وجاء الموعـد ورأى الامارة التى بينه وبين ربه على ابتداء أمر الطوفان وهو أن يفور تنور أهله الذى يعملون فيه الخبز بأن ينبثق الماء فيه أمره الله تعالى أن يحمل فى السفينة أهله .ويدخل فيها من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين وأهله الا زوجه . وان يأخذ معه من آمن من قومه وكانوا قليلا . قيل كانوا ستة وقال بعضهم كانوا أربعين رجلا وامرأة فلما استووا على ظهر السفينة حلت عز اليها السماء وانفجرت عيون الارض وحملت المياه السفينة ومن فيها ومكثت ما شاء الله ان تمكث الى ان غرق كل ما على الارض من انسان وحيوان ثم استقرت السفينة على الجودى من جبال أراراط

ولما أراد نوح دخول السفينة نادى ابنه وكان فى معزل عنه وقال له يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين .فأبى أن يلبي نداء والده المشفق لانه لايثق بصدق والده من ان كل من كان خارجا عن السفينة هالك . قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء. فهلك ذلك الولد

استشفاع نوح فى ابنه

واراد نوح أن يستنجز وعد الاله بنجاة اهله فقال (رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين) فرد الله عليه بانه ليس من أهله وعاتبه فى أن يسأله ما ليس له به علم. اذ كان من حق نوح ان يعلم ان من كان

خارج السفينة فليس ممن وعده الله بنجاتهم فاعتذر نوح عن ذلك. وطلب المغفرة والرحمة على ما فرط منه الى ان تمت المدة التى لم يكن للسفينة ان تقر فيها على الارض. واستوت السفينة على جبل الجودى من ديار بكر. وخرج من فى السفينة وبارك الله فيهم فكثروا وملأوا الارض. ولم ينسل من كان مع نوح من غير ابنائه . قال الله تعالى . وجعلنا ذريته هم الباقين)

اقرءوا قوله تعالى فى سورة هود . (واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ٣٧ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ٣٩ حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الاقليل.٤ وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ٤١ وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادي نوح ابنه وكان فى معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ٤٢ قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ٤٣ وقيل ياارض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين ٤٤ ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ٤٥ قال يانوح أنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم انى أعظك ان تكون من الجاهلين ٤٦ قال رب اني أعوذ بك ان أسألك ماليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين ٤٧ قيل يانوح أهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم ٤٨

مسائل

الأولى : هل عم طوفان نوح الكرة الأرضية ؟

والجواب : ان بعض العلماء يميل الى عمومه. ويقول بعض علماء الجيولوجيا أننا كلما بحثنا فى أعالى الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الاحياء التى لا تعيش إلا فى الماء . وهذا يستدعى وجود طوفان على هذه الجبال بل عدد من الطوفانات لوجود الاختلاف فى عمر هذه البقايا . فلا مانع من أن يكون طوفان نوح أحدها ويكون قد عم . ويستأنس لذلك بقوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين)

ويميل فريق الى أن الطوفان لم يكن عاما بل طغيان الماء كان على الجهة التى كان يسكنها نوح وقومه وأما بقية بقاع الأرض فلم يعمها هذا الطوفان ويستأنس لذلك بأن الهند يزعمون أن عمران بلادهم يمتد فى الماضى الى تاريخ أبعد من الذى قدرته التوراة لنوح وطوفانه . وان عمرانهم متصل من أعمق اجيال التاريخ الى اليوم وأنتم تعلمون انى غير واثق من التاريخ الذى تمدره التوراة فربما كان نوح أبعد من ذلك بعدا يشمل مايدعيه أهل الهند

وعلى كل حال فالمسألة ليس فيها نص من القرآن . بل كل ما فيه من هذه الناحية ان قوم نوح كفروا وعصوا الرسول فأغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحا ومن معه فى الفلك وجعل ذريته الباقين . فالعموم محتمل والخصوص محتمل

والذى أميل إليه ان يكون خاصاً وان النوع الانساني لم يكن منتشراً فى جميع الكرة بل كانوا منحصرين فى الناحية التى عمها الطوفان وانهم قد هلكوا وبقى نوح وذريته

الثانية ـ ماذنب الاطفال من قوم نوح حتى هلكوا مع الآثمين من أبائهم وأمهاتهم ؟

الجواب ٤ ان الله سبحانه وتعالى جرت عادته بان النقمة لاتصيب الذين ظلموا خاصة — وفى علم الظالمين بهلاك أولادهم معهم زيادة تعذيب ونكال لهم على أننا فى كل يوم نرى الاطفال يهلكون بمختلف الامراض وليس ذلك عقابا للاطفال على ذنوب ارتكبوها أو آثام اقترفوها ولكن ذلك من باب وجود المسبب عند وجود سببه . وتلك الاسباب هى الامراض والعلل التى هى جند الله (ومايعلم جنود ربك إلا هو) وبهذا لا نحتاج الى ما تكلفه بعض العلماء والمفسرين من أن الله تعالى أعقم أرحام نساء قوم نوح قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يولدلهم فى تلك المدة مولودوبذلك اشترك جميع قومه فى الاثم وهم مكلفون فحق عليهم العذاب وحاق بهم الهلاك .

على اننا نرى الزلازل تعمل عملها فى الناس بلا تمييز بين البار والفاجر وتخسف الارض بسكانها كما حصل فى سان فرنسيسكو بامريكا فى زلزالها المشهور وقد وقع فى زماننا . وكما حصل فى زلزال اليابان سنة ١٩٢٣ وهو قريب العهد منا جداً وكما يحصل فى ايطاليا بسبب بركان فيزوف فقد تطغى حممه فتغطى البلاد القريبة منه فلا يشعر أهل القرية إلا بالحمم البركانية يسيل سيلها فى طرق بلدهم فتهلكهم وتغطيها . وهذا حاصل كثيرا

وهذة الطيارات التى تسقط من الجو بأسباب مختلفة لا يهلك من هلك فيها بآثامهم ولا ينجو الناجون فيها ببرهم (ولكن آحاظ قسمت وجدود) وما حادثة المنطاد الانجليزى (ر ١٠١) سنة ١٩٣٠ منا ببعيدة وانما مضى عليها اليوم أقل من ثلاثة أسابيع . وكذلك البواخر الجبارة العظيمة الحجم والقوة (كتايتانك) التى غرقت منذ عشرين عاما والباخرة الانجليزية (لوزيتانيا) التى غرقت فى أيام الحرب العظمى وكان فى كلتيهما من العلماء والكتاب والاغنياء والمهندسين والمخترعين عدد عظيم فقد هلكوا بآجالهم) فاذا جاء

أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

الثالثة : أين جبل الجودي الذى استوت عليه سفينة نوح ؟

الجواب : جبل الجودى فى نواحى ديار بكر من بلاد الجزيرة وهو يتصل بجبال أرمينية قال فى القاموس (والجودى جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ويسمى فى التوراة (أراراط)

الرابعة : ماحجم سفينة نوح ؟

الجواب : إن حجمها وابعادها لم ينص عليها فى القرآن وانما وصفت بأنها الفلك المشحون وبأنها ذات ألواح ودسر (أى مسامير)

وإنما ذكر حجمها فى التوراة

ص ٦ تكوين . ١٤ اصنع لنفسك فلكا من خشب تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل وخارج بالقار

١٥ وهكذا تصنعه ثلثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ذراعا ارتفاعه ١٦ وتصنع كوا للفلك وتكلها إلى مد ذراع من فوق وتصنع باب الفلك فى جانبه مساكن سفلية ومتوسطه وعلويه تجعله

الخامسة : ماهى مسألة نوح فى ابنه وهل كان ابنه حقيقة ؟

الجواب : اما كونه ابنه فظاهر القرآن أنه ابنه حقيقة إنما نفى كونه من أهل نوح . لأن النجاة إنما تكون للمؤمن فأخذ نوح بظاهر قوله تعالى (إنا منجوك وأهلك) وغفل عن شرط النجاة وهو الايمان بنبوة نوح وماجاء به من الحق. وأن الاهلية الحقيقية تكون معدومة الثمرة مع الكفر ومجانبة الايمان ومخالفة الداعى اليه . فهى وسيلة لاغية وسبب منقضب وهو الرأى الذى أميل اليه

وقال آخرون إنه كان ابن امرأته من غيره ولم يكن ابنا حقيقيا له بل كان

ربيبا نشأ على أن يناديه نوح بلفظ ابنه وكان كافرا وظن نوح أن وجوده في حجره يدخله في أهله الذين وعد نوح من الله بنجاتهم .

وقال غيرهم انه كان من الزنا ونوح لا يعلم بذلك. ويستأنسون لذلك بقوله تعالى (انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) وبقوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) والذين يخالفونهم يستبعدونه ويعدون كثيرا أن تكون امرأة أحد الانبياء زانية لما في ذلك من الهجنة على النبي. وقد فات هؤلاء أن الكفر أشد ذنبا من الزنا وامرأة نوح قد ضربها الله مثلا في الكفر. ومن أتى الذنب الاكبر يهون عليه أن يأتي بما هو أصغر منه — وان كنت لا أقول انه من الزنا — وما كان من الامر فالمناقشة غير مجدية ولا نخلص منها الى رأى قاطع في الموضوع وانما هي احتمالات وقد علمتم ميلي الى الرأى الاول

ولعل الذين يريدون ابعاد ابن نوح الهالك عنه يرون عظيما أن يكون ابن النبي المرسل كافرا. فهم يريدون ابعاده عنه بكل وسيلة — أما أنا فلا أرى بعدا في ذلك ولا غضاضة منه على النبي — وأى فرق بين أن يكون ابنه كافرا وبين أن يكون أبوه كافرا. وقد كان ابرهيم نبيا مرسلا وأبوه كافرا يعبد الاصنام وينحتها ويبيعها من عبادها وهؤلاء اليهود ابناء يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم قد كفر بعضهم ولعنهم الله وهم بنو الانبياء (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم)

ذكرت قصة نوح وطوفانه في التوراة بعبارة واسعة وهي تخالف ما جاء في القرآن الكريم مخالفة سلبية بمعنى أنها سكتت عن بعض الاشياء المذكورة في القرآن فلم تتعرض لها وهي

١ ـ مسألة ابن نوح واسمه كنعان كما يقول بعض المفسرين فان القرآن تعرض لها وذكرها . والتوراة لم تذكر أنه كان له من الاولاد سوى سام وحام ويافث

٢ ـ مسألة زوج نوح لم تذكر أن نوحا كانت زوجته كافرة وهلكت مع قومه الهالكين . بل ذكرت أنه أمر ان يدخل زوجته السفينة مع من دخلها من المؤمنين فدخلت ونجت . وهذا ليس دليلا على ان نوحا لم تكن له زوجة كافرة لاحتمال انه كان له زوجتان إحداهما كافرة هلكت والاخرى كانت مؤمنه نجت

٣ ـ بقيت مسألة ثالثة . وهى أن القرآن لم يتعرض لعموم كل الارض بالطوفان والتوراة تعرضت لذلك ونصت على ان الارض قد علاها الماء خمسة عشرة ذراعا وباد كل ذى حياة من انسان ووحش وطير ودبابات على وجه الارض. والقرآن لم يذكر الا اغراق قوم نوح وانه جعل ذريته هم الباقين ولم يذكر عموم الارض ولا ارتفاع الماء خمسة عشر ذراعا فوق الجبال وهذه هى الآيات التى ذكرت فى التوراة

قصة نوح فى التوراة

لا أريد ان اطيل بنقل الكلام فى أهل الارض وفسادهم وكفرانهم نعمة الله عليهم وأمر نوح بعمل الفلك وما يأخذه من الناس والحيوان والطير ولكنى اعمد الى المقصود وهو

ص ٧ تكوين . ١١ فى سنة ستمائة من حياة نوح فى الشهر الثانى فى اليوم السابع عشر من الشهر فى ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفجرت طاقات السماء.

١٢ . وكان المطر على الارض أربعين يوما وأربعين ليلة ١٣ في ذلك اليوم
عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى
الفلك ١٤ هم وكل الوحوش كاجناسها. وكل البهائم كاجناسها. وكل الدبابات التي
تدب على الارض كاجناسها وكل الطيور كاجناسها. كل عصفور كل ذي جناح
١٥ ودخلت الى نوح الى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة ١٦
والداخلات دخلت ذكرا وانثى من كل ذي جسد كما أمره الله واغلق الرب
عليه ١٧ وكان الطوفان اربعين يوما على الارض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك
فارتفع عن الارض ١٨ وتعاظمت وتكاثرت جدا على الارض فكان الفلك
يسير على وجه المياه ١٩ وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الارض فتغطت جميع الجبال
الشامخة التي تحت كل السماء ٢٠ خمسة عشر ذراعا في الارتفاع تعاظمت فتغطت
الجبال ٢١ فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض من الطيور والبهائم والوحوش
وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض وجميع الناس ٢٢ كل ما في انفه
نسمة حياة من كل ما في اليابسة مات ٢٣ فمحا الله كل قائم على وجه الارض
الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الارض وتبقى نوح والذين
معه في الفلك فقط ٢٤ وتعاظمت المياه على الارض مائة وخمسين يوما

ص ٨ تكوين ٣ ورجعت المياه على وجه الارض رجوعا متواليا وبعد مائة وخمسين يوما فنقصت المياه واستقر الفلك في الشهر السابع من اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط ٥ وكانت المياه تنقص نقصا متواليا الى الشهر العاشر وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رءوس الجبال ، ١٣ وكان في السنة الواحدة والستمائة في الشهر الاول ان المياه قد نشفت على الارض فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فاذا وجه الارض قد نشف ١٤ وفي الشهر الثاني في

فى اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الارض ١٥ وكلم الله نوحا قائلا ١٦ أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك ١٧ وكل الحيوانات التي معك من كل ذى جسد . الطيور والبهائم وكل الدبابات التى تدب على الارض اخرجها معك ولتتوالد فى الأرض وتثمر وتكاثر على الارض

وهذا معنى قوله تعالى فى القرآن الكريم (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك)

وعلى ذلك يكون نوح والذين معه فى الفلك قد أقاموا بها سنة تامة وعشرة أيام

ملاحظة

يميل بعض المفسرين الى أن قوله تعالى وفار التنور . يشير الى أن سفينة نوح كانت بخارية مستدلا بقوله وفار التنور . وان قوم نوح كانوا قد بلغوا فى المدنية شأواً بعيداً فاستخدموا البخار واجروا به السفن . ولست أميل الى هذا لانه يقتضى ان التنور يفور من نفسه بل الذي افهمه ان الأرض لما هيأ الله الطوفان كانت ممتلئة بالماء اشارة الى قربه ففار تنور أهله الذى يخبزون فيه

جدول المواليد بين نوح وابراهيم واعمارهم

سنة						
٥٠٠	عمر	نوح	حين	ولد	له	سام
١٠٠	«	سام	«	«	«	ارفكشاد
٣٥	«	ارفكشاد	«	«	«	شالح
٣٠	«	شالح	«	«	«	عابر
٣٤	«	عابر	«	«	«	فالج
٣٠	«	فالج	«	«	«	رعو
٣٢	«	رعو	«	«	«	سروج
٣٠	«	سروج	«	«	«	ناحور
٢٩	«	ناحور	«	«	«	تارح
٧٠	«	تارح	«	«	«	ابراهيم وقد ولد له قبل ذلك ناحور وهاران
٨٩٠						

عمر نوح

ذكر الكتاب الكريم أن نوحا مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وذكرت التوراة أن آدم عمّر ثلاثين وتسعمائة سنة وذكرت أيضا أن الطوفان أبتدأ فى السنة الاولى بعد ستمائة من ولادة نوح عليه السلام وذكرت كثيراً من الانبياء وغيرهم وأنهم عمروا عمراً طويلا — ونحن لا نجد معمراً يعمر مثل هذا العمر أو نصفه أو ربعه من زمن طويل وهؤلاء الفراعنة فى مصر نجد

أجسامهم كأجسام أهل هذه الايام وأعمارهم لاتختلف عن أعمارنا وقد مر لهم أربعون قرنا أو أكثر فكيف يكون ذلك؟

والذى أراه أنه لامانع من أن يعمر آدم ومن قرب منه أعمارا طويلة لان النوع الانسانى كان فى بدء نشأته لم يحمل هموما ولم تعتوره الامراض المختلفة ولم تنهك قوته الاطعمة التى لايقدر على هضمها فكان من المعقول أن يعيش طويلا. وأما نحن وأمثالنا ممن كانوا قبل أربعين قرنا فقد جئنا بعد أن أنهكت النوع الانسانى الامراض وطحنت قوته الادواء فالواحد منا عصارة لآلاف الامراض التى انتابت أباءه وأمهاته فلم تعد قوانا تتحمل العمر الطويل

وعند العلماء بالطب والاحوال الاجتماعية ان الانسان قواه محدودة والحياة العريضة تستنفدها بسرعة بخلاف الحياة الضيقة فانها تكون طويلة لقلة ما يستنفد من قوى الاجسام بتلك الحياة. فنحن الآن لانعيش عيشة البساطة التى كان يعيشها آدم ومن قرب منه بل نتفنن فى أنواع الطعام ولذائذ المعيشة بما ينهك قوانا فلا غرابة أن تكون أعمارنا قصيرة وقد اجتمعت عليها الامراض المتوارثة والتبسط فى العيش

وهناك رأى آخر وهو أن الاقوام الاولين كانوا يعدون كل شهر عاما فاذا قالوا الفا ومائتى سنة فانما يعنون مائة عام وقد أشار إلى ذلك المعرى بقوله

ورووا للمعمرين أمورا　　لست أدرى ماهن فى المشهور
أتراهم فيما تقضى من الا　　يام عدوا سنيهم بالشهور
كلما لاح للعيون هلال　　كان عاما لديهمو فى الدهور
هكذا ينبغى وإلا فان الـ　　ـعقل يثنى فى حاله المبهور

ولكنى متمسك برأيى وهو الاول

ابراهيم عليه السلام

هو ابراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ابن تارح وهو المسمي فى القرآن آزر بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام

هذا هو النسب الموجود فى التوراة . ولم يذكر القرآن الكريم الا أنه ابن آزر . ولم يذكر أحداً من اجداده بعنوان انه جده وقد رأيتم الجدول الذى بين عمر كل واحد من نوح وابنائه على عمود نسب ابراهيم حين ولد ولده المذكور بعده كما ذكر فى التوراة ومن جميعها ترون أن بين ولادة ابراهيم وولادة نوح ٨٩٠ سنة فاذا قلنا بما قالته التوراة من ان عمر نوح كله قبل الطوفان وبعده ٩٥٠ سنة كان ابراهيم قد عاصر نوحا ستين سنة .

وفى اعتقادى ان اليهود فى العصور الأولى . دونوا ما كانوا يسمعونه من الحكايات بدون ضبط وبلا مراعاة للازمان وعلى كل حال فان ابراهيم قد ذكره الله فى القرآن الكريم ٦٩ مرة فى ٦٣ آية وهاكم اسماء السور وأرقام الآيات

السورة	رقمها	أرقام الآيات
البقرة	٢	١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠ ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ٢٥٨، ٢٦٠
آل عمران	٣	٣٣، ٣٥، ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٩٥، ٩٧
النساء	٤	٥٤، ١٢٥، ١٦٣
الأنعام	٦	٧٤، ٧٥، ٨٣، ١٥١
التوبة	٩	٧٠، ١١٤
هود	١١	٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦
يوسف	١٢	٦، ٣٨
ابراهيم	١٤	٣٦
الحجر	١٥	٥١
النحل	١٦	١٢٠، ١٢٣
مريم	١٩	٤١، ٤٦، ٥٨

السورة	رقمها	أرقام الآيات
الانبياء	٢١	٥١ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٩
الحج	٢٢	٢٦ ، ٤٣ ، ٧٨
الشعراء	٢٦	٦٩
العنكبوت	٢٩	١٦ ، ٣١
الاحزاب	٣٣	٧
الصافات	٣٧	٨٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩
ص	٣٨	٤٥
الشورى	٤٢	١٣
الزخرف	٤٣	٢٦
الذاريات	٥١	٢٤
النجم	٥٣	٣٧
الحديد	٥٧	٢٦
الممتحنه	٦٠	٤
الأعلى	٨٧	١٩

واعلموا أن قصة ابراهيم ترتبط بها قصص أخرى كقصة لوط . لان ابراهيم ولوطا كانا متعاصرين ولوطا ابن أخ لابراهيم . قد آمن لوط بعمه ابراهيم كما قال تعالى (فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربي) واسماعيل كذلك رزق به ابراهيم وهو ابن ست وثمانين سنة على ما فى الآية ١٦ من الاصحاح ١٦ تكوين

وقد توفى ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة كما فى الآية السابعة من الاصحاح الخامس والعشرين - تكوين - فيكون اسماعيل قد عاصر ابراهيم تسعا وثمانين سنة واسحق ولد لابراهيم وهو ابن مائة سنة فيكون قد عاصر اباه خمسا وسبعين سنة راجعو آية ٥ من الاصحاح الحادى والعشرين تكوين

أما لوط فقد ذكر فى القرآن الكريم سبعا وعشرين مرة وهاكم أرقام الآيات فى السور التى ذكر فيها .

السورة	رقمها	أرقام الآيات
الانعام	٦	٨٦
الاعراف	٧	٨٠
هود	١١	٧٠ ، ٧٤ ، ٧٧، ٨٢، ٨٩
الحجر	١٥	٥٧، ٥٨
الانبياء	٢١	٧١، ٧٤
الحج	٢٢	٤٣
الشعراء	٢٦	١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧
النمل	٢٧	٥٤ ، ٥٦
العنكبوت	٢٩	٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣
الصافات	٣٧	١٣٣
ص	٣٨	١٣
ق	٥٠	١٢
القمر	٥٤	٣٢، ٣٤
التحريم	٦٦	١٠

واسحق ذكر ست عشرة مرة فى القرآن الكريم واليكم أرقام الآيات التى فى السور التى ذكر فيها :

السورة	رقمها	أرقام الآيات
البقرة	٢	١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠
آل عمران	٣	٨٤
النساء	٤	١٦٣
الانعام	٦	٨٦
ابراهيم	١٤	٣٩
مريم	١٩	٥٤
الانبياء	٢١	٨٥
ص	٣٨	٤٨

وذكرت قصة ابراهيم فى عدة مواضع من القرآن تارة باختصار وتار بالتطويل وتارة بذكر شأن من شؤونه فى سورة ثم شأن آخر من شؤونه فى سورة أخري ومثل ذلك فى شأن لوط واسماعيل واسحاق

قصة ابراهيم

تتلخص فى أنه كان فتى من أهل فدان آرام بالعراق كما فى التوراة وكان قومه أهل أوثان وكان أبوه نجارا ينحت الاصنام ويبيعها ممن يعبدها كما نص على ذلك فى انجيل برنابا وان ابراهيم كان قد انار الله بصيرته وهداه الى الرشد فعلم أن الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تسمع نداء ولا تجيب دعاء ولا تضر ولا تنفع وانها لا تباين بنات صنفها من سائر الخشب وان أباه هو الذى يصنعها

اقرءوا قوله تعالى فى سورة الانبياء

(ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ٥١ إذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ٥٢ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ٥٣ قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين ٥٤ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ٥٥ قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين ٥٦)

تبييت ابراهيم الشر للاصنام

وان ابراهيم نوى الشر فى نفسه لهذه الآلهة التى جمدوا على عبادتها ولم تفدهم موعظة ولا برهان عن الغواية بها فأقسم فى نفسه أن يلحق بها الاذى

وهذه طريقة أراد بها أن يفهم القوم مركز آلهتهم. ويقيم لهم الحجة عملا على أنها لا يمكن أن تلحق بهم اذى إذا تركوا عبادتها. أو تكسبهم خيرا إذا عبدوها. لان البرهان العملى أوقع فى النفس وارجى أن يحرز القبول. فقال فى نفسه ـ سورة الانبياء (وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ٥٧ فجعلهم جذاذا إلا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون ٥٨ قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ٥٩ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ٦٠)

المحاكمة

سورة الانبياء (قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ٦١ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم ٦٢ قال بل فعله كبيرهم هـذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ٦٣ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ٦٤ ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ٦٥)

حينئذ ظهرت حجة ابراهيم واضحة . ورأى الفرصة سانحة لالزامهم الحجة قال (افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ٦٦ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ٦٧)

فلما اعيتهم الحيلة فيه ووجدت موعظته منهم قلوبا غلفا وآذانا صما عمدوا الى ما يلجأ إليه القوى الجبار الذى لا حق معه بازاء المحق الضعيف

سورة الأنبياء (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ٦٨ قلنا يانار كوني برداً وسلاما على ابراهيم ٦٩ وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ٧٠ ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ٧١ ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ٧٢)

وتوجد طريقة أخري فى احتجاج ابراهيم لدينه وتزييف دين قومه أتي بها على سبيل التدرج فى الالزام — ويرى فريق من الناس انها تدرج فى تكوين العقيدة . ذلك ان القوم كانوا يعبدون الاصنام ينحتونها على أسماء الكواكب كالشمس والقمر ونحوهما فأراد ان يلزمهم ان الكواكب والشمس والقمر لا تصلح لان تكون آلهة . وانما الاله هو الذى خلقهن وخلق السموات والارض . وبيده ملكوت كل ما فيهما . وان التماس الصحة والعافية والرزق من غيره تعالى باطل

اقرءوا قوله تعالى فى سورة الانعام :

(وإذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك فى ضلال مبين ٧٤ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ٧٥ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ٧٦ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربي لاكونن من القوم الضالين ٧٧ فلما رأي الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر

فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ٧٨ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ٧٩ وحاجه قومه (أى خوفوه سطوة آلهتهم) قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئاً وسع ربى كل شيء علما أفلا تتذكرون ٨٠ وكيف أخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ٨١ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ٨٢ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ٨٣)

وهناك رأى آخر وهو انه حين التفت الى النظر فى المعبودات لم ترقه الأصنام فظن النجم هو الاله فلما أفل لم يعجبه فانتقل الى القمر فلما أفل انتقل الى الشمس فلما أفلت علم ان الاله سوى هذه كلها. وقد قصها برنابا فى انجيله نقلا عن المسيح عليه السلام

اقرءوا قصة ابراهيم كاملة فى الآية ٢٥ من الفصل ٢٣ الى آخر الفصل ٢٥ من برنابا

محاجة ابراهيم للملك

تشعرنا قصة ابراهيم المحكية فى القرآن ان هؤلاء القوم كانوا يعبدون ملوكهم مع آلهتهم . يدل على ذلك المحاجة التى كانت بين ابراهيم وبين الملك فأحب الملك ان يرجع ابراهيم عن نحلته الجديدة المخالفه لنحلة قومه وان يعبده وآلهته وقد قص الله ذلك فى قوله تعالى فى سورة البقرة (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحي ويميت قال أنا أحي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها

من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين ٢٥٨)

تعدد مواقف ابراهيم

وقد كانت مواقف ابراهيم مع قومه متعددة . فتارة يحاج والده وتارة يحاج الجمهور . وتارة يحاج الملك وتارة يفعل مايستفزهم به الى محاجته كتكسير الاصنام ليكلموه فى شأنها إلى أن أوقدوا النار لتحريقه، فنجاته منها بعد أن ألقى فيها فهجرته . انظروا إلى قوله تعالى فى سورة الصافات :

(وإن من شيعته لابراهيم ٨٣ إذ جاء ربه بقلب سليم ٨٤ إذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ٨٥ أئفكا آلهة دون الله تريدون ٨٦ فما ظنكم برب العالمين ٨٧ فنظر نظرة فى النجوم ٨٨ فقال اني سقيم ٨٩ فتولوا عنه مدبرين ٩٠ فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ٩١ مالكم لاتنطقون ٩٢ فراغ عليهم ضربا باليمين ٩٣ فأقبلوا اليه يزفون ٩٤ قال أتعبدون ماتنحتون ٩٥ والله خلقكم وماتعملون ٩٦ قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ٩٧ فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين ٩٨ وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين ٩٩)

وهذه أيضا تدل على أنهم كانوا يأتون بالطعام الى آلهتهم ولعل السدنة كانوا يأخذونه ويوهمونهم أن آلهتهم رضيت عنهم فأكلت طعامهم

إقرءوا قوله تعالى فى سورة الشعراء :

(واتل عليهم نبأ ابراهيم ٦٩ إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون ٧٠ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ٧١ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ٧٢ أو ينفعونكم أو يضرون ٧٣ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ٧٤ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ٧٥ أنتم وآباؤكم الأقدمون ٧٦ فانهم عدو لى إلا رب العالمين ٧٧ الذى خلقني فهو يهدين ٧٨ والذى هو يطعمنى ويسقين ٧٩ وإذا مرضت فهو يشفين

٨٠ والذى يميتنى ثم يحيين ٨١ والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ٨٢
رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين ٨٣ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ٨٤
واجعلنى من ورثة جنة النعيم ٨٥ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ٨٦ ولا
تخزني يوم يبعثون ٨٧ يوم لا ينفع مال ولا بنون ٨٨ إلا من أتي الله بقلب سليم ٨٩)

قصة إبراهيم فى القرآن تدل على أنه كان حليما رقيق القلب عطوفا رءوفا باراً بوالده مع قسوته عليه وانه كلما باعد والده بينه وبينه تلطف هو فى المقاربة ورفق فى دعوته وهدايته وتحذيره ولكن ذلك كله لم يفد لغلبة الشقاء عليه

سورة مريم (واذكر فى الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبياً ٤١ إذ قال
لأبيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ٤٢ يا أبت اني
قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا ٤٣ ياأبت لا تعبد الشيطان
ان الشيطان كان للرحمن عصياً ٤٤ يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من
الرحمن فتكون للشيطان ولياً ٤٥ قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم
تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً ٤٦ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان
بي حفياً ٤٧ واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء
ربى شقياً ٤٨)

اخفاق ابراهيم فى هداية قومه

ان ابراهيم صلوات الله عليه بعد أن جهد الجهد كله فى سبيل هداية قومه وبعد أن حاول أن يقنعهم بكل وسائل الاقناع . لم يحل من قومه بطائل وجفاه قومه وألقوه فى النار فجعلها الله تعالى برداً وسلاما عليه . وهدده أبوه بأن يرجمه إذا استمر على جحد الاصنام . ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه ساره ولوط بن هاران بن تارح

رحلته الى اور الكلدانيين ثم حاران

تبرأ ابراهيم من أبيه . ولم يطب له المقام بين أهله وقومه . فذهب الى أور الكلدانيين ثم حاران . وكان ابراهيم قد ظفر من أبيه بعدة هي أنه سيؤمن به فاستغفر الله له . ولكنه علم بعد ذلك انه مقيم على دين قومه فتبرأ ابراهيم منه

يدل على ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة (وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم)

رحلته الى فلسطين

رحل ابراهيم بعد ذلك إلى فلسطين غريبا ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط ومع لوط زوجه كما قال تعالى (فآمن له لوط وقال اني مهاجر إلى ربى انه هو العزيز الحكيم) وسكن فى تلك الانحاء وكانت أرض الكنعانيين وأقام في شكيم ولكنه لم يطل به المقام بل كان ينتقل نحو الجنوب كما تدل على ذلك عبارات التوراة فى رحلته إلى بلاد أبي مالك

رحلته الى مصر

حدث جدب فى الأرض فانتقل ابراهيم الى مصر وذلك فى عهد ملوك الرعاة وهم العماليق ويسميهم الرومان (هكسوس) فاظهر ان التى معه أخته وأراد الملك أخذها زوجة له فأرى فى نومه انها ذات بعل فعاتب ابراهيم وأعطاه

أموالا وماشية وجوارى وعبيداً وعاد ابراهيم كما بدا

وكان لوط مع ابراهيم . و دان الرجلان لهما أموال كثيرة . وكان الرعاة يزدحمون على الاسامة والورد فاتفق رأيهما على أن يفترقا فى الاقامة حفظا لعلاقة المودة والرحم

فذهب لوط الى سادوم وعاموره فى دائرة الاردن وأقام ابراهيم حيث كان

راجع الاصحاحان ١٢ و١٣ تكوين

دخول ابراهيم بهاجر

كانت سارة زوج ابراهيم عاقراً لم تلد وكان ملك مصر قد أعطى سارة على ما تقول التوراة جارية مصرية وتألمت سارة اذ لم تجد لابراهيم نسلا وهى قد شاخت ولا يرجى لها ان تكون أما . فأتمرت مع ابراهيم . وكان عاقبة ذلك ان دخل ابراهيم على هاجر فأتت منه بغلام هو اسماعيل عليه السلام

ولادة اسماعيل بن ابراهيم من هاجر

لم تفصل قصة ولادة اسماعيل ورزق والده به فى القرآن الكريم وإنما ذكرت فى سفر التكوين مفصلة — وأما التى ذكرت فى القرآن الكريم فلم يذكر فيها اسم اسماعيل وسنذكرها عند موقفه فى ذبح ابراهيم ولده — وأما عبارة التكوين فهذه من الاصحاح ١٦

(١) وأما ساراى امرأة أبرام فلم تلد له . وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر

(٢) فقالت ساراى لابرام هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ادخل على جاريتى لعلى ارزق منها بنين فسمع ابرام لقول ساراى

(٣) فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام فى أرض كنعان وأعطتها لابرام زوجة له

(٤) فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينها

(٥) فقالت ساراى لابرام . ظلمى عليك . أنا دفعت جاريتى الى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت فى عينها . يقضى الرب بينى وبينك

(٦) فقال ابرام لساراى هوذا جاريتك فى يدك افعلى بها ما يحسن فى عينك فأذلتها ساراى فهربت من وجهها

(٧) فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية . على العين التى فى طريق شور

(٨) وقال ياهاجر جارية ساراى من أين أتيت والى أين تذهبين فقالت أنا هاربة من وجه مولاتى ساراى

(٩) فقال لها ملاك الرب ارجعى الى مولاتك واخضعى تحت يديها

(١٠) وقال لها ملاك الرب . تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة

(١١) وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل . لان الرب قد سمع لمذلتك

(١٢) وإنه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه

(١٣) فدعت اسم الرب الذى تكلم معها أنت إيل رئى . لانها قالت أها هنا أيضا رأيت بعد رؤية

(١٤) لذلك دعيت البئر بئر لحى رئى . ها هى بين قادش وبارد

(١٥) فولدت هاجر لابرام ابنا . ودعا ابرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر اسماعيل

(١٦) وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام

سنة الختان

وقد عهد الله إلى ابراهيم بالختان وكانت سنه إذ ذاك تسعا وتسعين سنة. وكان اسماعيل قد بلغ ثلاث عشرة سنة فاختتن ابراهيم واسماعيل وكل من كان لابراهيم من العبيد (كما فى الاصحاح ١٧ تكوين)

ابراهيم والملائكة

ومن مواقف ابراهيم عليه السلام انه رأى ثلاثة رجال فى البرية فاستقبلهم وكان ابراهيم يحب قرى الاضياف. فمالوا اليه. فصنع لهم طعاما وعمد الى عجل سمين فذبحه وسواه فى النار وجاء به. حينئذا قد أثرت فيه النار وجعلت لونه الحمرة. وقربه اليهم. فلم تمتد الى طعامه أيديهم. فارتاب فى شأنهم وأوجس منهم خيفة. فخاطبهم فى هذا الشأن فعلم أنهم ملائكة أرسلهم الله للانتقام من أهل سادوم وعاموره وهم المعبر عنهم بقوم لوط. وكانت سادوم وعاموره فى مكان البحر الميت المعروف اليوم ببحر لوط ويقال أنه ظهرت بشاطئه بعض آثارها

دفاع ابراهيم عن لوط بن اخيه

خاف ابراهيم من هذا العذاب النازل أن يمس ابن أخيه فقال لهم. ان فيها لوطا. فقالوا له نحن أعلم بمن فيها وانه وأهله من الناجين

مجادلة ابراهيم عن قوم لوط

كان ابراهيم عليه السلام رجلا رقيق القلب. فلما علم أن قوم لوط هالكون وان الملائكة قادمون لانفاذ الأمر فيهم. أخذته الشفقة عليهم. فأخذ يجادل

فى شأن قوم لوط ويستنزل الرحمة بهم . رجاء أن ينظر الله اليهم نظر رحمة . قال تعالى . (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب)

وهذه المجادلة عنهم لم تفصل فى القرآن الكريم ولكنها فصلت فى سفر التكوين ص ١٨ هكذا

٢٢ وانصرف الرجال (الملائكة) من هناك وذهبوا نحو سدوم . وأما ابراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب ٢٣ فتقدم ابراهيم وقال . أفتهلك البار مع الاثيم ٢٤ عسى أن يكون خمسون بأرافى المدينة . أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه

(٢٥) حاشا لك ان تفعل مثل هذا الأمر . أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كأثيم. حاشا لك ـ أديان كلّ الارض لا يصنع عدلا ؟

(٢٦) فقال الرب ان وجدت فى سدوم خمسين بارا فى المدينة فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم

(٢٧) فأجاب ابراهيم وقال انى شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد

(٢٨) ربما نقص الخمسون بارا خمسة أتهلك كل المدينة بالخمسة فقال لا أهلك ان وجدت هناك خمسة وأربعين

(٢٩) فعاد يكلمه أيضا وقال عسى أن يوجد هناك أربعون . فقال لا أفعل من أجل الاربعين

(٣٠) فقال لا يسخط المولى فأتكلم عسى أن يوجد هناك ثلاثون فقال لا أفعل ان وجدت هناك ثلاثين

(٣١) فقال إنى شرعت أكلم المولى . عسى أن يوجد هناك عشرون فقال لا أهلك من أجل العشرين

(٣٢) فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة فقال لا أهلك من أجل العشرة

(٣٣) وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع ابراهيم ورجع ابراهيم الى مكانه

البشرى باسحاق

والبشرى التى بشر بها ابراهيم هى أن الملائكة قالوا له اننا جئنا لنبشرك بغلام عليم فراجعهم قائلا ابشرتموني على أن مسنى الكبر وصار لا يرجى لمن كان مثلى أن يلد وامرأتي عاقر قد بلغت سن اليأس. وكانت سارة تسمع كلام الملائكة لابراهيم فضحكت من هذه البشرى العجيبة . وقالت كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً وأبدت غاية الاستغراب. فأحال الملائكة الامر على قدرة الله الذى لا يعجزه شيء وأقتوا وقتا لهذا الامر ثم فصلوا عن ابراهيم إلى سدوم وعامورة

اقرءوا هذه الآيات :

(٦٩) ولقد جاءت رسلنا إلى ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ

(٧٠) فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا إلى قوم لوط ٧١ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ٧٢ قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب ٧٣ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ٧٤ فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ٧٥ ان ابراهيم لحليم أواه منيب ٧٦ ياابراهيم أعرض عن

هذا انه قدء جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود

وفى سوة الذاريات : هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ٢٤ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ٢٥ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ٢٦ فقربه اليهم قال ألا تأكلون ٢٧ فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم ٢٨ فاقبلت امرأته فى صرة(١) فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ٢٩ قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم ٣٠ قال فما خطبكم أيها المرسلون ٣١ قالوا انا ارسلنا إلى قوم مجرمين ٣٢ لترسل عليهم حجارة من طين ٣٣ مسومة عند ربك للمسرفين

حب الاستطلاع فى ابراهيم

كان ابراهيم عليه السلام محبا للاستطلاع شغوفا بان يرى الشيء الذى يقع عنده موقع الغرابة. وقد أوحى اليه ان الله سيحي الموتي ويحشرهم ليوم لاريب فيه ويجازى المحسن بأحسانه والمسيء بأساءته . فأحب ان يرى ميتا عاد حيا فسأل الله ذلك فقال الله له أو لم تؤمن؟ قال بلى. ولكن ليطمئن قلبي فأمره الله تعالى ان يأخذ أربعة من الطير فيقتلها ويفرق اجزاءها على الجبال ثم يدعوها فانه سيجدها آتية إليه وحينئذ يكون قد رأى الميت قد عادحيا . ففعل ودعا الطيور فعادت إليه صحيحة. كأنها لم تذق للموت طعما

اقرءوا قوله تعالى فى سورة البقرة (إذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ٦٢) وهذا الشأن من شؤون ابراهيم قد ذكر فى سفر التكوين فى الاصحاح الخامس عشر على غير هذا الوجه بل على وجه ان ابراهيم أراد

(١) أى فى شدة من الكرب

ان يعلم انه سيرث الارض التى وعده الله ان تكون لنسله وذريته فأراد الله ان يعلمه ذلك وأمره أن يأخذ عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة فأخذها وشق ماعدا الحمامة واليمامة وجعل كل شق مقابل صاحبه فنزل الجوارح علي الجثث وعند الغروب وقع سبات علي ابراهيم وظلمة ورعب وفي تلك الحال قال الله لابراهيم أن نسلك سيستعبدون فى أرض الغربة ويذلون اربعمائة سنة ثم يخرجون فى الجيل الرابع يرجعون الى هذه الارض ويملكونها . ولما غابت الشمس أنزل الله تنور دخان ومصباح نار جازا بين القطع وقطع الله العهد لابراهيم ان أولاده يأخذون هذه الارض ويطردون منها أهلها

الاصحاح الخامس عشر تكوين :- ٧ - وقال له أنا الرب الذى أخرجك من (أور) الكلدانيين (١) لاعطيك هذه الارض لترثها

(٨) فقال ابراهيم أيها السيد الرب بماذا أعلم اني أرثها

(٩) فقال له خذ عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة

(١٠) فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه

(١١) وأما الطير فلم يشقه فنزلت الجوارح على الجثث وكان أبرام يزجرها

(١٢) ولما صارت الشمس الى المغيب وقع على ابرام سبات واذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه

(١٣) فقال لابرام أعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائة سنة

(١٤) ثم الامة التى يستعبدون لها أنا ادينها وبعد ذلك يخرجون باملاك جزيلة

(١٥) وأما أنت فتمضى الى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة

---

(١) بلد فى الجزيرة الفراتية بين النهرين

(١٦) وفى الجيل الرابع يرجعون الى هنا لان ذنب الاموريين ليس الى الآن كاملا

(١٧) ثم غابت الشمس فصارت العتمه واذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع

(١٨) وفى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات

(١٩) القينيين والقانزيين والقدمونيين (٢٠) والحثيين والفرزيين والرفائيين

(٢١) والاموريين والكنعانيين والجرجاشين واليبوسيين

والقرآن نزل مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه فهو الواجب التصديق دوما خالدا

رزق ابراهيم باسحاق

قدمنا أن الملائكة بشروا ابراهيم بأبنه اسحاق وان سارة ضحكت من هذه البشرى عجبا من ان يكون نسل بين شيخ وامرأة عاقر قد بلغت من الكبر عتيا وان الملائكة قالوا لها ان هذا وعد من الله القادر (قالوا أتعجبين من أمر الله) لم يحل الحول على سارة وهى بنت تسعين سنة حتى حملت باسحاق ولما ولدته أسمته (يصحق) وترجمتها يضحك تريد ان كل من سمع بولادة هذا الولد من أبويه هذين يضحك لما فى هذه الولادة من الغرابة وقد آل أمره الى ان يكون نبيا لقوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) وقوله (وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) . (ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا)

وقد جاء فى التوراة قصة رزق ابراهيم وزوجه بولدهما اسحاق هكذا فى سفر التكوين الاصحاح الحادى والعشرين

(١) وافتقد الرب سارة كما قال وفعل الرب لسارة كما تكلم

(٢) فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابنا فى شيخوخته فى الوقت الذى تكلم الله عنه

(٣) ودعا ابراهيم اسم المولود له الذى ولدته سارة اسحاق

(٤) وختن ابراهيم اسحاق وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله

(٥) وكان ابراهيم ابن مائة سنة حين ولد له اسحاق ابنه

(٦) وقالت سارة قد صنع الى الله ضحكا كل من يسمع يضحك لى

(٧) وقالت من قال لابراهيم سارة ترضع بنين حتى ولدت ابنا فى شيخوخته فكبر الولد وعظم وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحاق

تغرب ابراهيم فى ارض ابى مالك .. (ملك جرار)

قبل أن يرزق ابراهيم بابنه اسحاق كان قد انتقل الى الجنوب وتغرب فى جرار وسكن بين قادس وشور

وشور هذه هى الطريق الذى يسلكه من خرج من مصر يريد بلاد العراق ولما كان فى جرار خاف الملك أن يهلكه اذا علم أنه زوج لسارة حتى تخلص له فقال حين سئل عنها أنها اختى وكانت وضيئة فارسل الملك فأخذها وقبل أن يقترب الملك الى سارة أُرِىَ فى منامه ما أفزعه وأُنذِر أنه ميت بسبب المرأة التى أخذها وهى متزوجة فاحتج فى نومه بأنه برىء لا يستحق ما يهدد به من القتل لانه قال عنها اختى وهى قالت عنه أخى وأنه لم يعمل الا بسلامة قلبه ونقاوة يده ولم يقترف اثما فأمر برد المرأة الى زوجها لانه نبى وأنه سيدعو له فلا يموت بهذا السبب وانه اذا لم يردها فانه يموت

فلما هب الملك من نومه أخبر عبيده وخاصته وأرسل الى ابراهيم وعاتبه

فيما صنع معه حتى كاد يجلب عليه وعلى شعبه غضب الله. وانه بقوله اختى عمل معه مالا يعمل وأطال فى عتاب ابراهيم فما كان جواب ابراهيم إلا الاعتذار بخوفه من أن يقتلوه لأجل امرأته ومايظن أن أحدا فى هذه الارض يخاف الله — ثم ترقى فى الاعتذار بأنه لم يكذب لانها اخته حقيقة لابيه ولم تكن أخته لأمه فلم يقل إلا حقا

فأخذ الملك غنما وبقرا وعبيدا أماء وءعطاها لابراهيم ورد عليه سارة وأباح له أرضه يتبوا منها حيث يشاء وقال لسارة انى أعطيت أخاك ألفا من الفضة اكراما لك فدعا له ابراهيم فشفى الملك وجواريه ونساؤه من كل ماكان الله قد ابتلى به الملك ونساءه وجواريه لانه كان قد أعقم أرحامهن وفى تلك الجهة كانت ولادة اسحاق وقصة ارتحال ابراهيم الخ لم تذكر فى القرآن وانما ذكرت فى التوراة وهذا نصها فى الاصحاح العشرين

(١) وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب فى جرار

(٢) وقال ابراهيم عن سارة امرأته هى أختى فارسل أبو مالك ملك جرار وأخذ سارة

(٣) فجاء الله الى أبي مالك فى حلم الليل وقال له ها أنت ميت لاجل المرأة التي أخذتها فانها متزوجة ببعل

(٤) ولكن لم يكن أبو مالك قد افترب اليها فقال ياسيد أأمة تقتل بامرأة

(٥) ألم يقل هو لى أنها أختى وهى أيضا نفسها قالت هو أخى بسلامة قلبي ونقاوة يدى فعلت هذا

(٦) فقال له الله فى الحلم أنا أيضا علمت انك بسلامة قلبك فعلت هذا وأنا أيضا أمسكتك من أن تخطىء الى لذلك لم أدعك تمسها

(٧) فالآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلي لاجلك فتحيا وان كنت لست تردها فاعلم انك موتا تموت أنت وكل من لك

(٨) فبكر أبو مالك فى الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام فى مسامعهم فخاف الرجال جداً ثم دعا أبي مالك ابراهيم وقال له ماذا فعلت بنا وبماذا أخطأت اليك حتى جلبت على وعلى مملكتى خطيئة عظيمة أعمالا لا تعمل عملت فىّ

(١٠) وقال أبي مالك لابراهيم ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء

(١١) فقال ابراهيم اني قلت ليس فى هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلوني لاجل امرأتى

(١٢) والحقيقة أيضا هى أختى ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لى زوجة .

(١٣) وحدث لما أتاهنى الله من بيت أبي اني قلت لها هذا معروفك الذى تصنعين إلى فى كل مكان نأتى اليه قولى عنى هو أخى

(١٤) فأخذ أبى مالك غنما وبقرا وعبيدا وإماء وأعطاها لابراهيم ورد اليه سارة امرأته

(١٥) وقال أبي مالك هو ذا أرضى قدامك اسكن فيما حسن فى عينك

(١٦) وقال لسارة انى قد أعطيت أخاك الفا من الفضة هاهو لك غطاء عين من جهة كل ما عندك وعند كل واحد فانصفت

(١٧) فصلى ابراهيم الى الله فشفى أبي مالك وامرأته وجواريه فولدن

(١٨) لان الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبى مالك بسبب سارة امرأة ابراهيم

مسألتان

الاولى : ان كان صحيحا ماجاء فى عبارة التوراة من أن ابراهيم اتفق مع سارة على أن يقول أنها أختى وتقول هى أنه أخى وكانا أخوين حقيقة يكون ذلك قبل تشريع تحريم الاخت على أخيها وهذا هو الذى أميل اليه وحينئذ لاحاجة الى قول (أنها أخته فى الدين) لان أولئك المتأولين ما دعاهم إلى التأويل الا اعتقادهم أن الشريعة التى كان عليها ابراهيم كانت كشريعة موسى صلى الله عليه وسلم من تحريم الاقارب دينا كالاخت والعمة

هذا موسى بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب اسرائيل الله وأمه يوكابد بنت لاوى فيكون عمران متزوجا بعمته كما تدل عليه عبارة الآيات ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ من الاصحاح السادس والعشرين من سفر العدد وهو من الاسفار الخمسة التى يعزونهن الى موسى

الثانية — لاشك أن ابراهيم كان عالما بأنه متى قال عن زوجه أنها أختى فان الملك أو غيره من الأمراء سيأخذها زوجة أو جارية له ويفترشها افتراش الزوجة أو الأمة — فكيف تسمح نفس ابراهيم بهذا العمل يؤتي الى زوجته والرجولة والمروءة تأبيان مثل هذا العمل بل الموت فى هذا السبيل فخر وذكر

وليس لنا جواب بازاء هذا الا أن نقول ان ابراهيم لا يمكن أن يأتي هذا العمل الا بسابق وعد من الله تعالى ان يحفظها ممن يريد أن يمسها فأتيا هذا الأمر وفى يد ابراهيم وثيقة من إلهه القادر بحفظه فيها وحياطتها من كل من يريد أن يقترب اليها بسوء وعاقبة ذلك كله الخير لابراهيم بما يدره الملك عليه وعلى زوجه كما حصل فى هذه الدفعة وفى مصر وهى تشبه هذه تماما

قصة اسماعيل واقدام ابيه على ذبحه

هنا نذكر قصة اسماعيل لقصرها ولأنها على التحقيق جزء من قصة ابراهيم فليس غريبا ان تذكر فى خلالها

لم تقص فى القرآن قصة اسماعيل وانما ذكر اسمه فى القرآن واثني عليه الله تعالى بقوله فى سورة مريم(واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)

اقدام ابراهيم على ذبح اسماعيل

جاء فى القرآن قصة ذبح ابراهيم لولده وهمه بذلك الى أن نودى بالكف عن ذبحه وانه فدى بكبش يذبح عوضا عنه

كانت المنامات عند الصالحين من عباد الله بمثابة الوحي والأمر المباشر وقد أمر ابراهيم فى منامه ان يقدم ابنه قربانا لله ويحرقه كما تقدم القرابين وتحرق وكان ذلك الولد اسماعيل على ما نذكر فيما بعد فصدع ابراهيم بذلك الأمر الصادر اليه فى المنام وعرض الأمر على ولده فتقبل القضاء بالرضا وقال ـيا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين .

فلما حق العمل وأهوى بالمدية الى ذبحه ناداه الله بالكف. وان هذا العمل منه يكفي تصديقا للرؤيا ورأى ابراهيم كبشا قريبا منه فذبحه فدية عن ولده والآيات الخاصة بهذه الحادثة لم تذكر اسم ذلك الولد ولكن سياق الكلام وذكر تبشير ابراهيم باسحاق بعدها لا يكاد يبقى شكا فى أن الذبيح اسماعيل

اقرءوا قوله تعالى فى سورة الصفافات : وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ٩٩ رب هب لي من الصالحين ١٠٠ فبشرناه بغلام حليم ١٠١ فلما بلغ

معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ١٠٢ فلما أسلما وتله للجبين ١٠٣ وناديناه أن ياابراهيم ١٠٤ قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ١٠٥ ان هذا لهو البلاء المبين ١٠٦ وفديناه بذبح عظيم ١٠٧ وتركنا عليه فى الآخرين ١٠٨ سلام على ابراهيم ١٠٩ كذلك نجزى المحسنين ١١٠ انه من عبادنا المؤمنين ١١١ وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ١١٢ وباركنا عليه وعلى اسحاق (ولا شك أن الضمير فى عليه راجع الى الذبيح) فالاتيان بالبشرى باسحاق بعد ذكر القصة صريح فى أن اسحاق غير الغلام الذى ابتلى الله ابراهيم بذبحه وعود الضمير إلى الغلام الذبيح وذكر اسم اسحاق معه صريحا يقتضى التغاير بين الذبيح واسحاق (ومعنى تله صرعه والقاه على عنقه وخده)

أما هذه القصة فى التوراة فبطلها عند اليهود اسحاق وفى اعتقادى أن لفظ اسحاق حشر حشراً فى غضون القصة وذلك حرصا منهم على أن يكون أبوهم هو الذبيح الذى جاد بنفسه فى طاعة ربه وهو فى حال صغره . ودليلى على أن الذبيح هو اسماعيل من التوراة نفسها. أن الذبيح وصف بأنه ابن ابراهيم الوحيد أى الذى ليس له سواه إذ سخاوة نفس ابراهيم بولده الذى ليس له سواه بذبحه امتثالا لأمر ربه له فى منام أدل على نهاية الطاعة والامتثال لأمر الله وهذا هو الاسلام بعينه اذ الاسلام هو الطاعة والامتثال وهو دين الله فى الأولين والآخرين واذا رجعنا الى اسحاق لم نجده وحيداً لابراهيم فى يوم من الايام لان اسحاق ولد ولاسماعيل نحو أربع عشرة سنة كما هو صريح التوراة وبقى اسماعيل الى ان مات ابراهيم وحضر اسماعيل وفاته ودفنه

قصة الذبح فى التوراة

الاصحاح الثانى والعشرون

(١) وحدث بعد هذه الأمور ان الله امتحن ابراهيم فقال له يا ابراهيم فقال ها أنا ذا

(٢) فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذى تحبه (اسحاق) واذهب الى أرض الموريا (١) واصعده هناك محرقه على أحد الجبال الذى أقول لك

(٣) فبكر ابراهيم صباحا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه واسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذى قال له الله

(٤) وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وابصر الموضع من بعيد

(٥) فقال ابراهيم لغلاميه اجلسا أنتما هنا مع الحمار وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما

(٦) فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحاق ابنه وأخذ بيده النار والسكين فذهب كلاهما معا وكلم اسحاق ابراهيم أباه وقال يا أبي فقال ها أنا ذا يا ابنى فقال هو ذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة

(٨) فقال ابراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى فذهبا كلاهما معا فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب

(١٠) ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه

(١١) فناداه ملاك الرب من السماء وقال يا ابراهيم فقال ها أنذا

(١٢) فقال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا لأني الآن علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى

---

(١) جبل الموريا هو الذى عليه مدينة أورشليم

(١٣) فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسك فى الغابة بقرنيه فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه

(١٤) فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه حتى أنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى

رحلة اسماعيل وهاجر إلى وادى مكة

رحلة اسماعيل وهاجر الى مكة لم تفصل فى الكتاب الكريم ولم يذكر منها فيه سوى قوله تعالى على لسان ابراهيم (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم). ويظهر لى أن ابراهيم دعا هذا الدعاء بعد بناء البيت والوادى الذى لازرع فيه هو الوادى الذى به مكة اليوم ولم يبن بمكة شيء بعد البيت الا فى القرن الثانى قبل الاسلام فى عهد قصى بن كلاب فانه بنى دار الندوة وتبعته قريش تبنى حول المسجد. وكان المسجد ساحة فبنوا حوله وذلك من نحو خمسين ومائة سنة قبل الاسلام راجع صبح الاعشى ٢٥٠ جزء رابع ومكة والحرم الذى حولها لاتنبت شجرا يثمر سوى شجر البادية ففى صفحة ٢٥٥ من الجزء الرابع من صبح الاعشى قال ابن حوقل وليس بمكة والحرم شجر يثمر[1] الا شجر البادية أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار

ولقد فصلت مسألة ذهاب اسماعيل عن بلاد أبيه إلى فاران فى سفر التكوين ونحن أولاء نسوقها هنا

(١) فى رأيى أن ذلك مبالغة فقد رأيت بجياد نخلتين

الاصحاح الحادى والعشرين

(٩) ورأت سارة ابن هاجر الذى ولدته من ابراهيم يمزح

(١٠) فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لان ابن هـذه الجارية لايرث مع ابنى اسحاق

(١١) فقبح الكلام جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه

(١٢) فقال الله لابراهيم لايقبح فى عينك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. فى كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها لأنه باسحاق يدعى لك نسل

(١٣) وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لانه نسلك

(١٤) فبكر ابراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت فى برية بئر سبع

(١٥) ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الاشجار

(١٦) ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس لانها قالت لا أنظر موت الولد فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت

فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك ياهاجر لاتخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو

(١٧) قومي احملى الغلام وشدى يدك به لانى سأجعله أمة عظيمة

(١٨) وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام

(١٩) وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينمو رامي قوس

(٢٠) وسكن فى برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر

والذى ألاحظه أولاً أن مؤلف كتاب التكوين أراد أن يوجد لسارة عذرا في طلبها طريد هاجر وابنها فأتى بالآية الأولى من الاصحاح الحادي والعشرين ولكن الآية الثانية ناطقة بأن الحامل لها على طلب تغريب اسماعيل انما هو غيرتها منه وأثرتها وحبها أن يرث ابنها وحده ابراهيم دون اسماعيل وهي امرأة كالنساء تحب لابنها مالا تحب لابن ضرتها واما المزح فلا أصل له

ثانياً أن عبارة الآية ١٤ تفيد ان البلاد التي سكنها اسماعيل وأمه إنما هى برية بئر سبع ثم ذهب الى فاران ولم يذكر الوادى الذى هو مكة اليوم

ثم قال فى الآية وسكن فى برية فاران وفاران تطلق على مواضع منها جبال مكه كما قال لسان العرب ونص عبارته وفى الحديث ذكر فاران وهو اسم عبراني لجبال مكة شرفها الله ذكر فى أعلام النبوة

ويدل على أن اسماعيل سكن مكة الآية ١٨ من الاصحاح ٢٥ تكوين ونصها فى الترجمة العربية وسكنوا من حويلة الى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور أمام جميع أخوته نزل » وحويلة هي خولان وخولان قبيلة يمانية تسكن سراة اليمن مما يلي الحجاز وهذا دليل على أن مكة تشملها مساكن اسماعيل و بنيه.

والذى يرويه أهل الاخبار ان ابراهيم أخذ هاجر وتركها والغلام اسماعيل بمكة ورجع الى فلسطين

فلما فرغ الماء ظمئت وظمىء ولدها وكانت فى ناحية أبى قبيس ونظرت حولها فرأت لمع الماء الذى لم يكن إلا سرابا فى ناحية جبل قعيقعان فهرولت(١) وذهبت اليه فلم تجد شيئاً ثم نظرت حولها فاذا هى ترى لمع الماء فى ناحية أبى قبيس فكرت راجعة طمعا فى أن تجد الماء فلم تجد وظلت على هذه الحال مرات إلى أن أعيت وخارت قوتها فقعدت كما جاء فى التوراة مغمضة العين لئلا ترى ولدها وهو

(١) ويقول بعض المفسرين أنها استوحشت فذهبت لعلها تجد أحدا من الانس

يموت من الظمأ والغلام يبكي ويفحص برجله الارض فنبع الماء من تحت رجله فأبصرت هاجر الماء فقامت واستقت لنفسها ولابنها وان تلك العين هى زمزم الموجودة بجانب البيت الحرام وزمزم هذه الآن بئر غريزة الماء جداً لاتنزح وماؤها شروب ليس بالعذب ولكن فيه ملوحة خفيفة كما قال المعرى :

تباركت أنهار البلاد فواهق بعذب وخصت بالملوحة زمزم

بناء ابراهيم و اسماعيل البيت — الكعبة

لما ترك ابراهيم اسماعيل وهاجر بالوادى الذى به مكة اليوم كان يزور ولده اسماعيل الحين بعد الحين. ففى احدى هذه الزيارات أمر الله تعالى ابراهيم واسماعيل أن يبنيا البيت فصدعا بالامر و بنيا الكعبة ولما تم بناؤها أمره الله تعالى أن يعلم الناس بأنه بنى بيتا لعبادة الله تعالى وأن عليهم أن يقصدوه للنسك وطلب ابراهيم واسماعيل من الله تعالى أن يريهما المناسك التى ينسكانها وبقى ابراهيم بعد ذلك زمنا طويلا حيا

والكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى فى حين أن بقية الشعوب والقبائل فى سائر أنحاء الارض كانوا يبنون البيوت لعبادة الاصنام والتماثيل

كان أهل مصر يعبدون آلهة متعددة تارة فى وقت واحد وتارة فى أوقات متعددة فمن عبادة الشمس إلى عبادة الثور إلى عبادة الآلهة الثلاثة ازوريس وأيزيس وابنهما حوريس وكانوا يرمزون بذلك إلى صفات الله تعالى ، ويصنعون التماثيل لتلك الرموز وكان الاشوريون يعبدون بعل شموش أى الاله الشمس ويصنعون له صنما على نحو أبي الهول له رأس انسان وجسم أسد وله أجنحة

وكان الكنعانيون يعبدون البعل وهو على وصف بعل شموش بدون أجنحة وقد رأيته مشوها فى معبد بعلبك المعروف الآن بقلعة بعلبك وكان أهل نواحى غزة يعبدون داجون ويصورونه انسانا له جسم سمكة والعمونيون وأهل باشان كانوا يعبدون بعل فغور وآخرون كانوا يعبدون العشتارون صنم على هيئة أنثى. اقرءوا قوله تعالى فى سورة آل عمران (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ٩٦ فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ٩٧) وفى سورة البقرة (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ١٢٥ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ١٢٦ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ١٢٧ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ١٢٨ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم

وفى سورة ابراهيم واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فأنك غفور رحيم ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . وفى سورة الحج واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود واذن فى الناس

بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من فج عميق ٢٧ ليشهدوا منافع لهم
ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها
واطعموا البائس الفقير ٢٨ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت
العتيق ٢٩ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء
لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى
به الريح فى مكان سحيق ٣١ ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب
٣٢ لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق

وفى آية ٣٤ منها والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم
الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك
سخرناها لكم لعلكم تشكرون ٤٧ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين

استطراد

يريد بعض الناس ان ينفى العرب عن ابراهيم واسماعيل فيتذرع الى ذلك بنفى وجود ابراهيم واسماعيل تاريخيا بمعنى أنه لم يكن فى ذلك الزمن الذى يدعى لهما من يدون التاريخ ويسطر أحواله ـ ومعلوم ان عدم وجود مؤرخ يكتب عن ابراهيم واسماعيل لاينفى أنهما وردا سجل الحياة فان الجد الذى يكمل العشرة من أجدادي لم اعلم اسمه ولم يسجله تاريخ فهل معنى ذلك أن ليس لى جدعا شر ؟ على أن ابراهيم واسماعيل قد ورد الخبر عنهما متواترا والتواتر حجة قطعية

يقولون ان وجود ابراهيم واسماعيل انما هو أمر اخترعه اليهود بعد الهجرة

ليتقربوا الى العرب المسلمين وهذا القول حجة داحضة لانه يقتضى ان ذكر اسماعيل وانه أبو العرب المستعربة شيء اخترع زمن البعثة بعد الهجرة اخترعه اليهود ليوجدوا صلة بينهم وبين العرب. فى حين ان مسألة اسماعيل موجودة فى سفر التكوين من أسفار التوراة وقد ترجم فى نحو سنة ٢٨٠ قبل الميلاد من العبرية الى اليونانية فى عصر بطليموس فيلادلف وهو بطليموس الثاني فى الترجمة المشهورة بالسبعينية التى قام على ترجمتها بالاسكندرية سبعون حبرا من أحبار اليهود وذلك قبل هجرة محمد صلى الله عليه وسلم بتسعة قرون وهو دليل مؤرخ معروف فى التاريخ وتلك دعوى لادليل عليها — رجعوا بعد ذلك يقولون ان ابراهيم لم يبن البيت واسماعيل لم يكن ولم يوجد بمكة وانه ربما كان هناك بلدة أخري اسمها بكة خارج بلاد العرب وهى غير مكة وجد بها ذلك البيت الذى اخبر الله انه أول بيت وضع للناس وقد أعياهم أن يجدوا ذلك

ومعلوم أن لفظ مكة عربى والعربية احدي اللغات السامية وقد قال جورج زيدان بك فى كتابه العرب قبل الاسلام ان لفظ (بيك) معناه البيت ، وعزا ذلك الى لغة سامية ومعلوم أن اللغة العربية فيها ابدال الباء ميما وبالعكس ومن القبائل التى تفعل ذلك مازن فيقولون فى بكر مكر وفى مكان بكان وعندنا فى بلاد الصعيد أثر من ذلك الى اليوم وفى بلاد العرب كذلك كما نص عليه صديقنا البحاثة الرحالة محمد لبيب البتنوني بك فى رحلته الحجازية فمكة هى عين بكة ومعناه البيت اطلق على ماجاوره توسعا. وهذه كلمة بعل بك مركبة من كلمتين بعل ومعناه الآله وبك ومعناه البيت أى بيت البعل اسم للمعبد الذي اقيم باسم البعل ووضع به صنمه وهو به إلى اليوم مشوه الوجه كما رأيته فى سنة ١٩٠٨ وقد اطلق هذا الاسم على المدينة التى فيها بيت البعل كما هو الواقع بمكة — هذا وأما وصف الكعبة

والحرم ومكة وتاريخ مكة والبيت فقدوفاه صديقناالبحاثة محمد لبيب بك البتنونى فى كتابه الرحلةالحجازية

زواج اسماعيل

ومن قصص اسماعيل الذى لم يذكره القرآن ماذكر فى التوراةمن أن أمه أخذت له امرأة مصرية. ورأيت فى بعض كتب الأدب العبرية أن ابراهيم زار ولده اسماعيل فلما أتي بيته قابلته امرأته فلم تضيفه وسألها عن اسماعيل فأخبرته أنه خرج للصيد وسألها عن الحال التى هما عليها فذكرت سوء العيش وتبرمها بالحياة التى هما فيها. فقال لها إذ جاء اسماعيل فأبلغيه عنىأن يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل أخبرته بالشيخ الذى جاء اليها وبما أوصاها أن تبلغه اسماعيل.فسألها كيف قابلته وهل أضافته فأخبرته بما كان على وجهه ففهم اسماعيل لحن أبيه وطلقها.فلما كان العام الثاني جاء ابراهيم فلقيته زوج اسماعيل الاخرى وألحت عليه فى النزول فأبي لان سارة كانت أحلفته ألا ينزل عند اسماعيل فجاءت زوج اسماعيل بماء وغسلت رأس ابراهيم ورجليه وأتته بالطعام فأكل وسألها عن حالها فشكرت الله وأثنت عليه فقال لها اذا جاء اسماعيل فأخبريه أن يثبت عتبة بابه فلا يحولها فلما أخبرته سر وعرف أن والده راض عن زوجه والظاهر أنهم أخذوا هذه القصة من حديث صحيح البخارى

اولاد اسماعيل

وقد ذكر فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين أولاداسماعيل المذكور وهم اثنا عشر ولدا رؤساء قبائل وهذا نص العبارة

١٢ وهذه مواليد اسماعيل بن ابراهيم الذى ولدته هاجر المصرية جارية سارة لابراهيم ١٣ وهذه أسماء بني اسماعيل باسمائهم حيث تواليدهم

(١) نبايوت بكر اسماعيل (٢) وقيدار (٣) وأدئيل (٤) ومبسام (٥) ومشماع (٦) ودومه (٧) ومسا (٨) وحدار (٩) وتيما (١٠) ويطور (١١) ونافيش (١٢) وقدمه

١٦ هؤلاء بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم

عمر اسماعيل ووفاته

وفيها ان اسماعيل عاش مائة وسبعا وثلاثين سنة وفيها أيضا ما يشير الى انه مات بفلسطين ولكن ماعليه مؤرخو العرب انه بمكة ويظن انه دفن بالحجر الذى بجوار البيت هو وأمه

بقية اولاد ابراهيم غير اسماعيل واسحاق

هؤلاء الذين نذكرهم لم يبينوا فى القرآن ولم يذكر أحد منهم فى معرض انه من أولاد ابراهيم ولكن هذه الامور ذكرت فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ونص عبارته كاف عن الشرح وهو

(١) عاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا

وفاة ابراهيم

لم يجر لوفاته ذكر فى القرآن ولكن ذلك ورد فى الاصحاح الخامس والعشرين تكوين من أول الآية السابعة الى آخر الآية العاشرة وملخصها أن ابراهيم عاش

مائة وخمسا وسبعين سنة ولما مات دفنه اسحاق واسماعيل فى مغارة المكفيلة فى حقل عفرون بن صرصر الحثى وفيها دفنت سارة من قبل وهو الموضع الذى عليه مقام الخليل فى حبرون وتسمى مدينة الخليل

قصة اسحاق

قدمنا ما كان من تبشير الملائكة ابراهيم وزوجه سارة بولدها وأنها أسمته اسحاق ولم يذكر فى القرآن الكريم من قصصه إلا البشارة به وانه غلام عليم وانه نبي من الصالحين وان الله بارك عليه وقدمنا ان اليهود والنصارى يدعون أنه الذبيح مع تكذيب التوراة لهذه الدعوى أيضا ودليلهم هو الاصحاح الثانى والعشرون وقد تقدم فى قصة اسماعيل

زواج اسحاق

ومما لم يقصه القرآن من أمر اسحاق زواجه من ابنة بتوئيل بن ناحور وانما قصته التوراة فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين وملخصها ان ابراهيم لما شاخ أتى بعبده المستولى على بيته وأحلفه على انه لا يأخذ لابنه اسحاق زوجة من بنات الكنعانيين الموجودين فى فلسطين بل يأخذ له زوجة من عشيرته وبنى أبيه وانه لا يرد ابنه الى الارض التى خرج هومنها اذا تأبت عليه الزوجة وامتنعت من الانتقال فذهب ذلك العبد وهيأ مايصلح ان يكون هدية للزوجة وأخذ من الجمال والأموال ما أحب وذهب الى آرام وأناخ جماله خارج المدينة التى بها أسرة ناحور أخى ابراهيم واذا هو بفتاه حسنة المنظر خرجت من المدينة وجرتها على كتفها فملأت الجرة فقال لها العبد اسقينى فأنزلت الجرة وأعطته إياها ليشرب وقالت استقى لجمالك أيضا فتفرس فيها الى ان فرغت

من سقى الجمال وحلى أنفها بخزامة من ذهب ويديها بسوارين من الذهب وسألها بنت من هي وهل عند أبيها مكان لمبيته وجماله. فأخبرته بأنها بنت بتوئيل بن ناحور وان عندهم مبيتا وعلفا للماشيته واسرعت الى البيت وأخبرت بما رأت وكان اسم الفتاة رفقة وقام لابان بن بتوئيل فى الحال الى حيث عبد ابراهيم وأضافه وأكرم مثواه وفى الحال أخبرهم عبد ابراهيم بما جاء لأجله وانه يريد رفقة لابن سيده فأجابوه الى ماطلب وأعطاها آنية من ذهب وفضة وثيابا وتحفا لاخيها وأمها ثم طلب اليهم أن ينصرف سريعا ووافقته رفقة على التعجيل بالمسير فذهب بها الى ديار سيده

وكانت عزاء لاسحاق بعد موت أمه ثم أن رفقة ولدت توأمين هما عيسو ويعقوب وكان خروجهما من بطنها بهذا الترتيب

وكان عيسو فى كبره مغرما بالصيد ويعقوب وادعا فأحب اسحاق عيسو وأحبت رفقة يعقوب وكان فى ذلك الزمن للبكر امتياز على غيره فى الميراث بحق البكورية فجاء عيسو يوما متعبا لم يظفر بصيد. وقد هيأ يعقوب طعامه من عدس. فاراد عيسو أن يأكل منه. فابي عليه ذلك إلا أن ينزل له عن حق البكورية ففعل

وان اسحاق لما كبر أراد أن يدعو لولده عيسو ويبارك عليه. وطلب اليه أن يصيد صيدا ويهيئه للأكل. حتى اذا أكل منه خصه بدعواته. وسمعت رفقة فأحبت أن تكون البركة ليعقوب. فأمرته فصنع طعاما من جدى ذبحه وقربه إلى والده. وأوهمه أنه عيسو. وكان اسحاق قد كبر وساعدته أمه على ذلك فأكل ودعا له. فحقدها عليه عيسو فهرب إلى خاله لابان فى فدان أرام وخدمه وتزوج ابنتيه ليئة وراحيل وجاريتيهما وزلفا وبلها

تغرب اسحاق

ومما ذكر فى التوراة فى شأن اسحاق ولم يذكر فى القرآن أنه حصل جوع فى الارض كما حصل فى عهد ابراهيم . وتغرب فى جرار عند أبي مالك . وقالت رفقة عن زوجها اسحاق انه أخى . وهو أيضا قال اختى . ورأي الرجل اسحاق يلاعبها فعلم أنها زوجته . فعاتب اسحاق . وحصل ماحصل فى شأن ابراهيم وسارة

وأنا أستبعد أن يكون أبو مالك الذى كان فى عهد اسحاق هو الذى كان فى عهد ابراهيم كما هو المتبادر من عبارة الاصحاح السادس والعشرين تكوين لان ذلك كان رجلا كبيرا قبل أن تحمل سارة باسحاق واسحاق كان قد جاوز الاربعين فى تغربه

ومما ذكر أيضا أن اسحاق قد كثرت أمواله وعبيده وحفر آباراً وكلما حفر بئرا نازعه عليها أهل جرار فيتركها لهم ويحفر بئرا أخرى . وان الملك ورؤساء جنده صالحوا اسحاق أخيرا وعقدوا معه صلحا

موت اسحاق

وفيها أن اسحاق عاش مائة وثمانين سنة ودفن فى حبرون وهى مدينة الخليل اليوم بمغارة المكفيلة

لوط

هو لوط بن هاران أخى ابراهيم بن تارح . آمن بابراهيم واهتدى بهديه كما قال تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي الخ . وتبع ابراهيم عمه

فى رحلاته فكان معه بمصر وأغدق عليه ملك مصر كما أغدق على ابراهيم . فكثر ماله ومواشيه ثم افترق من ابراهيم عن تراض لان الارض لم تتسع لمواشيهما . ونزل الى سدوم فى دائرةالاردن

اهل سدوم

كانأهل سدوم ذوى شروأخلاق رديئة لايَتحَيَّون من منكرولا يتعففون عن معصية يأتونها على رؤوس الاشهاد . كما قال تعالى على لسان لوط وهو يعظهم وينهاهم (وتأتون فى ناديكم المنكر) قرأت فى كتاب من كتب الادب العبرى وصفا لهم . وهو أنهم كانوا يتربصون لكل داخل مدينتهم من التجار ويجتمعون عليه من كل أوب ويمدون أيديهم إلى بضاعته يأخذ كل واحد منها شيئا قليلا حتى لا يبقى فى يده شيء . فاذا جلس حزينا وجأر بالشكوى . يأتى الواحد منهم ويقول . كل هذا لاني أخذت هذا الشيء اليسير ؟ دونكه . فيقول ماعسى أن ينفعنى ماجئت به بعد أن ذهبت بضاعتى . اذهب عنى بهذا الذى جئت به . فاذا انصرف جاءه آخر بشيء تافه يريد رده عليه فيتركه الرجل لزهادة ما أتي به وينصرف . وهكذا يخسر الرجل بضاعته بتفرقها فى الايدى الكثيرة . فهم كما قال تعالى (وتقطعون السبيل) وفى ذلك الكتاب من دلائل ظلمهم واستغراقهم فيه . ان سارة زوج ابراهيم أرسلت لعازر كبير عبيد ابراهيم ليأتيها بسلامة لوط . فلما دخل مدينة سدوم لقيه رجل من أهلها فعمد الى لعازر بحجر ضربه به فى رأسه فأسال منه دما غزيرا ثم تعلق به السدومي يريد أن يأخذ أجر ضربه بالحجر الذي أسال دمه قائلا ان هذاالدم لو بقى لأضربك . فاعطنى أجرى . ثم آل الامر بينهما إلى الترافع الى قاضى سدوم . فلما سمع للخصمين حكم على لعاذر بأن يعطى للسدومي أجر ماضربه

بالحجر وأسال دمه . فلما رأى لعاذر المجور من القاضى والخصم فى أمره عمد إلى حجر ضرب به رأس القاضي فاسال دمه وقال له الاجر الذى وجب لى عليك باسالة دمك . عليك أن تعطيه لضاربي السدومي جزاء ضربه إياي وأسالة دمي ولقد كنت اقرأ قول المعرى

وأى امرىء فى الناس الفى قاضيا   ولم يمض أحكاما لحكم سدوم

فلم أفهم ما يغزوه بهذا البيت ولم أعرف ماسدوم حتى قرأت هذه القصة ففهمت معنى البيت .

هذه الحكاية مع احتمال وضعها تفيدنا معرفة الفكر العام فى أحوال هؤلاء الناس وأنهم من الشر بحيث يصلح ان تسند اليهم أمثالها

قدمنا فى قصة ابراهيم أن الملائكة أخبروه أنهم ذاهبون للانتقام من قوم لوط الذين هم أهل سدوم وعامورة . وان ابراهيم خاف أن يمس لوط بأذى . فأخبر بأنه ناج هو ومن آمن معه ثم اخبر فى آخر القصة بأن وقوع العذاب بالقوم أمر حتم لا تقبل فيه شفاعة ولا يغنى جدال (يا ابراهيم اعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود)

ذكرت قصة لوط بتمامها فى عدة سور باختلاف يسير . وبعضها يكمل بعضا وتتلخص فى أن قوم لوط كانوا من الشر بمكان . وانهم كانو يقطعون الطريق على السابلة . وقد ذهب الحياء من وجوههم فلا يستقبحون قبيحا ولا يرغبون فى حسن . كما قال الله تعالى حكاية عن لوط « وتأتون فى ناديكم المنكر » وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات مالم يسبقهم اليه أحد من خلق الله . وذلك أنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة من دون النساء . يستعلنون بذلك ولا يستسرون ولا يرون فى ذلك سوءا أو قبحا . وان لوطا قد وعظهم و نصحهم ونهاهم وخوفهم بأس الله تعالى فلم يأبهوا له ولم يرتدعوا . فلما ألح عليهم بالعظات والانذار هددوه تارة بالرجم وتارة بالاخراج من بينهم . الى أن جاء الى لوط الملائكه

(الذين مر ذكرهم فى ابراهيم وبشروه بابنه اسحاق) وقد جاءوا الى لوط بهيئة غلمان مرد حسان الوجوه فجاء أهل القرية الى لوط طالبين ضيوفه ليفعلوا فيهم الفاحشة . وقد جهد لوط فى ردهم وبالغ فى ذلك حتى طلب اليهم أن يأخذوا بناته . فلم يصغوا اليه . حينئذ التفت لوط الى الملائكة وقال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد أي لجاهدتهم بكم وأوقعت بهم مايستحقون . وكان لايعلم أنهم ملائكة الى ذلك الحين . وحينئذ اعلمه الملائكة بحقيقة أمرهم . وأنهم جاءوا للتنكيل بأولئك القوم . ولما حاول أهل القرية أخذ أولئك المردان بالقوة . وهجموا على بيت لوط طمس الله أعينهم فلم يبصروا ولم يهتدوا الى المكان يقتحمون منه عليه ومن معه . ثم اخرج الملائكة لوطا وابنتيه وزوجه من القرية وأمروهم ألا يلتفت منهم أحد . وان يحضروا حيث يؤمرون فصدعوا بالأمر الا امرأته فانها التفتت الي القرية لترى ما يحل بها . وكان هواها فى أهل القرية دون لوط فحل بها من السخط والعذاب ما حل بهم وكانت كافرة غير مؤمنة فأمطر الله عليهم حجارة من سجيل وقلبت ديار القوم وجعل عاليها سافلها

واعتقد أن البحر الميت المعروف الآن ببحر لوط وبحيرة لوط لم يكن موجودا قبل هذا الحادث . وانما حدث من الزلزال الذى جعل عالى البلاد سافلها وصارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعمائة متر وقد جاءت الاخبار فى السنتين الماضيتين بأنهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت

أنظروا إلى قوله تعالى فى سورة هود (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ٧٧ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد ٧٨ قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا

يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ماأصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ٨١ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد

وفى سورة الحجر (فلما جاء آل لوط المرسلون ٦١ قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون . قالوا أو لم ننهك عن العالمين . قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين . لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهون . فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين)

وفى سورة الشعراء كذبت قوم لوط المرسلين . إذ قال لهم أخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنتة يالوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وامطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

وفى سورة النمل (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب

قومه إلا أن قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين

وفى سورة التحريم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين

مسألة

كيف سمحت نفس لوط بابنتيه أو بناته يقدمهن لهؤلاء الفسقة وهو نبي معصوم من المعصية كما هو معتقد جمهور المسلمين فى عصمة الانبياء وهذه المسألة لها عدة أجوبة

أولها — ان لوطا لم يعرض عليهم بناته الصلبيات وانما عرض عليهم بنات القرية وهن أزواجهم لان كل نبي أرسل الى قوم فاولادهم ابناؤه ونساؤهم بناته مجازا وهذا جواب سخيف إذ كيف يكون لوط أبا لهؤلاء الكافرات غير المؤمنات . وكيف يعبر عنهن ببناتي وهن يأبين أبوته ويكفرنه ويجحدن نبوته ورسالته ؟ فهذا الجواب لاأرضاه ولا تطمئن له نفسى

ثانيها — ان الملائكة الذين طمع فيهم هؤلاء الفجرة كانوا ثلاثة . ولا يعقل أن يكون كل واحد من أهل القرية الذين جاءوا اليه يزفون . يأمل أن ينال حاجته منهم وأهل القرية يبلغون الفا أو يزيدون ولكن المعقول انه كان هناك رئيسان مطاعان فى القوم وهما اللذان يطلبان الملائكة وانما عبر بأهل القريه لمظاهرتهم لهما حتى يتم مرادهما نعرض لوط على القوم بنتيه الصلبيتين ليأخذوهما بطريق التزوج لاعلى سبيل الزنا وهذا الجواب تابل لان يحوز مكان القبول . ولكن الذى سأشرحه فيما يأتى أولى منه بالقبول وقد نص على هذا

الجواب أبو السعود فى سورة هود

ثالثها ان لوطا عرض على القوم بنـاته عرضا سابريا لا يقصد به انه يريد أن يعطيهم بنتيه للزنا . ولـكن عرض بنتيه اعتمادا على أنهم يحيون منه ويخجلون ليكفوا عن خزايته فى ضيفه كما تقول لرجل يضرب آخر وأنت تعجز عنه دعه واضربنى أنا . لأنك تقول هذا القول وأنت جد واثق بأنه لا يضربك ولو علمت أنه يضربك حقيقة ماقلت هذا القول ولا تعرضت للشفاعة . وهذا القول قد أورده كثير من المفسرين كأبى السعود والفخر الرازى والاصفهانى وغيرهم وهذا الذى أرضاه واختاره

ذكرت قصة لوط فى التوراة على النحو الذى ورد فى القرآن ولا تخالفه الا فى شيء واحد وهو أنها لم تذكر عرض بناته على القوم . وذكرت ان زوج لوط وهى سائرة للابتعاد من المدينة التفتت فصارت عمود ملح وإن لوطا التجأ الى قرية تسمى صوعر . اى الصغيرة ونجا هو وابنتاه ولم تمس صوعر بضرر

مسألة أخرى

ماهو مرجع كاف الخطاب فى قوله (لو أن لى بكم قوة) الجواب

انه قومه الذين جاءوا يهرعون اليه . والمعنى لو أجد قوة تمكنني من صدكم واحلال النكال بكم وهذا الجواب لا أميل اليه ـ وخير منه أن يقال ان مرجع الخطاب هم الملائكة . وعلى ذلك فان لوطا تمنى لو كان عدد ضيفه كثيرا ليجد بهم قوة على مجاهدة قومه وكفهم والايقاع بهم . ولذلك ردوا عليه بقولهم (يالوط انا رسل ربك لن يصلوا إليك)

مكان العبرة فى قصة ابراهيم ومامرها .

(١) ان العقيدة الحقة اذا تغلغلت فى النفوس وأشربتها القلوب استولت على فكر الانسان واستغرقت كل خطرات قلبه وملكت عليه مشاعره ووجدانه فهو يستهين بالنار يلقى فيها وكل عذاب يحل به دون أن يرجع أو يتقهقر والمثل الاعلى فى ذلك ابراهيم الذى كان أول من ضرب المثل للامم والاجيال بعده

(٢) ان ثورة ابراهيم على الاصنام وعبادتها لم تكن ثورة كلامية بل كانت ثورة عملية. إذ جعل أصنامهم جذاذا إلا كبيرا لهم وجعل عمله وسيلة لحاجتهم حتي أفحمهم فلجأوا إلى مخاشنته والقائه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما

(٣) ان ابراهيم لم يدخر وسعا فى ابتكار أساليب الدعاية الى مارآه من الحق فتارة يلجأ إلى النجوم علّه يجد فيها إلها فلما أفهمهم أن كواكب السماء كلها لا يصلح فيها آلهة جهر بأمره قائلا اني وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين فلم يتبرأ من آلهتهم لاول وهلة . وبادىء الرأي. بل بعدما جرهم الى امتحان الآلهة واحدا بعد آخر وابان عجزها وعدم صلاحيتها لان يكون واحد منها الها

(٤) ان ابراهيم كان جديرا بما قال الله فيه (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) فقد كان يجادل الملك ويحاجه غير متتعتع ولا وجل حتى الزمه الحجة والبسه الخزى . اقرءوا قوله تعالى (ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحي ويميت قال أنا أحي وأميت قال

ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدي القوم الظالمين)

(٥) ان ابراهيم كان رقيق القلب يتجلى . ذلك فى جوابه لأبيه اذ قال له لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا فأجابه بقوله (سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بي حفيا) وقوله (واغفر لأبى إنه كان من الضالين) وقوله (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) وهكذا ينبغى ان يكون الداعى الى الحق حليما واسع الصدر عظيم الاناة طويل البال

(٦) ان الايمان الحق اذا اطمأن به القلب أورثه الطاعة التى لامعصية معها حتى ان ابراهيم لما طلب منه فى المنام أن يقدم ابنه الذى ليس له سواه امتثل ذلك الامر مقدما رضاء الله تعالى على رضا نفسه وقام بكل استعداد لتقديم ابنه قربانا لله الى أن فداه الله بذبح عظيم

(٧) ان ابراهيم كان مضيافا ولا يرضى لاضيافه بما يقيم أودهم بل كان يكثر لهم من القرى لان ثلاثة اضياف لايقدرون على التهام عجل سمين بل هو يفضل عنهم وكان يكفيهم عناق صغير أو بعض الفطير يقدم اليهم . ولكنه أظهر حفاوة هونت عليه أن يبذل من ماله كل كريم . ولا يفعل ذلك الا الكريم

وها أنا أستطرد لك حكاية قرأتها فى بعض الكتب العبرية الادبية . وهى أن ابراهيم نظر إلى البرية يوما فرأي رجلا قد بلغ من الكبر عتيا يمشى وفى يده عكازته . فقام واستقبله واضافه وقدم له طعاما . فلما طعم الرجل وابراهيم . قال ابراهيم هلم نشكر الله الذى أطعمنا ورزقنا هذه النعم . ولكن الرجل أبي وقال لاأعرف الله الذى تقوله . وانما اشكر الهى الذى فى بيتى (يعنى صنمه .) فغضب ابراهيم وطرد الرجل . فلما ولى الرجل عنه رجع ابراهيم باللائمة على نفسه قائلا . ان الله سبحانه قد خلق هذا الشيخ وحباه بجلائل النعم وأطال

عمره وقد مضى عليه الآن مائة سنة يكفر بالله ويجحده ولا يؤدي شكر شيء من نعمه عليه . ومع اصراره على الكفر وتماديه فى الضلال لم يقطع الله عنه نعمة من نعمه المتواصلة وانا لانى أطعمته مرة واحدة وخالف مشورتى فى عبادة الله اطرده وأسف لذلك أسفا شديدا فالخلق الكرم فى ابراهيم كان بالغاً حده الاعلى

(٨) كان ابراهيم ذا نفس طلاّعة يحب استكناه الاشياء والوقوف على دقائق صنع الله تعالى . ولذلك طلب من الله ان يريه احياء الموتي ليطمئن قلبه وقد قدمنا موقفه فى ذلك من القرآن والتوراة

(٩) كان ابراهيم قائما على قدم الاستعداد لتنفيذ أوامر الله تعالى فيما أحب أو كره دون تبرم ولا تذمر متحليا بالتقوى والطاعة والشكر والصبر . وهى مزايا بارعة قل من الناس من يجمعها . وما اجتمعت هذه الخصال فى شخص الا برع أهل جيله وفضلهم . انظروا الى قوله تعالى «ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ١٠ اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين

ذلك ان كثيرا من الناس يُدعون الى الخير الذى لم يعهدوه فتكون منهم نبوة عنه لأول وهلة وتوقف عن الاجابة ريثما تطمئن النفس وتأنس بهذا الشيء الغريب الذى لا إلف لها به . ولكن ابراهيم لم يكن منه شيء من ذلك . بل كانت نفسه مستشرفة للهداية متلببة للدخول فى الطاعة فلم تكن منه هفوة ولا نبوة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه . ما دعوت أحدا من أصحابي الى الاسلام الا كانت منه هفوة الا أبا بكر . وأما صبره على المكاره وايثاره رضى الله تعالى عنه فيتجلى فى تقديمه ولده الواحد اسماعيل ليقتله بيده ويقربه قربانا لله تعالى ويحرقه جثمانه بيده فاقدم على ذلك صابرا غير مكابر ولا متضجر

(١٠) ان اسماعيل كان عبدا مخلصا من صغره وقبلا أن يبلغ حد التكليف صابرا على المكارة . فان أباه أخبره أنه رأى فى المنام أنه أمر بذبحه فأجاب

الى ذلك صابرا غير متألم ولا متبرم . ولم يعارض فى ذلك ولم يحل على أن ذلك أضغاث أحلام بل قال له (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين)

(١١) ان اسماعيل كان إذا وعد صدق فقد وعد والده الصبر على أن يكون قربانا . ووفى بوعده وصدق فيما قال كما قال تعالى فيه (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وأى صبر لغلام لم يبلغ الحلم (وللغلمان آمال كبار فى الحياة) يقدم لينحر على الحطب كما تنحر الشاه فيتقبل ذلك راضية نفسه ويطلق آماله . ويعتنق آلامه . كل ذلك كثير وصاحبه جدير بالثناء وحقيق بكل وصف كريم

(١٢) ويدل ما تقدم فى قصة لوط على كرم محتد واستمساك بالذمام ورعاية للجار والنزيل . فقد أراد قومه سوءا بضيفه فقام يذب عنهم ويدافع أهل بلده دونهم . وعرض بناته فدية لهم كراهة أن يخزوه فى ضيفه . قال أبو السعود فى تفسيره لسورة هود . فانه إذا أخزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل . وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة . وظلم الجار اذلال المجير

(١٣) تدل قصة لوط على أنه كان عظيم الايمان مطمئن القلب به حتى انه لم يحتج من عمه الى معالجة وانه فى سبيل الايمان بالله تعالى قد رضى بأن يهاجر من وطنه ويبتعد عن قومه مع علمه بأن الجلاسبا والنقلة مثلة ـ قال الله تعالى فيه فآمن له لوط وقال انى مهاجر إلى ربي

يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام

ان قصة يوسف عليه السلام تتصل بقصة يعقوب عليه السلام وقد مر بعضها فى قصة اسحاق لتدخلها فيها وسيمر بنا فى قصة يوسف عليه السلام قدر وافر من قصص يعقوب عليه السلام .

اولاد يعقوب عليه السلام

كان ليعقوب من الولد اثنا عشر ولدا ذكرا وهم (١) رأوبين بكر يعقوب وشمعون (٢) ولاوى (٣) ويهوذا (٤) ويساكر (٥) وزبولون (٦) من ليئة بنت خاله لابان (٧) ويوسف (٨) وبنيامين من راحيل بنت خاله لابان (٩) ودان (١٠) ونفتالى من بلها جارية راحيل (١١) وجاد (١٢) واشير من زلفا جارية ليئة وهؤلاء الاولاد ولدوا له وهو فى فدان أرام يرعي غنم خاله لابان فى نظير تزوجه ابنتيه ليئة وراحيل وعاد بهم بعد انقضاء الأجل وبعد أن أخذ من غنم خاله نتاج سنة إلى أرض كنعان إلا بنيامين فقد ولد فى كنعان

يوسف عند أبيه

كان يوسف جميل الصورة اثيرا عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته . وكان ذلك سببا فى حقد أخوته عليه وسببا فى محنته التى كانت خيرا وبركة عليه وعلى الامم القريبة من مصر وعلى مصر

ذ كر اسم يوسف فى ٢٦ آية من الكتاب الكريم ٢٤ آية فى سورة يوسف وآية فى الانعام وآية فى سورة غافر وهاهى أرقام الآيات التى ذكر فيها فى سورة يوسف ٤، ٧، ١٠، ١١، ١٧، ٢١، ٢٩، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٦١، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٤، ٩٩ (فى سورة الانعام آية ٨٤ وفى سورة غافر ٣٤ وقد ذكرت قصة يوسف مطولة فى سورة يوسف . وسبب نزول هذه السورة فى القرآن الكريم ان كفار مكة لقى بعضهم اليهود وتباحثوا فى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم . فقال لهم اليهود سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر . وعن قصة يوسف فنزلت (٥١ النسفى)

والقصة ان يوسف كان صغيرا . وتقول التوراة كانت سنة سبع عشرة سنة (ومن كان فى هذا السن يبعد ان يصنع معه ماصنع الى يوسف .) فرأى فى منامه ان أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له . والذى فى القرآن الكريم يفيد ان قصَّهُ هذه الرؤيا على والده كان فى غيبة اخوته . وان أباه قال له . « لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم

وتفيد عبارة التوراه أن ذلك كان بحضرة اخوته وان اباه انتهره على هذا القول . وقال لعلنا نسجد لك انا وامك واخوتك متهكما

رأى أبناء يعقوب اثيار أبيهم ليوسف وحدبه عليه بما لم يكن منه لواحد منهم فغاظهم ذلك . وهم فى جن الشباب وطيش الحداثة . فأضمروا له الشر فقالوا لابيهم مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون .. وكأن يعقوب قد أحس الشر الذي يضمره بنوه لأخيهم

ولم يشأ ان يعلمهم بتخوفه جانبهم فقال. اني ليحزنني ان تذهبوا به. ثم ترقى فى تعليل ضنه به قائلا وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون والله يعلم انه يتخوف عدوانهم على ولده أكثر مما يتخوف من عدوان الذئب

لم يعى أبناء يعقوب بجواب بل أجابوه جوابا لا يبقى له علة يتشبث بها . فقالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون . وهنا تخالف التوراة القرآن فى هذه القصة وتقول ان يعقوب هو الذى أرسل يوسف الى اخوته من تلقاء نفسه ليذهب اليهم فى المرعى ثم يعود ويطالعه بأحوالهم . وكانوا قد أبعدوا فلما جاء وعليه قميص مخطط قد حباه به والده قالوا قد جاء صاحب الاحلام لابس البجاد المخطط ثم ائتمروا به مايصنعون ثم انتهوا إلى أن يلقوه فى الجب بعد أن يعروه من قميصه ولايسفكون دمه وان يخبروا أباهم بأن مفترسا افترسه

والقرآن على أنهم تسلموه من يد أبيه. وذهبوا به وأجمعوا على ان يجعلوه فى غيابة الجب ثم جاءوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق (أي فى النضال بالسهام) وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب

ولما كان المريب يشعر من نفسه بالتهمة ويتخيل ان كل واحد قد اطلع على خبيئة أمره قالوا لوالدهم وماأنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب فلم يخف عليه شأنهم . وكان كمهرة المحققين فى القضايا فى هذه الايام فأخذ القميص . ولما لم يجد به تمزيقا ولا قطعا قال لهم متهكما . ما أحلم هذا الذئب الذى افترس ولدى ولم يمزق عليه قميصه ولم يعمل فى قميصه نابا ولا ظفرا وقال لهم بل سولت لكم أنفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

بعد أن تُرِك يوسف فى الجب (البئر) وكانت قليلة الماء جاءت سيارة (قافلة) فارسلوا واردهم فأدلى دلوه فى الجب فتعلق به يوسف فلما نزع الدلو

يحسبها قد امتلأت ماء فاذا غلام وسيم تعلق بها فاستبشر الرجل وقال يابشرى هذا غلام. ويقول المفسرون أن الذين كانوا على الماء ادعوا فى القافلة انهم اشتروه من سادته. وأسروه بضاعة حتى وردوا إلى مصر. وشروه أى باعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين. وكثير من الناس حتى بعض العلماء يقولون. ان اخوته هم الذين انتشلوه من الجب وباعوه للسيارة وعبارة التوراة لاتساعدهم ونظم القرآن لايساعد على ذلك لانه ذكر السيارة وواردهم ولم يعد الى ذكر اخوة يوسف فى هذا المقام والذى فى التوراة أن اخوة يوسف بعد أن ألقوه فى الجب جلسوا للطعام. ورأوا قافلة من الاسماعيليين تقصد مصر ومعهم الكثيراء والبلسان والطيب وجاءت قافلة أخري من المديانيين فسحبوا يوسف من الجب وباعوه للاسماعيليين. وان يهوذا أشار على اخوته ان لايتركوا يوسف فى الجب وان يبيعوه ولما جاء رأوبين الى الجب لم يجد يوسف فمزق ثيابه وبكى وهذا كله ينفى مااشتهر من أنهم باعوه والمفسرون يخبطون فى هذا كثيرا وباع الاسماعيليون يوسف فى مصر وكان من رأى رأوبين من الاول عدم اهلاك يوسف وهو الذى أشار عليهم بالقائه فى الجب لكى يخالفهم اليه ويأتي به إلى أبيه

يوسف عند سيده

بيع يوسف لرئيس الشرطة فى مصر ولم يعين البلد الذى كان عاصمة الملك فى البلاد المصرية فى ذلك الحين والاقرب أنه مدينة صان ببلاد الشرقية قرب بحيرة المنزلة. وذلك أن ملك مصر فى ذلك العهد كان من العمالقة الذين وردوا مصر قبل نزول ابراهيم وكان منهم الملك الذى أكرم مثوي ابراهيم وأعطاه الاموال الكثيرة وهم الذين شغلوا تاريخ مصر ما بين الاسرة الرابعة عشرة الى

الاسرة الثامنة عشرة التى منها أحمس الذي طرد العالقة من مصر ـ ولما حصل يوسف عند سيده النى الله على سيده محبته فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكان سيده رئيس شرطة المدينة واسمه فوطيفار ويعبر عن منصبه فى العبرية ب (سرها طباحيم) . أى رئيس الشرطة فكان يوسف أثير الديه فجعله صاحب أمره ونهيه . والرئيس على خدمه . والمتصرف فى بيته بحيث لم يكن لأحد ممن فى الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته . وقد تولى الله تعالى يوسف بالهداية والتربية والتوفيق وعلمه من لدنه علما عظيما . كما قال تعالى « وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولـكن أكثر الناس لايعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين »

محنـــة يوسف

كانت منة الله تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكمنا لمحنته ومحنته مكمنا للمنة العظيمة عليه وعلى آله وعلى أهل مصر وجميع الامم التى تقرب من مصر . كما قال ابن عطاء الله السكندرى ربما كمنت المنن فى المحن وربما كمنت المحن فى المنن وكانت تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وماهو عليه من الخلق السوى والجمال المفرط فاشعل ذلك فى نفسها جذوة الحب وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها له إلى أن غلبها الحب على حيائها . فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها لعاملين يكفى كل واحد منهما لعزوفه عما تريد ـ أولهما ايمانه بالله وامتثاله أوامره بالتزام الطهارة من الارجاس الخلقية تلك الطهارة التى وجد عليها أباه وجده وجد أبيه

ثانيهما ـ ان بعلها سيده الذي حدب عليه . وأكرم مثواه . ومكن له فى بيته

وجعله المتصرف فى أمواله وخدمه . ووثق به ثقة ليس لها حد . فلا ينبغى ان يقابل نعمته بالكفران . فلو لم يكن له دين يحجزه عن الشر ويلزمه الطهارة لكان ذلك كافيا لحفظ سيده فى أهله . والبعد عن تدنيس فراشه . كان ذلك دأب يوسف معها . الى أن هاج بها هائج الغرام . واعتزمت على شفاء مافى نفسها من الصبابة فصارحته القول . ودعته الى نفسها دعوة لاهوادة معها . واحتاطت للامر وأخذت عدتها له . وغلقت الابواب . وقالت ليوسف هيت لك فأبي وقال انه (أى بعلها) ربي أحسن مثواى انه لايفلح الظالمون . وفى هذا الموقف العنيف . شاب فى ريعان شبابه وغضارة الفتوة تدعوه سيدته الجميلة الى نفسها فيغلبه دينه ويعصمه رعي الذمام لسيده ثم يولى وجهه شطر الباب يطلب النجاة من شيطان غوايتها وهي تجاذبه ثوبه وهو العصى حتى تمزق من خلفه. الى أن يغلبها ويفلت من يدها فيستبقان الباب . هو يريد فتح مغلقه وهى تريد ان تحول بينه وبين ما يشتهى من الافلات من يدها دون قضاء لبانتها . وحينئذ يجد ان بعلها عند الباب

تدبروا واقرءوا قوله تعالى « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدي الباب

ساقت التوراة هذه القصة فى سفر التكوين فى الاصحاح ٣٩ وهى لاتختلف عن القرآن إلافى شيء واحد وهو انها لما امسكت بثوب يوسف عليه السلام خلعه لها فنادت الخدم واخبرتهم بأن بعلها جاء برجل عبراني يداعبها وان يوسف لما رأى المكان خاليا طلب أن يضاجعها فأبت وصرخت بصوت عظيم وكان قد

خلع ثوبه استعدادا للأمر فخاف حين استغاثت وهرب وترك عندها قميصه

وللعلماء فى تفسير هذه الآية آراء فقوم يقولون أن امرأة العزيز تدهمت يوسف ليضاجعها وهو هم بها وانه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فلما لم يبق شيء دون اتمام ما قصدته وقصده جاء جبريل واخبره بأنه سيكون نبيا . وهذا العمل لا يليق من الانبياء فكف عنها . وهذا برهان ربه ومعنى الآية لولا ان رأى برهان ربه لفعل

وقال آخرون ان البرهان الذى رآه وهو على هذه الحال ان نظر فرأى وجه أبيه وهو يؤنبه على هذا العمل عاضا على أنامله

وقال آخرون ان يوسف وهو فى تلك الحال نودى من الله يا يوسف انك مكتوب فى ديوان الانبياء وتعمل عمل السفهاء . الى غير ذلك من الاقوال الباردة والقائلون بذلك لم يفقهوا قول الله تعالى فى تلك الآية « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين » فكيف يكون قد صرف عنه السوء وهو قد تهيأ لفعل الفاحشة واصغى الى شيطان الغواية . ولم يرجع كما يقولون إلا بعد أن رأى من الزواجر والروادع ما يكفى لصرف أعظم الفسقة والمستهترين عن الغي ومتابعة الشهوة . وكيف يوصف بأنه من المخلصين من كان انصرافه على هذا الوجه

وأعرق هذه الاوجه فى البعد قول من يعتذر عن هم يوسف بأن ذلك كان قبل النبوة أى فعل المعصية فى هذا الدور غير ممتنع على الانبياء فان صاحب هذا القول غافل عن قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) فان الرسالة انما يختار لها أصحاب الاعمال المرضية ولا يختار رسله من أهل الفسق . وهو تعالى يرشحهم لما يضطلعون به من رسالته فهو يعصمهم عن الخسائس وسائر ما يعير به الناس وأى عار أكبر من أن يذهب الشخص إلى المعصية ثم لا يرجع

إلا بعد الزجر والنهى

ويقول آخرون أنه هم همَّ الطبيعة وهو أمر لا اختيار للمرء فيه وهؤلاء أخف قولا مما تقدم

ويقول آخرون انه همَّ همَّ ترك واستاطمئن إلى هذا القول وانه وجد منه هم على حال وتكلف آخرون فقالوا انه هم ليضربها

والقول الذى لاغبار عليه ويلتئم مع قوله تعالى « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » ومع قوله فى الآية نفسها « انه من عبادنا المخلصين » ان همه عليه السلام بها امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة وان قوله وهم الممتنع لوجود البرهان دليل الجواب للولا ولا يعكر علينا قول من قالوا ان قوله وهم بها لا يصلح جوابا لان لولا لها الصدارة . لانا لا نقول أن هذا هو الجواب ونظير ذلك قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . لان لولا حرف امتناع لوجود امتنع الهم لوجود البرهان . وامتنع ابداء أم موسى بما فى نفسها على ابنها لوجود ربطنا على قلبها . والجواب محذوف تقدم دليله على لولا

يوسف وامرأة العزيز

يوجد فى الامثال ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى ذلكم المثل هو مثل امرأة العزيز مع يوسف . ذلك أنها لما رأته لدى الباب يريد الدخول وكان معه ابن عمها أرادت أن تشفى غل صدرها وحنقها على يوسف لما فاتها من التمتع به وتوقعه فى الشر جزاء ابائه عن مطاوعتها ـ تقدمت نحو زوجها باكية شاكية قائلة « ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً الا أن يسجن أو عذاب أليم » وافهمته

انه راودها عن نفسها وانها أبت عليه — وأما يوسف فقد وجد نفسه فى مأزق حرج وان الصدق سبيل نجاته . وانه اللائق بمقابلة العزيز بما صنع معه من الجميل وما أسدى اليه من المكرمة . فقال هى راودتنى عن نفسى وأنا امتنعت وابيت حتى آل أمرها الى أن نازعتنى ثوبي. وهنا ظهرت فراسة ابن عمها فى تحقيق الحق من قولها . فقال ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . لأن الهاجم على المرأة وهي تدافعه انما يظهر أثر دفاعها فى مقدمة قميصه والهارب من المرأة العالقة بثوبه انما يظهر أثر ذلك فى قميصه من الخلف . لانه يكون مستدبرا لها وهى تجاذبه من خلف . فظهر حق يوسف وكذب امرأة العزيز بأن رأوا قميصه قد من دبر فعاد العزيز على امرأته باللوم وقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وأمر يوسف بكتمان الخبر وأمرها بالاستغفار لذنبها وصرح بأنها مخطئة فيما صنعت اقرءوا قوله تعالى (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا الا ان يسجن أو عذاب اليم قال هى راودتني عن نفسى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم : يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين)

شيوع الخبر فى المدينة وتحدث النساء به

شاع نبأ حادثة امرأة العزيز وفتاها فى ارجاء المدينة ولاكته أفواه النساء لائمات لها على هذا الغرام وشرعن يضللنها ويلمنها بفادح اللوم . ودوى صدى هذا القول فى اذن امرأة العزيز فأخذت فى الكيد لهن ليعذرنها ولا يعذلنها فارسلت الى طائفة من نظيراتها العاذلات واعتدت لهن مكانا أنيقا يجلسن فيه

وقدمت اليهن طعاما مما يحتاج إلى القطع بالسكين . وآتت كل واحدة منهن سكينا . وفى تلك اللحظة أمرت يوسف أن يخرج عليهن. فبهرهن جماله. والهاهن عن أن يحسن قطع الفاكهة التى بأيديهن فصرن يقطعن أيديهن . وشغلن بمطالعة محاسن خلقه والتأمل فى جماله واللذة فى ذلك تغمر ألم جراحهن بايديهن . فأعلن اكبارهن لذلك الجمال ، وقلن (ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)

حينئذ باحت امرأة العزيز لهن بما يجنه فؤادها من اللوعة . وقالت لهن كما يشكو العاشق بلواه لعاشق مثله (فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)

فأنتم ترون أن امرأة العزيز كتمت أمرها حتى صادتهن وأوقعتهن فى شباك غرامه. وصرن كلهن فى الهوى سواء ثم باحت لهن بذات نفسها آمنة النميمة عليها ومن هذا القبيل قول القائل :

لاتخف مافعلت بك الاشواق   وأشرح هواك فكلنا عشاق

وأنتم ترون أيضا أن عشقها فضحها فى المرة الاولى. وكذبت لتتخلص من العار ولتتشفى من ذلك الرجل الذى وصل حبه إلى شغاف قلبها وانضج فؤادها بنار هواه ، فلم تحسن التخلص ولم يكن كذبها منجيا لها من اللوم . وكان من حقها أن ترتدع. ولكن الهوى صرعها للمرة الثانية فتوعدته بأن يصدع بامرها والا كان مأواه السجن ولقاء الصغار بدخوله

ولما فشت القالة بذلك رأى العزيز وحسّن له مشيروه أمراً هو أنه لا يخلصهم من العار ويكف ألسنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه فى السجن ليخيلوا للناس انه ما زج فى السجن إلا لانه آثم كاذب فى ادعاء البراءة . وان زوجة العزيز بريئة مما قذفت به وهذا مصداق قوله تعالى (ثم بدالهم من بعدمارأوا الآيات ليسجننه حتى حين)

وانى ألفت نظركم الى لفظ (من بعد مارأو الآيات) فان رؤية الآيات الدالة على صدق يوسف وكذب امرأة العزيز فيما حاولت أن تلصقه به من عار الخيانة لسيده . كان ظاهراً واضحا وكان من حق العزيز أن يوقع بها العقاب على ما اجترحته. ويكرم يوسف ويظهر للناس براءته (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنو بالحسنى) ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . بل عمد هو وآله الى الاساءة الى من أحسن عمله . وحفظه بالغيب فى زوجه . ورعى له حق السيادة والاكرام . فجزاه جزاء سنمار وعمد الى المسيئة الكاذبة المستهينه بكرامتها وكرامة زوجها والتى عرضت عفافها بضاعة مزجاة فى سوق الفسوق فلم يمسها بأذى بل قدم يوسف البرىء التقى الطاهر فدية عن سمعتها فكانت كأنها الدنيا تحب على كثرة اذاها ويرغب فيها مع اساءتها

يسىء امرؤ منا فيبغض دائما ودنياك مازالت تسىء وتومق

والآية تشير من طرف خفى الى أن القوم استعانوا بالقوة القضائية على الكيد ليوسف وزجه فى السجن لأن رؤية الآيات على براءته انما تكون أمام القضاء وهو أما رسمى أو عرفى . ولعل القضاء الأخير هو الذى استعملوه. وهو قضاء خير منه الاستبداد لأن الاستبداد يجور فاعله على ان عمله جور (سافر غير مقنع) ولكن القضاء الذى يجور ويلبس ثوب العدل هو شر أنواع القضاء

يوسف فى السجن يدعو لدينه

ادخل يوسف السجن على غير جريمة أتاها ودخل معه السجن فتيان احدهما رئيس الخبازين عند الملك والثانى رئيس سقاته فبعد أيام أتاه صاحب شراب الملك واخبره انه رأى فى منامه انه يعصر فى كأس الملك الخمر يتناول العنقود من العنب ويعصره فى كأس الملك وجاء الخباز وقال له انى رأيت فوق رأسى

طبقا من الخبز والطير تأكل من ذلك الخبز. وطلبا اليه أن ينبيء كل واحد منهما بتأويل مارأى فى منامه

انتهز يوسف هذه الفرصة ليعلن لهم دينه ويدعوهم اليه . وقام فيهم خطيبا ينبئهم بمقدرته على تأويل الرؤيا وانه لا يأتيهما طعام الا نبأهما بتأويله قبل أن يأتيهما وان ذلك مما علمه الله تعالى اياه بتركه ملة الاقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر واتبع ملة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب. وذلك كله من فضل الله عليه وعلى ذويه وعلى الناس. وسأل صاحبيه أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار الذي أمر الا يعبد الناس ربا سواه ، وان ذلك هو الدين القويم. وان جهلة الناس لا يعلمون. وبعد ان فرغ من دعوتهم الى دينه وانتهى من خطبته الوعظية قال (ياصاحبي السجن اما أحدكما (الساقى) فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان) وفى تلك الحال أمل يوسف أن يجد الفرج لما هو فيه من الضيق على يد الذى ظن أنه ناج منهما وقال له اذكرنى عند ربك. فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وتحقق تأويل المنام كما قال

الفرج ليوسف

بعد تلك السنين أراد الله أن يعجل بالفرج ليوسف فهيأ لذلك الاسباب وذلك أن الملك رأى سبع بقرات جميلات طالعة من النهر فارتعت البقرات فى روضة ثم رأى سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر عجافا خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولى السمينة . ثم استيقظ من منامه. ثم عاد فرعون الى رقاده فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة فى ساق واحد واذا سبع يابسات خلفها قد لفحتهن الريح الشرقية قد عدت على السنابل الخضر فأكلتها

أصبح فرعون منزعجا لهذين المنامين فدعا بالسحرة وكل من له علم يسألهم عن تأويل هذا المنام فلم يجد عند أحد منهم جوابا . بل قالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين . فى ذلك الوقت انتبه رئيس سقاة الملك إلى الامر . وتذكر ماقدم بما حدث ومر على خاطره منامه الذي رآه فى السجن ويوسف الذى عبره له تعبيرا كأنه يشاهد أمرا واقعا . فعرض الامر على الملك واقتص عليه حلمه وحلم رئيس الخبازين وان غلاما عبرانيا فى السجن لرئيس الشرطة قد عبر لهما رؤياهما . فكان الامر كما قال . وطلب أن يرسله الى السجن ليأتى بالتعبير الذى لامراء فيه من يوسف . فأرسله الملك اليه

فلما التقى بيوسف قال له أيها الصديق . أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات تأكل الخضر فأخبره يوسف بتأويل ذلك . وهو أن مصر يأتى عليها سبع سنين مخصبات تجود الارض فيها بالغلات الوافرة ثم سبع سنين مجدبة تأتي على المخزون من السنين السبع التى تقدمتها . ثم بعد ذلك تأتى أعوام الخصب والرغد . وان عليهم أن يقتصدوا فى سنى الخصب السبع ويخزنوا مافضل عن القوت فى سنبله . حتى اذا حل الجدب وجدوا فى اهرائهم ومخازنهم مايسد الرمق ويمسك الحوبة إلى أن يأتى الخصب

عاد رئيس السقاة الى الملك بتأويل رؤياه فسر بها وعلم أنه تأويل مناسب متفق مع الرؤيا . فقال الملك ائتوني بيوسف . فلما أرادوه على ذلك أبى أن يخرج من السجن حتى يعرف أمره على حقيقته . وطلب الى الرسول أن يعود الى الملك ويسأل عن النسوة اللاتى قطعن أيديهن . ولا بد أن يكون قد سماهن له باسمائهن . فلما أحضرهن الملك وسألهن عن شأن يوسف . قلن حاش لله

ما علمنا عليه من سوء وانـكرن أن يكن سمعن شيئا عن شأنه وشأن امرأة العزيز . وهذه الآيات المتعلقة بهذا الموقف

« وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطّعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ماخطبكن اذا راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء »

فى الكلام ايجاز كما هو شأن القرآن من عدم ذكر الاشياء التى تكون معلومة من المقام وفى الكلام شواهد تدل عليها . والذى يفهمه من الآيات كل من له عقل ان يوسف كبر عليه أن يخرج من دار السجن وعليه سمة المجرمين المحدثين الخائنين ليقف أمام الملك . فأراد ألا يخرج من السجن الا وهو ثابت البراءة مرفوع الرأس أبيض الصحيفة فذكر الحادثة على وجهها وانه برىء منها وأن الجانية انما هى زوجة العزيز التى بهتته فى وجهه . وان الاشاعة فى المدينة أن امرأة العزيز راودته عن نفسه . وآية ذلك النسوة اللاتي قطعن أيديهن فانها لما سمعت أنهن لائمات لها دعتهن الى دارها (وسماهن طبعا) وأنهن لما رأينه قطعن أيديهن وراودنه عن نفسه أيضا لها ولانفسهن وان امرأة العزيز أقرت أمامهن قائلة فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين . قالت ذلك على ملأ منهن وانها نفذت وعيدها بالقائه فى السجن وهو برىء مما يوجب سجنه وشهادتهن بما سمعنه من امرأة العزيز برهان براءته وتثبيت لقوله والذى قلته مفهوم من أساليب القرآن وان الملك أحضرهن وسألهن عن شأنهن فى ذلك اليوم الذي راودن فيه يوسف عن نفسه فكان جوابهن (حاش لله ماعلمنا عليه من سوء)

يمكن أن يفهم قولهن هذا على انهن لم يسمعن عن يوسف شيئا ولم يعلمن عليه سوءا أو يكون قد وقع منهن مراودات وحينئذ يكن قد انكرن الشهادة

ولم يؤدين ماطلب يوسف منهن وهو الشهادة بما سمعنه من امرأة العزيز وتوعدها يوسف بالسجن اذا لم يصدع بامرها . وذلك الموافق لقولهن حاش لله لانه نكار لما سئلن عنه . وحينئذ يكن قد خيبن أمل يوسف فيهن وأردن أنهن لايتهمنه بسوء وفى الوقت نفسه يكتمن على امرأة العزيز ما باحت به أمامهن من مراودتها اياه واستعصامه وان نجاته من السجن رهينة بموافقتها على مرادها الذى أرادته عليه من قبل — وحينئذ يكون يوسف قد اغتر بما أظهرن له من الاكبار والمحبة حتى دعته كل واحدة الى نفسها وظن أن ذلك يدعوهن الى أن يقلن الكلام الذى حصل على جهة الحق وفى ذلك براءته فلم يقلن بل قلن شيئا لم يدعين لاجله وهو قولهن ماعلمنا عليه من سوء فان عدم علمهن بالسوء عليه لايجعله بريئا فى الواقع . وهذه شهادة على النفى لاتثبت بها الوقائع المعينة التى أراد يوسف اثباتها — ويحتمل أن يكون ماروا ه القرآن من قولهن (حاش لله ماعلمنا عليه من سوء) عبارة عن خلاصة لما روينه عنه مما يقتضى براءته . وانهن أتين بالشهادة على وجهها وملخصها براءته من السوء — وهذا أضعف الاحتمالين عندى . لان قولهن حاش لله بمثابة انكار لما سئلن عنه بطلب يوسف وما كان يوسف بالذى يطلب منهن أن يشهدن بأنهن لم يعلمن عليه سوءا . إذ ذاك لايحقق له البراءة لانها شهادة على النفى وهى لاتطلب وما طلب يوسف منهن شهادة على نفى علمهن بسوء ولم يدع أحد أنهن علمن عليه سوءا

ساقت التوراة حكاية السجن وحلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين الخ كما قصها القرآن الكريم ولم تذكر المرادة بين يوسف والملك فى شأن براءته ولم تذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولا أي شيء عن شأنهن وذكرت التوراة أيضا أن يوسف ارتفع شأنه فى السجن وصار كشخص رئيسه وله الامر والنهي فى كل النازلين فى بيت السجن

ولما رأت امرأة العزيز أن يوسف الذى زجت به فى السجن ظلما قدا كرمه الله تعالى حتى صار من هم الملك أن يأتى به ليستخلصه لنفسه . وان تماديها فى اتهامه بما لم يقترف لايجديها نفعا ولا يلحق بيوسف ضررا وطدت نفسها على الصدق فى شأن يوسف لأول مرة . بعد أن بهتته فى وجهه ورمته بما هو منه براء وظلت مصرة على باطلها السنين الطوال فأقرت بما لا تقربه المرأة المغلوبة على نفسها وباحت بما كتمته عن زوجها وآلها سنين عدة . فقالت « الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين . ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين وما ابرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربى ان ربي غفور رحيم »

بهذا الاقرار الصريح الدال على صدق يوسف وبراءته مما قرف به ظلما ذلك الاقرار الذي ماكان يوسف يظن أنه يصدر من امرأة العزيز الجانية عليه الموقعة له فى السجن — لم يعد يومئذ فى حاجة الى جمع الادلة وتصيد البراهين على براءته واقامة الحجج على انه حبس ظلما وعدوانا . وقدم فدية عن عرض امرأة العزيز وذبيحة بيد مكرها وقسوتها

ملاحظة — يجعل بعض المفسرين قوله تعالى (وما ابرئ نفسى الآية) من كلام يوسف وهو خطأ لأن نظم الآيات وروح الموضوع يأبيان ذلك وانما هو من قول امرأة العزيز لأن ذلك صدر ويوسف فى السجن قبل أن يقول الملك « ائتونى به استخلصه لنفسى »

يوسف بحضرة الملك

لما ظهرت براءة يوسف لفرعون هذا الظهور وخرج يوسف واضح الحجة مستقيم المحجة قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسى . وحينئذ رأى يوسف انه

لاعلة له فجاء الملك وكلمه فسر الملك به وأعجبه عقله وحسن تعبيره للرؤيا . وسأله أي عمل يرضاه لنفسه ويكون فيه سروره فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض . وما يخرج منها من الغلات والخيرات اني حفيظ عليم

اقرءوا قوله تعالى (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون)

هذا الموقف ذكر فى التوراة فى الاصحاح الحادى والاربعين من سفر التكوين وهى لم تذكر اباءه الخروج من السجن حتى تظهر براءته . بل ذكرت أن رئيس السقاة أخبر فرعون بأن يوسف قادر على تعبير الرؤيا وانه عبر له رؤياه فارسل فرعون فاحضر يوسف من السجن وقص عليه رؤياه فعبرها له على النحو الذى قدمنا وقال لهم لابد من ادخار خمس غلة الارض فى السنوات الخصبة حتى اذا جاءت سنوات القحط كانت البلاد مستعدة لمكافحة الجوع وان يقوم على ذلك نظار فى ارجاء البلاد. فقال فرعون لجنوده (هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله)

ثم التفت الى يوسف وقال له بعد ما اعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك انت تكون على بيتى وعلى فمك يقبل جميع شعبي الا أن الكرسى أكون فيه اعظم منك. وقال له أيضا قد جعلتك على كل أرض مصر وخلع خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف والبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا على الناس امامه بالركوع له وجعله على كل أرض مصر وصاحب الامر والنهى والامر المطاع والكلمة النافذة وسمى يوسف (صفنات فعنيح) وأعطاه «أسنات بنت فوطى فارع» كاهن أور زوجة وكان

يوسف ابن ثلاثين سنة حين هذا الحادث فخرج يوسف وارتحل فى كل أرض مصر لتفقد الاحوال وتهيئة الاعمال اللازمة لمقاومة الجوع فى البلاد

اخوة يوسف فى مصر يمتارون

مرت السبع المخصبة واعد يوسف عدته فيها واتخذ الخزائن والأهراء وخزن الغلات فى غلفها ثم جاءت السبع المجدبة واشتد الجدب فى جميع أنحاء الارض. فأما المصريون فذهبوا إلى فرعون يطلبون القوت فأحالهم على (صفنات فعنيح) يوسف ففتح المخازن وباع لهم من الطعام ما يكفيهم وأحس أهل فلسطين الجوع وعلموا ان الطعام بمصر فأرسل يعقوب أولاده ومعهم الجمال والحمير لحمل الطعام وأعطاهم الثمن فقدموا الى مصر لشراء قوت لاهلهم. فلما قدموا الى مصر رآهم يوسف فعرفهم ولم يعرفوه. وذلك طبعى لانه فارقهم أمرد غض الاهاب وقد ناهز اليوم . الأربعين من عمره وقد كسته ابهة الملك مهابة تغض عنه عين الناظرين إليه . وأما هم فعلى حالهم فى ملبسهم ولغتهم ومنظرهم

لما جهز يوسف اخوته بالطعام الذى اشتروه . قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم أعاملكم مرة أخرى فاذا لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تأتوا الى وذلك انه رأى اخوته جميعا إلا أخاه لامه بنيامين وهو أصغر منه فأخذ فى استدراجهم حتى علم منهم حياته وانه عند أبيه لم يسمح بمفارقته فأعطاهم الطعام بلا ثمن فى الواقع ليأتوه بأخيهم دون ان يعلموا انه رد عليهم الثمن. فقالوا له سنراود عنه أباه وكان يوسف قد أكرمهم وأظهر لهم السماحة . وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم التى دفعوها ثمنا للطعام فى أوعيتهم فانهم يعودون بها الينا لانهم لا يقبلون ما ليس لهم . وقد جعل يوسف ذلك شركا لهم ليعودوا إليه

اخوة يوسف عند أبيهم

عاد اخوة يوسف الى أبيهم واخبروه ان (وزير التموين والتجارة) منعهم الشراء من الطعام حتى يأتوه بأخيهم لأبيهم فتذكر يعقوب قديم أمرهم بحديثه وعادته لوعته على يوسف . فقال لهم «هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل »

فتح اخوة يوسف متاعهم لاستخراج الطعام الذى أتوا به من مصر فوجدوا فضتهم بحالها لم تمس فكان ذلك مما شدد عزائمهم فى الكلام مع أبيهم وقالوا له يا أبانا مانبغي ؟ هذه بضاعتنا ردت الينا فاذا سمحت بأخينا يذهب معنا فأتنا نمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير وهو شيء يسير عندالملك الذى طلب أخانا

والظاهر أن القحط كان شديدا جعل يعقوب يسمح بسفر ابنه تحت شروط اشترطها على أولاده . فقال لهم لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنى به الا أن يحاط بكم . أى إلا أن تغلبوا على أمركم . فأعطوه موثقهم على الوفاء بما اشترطه . وحينئذ قال ــ الله على ما نقول وكيل . وأوصى بنيه أنهم اذا أتوا مصر لايدخلون من باب واحد بل يدخلون من أبواب متفرقة ــ ويقول المفسرون ان ذلك لخوفه عليهم من الحسد . والذى أميل إليه ان ذلك كان منه لئلا يلفتوا نظر الناس إليهم . وذلك يدعو الى التحدث بشأنهم والحدس فى مقصدهم . فيظن بهم أنهم جواسيس أو رواد لمن وراءهم ممن يريد الاغارة على البلاد من الاقوام التى عضها الجوع

وما كان من الأمر فقد عاد اخوة يوسف الى مصر فى طلب الميرة ولم يبق عند ابيهم أحد منهم ومعهم البضاعة التى ردت اليهم

هذا الموضع ذكر فى التوراة . وليس بينه وبين ما فى القرآن كبير اختلاف

فقد ذكر فى الاصحاح ٤٢ تكوين . ان اخوة يوسف لما جاءوا اليه تنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم من أين جئتم؟فقالوا من أرض كنعان لنشترى طعاما . فقال لهم أنكم جواسيس جئتم لتعرفوا أرضنا ومداخلها ومخارجها وعورتها . فقالوا له فى عرض تبرئتهم لانفسهم . أننا لسنا جواسيس . عبيدك اثنا عشر أخا بنو رجل واحد الصغير منا عند ابينا وواحد مفقود. اى ولا يعقل ان عشرة من الرجال هم اخوة لاب واحد يكونون جواسيس . فاظهر انه يريد منهم البراءة من الجاسوسية . ولا دليل على براءتهم الا ان يأتوه بأخيهم الصغير وحبسهم ثلاثة أيام وفى اليوم الثالث اتى بهم وقال لهم . انى خائف الله فى امركم فان كنتم امناء ولستم جواسيس فليحبس واحد منكم . وانطلقوا انتم وخذوا قمحا لامساك رمق اهليكم واحضروا اخاكم الصغير الى لاعلم صدقكم

وكان أخوة يوسف تذكروا حرج مركزهم امام وزير التموين والتجارة وما هم فيه من الضيق فعادوا باللوم على انفسهم إذ رأوا اخاهم يوسف وهو فى حال شدة حين هموا بقتله ثم القوه فى الجب وهو يستغيث بهم فلم يغيثوه فندموا . وايقنوا ان هذا الموقف الذى وقفوه جزاء من الله تعالى لهم على قسوتهم على اخيهم وقال بعضهم لبعض (حقا اننا مدينون الى اخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع لذلك جاءت علينا هذه الضيقة. فقال لهم رأوبين (الم اكلمكم قائلا لا تأثموا بالولد وانتم لم تسمعوا فهو ذا دمه يطاب) ولم يكن القوم يعلمون ان يوسف فاهم لحوارهم لانه انما كان يكلمهم بواسطة ترجمان فتحول يوسف عنهم وبكى ثم امر ان تملأ أوعيتهم قمحا وترد فضة كل واحد منهم الى عدله وان يعطوا زادا للطريق فرأى واحد منهم فضته فى عدله فتكدروا وخافوا وكان يوسف قد استبقى شمعون عنده رهنا على وفائهم . ولما عادوا الى ابيهم واوقفوه على حقيقة امرهم نفر من هذا الامر فقال اعدمتموني يوسف فهو

مفقود . وشمعون (الذى تركوه فى مصر) مفقود وتأخذون بنيامين فان حصل له امر فى الطريق اهلك من الحزن . فقال له رأوبين سلمه لى ارده اليك فان لم افعل فاقتل ابنى فابى ص ٤٣ ولما اشتد الجوع طلب يعقوب الى بنيه ان يذهبوا لارض مصر ويبتاعوا منها طعاما . فقال يهوذا له . ان الرجل قد اشهد علينا قائلا . لا ترون وجهى بدون ان يكون اخوكم معكم . فلامهم على اخبارهم اياه بان لهم أخا تخلف فقالوا عذرنا ان الرجل اتهمنا بالجاسوسية وسالنا هل ابوكم حى هل لكم أخ ؟ وما كانوا يحسبون انه سيطلبه منهم والح يهوذا على ابيه وضمنه له فسمح بذلك . وامرهم ان يأخذوا هدية للرجل الذى يبيعهم الطعام تكون من البلسان والعسل والكثيراء واللاذن واللوز والفستق . ويردوا له الفضة ويأخذوا فضة اخرى ثمنا للطعام الجديد .

نزل اخوة يوسف بعد ذلك الى مصر فلما رأى يوسف اخوته ومعهم بنيامين أمر غلمانه باضافتهم وان يذبحوا لهم ويهيئوا طعاما لاكله معهم وقت الظهر

ولما فعل رجال يوسف ما أمروا به جاءوا باخوة يوسف الى بيته فلما علموا انهم داخلون الى البيت خافوا على انفسهم وقالوا فيما يناجى به بعضهم بعضا ان ادخالنا الى البيت انما هو بسبب الفضة التى وجدناها فى اعدالنا وانه سيهجم علينا ويأخذ حميرنا ويجعلنا عبيدا له فكلموا خادما من خدم يوسف وقصوا عليه قصتهم ورجوع الفضة معهم وهم لا يعلمون وانهم عادوا بها وبفضة اخرى لشراء القمح . فهدأ الرجل روعهم . وادخل اليهم اخاهم شمعون الذى كان رهينة فى يد يوسف وادخلهم الى دار يوسف للغداء — ولما جاء يوسف وقت الغداء قدموا اليه الهدايا ونظر الى بنيامين وقال . أهذا أخوكم الصغير الذى قلتم لى عنه . ودعا قائلا الله ينعم عليك يابنى ولم يطق يوسف الجلوس معهم لما حضره من الحنين الى أخيه . فذهب الى مكان منفرد وبكى ثم عاد وسألهم عن

أبيهم وسلامته . ثم قدم إليهم الطعام وأكل هو وحده والمصريون وحدهم. لأن المصريين يعتبرون الأكل مع العبرانيين نجاسة. ولعل عدم أكله مع اخوته لئلا ينتقد المصريون عليه ذلك وقد أجلس اخوته بحسب ترتيبهم فى السن فبهتوا لأن عمله صادف الواقع الذى يعرفونه . واغدق على بنيامين الطعام اه

حيلة يوسف فى ابقاء بينامين عنده

أمر يوسف بتجهيز اخوته فملئوا لهم الاعدال طعاما وأمر أن توضع فضه كل واحد فى عدله . وان توضع طاس فى عدل الصغير وهى الطاسة التى كان يشرب فيها فساروا غير بعيد فلم يفجأهم الا وكيل يوسف يناديهم ويوبخهم على ماصنعوا وانهم قابلوا الاحسان بالكفر . وأنهم سرقوا سقاية الملك (يوسف) فأظهروا البراءة من هذا العمل . وقالوا من وجدت سقاية الملك فى رحله يؤخذ عبدا للملك . ففتش أعدالهم مبتدئا بالكبير منتهيا بالصغير فوجد السقاية فى عدل بنيامين فرجعوا الى المدينة ودخلوا على يوسف مستعطفين مسترحمين ولامهم يوسف على ماصنعوا فراودوه على ان يأخذ احدهم عبدا مكان اخيهم فأبى وقال ان الذى وجد الطاس فى رحله يستعبد لى واما انتم فاذهبوا الى بلادكم وابى يوسف بعد الاستعطاف وبيانهم ان اباه متعلق به وانه سلوته عن اخيه المفقود ان يطلقه فقالوا بحضرة يوسف وقد ملئوا غيظا على بنيامين لما أوقعهم فيه من الورطة. ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم وقال لهم انتم شر مكانا من هذا السارق والله اعلم بما تصفون. وكانوا يعنون يوسف ذلك ان امه ماتت وهو صغير فكفلته عمته وتعلقت نفسها به فلما اشتد قليلا اراد ابوه ان يأخذه منها فضنت به والبسته منطقة لابراهيم كانت عندها وجعلتها تحت ثيابه ثم اظهرت انها سرقت منها وبحثت عنها حتى اخرجتها من تحت ثياب يوسف وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدة جزاء له بما صنع وبهذه الحيلة استبقته عندها

وكف أبوه عن مطالبتها به

يئس اخوة يوسف من أخذ أخيهم بطريق المبادلة فقال كبيرهم (رأوبين) ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله يرد أخيكم . ومن قبل ذلك كان تفريطكم فى يوسف وعلى ذلك لن ابرح الارض (مصر) حتى يأذن لى أبى فى القدوم أو يحكم الله فى شأنى . وهو خير الحاكمين . وأشار عليهم بالرجوع الى أبيهم واخباره بما كان من أمر أخيهم ومن الملك (يوسف) وان ابنه صار عبدا للملك بسبب سرقته طاسه . وان ظهور السرقة كان عن ملأ منهم ومن أهل العير التى كانوا فيها وانهم صادقون فيما أخبروا به

عاد أخوة يوسف عدا أكبرهم وأصغرهم الى أبيهم واخبروه بالأمر على جليته فلم يدخل عليه هذا القول . وأحاله على أمر دبروه له كما دبروا لأخيه من قبل وزاد به الحزن حتى ابيضت عيناه من الحزن وعاوده من الوجد على يوسف ما عاوده فقال. يا أسفا على يوسف فلامه أولاده على ذكر يوسف وقد انقضى أمره . ثم أن يعقوب رد أولاده الذين وردوا عليه الى مصر ليشتروا طعاما ويتحسسوا له شأن يوسف وأخيه . وأمرهم بعدم اليأس من روح الله فان ذلك شأن الكفار . فذهبوا كما أمرهم أبوهم

اقرءوا قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون . قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون. قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم . قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين . قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين . قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه . كذلك نجزى الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم . قالوا ان

يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا ياأيها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا أن اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله . ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين . ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم . وتولى عنهم وقال يا اسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتي تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيئسوا من روح الله . انه لاييئس من روح الله إلا القوم الكافرون)

من المقارنة بين هذا الموقف من القصة فى القرآن وبينه فى التوراة نجد الخلاف قليلا . فان القرآن يجعل اخذ الموثق على جميع أولاد اسرائيل العشرة والتوراة تجعله على يهوذا خاصة ولعله كان متكلما عنهم وكلمته كلمتهم وعهده عهدهم . والقرآن يذكر ان يوسف آوى اليه اخاه وقال اني انا اخوك والتوراة تجعل يوسف مجهولا من بنيامين الى ان اخبرهم جميعا بانه أخوهم بعد ذكر قصة الطاس . والقرآن ذكر قولهم (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) والتوراة لم تذكرها والقرآن يذكر عودة اخوة يوسف الى ابيهم واخباره بان ابنه قد سرق واستعبد فى مصر والتوراة لم تذكره

يوسف يتعرف الى اخوته

جاء اخوة يوسف اليه وقالوا يا أيها العزيزمسنا واهلنا الضر (من الجوع) وجئنا ببضاعةمزجاة (لقلتها) فأوف لنا الكيل (وان كان الثمن لا يوجب ذلك) وتصدق علينا (باطلاق اخينا من عبوديتك) ان الله يجزى المتصدقين . فقال لهم يوسف مذكرا بما كان منهم من الاساءة هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون اذ فرقتم بينهما والهبتم صدورهما بنارالبعد (قالواائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا أنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تا لله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم اجمعين)

فلما فصلت عيرهم من مصر كانت نفس يعقوب مستشرفة لتغيير ما به من حال ولم يدب اليأس الى نفسه بل هو يتوقع الفرج بلقاء يوسف الذى طال حزنه عليه فقال لمن حوله من جماعته انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون لاخبرتكم بأنى أتوقع لقاءه . فقالوا له تالله انك لفى ضلالك القديم أى خطئك القديم فى اعتقادك أن يوسف باق الى اليوم . ولم يطل به الانتظار حتى جاء البشير الى يعقوب بسلامة يوسف وأخيه والقى قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا وقرت عينه . وبشر نفسه باللقاء فقال للاحين له . ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون . ولا بد أن يعقوب لم يقل هذا القول الا وقد أعلمه الله بحياة يوسف وانه سيلاقيه

شد يعقوب وآله اجمعون رحالهم الى مصر . فلما جاءوا اليها دخلوا على

يوسف فآوى اليه أبويه أى يعقوب وزوجه خالة يوسف لأن امه كانت قد ماتت وهو صغير وسجد له أبوه وأمه واخوته الاحد عشر وقال لابيه ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجعلنى على خزائن الارض بيدى الحل والعقد والىّ الأمر والنهى وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى وهذا كله من لطف الله بى وبكم ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم

فى هذا الموقف الباهر والاكرام العظيم الذي أكرم الله به يوسف بعد ملاقاة الاهوال التى يلين لها الحجر الصلد من ائتمار اخوته به فلطمه ولكه واكزه . فسلبه ثيابه . فالقائه فى الجب عاريا فريدا لاأنيس ولا معين فاخراجه وبيعه بيع الرقيق فى مصر فمحنته بامرأة العزيز تدبر له الكيد وتمعن فى الاساءة إليه جزاء له على تفويته غايات سافلة لها فسجنه السنين الطوال كل ذلك وهو مستمسك بدينه وشرفه وكرامته ووفائه وذمته دائب على الدعاء الى الله فخروجه من السجن فتوليته على خزائن الارض فقدوم اخوته مستجدين حنانه وهم لايعرفونه فمداعبته اياهم فقدوم والده إليه بعد أن ابيضت عيناه من الحزن عليه وعلى اخيه ولم يزل بياضها الا بالقاءة قيص يوسف عليه وسجود أبيه وأمه واخوته له كل ذلك مر بمخيلة يوسف فجاء يشكر الله تعالى معلنا نعمته عليه وما منحه من علم وملك داعيا الله تعالى ان يتولاه فى الدنيا والآخرة وان يتوفاه مسلما أى مطيعا لله غير عاص ولا آثم وان يلحقه بالصالحين من آبائه الانبياء

اقرءوا (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين)

الاخلاق التى تستفاد من قصة يوسف واخوته

هذه القصة مورد غزير المادة لمن يريد ان يستنبط الاخلاق الفاضلة الطاهرة ويشرح الاستقامة على المبادى الحقة وأثرها فى النفس وموضع درس عميق فى علم النفس ــ ولا يكون العالم النفسى مسرفا اذا وضع فى الاخلاق وعلم النفس كتابا كبيرا وافيا مرجعه فيه سورة يوسف . وجعل احوال يوسف وما حصل منه وله موضع تطبيقها . وقبل ان الم الملمامة خفيفة بذلك اذكر مناقشة حصلت بين احد وزراء المعارف فى عهد الخديوى السابق وبين أحد المشايخ

ذلك ان الوزير كان من الذين تعلموا فى مصر التعليم الابتدائى والثانوى ثم ذهب الى اوروبا فكان نسخة صحيحة من التربية الفرنسية والتفكير الفرنسى

ذهب الوزير يفتش فى مدرسة المعلمين بالزقازيق ودخل عند شيخ يدرس الاخلاق فاعجبه تدريسه وانتهى الدرس فسأله الوزير من اى مرجع تستقى فقال . القرآن . فقال متهكما القرآن ؟ قرآن ايه ياخويا ؟ تعلمهم الاخلاق من (ولقد همت به وهم بها ـ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك) ؟ فقال له الشيخ ياسعادة الباشا ان هذه السورة التى لم تعجبك يمكننى ان استخرج منها امهات الفضائل والاخلاق فاستخرج منها العفة والفضيلة فى شاب فى ريعان شبابه محفوف بالمغريات وموجبات الصبوة فلم يكترث لذلك واستمسك بمبدئه وقد لقى الاهوال وعانى الصعوبات فى سبيل استمساكه بالفضيلة فلم يغير مبدأه السجن والاذلال مع انه لو أجاب لكان منعما مرفها منظورا اليه بعين الاكبار وان الاستمساك بالدين اصل لكل فضيلة فاستمساكه بدينه جعله يستهين بالاخطار . وان الحق وان استتر زمنا بثوب من التضليل لابد أن يظهر ولو بعد حين ـــ ولما انتهى الشيخ الى هذا الحد قال له الباشا سى الشيخ امسح وانا امسح ـ وهأنذا أبين بعضا مما يعن لى

(١) ان طيب الاصل اذا آزره طيب البيئة ووجد الانسان فى تلكم البيئة زمنا كافيا فان ذلك يجعله على أكمل الاوصاف وأروع الخصال ويصيره خيرا لاشرفيه والإحساس بالشرف عامل على الاستمساك بالفضيلة

هـذا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (وكل اذا عـد الرجال مقدم) قد غذى بدر النبوة وارتضع أفاويق الرسالة نشأه أبوه على التقوى ورشحه بالصلاح وتعهده بالاخلاق النبوية الـكريمة فنشأ أصلح نشأة وأحس من صغره بمجد آبائه وأجـداده وأبوه يذكره بأولئـكم الآباء الصـالحين المصطفين الاخيار ويمنيه أن يلحق بهم ويسير على قدمهم ـ انظروا حين قص يوسف على أبيه رؤياه ماذا قال له ؟ قال له (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق) والاصول عليها ينبت الشجر

أفعال من تلد الـكرام كريمة وفعال من تلد الاعاجم أعجم

وهكذا يكون الرجل الذي يرشح للنبوة . ويعده الله تعالى لنشر دينه (الله أعلم حيث يجعل رسالته)

(من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم)

(٢) ان يوسف عليه السلام قد شب على أكمل الاوصاف عاملا بما علم من آبائه وأجداده الانبياء صلوات الله عليهم فكفه عن اتباع الشهوات بل حصر فكره وعمله فى موجبات الفلاح ومايعقب رضا الله تعالى ـ لاجرم أن الله تعالى زاده علما على علمه وفتح بصيرته وجعله ذا فطنة ثاقبة وعلمه من تأويل الاحاديث فلا يأتيه أحد يقص عليه رؤياه الا أتاه بتأويلها على وجهه وذلك من شدة الملاحظة وثقوب الذهن ومعرفة موارد الامور ومصادرها مع عون الله تعالى له فان ذلك كله يوجب النفوذ الى بواطن الاشياء والتفطن للمناسبات

على وجه يجعل الظن يقينا وذلك هو الالمعية .

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

(٣) الايمان بالمبدأ يأتى من وراء كل بلاء فى سبيله . فهو يسهل على صاحبه ملاقاة الصعاب ومواجهة هوج العواصف النفسية والاخطار فى سبيل تأييد ذلك المبدأ الحق . انظروا الى يوسف وهو الفتى الغض الاهاب المشتعل جمرة الشباب (الذى يقولون أن الجنون شعبة منه) مع فراغه وارتفاع شأنه فى بيت سيده ومع الجدة التى هو فيها والغنى الوافر الذى يتقلب فى أعطافه ويرغد فى أكنافه ومعه فى البيت سيدة فى مثل حاله هى سيدته والحاكمة عليه فى بيئة كلها مغريات بأرضاء الشباب وشفاء غلة النفس تدعوه الى نفسها فيعرض وتلح عليه فيرفض ـ ارادت قسره على مافيه السعادة ظاهرا فأبى . ونازعته ثوبه فنبا . استمساكا بمبدأ العفاف والتقوى . وحذرا من أن يكون عار آبائه وأجداده الذين علم عنهم العزوف عن كل مايشينهم أو يخل بأوامر دينهم ونواهيه وحفاظا لسيده الذى أكرم مثواه وأحله محل الولد ـ ومقابلة النعمة بالكفران ليس من دأبه ولا دأب أسرته . وهى لاتصغى لعظة ولا تسمع لنصيحة ولا ترعوى عن غى . كل ذلك ينبئ عن نفس كريمة . وروح طاهرة . وعزيمة صماء لاتسمع رقى الغواية . ولا تجيب داعى الجهالة . وهذا من أخلاق أولى العزم المستضيئى البصائر . المؤمنين حق الايمان بالمبدأ الذى اعتقدوه

(٤) الالتجاء الى الله عند الابتلاء . لقد اعتمد يوسف على الله تعالى عند كل ضيقة . والتجأ اليه عند كل معضلة . فان النساء المصريات حين رأين يوسف وأكبرن حسنه وجماله . وبعد أن كن عاذلات لاحيات لامرأة العزيز عدن عاذرات وراودنه لها ولانفسهن وتوعدته امرأة العزيز قائلة (لئن لم يفعل

ماآمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) لجأ إلى ربه مستغيثا خائفا وجلا قائلا . (رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وألا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) . ففرج الله عنه مانزل به . وصرف عنه كيدهن وعملهن لموافقتهن على مايردن من الفاحشة . بأن أبعده عنهن بالسجن وهو أهون الشرين على يوسف

(ه) عشق يوسف لدينه والدعوة اليه . ان المؤمن بمبدأ من المبادئ حق الايمان . لايترك فرصة تمر دون أن يدعو الى مبدئه الذى تغلغل فى أعماق نفسه ويبشر به . فان يوسف اهتبل فرصة احتياج رئيس الخبازين ورئيس السقاة إليه فى تعبير رؤيا كل منهما . فأخذ يدعوهما الى دينه بعدان أبان لهما قدرته على تعبير كل رؤيا . ولو كانت الرؤيا عن طعام برزقانه . لنبأهما بتأويلها قبل أن يأتيهما ذلك الطعام

وماذا يعيب المرء فى مدح نفسه   اذا لم يكن فى قوله بكذوب

ثم أخذ يبين لهما ان ذلك من تعليم أله . ومجانبته ملة الاقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . واتباعه ملة ابراهيم واسحق ويعقوب . ثم أخذ يبين شناعة ماعليه أهل مصر من تعديد الآلهة . وتكثير الأرباب . وان دينه دين التوحيد هو الدين القيم ولكن الناس فى غفلة عنه .

اقرءوا قوله تعالى (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما . ذلكما مما علمني ربي . انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب . ماكان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ياصاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان أن الحكم الا لله أمر

ألا تعبدوا الا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون)

فينبغى لكل واحد منكم ان يكون نهازا للفرص لبث عظاته ونصائحه وارشاده فى أنفس الناس واذا لم تعرض له فرصة خلقها

(٦) رزانة يوسف ومحافظته على شرفه.

ان أحدا سوى يوسف اذا كان مظلوما أو غير مظلوم وجاءه أمر الافراج والخروج من السجن . لابد أن يبادر إلى الخروج منه ويغتبط بذلك أيما اغتباط . ولكن يوسف كان عنده خلق الاباء والشمم . شرف نفسه وطهارتها آثر لديه من الخروج من السجن . فلم يشأ أن يقال عنه مجرم سر منه الملك فعفا عن جريمته وأخرجه من السجن . بل أبى أن يخرج الا بعد أن يثبت أنه برىء الساحة نقى الصحيفة . فأرسل الى الملك يبسط ظلامته ويطلب اليه اعادة التحقيق فى جريمته . فلما أجرى الملك التحقيق على وجهه وظهرت براءته رضى بالخروج من السجن مرفوع الرأس نقى الصحيفة . والشمم والاباء يحملان المتصف بهما على مجانبة كل ما يمس شرفه أو يدنس نفسه ـ ذلك أن نفس الانسان أعز الاشياء عليه وآثرها لديه . فهو يحب نفسه حبا جما . ويقول بعض العلماء أن الانسان لايحب أصدقاءه وخلانه الا لانه يجد فيهم لذة نفسه . يرتاح اليهم ويجد سلوته بالقرب منهم فمحبة الاحياء أثر من آثار محبة المرء لنفسه . وإذا كانت نفس الانسان عنده بهذه المنزلة من المحبة والاكبار والاعظام . لاجرم أن غرامه بنفسه يدعوه إذا كان من أهل الكرامة الى ان يطهرها من الادناس ويحرص الحرص كله على أن تكون صفحة حياتها متلألئة لامعة لايشوبها شىء من النقائص والخسائس

هكذا كان يوسف عليه السلام . وهذا هو الذى حمله على الاباء من مزايلة السجن الى أن تنجلى عن ساحة شرفه تلك الغمامة التى كانت مخيمة على صفحة

كبيرة من صفحات حياته فلما انجلت خرج من السجن خروج السيف جلاه صيقله

(٧) خلق الصبر ـ كان يوسف عليه السلام متحليا بفضيلة الصبر ـ والصبر من أعظم الفضائل وأجلها قدرا ـ ذكر فى القرآن الكريم فى نيف وسبعين موضعا وقد رتب الله كثيرا من الخيرات والدرجات العالية على تحلى الانسان بفضيلة الصبر حيث لم يجعل له جزاء محدودا ومكافأة معينة . بل جعله منوطا بكرمه الواسع . وجوده العميم بغير وزن ولا معيار . مع انه حدد لكل مزية جزاء معينا .

اقرءوا قوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ـ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ـ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ـ واصبروا الخ ـ بلى أن تصبروا وتتقوا الخ ـ وبشر الصابرين الى المهتدون . وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحه

الصبر هو حبس النفس على ما تكره وهو من خواص الانسان التى تميز بها عن سائر الحيوان فان البهائم لا تحبس نفسها عن شهوة من الشهوات كالغذاء وغيره ولا تنظر فى عواقب شىء من مشتهياتها بل هى تنظر شهوتها الحاضرة فقط ولا تحبس نفسها عنها أصلا . والصبر له أسماء تتجدد بالاضافة الى ماعنه الصبر . فأن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمى عفة . وأن كان على احتمال مكروه . فإن كان فى مصيبة سمى صبرا وضده الجزع والهلع وذلك بأن يسترسل فى ضرب الخدود وشق الجيوب وأن كان الصبر فى احتمال الغنى بأن يجاوره بالشكر سمى ضبط نفس . ويضاده البطر . وان كان الصبر فى الحروب وملاقاة الاهوال . سمى شجاعة . ويضادها الجبن . وان كان الصبر عند موجبات

الغضب . سمى حلما ويضاده التذمر . وان كان الصبر عند نائبة مضجرة من نوائب الزمان . سمى سعة صدر ويضاده الضجر وضيق الصدر . وان كان الصبر باخفاء كلام يسوء غيره ظهوره سمى كتمان سر . وان كان الصبر على القدر اليسير من الحظوظ سمى قناعة . وان كان الصبر عن فضول العيش بان اقتصر على أقل القوت سمى زهدا .

اقرءوا هذه الآية الجامعة لكثير من أنواع الصبر(والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)

لقد ضرب يوسف للناس المثل الأعلى فى كثير من أنواع الصبر (١) صبر على أيذاء اخوته له . وتجريدهم اياه من ثوبه . ولطمه ولكزه وألقائه فى الجب بقصد اهلاكه (٢) صبر على استرقاقه وبيعه بيع الرقيق فى بلاد غير بلاده وفى قوم يباينونه فى اللغة . فى الدين . فى الاخلاق . فى الادب . لا بل صبر على أعظم من هذا حيث اعتبروه شريرا جانيا . اذ باعه ملتقطوه بأبخس الأثمان .

قال تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)

(٣) صبر على نعمة الله فجاورها بالشكر وجانب البطر حين تمكن فى بيت سيده وصار صاحب الامر والنهى . فلم يسىء استعمال المال بصرفه على الشهوات بل شكر لله ولسيده . ولم يدخر لنفسه من ذلك الغنى ولم ينل منه الا حاجته وكف عن الفضول فكان قانعا (٤) صبر عن شهوة الفرج وقد هيئت له فى جيش من المغريات تحف به من كل ناحية . فالطالبة سيدته وربة نعمته . مع ماهى عليه من جمال ورفاغة ورغبة فيه . وهو شاب ماطر شاربه فى أبان فيضه الحيوى . وأوان التهاب جذوة الشهوة واحتشاد الدواعى الطبيعية . وانتظار الآمال والامانى الجسام له إذا لبى . فلم يخرج من بين أولئك المغريات الا الى

العفة متوجا بتاج الصبر عن الشهوات واسقط منازعة دواعى الهوى . وقهرها لباعث الدين وكرم النفس والحفاظ والوفاء . ونصر جند الرحمن على جند الشيطان .

أهان الهوى حتى تجنبه الهوى   كما اجتنب الجانى الدم الطالب الدما

(٥) مسته الضراء والتى فى غيابة السجن فخالف الصبر الجميل . وسعة الصدر

(٦) خرج من السجن ومكن الله له فى الارض وجعله على خزائنها وصار أهل القطر المصري فى وثاقه . والنفوس بين حبسه واطلاقه . وعزرائيل بين شفتيه وكلمته فيها الحياة الطيبة أو الموت الزؤام . وجاء اخوته يمتارون وهم ثأره والذين أبدعوا به واودعوا عنده اساءتهم سلفا . فلم يجز شرهم بمثله . بل صبر وغفر . ولما قالوا له أئنك لأنت يوسف ؟ قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين . فأظهروا ندمهم واعترفوا بخطيئتهم قائلين (تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين) فأسبل ذيل عفوه على اساءتهم . وأجرهم رسن التجاوز وقال لهم (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)

هذا قليل من كثير من المشاهد الصالحات والمواقف الكريمة التى تشهد ليوسف انه رجل برع الرجال بصفاته الكريمة . وضرب الامثال العالية باخلاقه الطاهرة وحكمته (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب)

فضيلة الشكر

كان يوسف متحليا بفضيلة الشكر . والشكر من أخلاق الربوبية قال تعالى (والله شكور حليم) والشكر هو معرفة النعمة الحاصلة من المنعم والفرح بها والقيام

بمقصود المنعم والعمل بما يحبه ـ وهذا الخلق عزيز فى الناس . اقرءوا قول الله حكاية عن ابليس (لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) . وهذا وان كان قولا لابليس ولكن الله تعالى صدقه فى قوله (وقليل من عبادى الشكور) وقد أمر الله به فقال .(فاذكروني اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون). وقال تعالى(مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم). وقد استثنى الله تعالى فى خمسة أشياء ولم يستثن فى الشكر . فاستثنى فى الاغناء . وفى الاجابة . وفى الرزق . وفى المغفرة . وفى التوبة . فقال «فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء» . « فيكشف ماتدعون إليه إن شاء» . « ويرزق من يشاء بغير حساب . » «ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» . «ويتوب الله على من يشاء »-وأما الشكر فقال فيه « لئن شكرتم لازيدنكم . » ولم يستثن

وهذا يوسف يتحدث بنعم الله تعالى عليه وعلى آله وهو من الشكر . فانه لما جاء أبواه رفعهما على العرش وخر له أبواه واخوته سجدا . فقال . « ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بي اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » وكان ختام قصته قوله « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين »

العظة البالغة

انكم ترون أن يوسف قد تقلب فى الحالين بؤس ورخاء وتداولته أيدي ريحين زعزع ورخاء وهو كالذهب الابريز لايزيد على التقلب فى النار الاصفاء

أو كالياقوت لاتؤثر فيه النيران . فبينما هو فى كنف أب يؤثره بالكرامة . ويحوطه بالمحبة . ويخاف عليه من الليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . اذا هو فى يد اخوته يسلفونه الاهانة والمذلة ويضربونه ظالمين ويلقونه فى غيابة الجب غير نادمين . وبينما هو على هذه الحال اذا هو يشم نسيم الحياة من جديد . ولكنها حياة الرق والعبودية . ثم انتقل الى عبودية هى أشبه بالحرية اذ صار رئيس العبيد والخدم فى بيت سيده . وبينما هو فى هذه النعمة التى يغبطه عليها كثير من الاحرار . اذا هو فى غيابة السجن بلا ذنب اقترف . ولا جرم اجترح . وبينما هو فى هذه الحال . اذا هو فى السجن مبشر دينى يدعو الى عبادة الله . ويصد الناس عن كل ماسواه من الارباب المتفرقين . واذا هو يقسم الحظوظ ويخبر بالاشياء الغائبة . ثم ترقت به الحال الى أن صار معبر منام الملك ونذيره بقحط عقب رخاء يعم كل منهما البلاد فصيره على خزائن الارض واصطفاه لنفسه واستخلصه لمملكته فصار قسيم الملك وكافل المملكة المصرية . وعليه اعاشة مصر والبلاد القريبة منها فهو وزير التموين

وبينما هو على هذه الحال لا ينقصه إلا أن يشاهد أباه وأمه (خالته) اذا هو باخوته قد وقعوا فى شركه فداعبهم أجمل مداعبة وعبث بهم عبثا كله جد واحتال عليهم حتى أتوه بأخيه لأمه وأبيه ثم أتوه بأهلهم اجمعين . وهو فى كل هذه الاطوار المختلفة مستمسك بأكمل الخصال وجميل الاخلاق

وان امرأ دامت مواثيق عهده   على مثل هـذا انه لـكريم

فهذه القصة الجميلة عبرة وعظة بالغة لاتلمح العبرة منها عين كل ناظر اليها ولا ينفذ إلى لبابها كل قارىء لها . ولـكنها كما قال تعالى . « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »

بنو اسرائيل بمصر

لم ينزل فى الكتاب الكريم شىء عن بنى اسرائيل واسرائيل بمصر إلى عهد ولادة موسى . ولكن التوراة ذكرت أن يعقوب وبنيه لما أقاموا فى مصر خيرهم فرعون فى الأرض التى ينزلون بها . فقالوا (بناء على تعليم يوسف لهم) انهم رعاة ماشية . وطلب يوسف الى فرعون أن يسكنهم أرض جاسان ويقول العلماء أنها نواحى الصالحية . وكانت العلة فى طلب يوسف ذلك لهم أنها أرض مراع وهم رعاة ماشية . ويلوح لى أنه انما عمل ذلك ليبعدهم عن مخالطة المصريين بقدر الامكان حتى يكونوا بمنجاة من وثنيتهم حرصا منه على بقاء ذراريهم على التوحيد وذلك أن المصريين كانوا يقذرون الرعاة ولا يخالطونهم لان ذلك نجاسة لديهم

وتقول التوراة فى الآية ١١ من الاصحاح ٤٧ تكوين فاسكن يوسف أباه واخوته وأعطاهم ملكا فى مصر فى أفضل الأرض فى أرض رعمسيس كما أمر فرعون ١٢ وعال يوسف أباه وأخوته وكل بيت أبيه ورتب الطعام على حسب الأولاد

وتذكر أن يوسف اشترى من المصريين مواشيهم وكل ما يملكون من الارضين لفرعون فى نظير ما أعطاهم من الطعام حين اشتد الجوع فى الارض ثم اشترى منهم أنفسهم فصاروا عبيدا لفرعون بطعام بطونهم . ونقل الناس الى المدن لانهم لاخير لهم فى البقاء بداخلية البلاد . إذ لازرع ولا ضرع أما أرض جاسان أو رعمسيس التى نزلوا بها فلم أعرف مكانها بالضبط والاقرب أنها فى الصالحية كما يقول العلماء

وفاة يعقوب

وقد عاش يعقوب سبعا واربعين ومائة سنة . ومات على رأس سبع عشرة سنة من قدومه إلى مصر . وبارك ابنى يوسف (افرايم ومنسى) ودعا لهما . وجعلهما صاحبي نصيبين كأولاد يعقوب الصلبيين فى الأرض المقدسة التى يملكها بنو اسرائيل . وهى أرض فلسطين ودعا أولاده وباركهم وتنبأ لهم بما سيلاقى كل واحدمنهم ونسله اجمالا . وأوصاهم بالاستمساك بالدين (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله أبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون) . وقد مات يعقوب بعد ما أوصى أن يدفن عند ابيه وجده فأمر يوسف الاطباء بتحنيطه فحنطوه وحمل إلى فلسطين ودفن هناك كما أوصى أما اخوة يوسف فوقعوا على قدميه تائبين نائبين مستغفرين لسابق ذنبهم ضارعين خائفين ان يمسك يوسف عنهم سيب بره ويزوى عنهم وجه بشاشته بعد ان كان يكرمهم. مقدرين انه ما كان يكرمهم الا بسبب وجود أبيهم وقالوا له. ان أبانا أوصانا ان نبلغك ان تصفح عن اساءتنا اليك وبخعوا له بأنفسهم بالعبودية فبكى يوسف وسكن روعهم وعرفهم مافى اساءتهم من الخير لشعوب الأرض وان الله فعل ذلك رحمة بعباده وعاش يوسف الى أن بلغت سنه عشرا ومائة سنة فحنطوه ووضعوه فى تابوت وبقى محفوظا الى ان أخذه بنو اسرائيل فى خروجهم من مصر

وقد رأيت فى الحرم الخليلى بحبرون أحد التوابيت الموضوعة على مغارة المكفيلة وهى مدفن ابراهيم وسارة ورفقة واسحاق ويعقوب . وأهل البلاد يقولون أنه تابوت يوسف وانه دفن فى المغارة واحسب ذلك منهم وهما لأن يوسف دفن فى أرض افرايم كما تقول التوراة وحبرون من أرض يهوذا

ثم ماذا

ثم ضرب الدهر ضرباته وجاءت الاسرةالثامنةعشرة المصريةوطردوا ملوك الرعاة الذين كانوا فى مصر وشغلوا من تاريخها نحو أربعة قرون .من الأسرة الرابعة عشرة الى الأسرة الثامنة عشرة وجاء أحمس رأس تلكالأسرةوطرد الرعاة ومزقهم كل ممزق وشردهم كل مشرد وبنو اسرائيل فى أمكنتهم وكان بين ورودهم الى مصر وخروجهم منها على يد موسى خمس عشرة سنة ومائتا سنة علىماسنذكر

جاء ملك لمصر لايعرف يوسف ولا فضله على مصر وغيرها . ورأى بنى اسرائيل يكثرون. فخاف أن يكونوا إلباً (أى قوة وحزبا)لأعداء أهل مصر فأراد أن يقتل كل ذكر من أولادهم حتى لايكثر عددهم ويكون منهم مايحذر على مصر والمصريين . فأمر قابلتى المصريين وكان اسم أحداهما (شفرة)والثانية (فوعة) بقتل كل ذكر تلده عبرانية . وأما البنت فتبقى فلم تفعلاما أمرتا به . ولما سألها قالتا له إن العبرانيات قويات . فهن يلدن قبل أن تأتى القابلة وكان ذلك الملك أمر باذلال العبرانيين وتستخيرهم فى عمل اللبن والبناء وغير ذلك من الاعمال الشاقة ووكل بهم من يتبعهم حتى لايجدوا مس الراحة رجاء أن يقلل ذلك من نسلهم فلم يفد ذلك فرعون وآله فائدة . لان العبرانيات كن يحملن كثيرا ثم أمر فرعون جنوده والمتدخلين فى الاعمال أن يلقوا كلذكر من أولاد العبرانيين فى النهر ليموت ـ هذا ماذكرته التوراة وهو عين ماذكر فى القرآن إلا فى تفاصيل جزئية ـ اقرءوا هذه الآيات

سورة القصص ـ نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون(٣)

ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ٤ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ٥ ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ٦

سورة البقرة — واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٤٩

سورة الاعراف — واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ١٤١

سورة ابراهيم واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٦

فأنتم ترون أن قتل الابناء واستحياء النساء بلاء لا يصبر عليه ذو عقل الا بمعونة الله وان الله سبحانه وتعالى انما كافأ بنى اسرائيل بنعمه الوافرة بما كان منهم من الصبر وان كانوا على أخلاق جافية وطباع شاذة فى نواح أخرى من نواحى سجاياهم من حيث ضجرهم بالخير يسدى إليهم . وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلها حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم كما سيأتى ومبادرتهم الى عبادة العجل بلا روية وذلك ان أجر الصبر عند الله تعالى عظيم

ولادة موسى وارضاعه

وتربيته فى بيت فرعون

فى أثناء تلك العاصفة الهوجاء التى مرت ببنى اسرائيل فى مصر والاهوال التى يلاقونها

كان رجل عبرانى يقال له عمران (عمرام بالعبرى) بن قاهت بن لاوى ابن يعقوب عليه السلام ـ قد تزوج من عمته يوكابد بنت لاوى كما هو مقتضى الآية ٢٠ من الاصحاح الثانى من سفر الخروج ونصها (وأخذ عمران يوكابد زوجة له فولدت له هارون وموسى) ومعلوم أن زواج العمات لم يكن قد نزل الأمر بتحريمه لان ذلك انما كان على يد موسى بعد خروج بنى اسرائيل من مصر ـ ولما ولدته خبأته عن عيون من يطلبون أطفال بنى اسرائيل لقتل ذكرانهم فكث عندها ثلاثة أشهر فلما خافت افتضاح امرها أعلمها الله تعالى وعلمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالحُمَّر(١) والزفت وتلقيه فى اليم ففعلت وناطت بأخته أن تتبع أثره وتعلم علمه وكان الله تعالى قد أعلمها أنه راده اليها وجاعله من المرسلين فلم تزل أخته تراقبه حتى علمت انه التقط وادخل دار فرعون وان عين زوجة فرعون وقعت عليه فألقى الله عليه محبتها فاستحيته وابقته ليكون قرة عينها وعين فرعون راجية أن ينفعهما أو يتخذاه ولدا وهذا تدبير من الله لموسى وأمه لأنه سيعودا اليها لتكون ظئرا له وتتقاضى على ارضاعه أجراً وهى آمنة كيد الكائدين وسعى الساعين

وكيفية اعطائها اياه لترضعه ان الله تعالى زهده فى المراضع فلم يقبل على ثدى

---

(١) الحمر بضم الحاء وتشديد الميم القطران

احداهن رحمة منه تعالى بأمه وكانت اخته تقص أثره وتتبعه أينما سير به حتى رأت أعراضه عن الثدى فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امرأة عبرانية ترضعه وتكفله وأنها تكون له ناصحة مشفقة تقوم له مقام الأم وكان اسم أخته مريم

صادف قول مريم من آل فرعون أذنا مصغية وبعثوها فى طلب الظئر فجاءت بأمها وأمه على التحقيق فأقبل على ثديها فألقوا اليها بموسى لترضعه وهو موضع عنايتهم اقرءوا هذه الآيات

سورة القصص ـ وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى أنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ٧ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ٨ وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ٩ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ١٠ وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ١١ وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ١٢ فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ١٣

سورة طه ـ ولقد مننا عليك مرة أخرى ٣٧ إذ أوحينا الى أمك ما يوحى ٣٨ أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى ٣٩ اذ تمشى اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن ٤٠

وقد ذكرت التوراة قصص ولادة موسى وارضاعه أولا ثم صنع سفط له وطلاءه بالحمر والزفت والقاءه بين الحلفاء على شاطىء النهر وان اخته وقفت لمراقبته وانه فى ذلك الوقت خرجت ابنة فرعون ومعها جواريها الى شاطىء

النهر وانها نزلت تغتسل فعثرت على السفط الذى فيه موسى . لانها رأته بين الحلفاء فأمرت جواريها فأتين به اليها فعلمت انه عبرانى وأحبته وللحال عرضت عليهم مريم أخت موسى أن تأتيهم بأمها لترضعه فبعثنها فى ذلك فعادت بها وناطوا بها ارضاع موسى وتربيته ، والقصة هناك ليس فيها اختلاف له شأن مع ماقصه القرآن الكريم غير أن القرآن يقول أن التى تبنته امرأة فرعون وما فى سفر الخروج يقول انها ابنته ولعل امرأته كانت واسطة بين بنته وأبيها وهى التى تولت تحسين امر استبقائه لفرعون فالخطب هين ـ وأمر آخر هو أن القرآن يذكر أن الله أمرها بالقاء التابوت فى اليم أى الماء وان الماء سيلقيه بالساحل والتوراة تذكر أنها وضعته بالساحل بدأة ذى بدء

تربية موسى فى بيت فرعون

طبعى أن تكون أم موسى بعد أن أتمت رضاعته قد أتت به الى بيت فرعون وتولى البلاط الفرعونى تربيته كما كانوا يربون أبناء الملوك فى ذلك العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد التى كانت لذلك البيت فى تلك الأيام وان يكون موسى قد تعلم تعليما راقيا ـ اقرءوا هذه الآية

سورة القصص ـ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ١٤

وقد ذكرت التوراه ان أم موسى ردته الى ابنة فرعون فاتخذته ولدا وأسمته موسى وقالت انى انتشلته من الماء ولفظ موسى فى العبرى (موشى) بأمالة حركة الشين الى الكسرة

خروج موسي من مصر

الى أرض مدين وسببه

شب موسى فى بيت فرعون. وكان أيدا قوى البأس وافر القوة ولم يخف عليه انه دخيل فى بيت فرعون وانه اسرائيلى من ذلك الشعب المضطهد من فرعون وآله. فكان ظهيرا للعبرانيين قومه — وقد جاء فى الطبرى انه من حين شب موسى وقوى كف عادية المصريين عن بنى اسرائيل — ومن الامور الطبيعية ان يعرف فيه بنو إسرائيل الظهير النصير. وان يلجأ اليه المظلومون منهم

خرج موسى يوما على حين غفلة من أهل المدينة فوجد رجلا مصريا يأخذ عبرانيا ليسخره فى بعض عمله فاستغاث العبرانى بموسى فجاء الى المصري على حال حرد ووكزه وكزة كانت القاضية. فواراه التراب ولم يعلم بذلك الامر سوى الرجل العبراني الذى نصره موسى وندم موسى على ما فعل وقال فى نفسه هذا الذى أتيت من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين، وضرع الى الله أن يتوب عليه وألا يجعله ظهيرا للمجرمين وناصر الاهل الشر فلما كان اليوم الثانى خرج الى المدينة وهو يخاف افتضاح فعلته التى فعل — وقد ذكر الطبري بسنده الى ابن عباس خبرا طويلا فى قصة ولادة موسى الى أن ذهب الى مدين جاء فيه ان المصريين لما عثروا على قتيل موسى ولم يعلموا له قاتلا سبق الى فكرهم أن بنى اسرائيل هم قاتلوه فقالوا لفرعون ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال ابغونى قاتله ومن يشهد

عليه لأنه لا يستقيم ان نقضى بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك .

فبينما هم يطوفون ولا يجدون . اذ مر موسى من الغد فوجد ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى وهو الذي من شيعته على الفرعونى الذى هو من عدوه فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذى رأى وغضب موسى . فمد يده وهو يريد ان يبطش بالفرعونى . وفى الوقت ذاته قال للاسرائيلى . « إنك لغوى مبين » قال فاذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونى فخاف الاسرائيلى ان يكون إياه أراد بعد ما قال له انك لغوى مبين. فحاجز الأسرائيلى الفرعونى وقال لموسى ياموسى . (أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس)؟ وانما قال له ذلك مخافة ان يكون موسى أياه أراد ليقتله . فانطلق الفرعونى فأخبر قومه . فرفعوا الامر الى فرعون بأن القاتل هو موسى فأرسل إليه الذباحين

فى ذلكم الوقت خالف رجل شريف من آل فرعون قومه وجاء الى موسى من أقصى المدينة مسرعا ليسبق الذين يطلبون موسى من طريق مختصر واعلمه علم القوم وما دبروا عليه . وذلك من فتون الله له . ونصح ذلك الرجل الشريف له ان ينجو بنفسه . ويفارق بلاد مصر حتى لا تمتد إليه أيديهم بسوء فقبل منه موسى هذه النصيحة الغالية . وذهب على وجهه يريد أرض مدين. وانما وصفت الرجل بالشرف لأمرين

الأول — ان من الامثال الجارية (الاطراف سكنى الاشراف) وذلك أنهم ينالون حاجاتهم من المدينة بفضل ما لهم من قوة وثروة . ويسعى اليهم أهل الحاجات بفضل ما لهم من جاه وعز

الثانى — إن الله عبر عن نصيحته بقوله لموسى (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) والملأ القوم يملأون عين من يراهم مهابة وروعة ولا يطلع على أسرار الملأ إلا

من كان منهم ولا يقف على مايبيتون الا من كان من طبقتهم ولا يحجبون عنه سرهم . ومثل هذا لايكون الا من أشرافهم وعليتهم

اقرءوا هذه الآيات - سورة القصص . ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ١٥ قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له انه هو الغفور الرحيم ١٦ قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين ١٧ فأصبح فى المدينة خائفاً يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين ١٨ فلما ان أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين ١٩ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين ٢٠ فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ٢١

سورة طه . وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا

ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى من الآية ١١ الى آخر الآية ١٥ من الاصحاح الثانى سفر الخروج وهى لاتختلف عما فى القرآن فى شىء جوهرى. غاية الامر أنها ذكرت ان الخصمين فى اليوم الثانى كانا عبرانيين وأن موسى قال للمذنب منهما . لم تضرب صاحبك ؟ فقال له من جعلك رئيسا وقاضيا علينا أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى. وعبارة القرآن تشير الى أن أحد الرجلين صاحبه الذى نصره بالامس عبرانى من شيعة موسى والثانى مصرى عدو لهما ولم تذكر التوراة ان رجلا جاء من أقصى المدينة يسعى وانبأه ان الملأ يأتمرون به وأشار عليه بالخروج

ارض مدين ونزول موسى بها

هي بلاد واقعة شرقي شبه جزيرة سيناوخليج العقبةوشمال الحجازوجنوب فلسطين تنسب الى مدين (وتقول التوراة مديان) بن ابراهيم عليه السلام سميت القبيلة باسمه وكانوا شاوية . وفى الطبرى عن سعيد بن جبيران مابين مصر ومدين ثمان ليال وكانت مدين هى البلاد التى وقع اختيار موسى على قصدها . والنزول بها . ولعله راعى صلة القرابة بين مديان بن ابراهيم واسحاق ابن ابراهيم الذى من ذريته موسى

وظاهر أن موسى خرج من مصر على عجل . فلم يتزود للطريق . ولم يعد للسفر عدته . معتمدا على الله فى هدايته الى السبيل السوى . فلم يكن فى قافلة أو رفقة فى ذلك السفر الشاق . لان من يطلب النجاة بخيط رقبته . لا يمكن أن يروى فى أمره أو يعد لسفره عدته . وفى الطبرى عن سعيد بن جبيران موسى لم يكن له طعام سوى ورق الشجر . وانه خرج حافيا فما وصل الى مدين حتى وقع خف قدمه أى أن الجلدة الملاصقة للأرض من قدمه قد أضربها السير الحثيث المتواصل حتى سقطت . وعن ابن عباس أنه ورد ماء مدين وان خضرة البقل لتتراءى من بطنه من الهزال

ورد موسى ماء مدين فماذا رأى ؟

ورد الماء فوجد عليه جماعات كثيرة من الناس يسقون ماشيتهم . ووجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما عن الورد وتحبسانها بعيدا عن الحوض انتظارا لأن يسقى أولو القوة من الرعاة ماشيتهم . حتى اذا فرغوا من حاجتهم جاءتا واستقتا لماشيتهما . وفى الطبرى أنهما كانتا تسقيان من فضول الحياض . ومما لا خفاء به أن التقدم فى ورود الماء لسقى الماشية انما يكون لأولى القوة . وأما أهل الضعف

فظهم التأخر حتى اذا لم يبق وارد ولا صادر سواهم أوردوا ماشيتهم. انظروا إلى قول الشاعر

اذا الله جازى قوم سوء بفعلهم فجازى بنى العجلان رهط بن مقبل
أولئك قوم لم يكونوا أعزة ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الوراد عن كل منهل

يريد أنهم لضعف قوتهم وذلتهم يتأخرون عن الناس فى ورود الماء . حتى اذا صدر الوراد ولم تبق لاحد حاجة الى الماء . أوردوا . وانما يطلب أهل القوة والعزة الورود أولا . لان الماء فى هذه الحال يكون صافيا والذى يرد آخراً انما يرد بعد نضوب الماء . وحينئذ لاتخرج منه الدلاء الا ماء كدرا بما خالطه من طين البئر . قال عمرو بن كلثوم التغلبي

ونشرب ان وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

موسى رجل جد وانسان صدق رأى هذا فلم يعجبه أن يبعد النسوة . ويتقدم للورود الرجال . فسأل المرأتين عن شأنهما وحبسهما ماشيتهما عن الورود فقالتا لا نسقى حتى يصدر هؤلاء القوم ماشيتهم . لاننا اذا حاولنا التقدم عليهم أو مشاركتهم منعونا بفضل قوتهم . وليس لنا من يلزمهم انتظارنا لان أبانا شيخ كبير . لا يقدر على مباشرة شئ من أمر الرعى والسقى فحمى موسى لهما وطرد أولئك الرعاء . وأقدم على البئر ينزع منها بالدلو وسقى لهما غنمهما . ولم يقدر أحد على منعه لان الناس دائما يحترمون الاقوياء وقد رأوا من قوة موسى واقدامه ماألزمهم حد الادب معه

ويقول بعض المفسرين . أنه وجد البئر عليها صخرة عظيمة لا يستقل بازالتها عن فم البئر الا جماعة من الاقوياء فنزعها وحده وسقى للمرأتين . غير أن فى هذا القول غفلة عما نطقت به الآية فانها تصرح بأنه وجد على البئر أمة

من الناس يسقون فلم يكن بأحد حاجة الى ازالة الغطاء عن البئر ان كان له غطاء لان القوم يسقون بالفعل ولا يكون ذلك الا اذا كانت البئر مفتوحة لا غطاء عليها

عاد المرأتان الى أبيهما الشيخ فانكر منهما تبكيرهما بالعود على خلاف شأنهما كل يوم . وسألهما عن سبب ذلك فأخبرتاه بما كان من الرجل المصرى الذى سقى لهما . وسنى لهما العود مبكرتين فارسل أحداهما اليه فوافته بمكانه قرب الماء . وقالت له والخجل يأخذ منها (انأبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا)

رأى موسى الفرج من ناحيه تلك المرأة وأبيها وعلم ان الله استجاب له دعاءه إذ قال (رب انى لما أنزلت الى من خير فقير) وابن عباس وغيره من أهل التفسير يقولون انما طلب الطعام

ويقول بعض المفسرين انه اسمع المرأتين هذا القول تعريضا حتى يكون له منهما مايقوته وهو ليس معه درهم ولا دينار ولا مايؤكل . فكانت دعوته كدعوة المظلوم سريعة الاجابة — ومن جهة أخرى فان غرس الجميل قد أثمر وآتى أكله فى أقل من ساعه والله يضاعف الحسنات لعباده المخلصين

تبع موسى المرأة الى منزل أبيها . وجعلها خلفه قائلا . اننا لا ننظر الى أدبار النساء ولكن انعتى لى الطريق وأنت خلفى . ويقول بعض المفسرين انه انما قال ذلك حين تبعها وضربت الريح ثوبها فكشفت عن عجيزتها فأخرها موسى وتقدم وقال لها انعتى لى الطريق

موسى رجل ربى على العزة فى بيت فرعون . مدللا فى نعيم دائم ورفاغة وقد نزل به من الجوع ما اضطره الى أن يرضى باخذ اجر عمل من اعمال المروءه (والجوع يرضى الاسود بالجيف) وأحسبه لو كان فى بلهنية من العيش لم يرض أن يأخذ اجرا على زكاة قوته وان يكون آخذا اخذ اليهود الى هذا الحد

جاء موسى الى ذلك الشيخ فرحب به وأهل وسأله عن خطبه بعد ان قتل عنه سورة الجوع طبعا ، فقص عليه موسى قصصه. ولعله وقفه على جلية أمره وفعل فرعون وجنوده ببنى اسرائيل من ذبح الاطفال الذكران وترك النساء وأنه افلت من شفارهم . باعجوبة وقص عليه جميع الادوار التى لقيتها أمه فى سبيله الى أن قتل القبطى على غير عمد وانهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم الى أن ورد ماء مدين. فطمأنه ذلك الشيخ قائلا « لا تخف نجوت من القوم الظالمين » واحسبه لم يصفهم بالظلم الا لكفرهم او لذبحهم ابناء الاسرائيليين واستحيائهم النساء والا فأى ظلم فى مؤاخذة موسى بما اجترحت يداه من قتل القبطى

ملاحظة . يقول بعض المفسرين ان ابنة الشيخ لما جاءت الى موسى وابلغته دعوة أبيها كانت تكلمه وكفاها على وجهها حياء منه. وهذا الخفر أمر طبيعى فى النساء اللاتي لم يخلعن نقاب الحياء ولم تكن الواحدة منهن سلفعا ولاجة خراجة مبتذلة اقرءوا هذه الآيات

سورة القصص ـ ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل. ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ٢٣ فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير ٢٤ فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت أن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ٢٥

ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى بعبارة لا تخالف ما جاء فى القرآن الا فى موضعين أولهما انها ذكرت أن النسوة كن سبعا لا اثنتين ثانيهما أنها ذكرت أن النسوة كن قدملأن الحياض لسقيا غنمهن فجاء الرعاء وطردوهن وابعدوا الغنم عن الحوض وأخذوا فى سقى ماشيتهم فغضب موسى لهذا العمل وطرد الرعاء وسقى لهن

مصاهرة موسى للشيخ

لما جاء موسى الى الشيخ وكلمه وطمأنه قالت احدى بنتى الشيخ – وهى التى دعت موسى. يا أبت استأجره لرعى ما شيتنا ليكفينا مؤنة هذا العمل أن خير من استأجرت القوى الامين . ويذكر اصحاب التفسير أن أباها سألها عن امانته وقوته ومن أين علمتهما . ونص عبارة الطبرى فى التفسير

فاحفظته الغيرة ان قال وما يدريك ما قوته وأمانته . فقالت أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا لم أر رجلا قط اقوى فى السقى منه وأما أمانته فانه نظر حين اقبلت اليه وشخصت له فلما علم أنى أمرأة صوب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر الى حتى بلغته رسالتك . ثم قال . امشى خلفى وانعتى لى الطريق ولم يفعل ذلك الا وهو أمين . فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذى قالت

نشط الشيخ لرأى ابنته وطلب الى موسى أن يخدمه برعى غنمه ثمان سنوات فى نظير أن يزوجه باحدى ابنتيه وأشار اليها وأنه اذا اجل معه يتم عشر سنوات فقبل موسى على أنه بالخيار فى أى الاجلين وتمت الصفقة بينهما على ذلك . ومن ذلك الوقت صار موسى صهرا لذلك الشيخ وراعيا لغنمه ويقول بعض المفسرين أنه اخرجها معه من حين العقد – ومعنى قوله فلا عدوان على أى انى اذا قضيت الاجل الاول وهو الحجج الثمان فليس لك أن تطالبنى باتمام العشر واذا قضيت العشر فليس لك أن تطالبنى بزيادة عنها . وأكثر المفسرين على ان اسم ابنة الشيخ التى صارت زوجا لموسى (صفورة) اقرءوا هذه الآيات

سورة القصص – قالت احداهما يا أبت استأجره أن خير من استأجرت القوى الامين ١٦ قال أنى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى أن شاء

الله من الصالحين ٢٧ قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل ٢٨

سورة طه — فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى

ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى وهو لايخالف مافى الكتاب الكريم فى شيء سوى ان التوراة لم تذكر طلب ابنة الشيخ استئجار موسى بل الذى هناك ان الشيخ طلب استئجاره ابتداء والخطب سهل جدا

من هو صهر موسى

أن مفسرى القرآن الكريم قد أغرموا بانهم لا يتركون شاردة ولاواردة فى القرآن الكريم الا تكلموا عنها . واذا أعوزهم الامر ذهبوا الى أهل الكتاب لعلهم يجدون عندهم أثارة من علم بما يريدون . والظاهر أن بعض أهل الكتاب ما كانوا يخبرونهم بالحق أو يتورعون عن الافتراء . فلذلك وقع كثير من المسلمين . فى بعض الاخطاء ولعل بعض المتقدمين من المسلمين دس عليه بعض أهل الكتاب اسم صاحب موسى ليفسد على المسلمين علمهم ويدخل فى اذهانهم بعض الامور التى ليس لها عنده اصل ليشوش بذلك عليهم وهم يقبلون ذلك بحسن نية وصفاء طوية

يذكر بعض المفسرين وبخاصة المتأخرون منهم جازمين غير مرتابين أن صهر موسى هو شعيب عليه السلام . وقد اشتهر ذلك اشتهارا عظيما . وأولع به بعض الادباء . وهذا المعرى يقول مادحا رجلا عظيما زفت اليه عرسه

كنت موسى وافته بنت شعيب   غير أن ليس فيكما من فقير

ولقد قرأت فى التوراة ان بني اسرائيل بعد أن ساروا فى التية ثمانيا وثلاثين

سنة وصلوا الى عربات (١) موآب من عبر أردن أريحا فارسل اهل موآب الى شيوخ مديان يعلمونهم بما أظلهم من شعب اسرائيل الكبير وخوفوهم جانبهم. وطلبوا أن يكونوا معهم يدا واحدة على بني اسرائيل وارسل بالاق بن صفور ملك موآب شيوخا من موآب وشيوخا من مديان ليحضروا بلعام بن بعور ليدعو على بني اسرائيل ويلعنهم — يراجع الاصحاح الثانى والعشرون من سفر العدد - ومنه نعلم أن أهل مدين كانوا موجودين ذلك الحين. وكانوا قوة يستعان بها ولم يكونوا بائدين. ولا شك أن شعيبا لو كان صاحب موسى لكان فى عداد الاموات لان موسى وافاه قبل خمسين سنة وهو شيخ كبير وحينئذ لا يعقل أن يكون باقيا الى ذلك الوقت. واذا كان الامر كذلك كان أهل مدين قد بادوا كما جاء فى القرآن فكيف يكون هذا. وأذا فرضنا أن المديانيين الموجودين حينذاك، هم المؤمنون الذين نجوا مع شعيب فقضية ايمانهم انهم لا يكونون أعوانا للوثنيين على بنى اسرائيل الموحدين وزعيمهم موسى المؤمن صهر شعيب النبي بينهم. وهم مع ذلك أبناء عمومة بنى اسرائيل. أما هلاك بنى مدين فى حياة شعيب فقد نص عليه الكتاب الكريم فى سورة الاعراف بعد أن ذكر نصح شعيب لهم ومجادلتهم له واستهزاءهم به واصرارهم على كفرهم واقامتهم على فعل كل ما نهاهم عنه « الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ٩٢ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين»

وفى سورة هود. ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ٩٤ كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ٩٥

وتشبيه هلاكهم بهلاك ثمود يقتضى أنه لم يبق من كفار مدين ديار.

---

(١) عربة وهى الارض الواسعة

كما قال تعالى فى ثمود وثمود فما ابقى. وها نحن أولاء اليوم لانجد للمديانيين باقية . ولا أحدا ينسب اليهم من القبائل . بل عفى الزمان على أثرهم . والله لم يذكر أنه أرسل لهم بعد شعيب نبيا آخر . لهذا لم أقدر أن أفهم أن شعيبا صهر موسى

القرآن الكريم لم يسم صاحب موسى الذى استأجره فلم يكن هناك نص من الكتاب يجب اتباعه فى اسمه . وقد جهدت أن أجد حديثا فى البخارى فى تفسير سورتى الاعراف والقصص فلم أظفر. والطبرى فى تاريخه يذكر أن اسمه يثرون وتارة يذكر أن اسمه يثرى

وفى تفسير الطبرى بسنده الى شعيب الجبائى قال اسم الجاريتين ليا وصفورا وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون كاهن مدين . والكاهن حبر . ومثل ذلك روايتان عن أبى عبيدة . وقال آخرون اسمه يثري . وفيه روايتان عن ابن عباس

وروى الطبرى بسنده الى من سمع الحسن يقول . يقولون شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء. فهى تشير الى أنه ينكر أن يكون صاحب موسى هو شعيب. والذى يظهر انه كان كاهن القوم وعالما فيهم ولم يكن ملكهم ولاسيدهم وإلا لما نحى الرعاء بنتيه وطردوهما عن الماء

بعد أن أورد الطبرى فى تفسيره الرواية عن الحسن وغيره .قال هذا مما لايدرك علمه الا بخبر ولا خبر بذلك تجب حجته فلا قول فى ذلك أولى من قول الله عز وجل (وأبونا شيخ كبير)

والذى تحصل لى فى هذا المبحث أن الشيخ الكبير فى مدين الذي استأجر موسى وجعل خدمته له ثمانى سنوات أو عشرا ليس لدى أحد من الناس من أهل العلم ثبت أنه شعيب عليه الصلاة والسلام والقائل بذلك مجازف يتكلم بغير علم صحيح وفى تاريخ الطبري الاقوال التى وردت فى تفسيره تقريبا

وقد قرأت فى ص ١٦٠ ج٤ من صبح الاعشى لابي العباس احمد القلقشندى

الجزم بان شعيبا عليه الصلاة والسلام كان وجوده فى أوائل القرن الثامن بعد موسى عليه الصلاة والسلام . أى أنه كان موجودا فى عهد الملك آحاز ملك يهوذا وهو الملك الخامس عشر من شاول الذى هو طالوت

ذلك أن بنى اسرائيل مكثوا بعد موسى ستا وخمسين وثلاثمائة سنة يحكمون حكومة شعبية بواسطة قضاة الشعب ومشايخه ثم ملك عليهم طالوت ثم داود ثم سليمان ثم رحبعام ثم أبيا ثم آسا ثم يهوشا فاط ثم يهورام ثم أخزيا ثم عثليا ثم يوآش ثم أمصيا ثم يوثام ثم آحاز الذى يقول القلقشندى أن شعيبا عليه السلام كان فى أيام ملكه . ومدة هؤلاء الملوك من عهد طالوت الى السنة التى ولى فيها آحاز ٣٥٧ سنة . اذا أضيفت الى ست وخمسين وثلاثمائة مدة القضاة كانت ثلاث عشرة وسبعمائة سنة وذلك أوائل القرن الثامن بعد موسى

واليكم نص عبارة القلقشندى

ثم ملك بعده (يعنى يوثام) ابنه آحاز ست عشر سنة أيضا وكانت الحرب بينه وبين ملك دمشق وفى زمنه كان شعيب عليه السلام ، اه

واليكم جدولا بمدة بنى اسرائيل بعد موسى

سنة			سنة		
٣٥٦	حكم	القضاة	٥٦٢		ماقبله
٤٠	«	طالوت	٨	حكم	يهورام
٤٠	«	داود	١	«	اخزيا
٤٠	«	سليمان	٧	«	عثليا
١٧	«	رحبعام	٤٠	«	يوآش
٣	«	أبيا	٢٩	«	أمصيا
٤١	«	اسا	٥٠	«	عزياهو
٢٥	«	يهوشافاط	١٦	«	يوثام
٥٦٢			٧١٣		ثم يبتدىء بعد ذلك حكم آحاز

هذا الجدول نقلته من القلشقندى وهو يخالف مافى سفر الملوك الثانى من من أن عثليا ملكت ست سنوات فقط

ولكنى رأيت فى سفر الايام الثانى أنها بقيت ملكة ست سنين وفى السنة السابعة قتلت. فلعل هذا هو سبب عد القلقشندى لها سبع سنين فى الملك آية ٤ ص ٢١ الملوك الثانى

قد يعترض على ماذكره القلقشندى بأن الله تعالى ذكر ارساله شعيبا الى مدين قبل ذكر ارسال موسى الى فرعون فى سورة هود وهو يدل على تقدم شعيب فى الوجود والارسال على موسى عليه السلام فكيف يصح اذن ماقاله القلقشندى

والجواب على ذلك أن القرآن الكريم لم يلتزم الترتيب الوجودى فى ذكره للانبياء والمرسلين حين يذكرهم فذكر شعيب قبل ذكر موسى لايدل على تقدم شعيب على موسى فى الوجود أو مقارنته له

اقرءوا قوله تعالى فى سورة الانعام — وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم. ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين

انظر كيف ذكر الله تعالى ابراهيم قبل نوح ثم ذكر داود وسليمان قبل يوسف وموسى وهارون مع تأخرهما عنهم وذكر الياس الذى هو ايلياء بعد ذكر يحيي وعيسى مع تقدم زمنه على وجودهما لان المسيح عليه السلام تكلم عن ايلياء ثم ذكر اسماعيل بعد ذلك مع تقدمه على اسحاق ثم ذكر لوطا مع تقدمه على من عدا نوحا وابراهيم لانه كان مقارنا لابراهيم ومعاصرا له

فالترتيب الوجودى أو الزمنى غير ملتزم فى القرآن الكريم — وأما أيوب ففى زمنه خلاف ولا يعلم بالضبط زمنه وسيأتى ذلك فى قصته

بقيت مسألة وهى أن حضرموت بها قبر يقول أهل البلاد أنه قبر شعيب عليه الصلاة والسلام وهو يقع فى شمال شبَام يبعد عنها ساعتين بعد أن يمر السائر اليه بوادى ابن على ويخلص السائر الى سهل بعد الوادى وليس بجانبه عمران ولا يقصد ذلك القبر الا للزيارة وشبام تقع فى غربي مدينة سيون . واني أشك فى أن القبر لنبي الله شعيب

قضاء موسى مدة استئجاره

موسى بالوادى المقدس

بعثته عليه السلام

قضى موسى الاجل الذى بينه وبين صهره والمفسرون للقرآن الكريم على أنه قضى أكبر الاجلين أى أنه خدم صهره عشر سنين وقد رووا فى ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم لم يبين عدد السنين التي أقامها بعد انقضاء الاجل ـ والمفسرون يتعجلون موسى ويقولون انه عقب انتهاء الاجل أراد العودة الى مصر وأن حماه جعل له نتاج غنمه تلك السنة فحملت الماشية كلها فاستكثر ذلك وضن به فجعل له ما كان أبلق من نتاج السنة التاليه فجاء كل النتاج ابلق ويعيدون لنا حكاية لابان مع يعقوب ـ وانا لاأظن أن موسى يتعجل العودة الى مصر بمجرد انتهاء الاجل لانه يعلم

أن بمصر من ينتظر الظفر به ليورده موارد الردى وقد أثبت لديهم أنه مقترف الجريمة هربه منهم عقب افتضاح الامر . ويدل على ذلك قوله (وقتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون)

أما التوراة فتقول ان عودة موسى الى مصر بأمر ربه لاخراج بنى اسرائيل من ذل العبودية كان على أثر بلوغه ثمانين سنة وانه على أثر مدة التيه كان قد بلغ مائة وعشرين سنة وقد مات ولم يدخل الارض المقدسة وانى أميل الى هذا الرأى

وربما كان السبب فى أن المفسرين يقولون . ان موسى سار عقب انتهاء الاجل قوله تعالى . (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا) وقد فاتهم ان الواو لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا . وتقول التوراة إن موسى رزق ولدا أسماه (جرشوم) وهو اسم يدل على معنى الغربة أى أنه غريب المولد

بينما موسى يرعى غنمه ومعه امرأته ضل الطريق فى ليلة باردة وأراد ان يورى نارا فصلد زنده وضن بالنار وبينما هو على هذه الحال رأى نارا من بعيد فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فأسأل من عندها عن الطريق يهدوننا . والظاهر انه كان أبعد من مدين حتى جاء الى سيناء وهذا ليس بغريب فان الراعى يتبع مواضع الكلأ حيث كانت ليرعى ماشيته

لما قرب موسى من النار وجد النار فى شجرة عليق وان النار لا تطفأ والعليقة لا تشتعل ولم يجد أحدا من الناس يسأله عن الطريق وحينئذ سمع صوتاً من وسط النار يناديه ياموسى انى أنا الله رب العالمين . وأمره بخلع نعله لانه بالوادى المقدس طوى فخلعها وفى الحديث كانتا من جلد حمار ميت

وفى الطبرى فلما كانت الليلة التى أراد الله بموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه أخطأ الطريق حتى لا يدرى أين يتوجه فأخرج زنده ليقدح نارا

لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح ويعلم وجه سبيله فصلد عليه زنده فلم يور له نارا فقدح حتى أعياه ولاحت له النار فرآها « فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » بقبس تصطلون وهدى عن علم الطريق الذى أضللناه بنعت من خبير فخرج نحوها فاذا هى فى شجرة من العليق — وبعض أهل الكتاب يقولون فى عوسجه

فلما دنا استأخرت عنه فلما رأى استئخارها رجع عنها وأوجس فى نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم من الشجرة ، فلما سمع الصوت استأنس وقال الله ياموسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى فالقاهما ثم قال « ما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » أي منافع أخري قال ألقها ياموسى فألقاها فاذاهى حية تسعى) قد صار شعبتاها فمها وصار محجنها عرفا لها فى ظهرها تهتز لها أنياب فهى كما شاء الله أن تكون. فرأى أمراً فظيعا فولى مدبرا ولم يعقب. فناداه ربه أن ياموسى أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى. أى سنعيدها عصا كما كانت قال فلما أقبل قال خذها ولا تخف. ادخل يدك فى فمها وعلى موسى جبة من صوف فلف يده بكمه وهو لها هائب فنودى أن ألق كمك عن يدك فألقاه عنها ثم أدخل يده بين لحييها فلما أدخلها قبض عليها فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ومحجنها بموضعه الذى كان. لا ينكر منها شيئاً ثم قال أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء أى من غير برص. وكان عليه السلام رجلا آدم اقنى جعدا طوالا فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ثم ردها فى جيبه فخرجت كما كانت على لونها. ثم قال فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين. قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى أى يبين لهم عنى

ما أكلمهم به فانه يفهمهم عنى مالا يفهون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون

ونقل عن السدي ـ فأقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم فأتاهم فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل (المرق) فنزل فى جانب الدار فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته انه ضيف فدعاه. فلما ان قعدا تحدثا فسأله هارون من أنت فقال أنا موسى. فقام كل منهما الى صاحبه فاعتنقه

ولى هنا ملاحظة : هى أن موسى قال (وأخى هارون هو أفصح منى لسانا) وقال فى مرة أخرى . واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) وعيره فرعون بعدم الفصاحة فقال. أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) والمفسرون يروون لحبسة موسي أو لكنته سببا. هو ان موسى أخذه فرعون على حجره وهو صغير فمد يده الى لحيته ونتف خصلة منها. فأراد قتله فشفعت فيه زوج فرعون وقالت انه لا يعقل ما يفعل. وأشارت باختباره بتمرة وجمرة فوضعتا فى طست فأخذ الجمرة ووضعها فى فيه فأثرت فى لسانه فلذا نشأ موسى غير فصيح بل عنده حبسة فى لسانه ـ وأحسب ذلك غير صحيح وان المسألة ذات وجهين

أولهما : ـ ان موسى ألقته أمه فى اليم والتقطه آل فرعون وحرم الله عليه المراضع لطفا بأمه الوالهة الى ان جاءوا بها فأرضعته وكفلته. والطفل عادة اذا تأخرت عنه الرضاعة مدة كهذه يورثه ذلك حبسة فى لسانه وقد رأينا من أصحابنا من كان لا يكاد يبين ولا سبب لذلك الا احتباسه عن الرضاعة مدة

ثانيهما أن موسى خرج من مصر من عهد بعيد واعتقادى انه مكث فى مدين زمنا طويلا فنسى اللغة المصرية لغة القبط لطول العهد وعدم وجود من يناغيه بها أو يكلمه واما هارون فكان بين المصريين ومقيما معهم فهو أفصح من موسى .

وحقيق بأن يشافههم بها ونحن أولاء يسافر الواحد من أبنائنا الى البلاد الأوربية ولا تكون مدة اقامته أكثر من خمس أو سبع سنوات ثم يجيء الى مصر ناسيا كثيرا من لغة أبيه وأمه وللناس نوادر فى حكاية ألفاظهم وأحوالهم

بقى أن يقال اذا كان موسى قد نسى لغة المصريين فكيف يحاور أخاه هارون الذي لم يخرج من مصر؟ وجوابي على ذلك ان هارون بحكم البيئة كان يجيد القبطية وبحكم طينته كان يجيد العبرية ولغة أهل مدين ولغة العبرانيين متقاربة جدا لان المديانيين اخوة للعبرانيين أبوهم واحد هو ابراهيم. لاجرم كان هارون يفهم من موسى مالا يفهمه عنه المصريون القبط وانى أميل الى الرأى الاول ولبيان موقف موسى هذا ـ اقرءوا هذه الآيات

سورة القصص — فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ٢٩ فلما أتاها نودى من شاطيء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى انى أنا الله رب العالمين ٣٠

ومنها ـ وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ٤٤ ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ٤٥ وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ٤٦

سورة النمل — اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ٧ فلما ان جاءها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم ٩

سورة طه — وهل أتاك حديث موسى ٩ إذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا

إني آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ١٠ فلما أتاها
نودى ياموسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ١٢ وأنا
اخترتك فاستمع لما يوحى ١٣ انى أنا الله لااله الا أنا فاعبدني واقم الصلاة
لذكرى ١٤ إن الساعة آتيه أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ١٥ فلا
يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى ١٦

سورة النازعات — هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادى المقدس
طوى ١٦

سورة طه — وما تلك بيمينك ياموسى ١٧ قال هى عصاى أتوكأ عليها
واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى ١٨ قال ألقها ياموسى ١٩ فالقاها
فاذا هى حية تسعى ٢٠ قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى ٢١ واضمم
يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخري ٢٢ لنريك من آياتنا
الكبرى ٢٣

سورة النمل — والق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب
ياموسى اقبل ولا تخف انى لايخاف لدي المرسلون ١٠ الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فاني غفور رحيم ١١ وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير
سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ١٢

سورة القصص — وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم
يعقب ياموسى اقبل ولا تخف أنك من الآمنين ٣١ اسلك يدك فى جيبك تخرج
بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك
الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين ٣٢

سورة الاسراء . وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا
تتخذوا من دوني وكيلا ، ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ٣

سورة طه . اذهب الى فرعون أنه طغى ٢٤ قال رب اشرح لى صدري ٢٥ ويسرلى أمرى ٢٦ واحلل عقدة من لساني ٢٧ يفقهوا قولى ٢٨ واجعل لى وزيرا من أهلى ٢٩ هارون أخى ٣٠ اشدد به ازرى ٣١ واشركه فى أمري ٣٢ كي نسبحك كثيرا ٣٣ ونذكرك كثيرا ٣٤ انك كنت بنا بصيرا ٣٥ قال قد أوتيت سؤلك ياموسى

ومنها أيضا . اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا فى ذكرى ٤٢ أذهبا الى فرعون أنه طغى ٤٣ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ٤٤ قالا ربنا أننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ٤٥ قل لا تخافا أننى معكما أسمع وأرى ٤٦ فأتياه نقولا أنا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قدجئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ٤٧

سورة الفرقان . ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا ٣٥ فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا ٣٦

سورة الشعراء . واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين ١٠ قوم فرعون الا يتقون ١١ قال رب اني أخاف أن يكذبون ١٢ ويضيق صدرى ولا ينطلق لساني فارسل الى هارون ١٣ ولهم على ذنب فاخاف ان يقتلون ١٤ قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون ١٥ . فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ١٦

سورة القصص — قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ٣٣ وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى اني أخاف أن يكذبون ٣٤ قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ٣٥

سوره والنازعات — اذهب الى فرعون أنه طغى ١٧ فقل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى ١٩

سورة السجدة (١) — ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ٢٣ وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ٢٤ ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ٢٥

وقوله تعالى . « واضمم اليك جناحك من الرهب » معناه ان الله تعالى يأمر موسى بان يضم يديه الى جنبيه اذا آنس من نفسه رعبا ورهبا من فرعون فان الله ينزله عليه السكينة والقوة على مقاومة ذلك فى هذا الحين وهذه ليست من الايات التى ضربها لفرعون وانما هى تأييد خاص من الله لموسى وكأنها تكاد تكون أمرا غريزيا

المواقف المتقدمة فى التوراة

ذكرت التوراة قصة موسى هذه فيما يلى

الاصحاح الثالث

وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حمية كاهن مديان فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب ، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر فاذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق ، فقال موسى أميل الآن لا نظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة ٤ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى . فقال ها انذا فقال لا تقرب الى ها هنا . اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذى انت واقف عليه أرض مقدسة ٦ ثم قال انا اله أبيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لانه خاف ان ينظر الى الله ٧ فقال الرب انى رأيت مذلة شعبى

(١) السجدة الم

الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم انى علمت أوجاعهم ٨ فنزلت
لانقذهم من أيدى المصريين واصعدهم من تلك الارض الى أرض جيدة وواسعة
الى أرض تفيض لبنا وعسلا الى مكان الكنعانيين والحثيين والاموريين .
والفرزيين ، والحويين واليبوسيين ٩ والآن هو ذا صراخ بنى اسرائيل قد أتى
الى ، ورأيت أيضا الضيقة التى يضايقهم بها المصريون ١٠ فالآن هلم فارسلك
الى فرعون وتخرج شعبي بنى اسرائيل من مصر ١١ فقال موسى لله من انا حتى
اذهب الى فرعون وحتى اخرج بنى اسرائيل من مصر ١٢ فقال انى أكون
معك وهذه تكون لك العلامة انى أرسلتك حينما تخرجون الشعب من مصر تعبدون
الله على هذا الجبل ١٣ فقال موسى لله ها أنا آتى بنى اسرائيل وأقول لهم اله
آبائكم أرسلنى اليكم . فاذا قالوا ما اسمه فماذا أقول لهم ١٤ فقال الله لموسى أهيه
الذي أهيه . وقال هكذا تقول لبنى اسرائيل أهيه أرسلنى اليكم ٥ وقال الله
ايضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل يهوه اله آبائكم ، اله ابراهيم اله اسحاق
اله يعقوب أرسلنى اليكم هذا اسمى الى الابد وهذا ذكرى الى دور فدور ١٦
اذهب واجمع شيوخ اسرائيل وقل لهم الرب اله آبائكم اله ابراهيم واسحاق
ويعقوب ظهر لى قائلا · انى قد افتقدتكم وما صنع بكم فى مصر ١٧ فقلت
اصعدكم من مذلة مصر الى أرض الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين
والحويين واليبوسيين الى أرض تفيض لبنا وعسلا ١٨ فاذا سمعوا القول تدخل
أنت وشيوخ بنى اسرائيل الى ملك مصر وتقولون له الرب اله العبرانيين التقانا
فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا ١٩ ولكن أعلم أن ملك
مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية ٢٠ فأمد يدى واضرب مصر بكل عجائبي
التى أصنع فيها وبعد ذلك يطلقكم ٢١ وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين
فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ٢٢ بل تطلب كل امرأة من جارتها

ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم
فتسلبون المصريين

الاصحاح الرابع

١ ـ فأجاب موسى وقال ولكن هاهم لايصدقوننى ولا يسمعون لقولى
بل يقولون لم يظهر لك الرب ٢ فقال له الرب ماهذه فى يدك ؟ قال عصا ٣ فقال
أطرحها الى الارض فطرحها الى الارض فصارت حية . فهرب موسى منها
٤ ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وامسك به فصارت عصا فى
يده ٥ لكى يصدقوا انه قد ظهر لك الرب اله آبائهم اله ابراهيم واله اسحاق واله
يعقوب ٦ ثم قال له الرب أيضا أدخل يدك فى عبك فادخل يده فى عبه ثم أخرجها
واذا يده برصاء مثل الثلج ٧ ثم قال له رد يدك إلى عبك فرد يده الى عبه ثم اخرجها
من عبه واذا هى قد عادت مثل جسده ٨ فيكون اذا لم يصدقوك ولم يسمعوا
لصوت الآية الأولى أنهم يصدقون صوت الآية الأخيرة ٩ ويكون اذا لم
يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك انك تأخذ من ماء النهر
وتسكب على اليابس فيصير الماء الذي تأخذه من النهر دما على اليابس
١٠ فقال موسى للرب استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام
منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك بل أنا ثقيل الفم واللسان
١١ فقال له الرب من صنع للانسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا
أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ١٢ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك واعلمك
ماتتكلم به فقال استمع أيها السيد ارسل بيد من ترسل ١٤ فحمى غضب الرب
على موسى . وقال أليس هارون اللاوى أخاك ؟ أنا أعلم انه يتكلم وأيضا هاهو
خارج لاستقبالك وحينما يراك يفرح بقلبه ١٥ فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه وأنا
أكون مع فمك ومع فمه وأنا أعلمكما ماذا تصنعان ١٦ وهو يكلم الشعب عنك

وهو يكون لك فاوأنت تكون له إلها ١٧ وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع
بها الآيات ١٨ فمضى موسى ورجع الى ثيرون حميه وقال له أنا اذهب وارجع
الى اخوتى الذين فى مصر لارى هل هم بعد أحياء. فقال ثيرون لموسى اذهب
بسلام ١٩ وقال الرب لموسى فى مديان اذهب ارجع الى مصر لانه قد مات جميع
القوم الذين كانوا يطلبون نفسك ٢٠ فأخذ موسى امرأته وابنيه واركبهم على
الحمير ورجع الى أرض مصر وأخذ موسى عصا الله فى يده ٢١ وقال الرب لموسى
عند ما تذهب لترجع الى مصر أنظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها
قدام فرعون ولكنى أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب ٢٢ فتقول لفرعون هكذا
يقول الرب. اسرائيل ابنى البكر ٢٣ فقلت لك اطلق ابنى ليعبدنى فأبيت ان تطلقه
ها أنا أقتل ابنك البكر ٢٤ وحدث فى الطريق فى المنزل ان الرب التقاه وطلب
أن يقتله ٢٥ فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه فقالت
انك عريس دم لى ٢٦ فانفك عنه حينئذ فقالت عريس دم لى من أجل الختان
٢٧ وقال الرب لهارون اذهب الى البرية لاستقبال موسى فذهب والتقاه فى جبل
الله وقبله ٢٨ فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب الذى أرسله وبكل
الآيات التى أوصاه بها ٢٩ ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ
بنى اسرائيل ٣٠ فتكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به وصنع
الآيات أمام عيون الشعب ٣١ فآمن الشعب ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى
اسرائيل وانه نظر مذلتهم خروا وسجدوا

فانتم ترون أنه ليس بين ماجاء فى القرآن وما جاء فى التوراة خاصا بمواقف
موسى المذكورة سوى فروق ليست بذات بال

عود موسى الى مصر

ودعوته لفرعون

ذكرنا عود موسى الى مصر عن القرآن والتوراة وان موسى أخبرهارون بأنه شريك له فى الرسالة ومعين له على تبليغ حجة الله فامتثل أمر الله تعالى

ويقول بعض المفسرين أن أمهما خافت عليهما وعارضت فى ذهابهما الى فرعون خشية أن يبطش بهما فلم يصغيا لقولها ولم يكن لهما هم الا تنفيذ أمر الله تعالى

وبعض المفسرين يذكر أنهما دخلا على فرعون بمجرد استئذانهما عليه وبعض آخر يقول انهما ترددا على بابه سنتين لا يظفران بالمثول بين يديه حتى دخل عليه مضحكه وأخبره أن بالباب رجلا مجنونا يدعى أن له الها غير فرعون فكان ذلك حاثا لفرعون على طلب موسى وهارون

أما القرآن الكريم فلم يتعرض لشىء من هذا . وانما ذكرأنهماأتيافرعون وبلغاه رسالة الله تعالى له . أن يرسل معهما بنى اسرائيل لعبادة ربهما . وفى التوراة (اطلق شعبي ليعيدوا فى البرية) وبلغه موسى فيما بلغه انه لم يقل على الله الا الحق وانه قد أرسل بآية منه ليرسل معه بنى اسرائيل . وجعل ترخيصه لبنى اسرائيل بالذهاب مع موسى الى البرية لعبادة ربهم نعمة يمنها فرعون على موسى . وهذا من تلطف موسى ورفقه فى خطاب فرعون طبقا لقوله تعالى « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » وهذه الآيات تدل على هذا الموقف من مواقف موسى

سورة الاعراف . وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين ١٠٤

حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل ١٠٥

سورة الشعراء — ان أرسل معنا بنى اسرائيل ١٧

وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل ٥٢

لاتنسوا أن المفسرين يجعلون الآية الأخيرة (وتلك نعمة تمنها على) توبيخا من موسى لفرعون ان جعل بنى اسرائيل عبيدا وانه يتهكم به بذلك — ولكنى أخالفهم فى ذلك وأقول انه يتلطف به غاية التلطف ليحمله على اطلاق بنى أسرائيل قائلا : ان تعبيدك بنى اسرائيل أى تكريمك لهم وتمكينهم من عبادة ربهم أعده نعمة مننت بها على تضاف الى تربيتى فيكم وليدا والى مكثى بينكم وفيكم من عمرى سنين — وما كان من شأن موسى ان يخرج الهزل فى معرض الجد ولا أن يلجأ الى المعاريض والمجازات . ولكنه كان فى محاوراته كلها مثال الجد والصراحة . يؤدى ما أمر به على الوجه الذى صدر له أن يؤديه . ومهمته العظمى انقاذ بنى اسرائيل من ذلك العذاب المهين الذى كانوا فيه — وهذا طلب لذلك الأمر على وجه اللطف والرفق — قد يقول بعض الناس ان هذا المحمل الذى حملت عليه الآية لم يوجد لمفسر وكتب اللغة لم تذكر هذا المعنى

والجواب ان محور رسالة موسى والغرض الأول المقصود بها هو اطلاق بنى اسرائيل والحجة الظاهرة لهذا أنهم يريدون أن يعبدوا إلههم فى البرية يعملون له عيدا (وفى العبرية حج) فهذا هو الغرض الأصلى الذى جاء موسى لتنفيذه وجاء بالآيات لحمل فرعون وقومه عليه . وأما استعباد فرعون لبنى اسرائيل فليس من النعمة أو المنة فى شىء وما كان موسى من المستهزئين أو الذين يأتون بالأمر يكون مغريا لفرعون بالعناد — والاستخفاف بمثل هذا الملك الجبار لاينتج ما يرجو موسى . فحمل المعنى على ماقالوه لايجعل فى موسى حكمة الأنبياء التى جعلهم الله

تعالى بها بل هذا القول الى المشاكسة أقرب ومن قوله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) أبعد . وأقرب المعاني الى ذلك هو ماذكرته . ومعنى (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) . أى كرمتهم وتكريمهم يكون بترفيه العذاب عنهم واطلاق الحرية لهم فى عبادة ربهم وارسالهم مع موسى لذلك . والتعبيد بمعنى التكريم وأرد فى اللغة العربية فقد جاء فى لسان العرب ص ٢٦٣ ج ٤ ما نصه : والمعبد المكرم ... والمعبد المكرم فى بيت حاتم

تقول ألا تبقى عليك فاننى أرى المال عند المكثرين معبدا

أى معظما مخدوما وبعير معبد مكرم اهـ

واذا عرفت هذا أيها القارئ الكريم عرفت ان الوجه الذى ذكرته أقرب الى الغرض من ارسال موسى وأجدر بان تحمل الآية عليه

تذكير فرعون موسى

تربيته فى بيت فرعون

لما دخل موسى على فرعون وادى مقالته بواسطة هارون كان فيما قال فرعون لموسى وذكره به . أنه ربى فى بيت فرعون وليدا ولبث فيهم سنين من عمره وهذا يقتضى ان يكون حافظا للمودة حريصا على التباعد عن كل ما يغيظ فرعون وآله فلا يروعهم بمعتقد غريب عنهم غير معروف لهم . وهو عبادة غير فرعون وآلهته . بل عليه أن يبادر الى عبادة فرعون . ثم ذكره بفعلته التى فعل من قتل الرجل القبطى وهربه على أثرها . فمن كان آثما اثمه لا يأتى بما هو أعظم منه . وهو حملهم على ترك آلهتهم وتقديس فرعون وترك التوجه اليه بالعبادة

فرد موسى على هذه المسألة الا خيرة بقوله . فعلتها اذا وأنا من الضالين .
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكما وجعلني من المرسلين

اقرءوا هذه الآيات — قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ١٨ وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين ١٩ قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ٢٠ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ٢١

وهذا الموضع من الحوار بين موسى وفرعون لم يذكر فى التوراة

موسى يحاج فرعون

فى ربوبية الله تعالى

لما فرغ موسى مما قال وذكر لفرعون انه يريد اطلاق بنى اسرائيل ليعبدوا الههم فى البرية وفرعون رجل عات تدين الأمة المصرية بعبادته وتذعن بقداسته وقد فجئه من موسى أمر لا يقره ولا يرضاه . وهو محاولة انزاله عن عرش الربوبية أخذ على أثر ذلك يحاور موسى . فيسأله مارب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما : خالق ذلك ومبتدعه . فالتفت فرعون إلى من حوله من ملئه مظهراً العجب قائلا . ألا تستمعون . واستمر موسى قائلا « ربكم ورب آبائكم الاولين » أي حين لم يكن فرعون موجودا ولا معبودا فقال فرعون لملئه « ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون » لأنه جاءنا بشيء لا نعرفه ولا نقره . فاستمر موسى قائلا . « رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون »

ولما علم موسى وهارون عدم ارعواء فرعون عن غيه . وتماديه فى ادعاء الربوبية وانه مكذب لا محالة . قالا له . « انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب

وتولى » فقال لهما ـ فمن ربكما ياموسى ؟ فافهمه ان الهه هو الذى احصى كل شيء خلقه فهو الذي أعطاهم الحواس والعقول وخلق لهم مافى الارض جميعا وجعلهم فيها خلفاء . وصرفهم فى خيراتها ومرافقها وما عليها من حيوان . وجعلهم مستخلفين فى كل ذلك . وهداهم الى الانتفاع بكل شيء فى مصالحهم. كل فيما يصلح له ـ فسأل فرعون عن القرون الاولى . فأحال موسى على الله الذى علم كل شيءمن شؤونها . وان ذلك فى كتاب . وان الله لايضل عن أعمالهم ولا ينسىمنها شيئا . وسيحاسب كل انسان بما صنع . ثم ذكرمن قدرته على ماصنع ويصنع ماتجب بمثله الحجة على قدرته وحكمته واستحقاقه للعبادة قائلا . « الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » . أى أخرج بهأنواع النباتوأزواجه على تعدد أصنافه وتباين ألوانه . وسهل للانسان مايأكله ولماشيته ماترعاه . وان من كانت هـذه أعماله . كانت تلك الاعمال آيات يهتدى بهـا ذو العقل السليم

ثم قال ان الارض منبتنا الذى أنبتنا الله منه وفيها معاد الناس الذى يعودون اليه اذا فنيت حياتهم . ومنها يخرجون مرة أخرى لمجـازاة كل بما صنع

اقرءوا هذا الآيات فى هذا الموقف

سورة الشعراء ـ قال فرعون ومارب العالمين٢٣قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ٢٤ قال لمن حوله ألا تستمعون ٢٥ قال ربكم ورب آبائكم الاولين ٢٦ قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ٢٧ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ٢٨

سورة طه ـ انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ٤٨ قال

فمن ربكما ياموسى ٤٩ قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ٥٠ قال
فما بال القرون الأولى ٥١ قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ٥٢
الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا
به أزواجا من نبات شتى ٥٣ كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى
النهى ٥٤ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ٥٥

ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى فى الاصحاحين الخامس والسادس من سفر الخروج وهاكم نصها

١ وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله
اسرائيل . اطلق شعبي ليعيدوا لى فى البريه ٢ فقال فرعون من هو الرب حتى
اسمع لقوله فأطلق اسرائيل . لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه ٣ فقالوا إله
العبرانيين قد التقانا . فنذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا لئلا
يصيبنا بالوباء أو بالسيف ٤ فقال لهما ملك مصر لماذا ياموسى وهارون تبطلان
الشعب من أعماله . اذهبا الى اثقالكما ٥ وقال فرعون هو ذا الآن شعب
الارض كثير وأنتما تريحانهم من أثقالهم

٦ فأمر فرعون فى ذلك اليوم مسخرى الشعب ومدبريه قائلا ٧ لا تعودوا
تعطون الشعب تبنا لصنع اللبن كأمس وأول أمس . ليذهبوا هم ويجمعوا تبنا
لأنفسهم ٨ ومقدار اللبن الذى كانوا يصنعونه أمس وأول أمس تجعلونه عليهم
لا تنقصوا منه فانهم متكاسلون . لذلك يصرخون قائلين نذهب ونذبح لالهنا ٩
ليثقل العمل على القوم حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا إلى كلام الكذب ١٠ فخرج
مسخرو الشعب ومدبروه . وكلموا الشعب قائلين هكذا . يقول فرعون لست
أعطيكم تبنا ١١ أذهبوا أنتم وخذوا لانفسكم تبنا . من حيث تجدونه أنه لا
ينتقص من عملكم شيء

١٢ فتفرق الشعب فى كل أرض مصر ليجمعوا قشا عوضا عن التبن ١٣
وكان المسخرون يعجلونهم قائلين كملوا اعمالكم أمر كل يوم بيومه كما كان
حينما كان تبن ١٤ فضرب مدبرو بنى اسرائيل الذين اقامهم عليهم مسخرو
فرعون وقيل لهم لماذا لم تكملوا فريضتكم من صنع اللبن أمس واليوم كالامس
وأول من أمس ١٥ فاتي مدبرو بنى اسرائيل وصرخوا الى فرعون قائلين لماذا
تفعل هكذا بعبيدك ١٦ التبن ليس يعطى لعبيدك واللبن يقولون لنا أصنعوه :
وهو ذا عبيدك مضربون . وقد أخطأ شعبك ١٧ فقال متكاسلون انتم متكاسلون
لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب ١٨ فالآن أذهبوا اعملوا . وتبن لا يعطى
لكم ومقدار اللبن تقدمونه ١٩ فرأى مدبرو بنى اسرائيل انفسهم فى بلية إذ
قيل لهم لا تنقصوا من لبنكم أمر كل يوم بيومه ٢٩ وصادفوا موسى وهارون
واقفين للقائهم حين خرجوا من لدن فرعون ٢١ فقالوا لهما ينظر الرب اليكما
ويقضي لانكما أنتنتما رائحتنا فى عيني فرعون وفى عيون عبيده حتى تعطيا
سيفا فى أيديهم يقتلونا ٢٢ فرجع موسى الى الرب وقال ياسيد لماذا أسأت الى
الشعب . لماذا ارسلتنى ٢٣ فانه منذ دخلت الى فرعون لا تكلم باسمك أساء إلى
هذا الشعب وأنت تخلص شعبك وهذا معنى قوله تعالى (قالوا أوذينا من قبل أن
تأتينا ومن بعد ما جئتنا

الاصحاح السادس

١ ــ فقال الرب لموسى الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون . فانه بيد قوية
يطلقهم وبيد قوية يطردهم من أرضه
٢ ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب ٣ وأنا ظهرت لابراهيم واسحاق
ويعقوب باني الاله القادر على كل شيء . وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم ٤
وأيضا اقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا

فيها ٥ وأنا أيضا قد سمعت أنين بنى اسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت
عهدى ٦ لذلك قل لبنى إسرائيل أنا الرب . وأنا أخرجكم من تحت أثقال
المصريين . وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وباحكام عظيمة
واتخذكم لى شعبا وأكون لكم ألها فتعلمون أنى أنا الرب إلهكم الذى يخرجكم من
تحت أثقال المصريين ٨ وأدخلكم الى الارض التى رفعت يدى أن أعطيها لابراهيم
واسحاق ويعقوب وأعطكم إياها ميراثا . أنا الرب ٩ فكلم موسى هكذا بنى
اسرائيل · ولكن لم يسمعوا لموسي من صغر النفس ومن العبودية القاسية ١٠
ثم كلم الرب موسى قائلا ١١ ادخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق بنى
اسرائيل من أرضه ١٢ فتكلم موسى أمام الرب قائلا هو ذا بنو اسرائيل لم
يسمعوا لى . فكيف يسمعنى فرعون وأنا أغلف الشفتين ١٣ فكلم الرب موسى
وهارون وأوصى معهما الى بنى اسرائيل والى فرعون ملك مصر فى اخراج
بنى اسرائيل من أرضه

٢٨ وكان يوم كلم الرب موسى فى أرض مصر ٢٩ أن الرب كلمه قائلا
أنا الرب كلم فرعون ملك مصر بكل ما أنا أكلمك به ٣٠ فقال موسى أمام
الرب ها أنا أغلف الشفتين فكيف يسمع لى فرعون

فرعون يتجاهل الله ويدعى الالهية

ويأمر ببناء صرح يصعد به الى السماء

لما ألح موسى على فرعون بالدعوة الى الايمان بالله تعالى وهو فى ملأ قومه
وذلك يكسر من هيبته ويحط من رتبته . وجه فرعون خطابه الى القوم متجاهلا

الاله الذى يدعو اليه موسى وأنه سيتخذ الوسيلة للصعود الى الله موسى ليصفى الحساب بينه وبينه . ولعله فهم من قول موسى رب السماء والارض انه موجود فى السماء لأن العظيم القادر على العلو لاينزل إلى أسفل . وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء أمر تناله قدرته . فاصدر أمره إلى هامان أن يطبخ له الآجر ويبنى له صرحا يأخذ فى السماء صعدا حتى يناله ويطلع إلى إله موسى ثم أردف ذلك بأنه يظن أن موسى كاذب فى أن له إلها سوى فرعون

من الناس من يذكر الفكرة عالما بأنها مبنية على غير أساس . ثم لايزال يخادع نفسه ونفسه تخادعه حتى يخيل اليه أن الامر سهل الوقوع ويعلق نفسه به . شأنه فى ذلك شأن أشعب المشهور بالطمع . إذ صرف عنه الاطفال بحيلة أنه يوجد عرس فى بيت فلان وأنهم يفرقون على الناس الدراهم فانصرفوا ظانين صدقه فتبعهم آملا أن يكون ماقاله لهم حقا . فينال من تلك الدراهم التى تفرق فى ذلك العرس الوهمى

لا أظن أن فرعون كان من الجهل بدرجة أن يأمل أن ينال السماء ببناء يصعده ولكنه أراد أن يتغفل القوم الذين معه حتى لايخامر أنفسهم خلجة فى حطه عرش الربوبية . فأراد أن يدخل فى روعهم أنه من القدرة بحيث يقدر على منازلة كل إله ولو كان فى السماء . وانه على استعداد لمحاربة إله موسى الذى فى السماء اذا كان فيها وأنه يتهم موسى فى وجود إله سواه وأنه سيأخذ فى أسباب العمل فى تصفية الحساب مع ذلك الاله . ولذلك أمر باتخاذ صرح يبلغ به أسباب السموات وعهد بذلك إلى هامان . ولا يبعد ان تكون نفسه أشعبية فتخيل ثم خال

سمعت من أهل السودان . أن يونس الدكيم من رجال التعايشى كان أميرا على مديرية دنقله . فلما قامت الحملة المصرية لاسترجاع السودان سنة ١٨٩٦ م جاء الخبر بأن الترك (المصريون والانجليز) آتون فى البحر (النيل) على السفن

لاخذ البلاد السودانية وكان رجلا عاتيا قاسيا . فخلف قائلا (بتا بالله أشرب البحر) يريد بذلك أن يشرب ماء النيل حتى تقف السفن على الطين فلا تقدر على المسير ويكتفى بذلك شر جنود الترك

ومع علم الحاضرين بكذبه أخذوا يظهرون له ان هـذا الامر وان كان في مقدوره ولـكن البحر (النيل) يشرب منه خليفة المهدى وكل الاخوان وبه ينمو الزرع وتشرب منه الناس والبهائم وإذا شربه فاتت تلك المصالح وهلك الناس ـ فهم بذلك سلموا له بكذبه وأخذوا يترضونه حتى لا يفعل وهم يعلمون انه كاذب ولو خلى وما أراد ماأثر شيئا ولـكنه الملق البارد

وهكذا كان شأن أصحاب فرعون يعلمون كذبه ولا يجسر أحد منهم على تكذيبه أو رده

وأخرى : ان الجيش المصرى لما انتهى من وقعة كررى خارج أم درمان خرج عبد الله التعايشى مع بعض الجنود مصعدا نحو الجنوب والجيش المصرى يرسل رصاصه على ساقة جيش التعايشى . وخاف التعايشى أن يركب جواده فيصيبه الرصاص . فمشى راجلا . وكان فى الجيش عثمان دقنه بطل الحروب السودانية المشهور فقال له اركب ياخليفة المهدى . فاجابه بلهجة أهل السودان (كيفن ؟ اركب والخضر ماش أمامى ؟) فقال له عثمان دقنه (فضنا من كضباتك دى يازول) أي دعنا من أكاذيبك يارجل (نحنا معردين الخضر معرد ليشنو ؟ الخضر ماهو شايف رصاص الترك فى جفانا) أى نحن شاردون والخضر لاى شىء يشرد ألم ير رصاص الترك يأخذنا من خلفنا . ولـكن فرعون لم يجد من المصريين فى ملئه من يقولون له ماقال عثمان دقنه للتعايشى . بل كانوا يؤمنون على قوله

لم يكن فى ذلك الوقت رجل صادق الفراسة يقرأ لنا أفكار الملأ من قوم فرعون هل كانوا يفكرون فكره ويترسمون خطواته فيما يخيل اليهم أو كانوا عالمين باستحالة مايحاول وانما يؤمنون على قوله مجاراة له . ومجاملة ينالون بها الحظوة عنده وان كان فى نفوسهم كاذبا كما هو شأن الكثير من المصريين فى موافقة الحكام على آرائهم . وان كانت مباينة لما يكنون فى أنفسهم؟ـ وهل فعل هامان ما أمر به فرعون ؟ وإلى أى حد بلغ فى علو البناء ؟ وإلام آل أمر ذلك البناء؟ كل ذلك لم يذكره القرآن ولم يذكر فى التوراة بطريق التصريح أو الاشارة وإنما يذكر المفسرون أن هامان بنى له الصرح حتى بلغ نهاية ماقدر عليه من البناء ثم صعد فرعون وصوب سهما إلى السماء ورمي به فعاد اليه النصل مخضبا بالدم فقال لقد قتلت اله موسى- ثم ماهو هامان ؟ومامنصبه ؟ وهل لفظ هامان علم له أو علم منصبه الذى يشغله ؟ ليس عندنا فى ذلك أثارة من علم. والذى أفهمه أنه وزير العمارات عند فرعون. اقرأوا هذه الآيات

سورة القصص ـ (وقال فرعون يأيها الملأ ماعلمت لكم من أله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين . فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى أله موسى وأنى لأظنه من الكاذبين ٣٨)

سورة غافر — (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب ٣٦ أسباب السموات فأطلع إلى أله موسى وأنى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل . وما كيد فرعون ألا فى تباب ـ ٣٧ أما التوراة فلم تذكر بناء الصرح ولا أمر هامان بذلك

معجزتا العصا واليد

(اتهام موسى بالسحر ـ حشد فرعون السحرة ـ القائم بسحرهم ـ تلقف العصا للسحر ـ أيمان السحرة برب العالمين وثباتهم على إيمانهم . غضب فرعون من السحرة وقتلهم وصلبهم)

لما أعضل موسى وأخوه بفرعون ولم يجد السبيل إلى اقرارهما بأنه الاله الحق رجا أن يعجزا عن الاتيان بآية تبين صدقهما فيما جاءا به عن إلههما . فطلب آية من موسى فألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان لاشك فيه يتحرك ويسعى ـ ووضع يده في جيبه ثم نزعها فاذا هي بيضاء للناظرين

رأى فرعون والملأ من قومه ذلك فعمدوا إلى التمادى على تكذيب موسى فيما جاء به من الآيتين . وأحالوا ذلك منه على السحر وتشاوروا فيما بينهم في شأن موسى مؤكدين أنه ساحر عليم يريد أن يخرجهم من أرضهم . فأدت بهم خاتمة المطاف إلى أن أشاروا على فرعون بأن يرجئ موسى وأخاه حتى يأتى بالسحرة من آفاق مصر ليأتوا بمثل ما أتى به موسى . لان هذه الآية التى أتى بها متى كان في مقدور غيره أن يأتى بمثلها فقد بطلت دعواه إذ الغرض أن يأتى بشيء لايقدر غيره على الاتيان بمثله . وإلا فأنه لا يسمى معجزة تدل على صدقه فيما يبلغ عن ربه

أرسل فرعون في مدائن مصر حاشرين يأتونه بالسحرة ـ وكان للسحر منزلة عظيمة في أرض مصر . يعنى به الملوك والامراء ويكافئون عليه . وهذا أمر لم يزل كشف الآثار المصرية يبين عنه الى اليوم . فجاءوا بجمهور عظيم من السحرة وكانوا مدلين بانفسهم واثقين من مقدرتهم على السحر والتصرف في الاعيان والعيون

وعرّضوا لفرعون بالأجر ينالونه جزاء قيامهم بالسحر. فوعدهم الاجر الجزيل. والزلفى لديه . وأى زلفى أعظم من زلفى قوم يؤيدون ربوبيته ويثبتون عرش (ألوهيته)ـ وطلب السحرة الاجر يدل على أن أمور الفراعنة كانت تقضى سخرة

ـ راود السحرة موسى هل يلقون سحرهم أو يلقى هو سحره أولا وكان الجمع حافلا وفى يوم الزينة ويظن أنه يوم وفاء النيل . فأنه كان أعظم أعيادهم فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون . وكان عتادهم العصى والحبال فألقوها فامتلأ المكان حيات وثعابين وخيل إلى موسى من سحرهم أنها تسعى

فى تلك اللحظة ابتهج فرعون وجنوده وعلية قومه وأيقنوا أن السحرة قد نجحوا وأن موسى لا يمكنه أن يأتى بشىء أعظم من سحرهم إذ كل ما فى يده عصاه فاذا قلبت حية فهى حية واحدة من مئات وآلاف قد غص بها رحب الساحة التى هم فيها

وفى تلك اللحظة أيضا هال موسى أمر تلك الحيات وأوجس فى نفسه خيفة ـ فامره الله أن يلقى عصاه. فاذا هى حية تسعى وإذا هى تبتلع حيات السحرة وتتلقفها فوقع الحق وبطل سحر السحرة . ودهش آل فرعون والملأ من قومه ـ وعلم السحرة أن السحر لا يفعل مثل ذلك . وإنما هى القوة الالهية صنعت هذا. فخروا ساجدين لله تعالى وآمنوا برب موسى وهارون مفضلين ذلك على الأجر الذي كانوا يرجونه من فرعون مستهينين بجزائه الذى سيوقعه بهم .

علم فرعون أنه لم يعجز موسى ولكن موسى أعجزه فاراد أن يستر عواره فقال للسحرة عن موسى : « أنه لكبيركم الذى علمكم السحر » ولهذا كان أقوى منكم وغلب سحره سحركم . قال هذا مع علمه بأن موسى لم يعرفهم . ولم يجتمع معهم من قبل بل كان ثاويا فى أهل مدين . ولم يتصل

بالسحرة بأية صلة . ولكنه المقهور المغلوب يلتمس لنفسه العذر وان كان لا يغني ـ ولا بد للمغلوب من بارد العذر ـ

ثم أخذ يتجنى على أولئك السحرة . ويقول لهم (آمنتم له قبل أن آذن لكم) موهما أنه يتصرف في وجدانهم وأنه كان على وشك أن يأذن لهم ولكنهم أجرموا بالايمان قبل صدور الاذن وهددهم بقطع الايدي والارجل من خلاف والتصليب على جذوع النخل فلم يثنهم ذلك عن الايمان. وقد نفذ فيهم ماهددهم به ـ ولقدهم فرعون أن يقتل موسى خوفا من أن يبدل دين المصريين أو أن يظهر في أرض مصر الفساد. ولعله انما يعني بالفساد اطلاق بني إسرائيل من أسر العبودية ويفوت بذلك على فرعون وآله المنافع التي تعود عليهم من تسخير بني اسرائيل في الاعمال الشاقة. ولعل الاعمال التي كانت تؤدى الى فرعون كانت على سبيل السخرة في الاعم الاغلب كما سبقت الاشارة إلى ذلك

يرشد الى هذا أن السحرة استفهموا من فرعون قائلين . (أئن لنا لاجرا إن كنا نحن الغالبين) ولو كانت الامور سائرة بغير سخرة لما ساغ لهم هذا السؤال

استنفد فرعون الوسع في أن يثني موسى عن دعوته الى الله فلم يفلح ولم يقلع وكلما فتح بابا للتجني على موسى وأخيه حول موسى مجرى الجدال الى شيء آخر فيه فرج

انظروا إلى قول فرعون (لئن اتخذت إلها غيري لاجعلنك من المسجونين) والى لباقة موسى في قوله (أولو جئتك بشيء مبين)

وكان موسى لا يترك فرصة للدعوة الى الله سواء أمام فرعون أو غيره .
انظروا الى قول موسى لآل فرعون لما اتهموه بالسحر (ويلكم لا تفتروا

على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) وقوله لهم (أتقولون للحق لما جاءكم) (أى هذه المقالة) اسحر هذا ؟

كانت عصارة هذه الاحوال كلها أن فريقا من بنى إسرائيل قد آمنوا لموسى وهم على خوف من فرعون ومن ملأ بنى إسرائيل أن يفتنهم لانه كان مسرفا لا يبالى مايصنع ويظهر أنهم كانوا شبابا لقوله تعالى (ذرية من قومه) وكان موسى يعتقد أن طغيان فرعون وملئه وإباءهم عن الأيمان به سببه أن الله تعالى أغدق عليهم الاموال فى الحياة الدنيا ومتعهم بلذائذ العيش فقست قلوبهم وظنوا بقاء ذلك النعيم فتمادوا فى طغيانهم ولم يصغوا للعظات التى يغاديهم بها موسى ويراوحهم فحمله ماعاناه من العناء فى إرشادهم وماتحمل من البلاء والعنف فى دعوتهم على أن يدعو عليهم بأن يسد الله تعالى طريق هدايتهم ويقل مابأيديهم من المال الذى هو سبب طغيانهم وإسرافهم فى أمرهم وأن يشد على قلوبهم ويبعدهم عن طريق الأيمان الى أن يسلمهم ذلك الى العذاب الاليم . وقد أجاب الله تعالى دعوته

ولما لم يفد العلاج مع فرعون أمر الله تعالى موسى أن يتخذ لبنى إسرائيل بيوتا للعبادة فى مصر ويقيم فيها الصلاة لله تعالى ـ اقرءوا هذه الآيات

سورة الاعراف ـ قال ان كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ١٠٦ فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ١٠٧ ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ١٠٨ قال الملأ من قوم فرعون أن هذا لساحر عليم ١٠٩ يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ١١٠ قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين ١١١ يأتوك بكل ساحر عليم ١١٢ وجاء السحرة فرعون قالوا أن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ١١٣ قال نعم وانكم لمن المقربين ١١٤ قالوا ياموسى أما أن تلقى

وأما أن نكون نحن الملقين ١١٥ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس
واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ١١٦ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك
فاذا هى تلقف ما يأفكون ١١٧ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ١١٨ فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين ١١٩ وألقى السحرة ساجدين ١٢٠ قالوا آمنا
برب العالمين ١٢١ رب موسى وهارون ١٢٢ قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن
لكم إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ١٢٣
لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم أجمعين ١٢٤ قالوا انا إلى ربنا
منقلبون ١٢٥ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا
صبراً وتوفنا مسلمين ١٢٦

سورة يونس — ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ٧٥ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا أن هذا
لسحر مبين ٧٦ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم. أسحر هذا. ولا يفلح
الساحرون ٧٧ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء
فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين ٧٨ وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم
٧٩ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ماأنتم ملقون ٨٠ فلما ألقوا قال
موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ٨١ ويحق
الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ٨٢ فماآمن لموسى إلا ذرية من قومه على
خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال فى الارض وأنه لمن
المسرفين ٨٣ وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم
مسلمين ٨٤ فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ٨٥ ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين ٨٦ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما

بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ٨٧ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك. ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ٨٨ قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ٨٩

سورة طه ـ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى ٥٧ فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى ٥٨ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ٥٩ فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ٦٠ قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ٦١ فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ٦٢ قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ٦٣ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاوقد أفلح اليوم من استعلى ٦٤ قالوا ياموسى أما إن تلقى وأما أن نكون أول من ألقى ٦٥ . قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ٦٦ . فأوجس فى نفسه خيفة موسى ٦٧ قلنا لاتخف أنك أنت الأعلى ٦٨ وألق ما فى يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ٦٨ فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى ٧٠ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم أنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ٧١ قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا ٧٢ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ٧٣ أنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ٧٤

ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ٧٥ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ٧٦

سورة الشعراء — قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين ٢٩ قال أولو جئتك بشيء مبين ٣٠ قال فأت به أن كنت من الصادقين ٣١ فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ٣٢ ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ٣٣ قال للملأ حوله أن هذا لساحر عليم ٣٤ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ٣٥ قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين ٣٦ يأتوك بكل سحار عليم ٣٧ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ٣٨ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ٣٩ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ٤٠ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا أن كنا نحن الغالبين ٤١ قال نعم وأنكم اذا لمن المقربين ٤٢ قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ٤٣ فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ٤٤ فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون ٤٥ فألقى السحرة ساجدين ٤٦ قالوا آمنا برب العالمين ٤٧ رب موسى وهارون ٤٨ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم أنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ٤٩ قالوا لا ضير أنا إلى ربنا منقلبون ٥٠ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين ٥١

هذا الموقف من مواقف موسى عليه الصلاة والسلام قد ذكر في التوراة في الاصحاح السابع من سفر الخروج من أوله إلى الآية ١٤ وهذا نصها

الاصحاح السابع من سفر الخروج — (١) فقال الرب لموسى انظر. أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك ٢ أنت تتكلم بكل ما آمرك وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق بني اسرائيل من أرضه ٣ ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر ٤ ولا يسمع لكما فرعون

حتى أجعل يدي على مصر فأخرج أجنادي شعبي بني اسرائيل من أرض مصر بأحكام عظيمة ٥ فيعرف المصريون أني أنا الرب حينما أمد يدي على مصر وأخرج بني اسرائيل من بينهم ٦ ففعل موسى وهارون كما أمرهما الرب هكذا فعلا ٧ وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون ٨ وكلم الرب موسى وهارون قائلا ٩ اذا كلمكما فرعون قائلا هاتيا عجيبة تقول لهرون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا ١٠ فدخل موسى وهرون الى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب . طرح هرون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا ١١ فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك ١٢ طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين . ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم ١٧ فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب

تمادي فرعون وقومه

في اصرارهم على الكفر — عودهم لايذاء بني اسرائيل بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم
تشجيع موسى لقومه وأمره لهم بالصبر ووعدهم بحسن العاقبة — تهديد
فرعون بقتل موسى

رأى فرعون الآيات فتمادى على كفره وأصر على عناده معرضا عن الآيات التي أتى بها موسى . وأغراه قومه بموسى لأنهم له منكرين عليه ترك موسى وقومه يفسدون في الأرض بالامتناع عن الأعمال التي سخروا فيها وأن يذر فرعون وآلهته لايعبدها ولا يعبد فرعون . فسكن فرعون روع القوم واعدا أياهم بأن يقتل أبناء قوم موسى ويستحيي نساءهم . معتزا بما له عليهم من القهر والغلبة والسلطان . ثم أتبع القول بالعمل . . .

مما هو طبيعي أن يضج بنو إسرائيل بالشكوى إلى موسى مما حاق بهم من

الحيف والجور . فوصاهم موسى بالصبر على هذا البلاء النازل وأن يستعينوا بالله على احتماله . ووعدهم حسن العاقبة . فلم يكفكف ذلك دموعهم وقالوا له (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا) . فمناهم هلاك عدوهم وأخراجهم من الضيق إلى السعة . وأن يكونوا خلفاء فى الأرض التى وعدوا . وأراد فرعون أن يبطش بموسى متحديا إلهه حتى لايكون منه تبديل لدين القوم أو فساد فى أرضهم ولكن موسى عاذ بالله من شر هذا المتكبر الذى لا يؤمن بحساب فكان عياذا — اقرءوا فى هذا الموقف الآيات الآتية

سورة الاعراف — وقال الملأ من قوم فرعون . أ تذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ١٢٧ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ١٢٨ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ١٢٩

سورة غافر — ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ٢٣ إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ٢٤ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا فى ضلال ٢٥ وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد ٢٦ وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ٢٧

لم تذكر التوراة مسألة اعادة تقتيل أبناء العبرانيين .

الائتمار بموسى لقتله

دفاع مؤمن آل فرعون عن موسى وانتصاره لدين موسى . مخالفة فرعون له . ورده على
الملأ من قوم فرعون ووعظه اياهم وتحذيرهم بأس الله . تذكيره اياهم بيوسف
وماكان منهم من الشك فيما جاءهم به . ودعاء القوم له الى منابذة موسى
والاستمساك بدين آبائه وأجداده . رده عليهم واستمساكه
بالايمان بموسى . تدبيرهم عليه ونجاته منهم ومن مكرهم

خلص فرعون والملأ نجيا يأتمرون بموسى لاهلاكه . ولما كان الحق لايعدم نصيرا قام رجل مؤمن من آل فرعون يكتم أيمانه بموسى ورب موسى الى ذلك الحين . ودافع عن موسى دفاعا يشكره الله له . وأبلى فى ذلك بلاء حسنا . وبين لهم انه لاينبغى أن يقتلوا رجلا يقول ربى الله . لان قوله ذلك لايصلح سببا للقتل . وبخاصة اذا كان قد جاءهم بالآيات الدالة على صدقه . وأنه لو فرض انه كاذب فيما يقول ما نا لهم ضرر من كذبه . ولا يحملون شيئا من أثمه . ولو فرض أنه كان صادقا أصابهم بعض الوعيد الذى توعدهم به . وقد عارضه فرعون فيما رأى ووجه أقواله الى الملأ ينتصر بهم على معارضته قائلا . ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد

عاد مؤمن آل فرعون إلى الكلام محذرا قومه بأس الله تعالى ووقعاته فى أمم عاد وثمود وقوم نوح وغيرهم ممن انتقم الله منهم جزاء وفاقا بما صنعت أيديهم . وذكرهم بأن الدعوة التى جاء بها موسى اليوم ليست جديدة . فقد جاء الى آبائهم واليهم ضمنا يوسف بالبينات . فلم يزل تصديقهم أياه حتى اذا هلك قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا . وأبان لهم أن ذلك من طبع الله على قلوبهم وامساكه تعالى عن هدايتهم هداية موصلة بالفعل الى المقصود . وأن

الله تعالى لا يهمل الحسنات ولا السيئات بل يجازى على كل شيء . وان المؤمنين لهم الجنات يرزقون فيها بغير حساب

تمادى قومه وجهدوا أن يردوه إلى دين قومه فلامهم على انه يريد بهم السعادة وهم يريدون له الشقاء الدائم فهو يدعوهم الى الايمان وهم يدعونه الى الكفر بالله تعالى العزيز الغفار — وان الآلهة التى يدعونه إلى عبادتها لا تنفع فى الدنيا ولا تشفع فى الآخرة . وان المرد الى الله تعالى وانه سيأتى عليهم وقت يذكرون فيه نصحه أياهم وانه يفوض أمره الى الله

ولقد هموا به كما هموا بموسى فوقاه الله سوء عملهم وكانت عاقبته السعادة وعاقبة آل فرعون النار ـ اقرأوا هذه الآيات

سورة غافر ـ (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم أيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأن يك كاذبا فعليه كذبه وأن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ٢٨ ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد ٢٩ وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ٣٠ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ٣١ وياقوم أنى أخاف عليكم يوم التناد ٣٢ يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ٣٣ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ٣٤ الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ٣٥)

وفى سورة غافر أيضا ـ . (و قال الذى آمن ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد

٣٨ ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار ٣٩ من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ٤٠ وياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ٤١ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ٤٢ لا جرم أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار ٤٣ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله أن الله بصير بالعباد ٤٤ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ٤٥ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٦)

لم تذكر التوراة ائتمار القوم بموسى لقتله ولا مسألة مؤمن آل فرعون ودفاعه عن موسى وتذكيره قومه بيوسف

فرعون يستخف بموسى ويباهي

بأنه ملك مصر مع ما فيها من الثروة . وينادي بأنه رب الناس الأعلى . وأن كل معبود دونه

كان من موسى بعد أن نصره الله تعالى على سحرة فرعون فآمنوا مستهينين بعذاب الدنيا . أن دأب على دعاء فرعون الى الايمان وأطلاقه بني اسرائيل . وتمادى فرعون في دفعه . ورأى عظيما أن يلبي دعوة موسى ويتبع دينه مع ما لفرعون من عزة السلطان ووافر الثروة التي تدرها عليه مصر بسبب نيلها الفياض وما له من الفروع التي تبعث الحياة الرافغة في مصر كأنها الشرايين تمد مصر بالحياة اذ تسري في أرضها الدانية والقاصية فتسري فيها الثروة واليسر وكأنه كان ينظر الى قول الشاعر بعد عصره

فلا تعجب فكل خليج ماء　　بمصر مسبب لخليج مال

زيادة أصبح فى كل يوم زيادة أذرع فى حسن حال

وغلبت عليه نفسه المادية التي لا تري الخير والعز الا فى وفرة المال. ولا تعرف أن الله يختص برحمته وفضله من يشاء فقال (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) . ثم لجأ الى الاعنات وطلب ما هو أقل مما أتى به موسى من الآيات البينات على صدقه . وقال (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) كأن هذا الذى يطلبه لا يحال على أنه سحر كما قال عن العصا التى استحالت ثعبانا واليد التي اكتست لون البياض بلا مرض بدل لون الادمة

كانت هذه الاقوال من فرعون كافية لاستخفافه قومه . وإطاعتهم له ميلا منهم عن الحق وزيغا عن طريق الهدى . لأنهم ألفوا الانقياد له حيث شاء وفى كل وجه اراد . فأفنوا ذاتهم فى ذاته . وأماتوا شخصياتهم فى شخصه وأهدروا آدميتهم ابتغاء الزلفى لديه . وجره ذلك الى ان حشر الناس من آفاق البلاد قائلا (أنا ربكم الاعلى) الذى ينبغى أن تخصوه بالعبادة دون اله موسى الذى جاءنا به على غير معرفة منا به ـ اقرءوا هذه الآيات

سورة الزخرف ـ (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ٥١ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ٥٢ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ٥٣ فاستخف قومه فأطاعوه أنهم كانوا قوما فاسقين ٥٤)

سورة النازعات (ثم أدبر يسعى ٢٢ فحشر فنادى ٢٣ فقال أنا ربكم الأعلى ٢٤ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ٢٥ أن فى ذلك لعبرة لمن يخشى ٢٦)

الآيات التى أرسلها الله تعالى

على فرعون وقومه لما كذبوا موسى عليه السلام *

لما أخذت فرعون العزة بالاثم وعتا عن أمر الله تعالى وتمادى فى تكذيب موسى واستمر فى أعنات بنى اسرائيل وأيقاع ضروب الادلال والاهانة بهم أمر الله تعالى موسى أن يعلن فرعون وقومه بأن الله تعالى سيوقع بهم العذاب جزاء لهم على تكذيبه وامتناعهم من اطلاق بنى اسرائيل . فكانوا كلما وقع بهم عذاب بعد أنباء موسى أياهم به وعدوه بالايمان به تارة وبارسال بنى اسرائيل معه تارة أخرى إذا سأل ربه كشف مانزل بهم من العذاب . فاذا كشف الله عنهم مانزل بهم . عادوا الى طغيانهم وغدروا بعهدهم وخاسوا بوعدهم وهكذا الى أن كانت الآية الكبرى والبطشة العظمى وهى إغراق فرعون فى اليم ونجاة بنى اسرائيل والآيات هى :

(١) الجدب بأن قل عنهم النيل وقصر عن إرواء أرضهم وسنو الجدب يؤرخ بها فيقال لعام الجدب سنة..... ومنها أسنت القوم أى اصابتهم السنة

(٢) النقص من الثمرات بسبب ما يأتى عليها من الجوائح والعاهات

(٣) الطوفان ولم يقطع المفسرون بأن هذا الطوفان كان على أى وجه فهل كان بطغيان النيل على الارض وامتداد زمن بقائه على وجه الارض حتى عاقهم عن الزرع فى الوقت المناسب . أو كان بتتابع المطر على أرض مصر فى وقت كان فيه الزرع ناميا حتى أغرقه وأضر به كل محتمل . وقد مال البيضاوى الى هذ فى تفسيره

(٤) الجراد: بأن أرسل الله على بلاد مصر الجراد فأكل الزرع واجتاح الثمار

(٥) القمّل: الذى اقض مضاجعهم وأتعبهم أيما تعب. وفى التوراة البعوض بدل القمل. وفى البيضاوى قيل هو كبار القراد وقيل صغار الجراد. قبل نبات أجنحتها. وعبارة القاموس. والقمل كسكر صغار الذر والدبا. الذى لا أجنحة له أو شىء صغير بجناح أحمر وشىء يشبه الحلم لا يأكل أكل الجراد. خبيث الرائحة أو دواب صغار كالقردان واحدتها بهاء أو قمل الناس وهذا القول مردود ا ه

(٦) الضفادع: قيل أنها كثرت عندهم حتى نغضت عليهم عيشهم بسقوطها فى طعامهم وفراشهم وبين ملابسهم

(٧) الدم: بان استحال الماء لاهل مصر دما. وقيل ان الله سلط عليهم الرعاف

(٨) الطمس على أموالهم وهو محقها وأهلاكها

(٩) اليد: اذ كان يضع يده فى جيبه ثم يخرجها بيضاء من غير سوء

وبعض المفسرين يعد الآيات على غير هذا الوجه فيجعل فلق البحر من الآيات التسع. وآخرون يجعلون انبجاس الحجر بالماء لبنى اسرائيل من الآيات التسع ولا يخفى أن فلق البحر انما كان بعد تمام الآيات. وانبجاس الحجر بالماء انما كان بعد هلاك فرعون فلا يصح أن يكون آية له ولقومه وأنا أعد الآيات هكذا

(١) السنون (٢) نقص الأموال (٣) نقص الانفس (٤) نقص الثمرات (٥) الطوفان (٦) الجراد (٧) القمّل (٨) الضفادع (٩) الدم

واعلموا أن هذه الآيات التسع غير الآيات التى أرسل بها موسى الى بنى اسرائيل وهى المذكورة بقوله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم) المذكورة فى سورة الأسراء. فقد فسرها البيضاوى بأنها آيات ارسل بها موسى الى بنى اسرائيل. وهى أحكام أمروا بالأخذ بها لا آيات عقاب عوقب بها فرعون وجنوده وهو أحد وجوه أوردها فى هذه الآية

وعبارته بنصها (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هى: العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وفلق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل : وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة . وعن صفوان أن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرئ لذى سلطان ليقتله . ولا تقذفوا محصنة . ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله . فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع

اقرءوا هذه الآيات :

سورة الأعراف — (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ١٣٠ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ١٣١ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ١٣٢ فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ١٣٣ ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل ١٣٤ فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ١٣٥)

سورة الاسراء — (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا ١٠١ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وانى لأظنك يافرعون مثبورا)

سورة طه — (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى ٥٦)

سورة النمل — (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ١٣ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ١٤)

سورة القصص — (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ٣٦ وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ٣٧)

سورة الزخرف — (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين ٤٦ فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون ٤٧ وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ٤٨ وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون ٤٩ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ٥٠)

سورة القمر — (ولقد جاء آل فرعون النذر ٤١ كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ٤٢)

سورة النازعات — (فأراه الآية الكبرى ٢٠ فكذب وعصى ٢١)

ذكرت التوراة الآيات التى جاء بها موسى الى فرعون وملئه وجعلتها ثنتى عشرة آية . ولما كان الاتيان بنص ذلك كله يطيل المقام أحببت ذكر تلك الآيات التى جاءت فيها مع الاشارة الى مواضع نصوصها طلبا للاختصار واليكم ما جاء فيها

(١) انقلاب العصا حية وقد تقدم

(٢) انقلاب ماء نهر النيل دما سبعة أيام وموت السمك فى النهر و نتن مائه من الآية ١٤ من الاصحاح السابع خروج الى آية ٢٥ منه

(٣) صعود الضفادع من النهر الى أرض مصر ومضايقتها للمصريين حتى

غطت أرض مصر. من أول الاصحاح الثامن الى الآية ١٥ منه

(٤) كثرة البعوض بأرض مصر على الناس والبهائم ولعله المعبر عنه بالقُمّل والبعوض هو الذى يعبر الناس عنه بالبق من الآية ١٦ أصحاح ٨ الى آخر الآية ١٩ منه

(٥) كثرة الذباب فى أرض مصر وبيوت المصريين كثرة فاحشة حتى تنغض عيشهم فى الآية ٢٠ من الاصحاح الثامن خروح الى آخر الآية ٢٤ منه

(٦) تفشى الوباء فى مواشى المصريين من الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم من أول الاصحاح التاسع الى الآيه ٧ منه

(٧) فشو الدماميل فى الناس والبهائم من الآية ٨ من الاصحاح التاسع من سفر الخروج الى الآية ١٢ منه

(٨) نزول البرد العظيم يهلك ما أصاب من المواشى والناس من الآية ١٣ من الاصحاح التاسع خروج الى الآية الخامسه والثلاثين منه

(٩) وجود الجراد بكثرة وأكله الزرع والثمار من أول الاصحاح العاشر من سفر الخروج الى الآية ١٥ منه

(١٠) أظلام أرض مصر ثلاثة أيام من الآية ٢١ من الاصحاح العاشر الى الآية ٢٣ منه

(١١) موت كل بكر من الناس والبهائم فى مصر من أول الاصحاح الحادى عشر من سفر الخروج الى الآية ٢٩ من الاصحاح الثانى عشر

(١٢) اليد . علم أمرها مما تقدم

انطلاق بني اسرائيل

ندم فرعون وقومه ـ رحيل فرعون فى أثرهم لردهم . انشقاق البحر. عبور بنى اسرائيل على أرض البحر
اقتحام فرعون فى أثرهم ـ انطباق الماء على فرعون وجنوده وغرقهم ـ من هو فرعون
أين موضع العبور

انطلق موسى بقومه بنى اسرائيل من أرض مصر ذاهبا الى أرض فلسطين كما قال تعالى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) فهل كان هذا الانطلاق بناء على أمر صدر له من فرعون بعد أن أمضه الله وقومه بالعذاب الشديد فى الآيات التسع ؟

تقول التوراة ان ذلك كان بناء على سماح فرعون لهم بالانطلاق ليتخلص من ضروب العذاب التى حاقت بقومه ـ أى إن سماح فرعون لهم بالانطلاق للتخلص من شر موسى لا لانه آمن برب موسى وهارون . والقرآن ساكت عن هذه النقطه

ندم فرعون على ارسال بنى اسرائيل أو أنه رأى أنهم انطلقوا بلا اذن منه فأرسل فى المدائن حاشرين فجمع جندا عظيما واتبع بنى اسرائيل ليردهم الى عبوديته وكان بنو اسرائيل قد بلغوا ساحل البحر الأحمر على خليج السويس واطلع عليهم مع شروق الشمس فايقنوا بالهلاك وان فرعون باطش بهم فسكن موسى روعهم وضرب البحر كما أمره الله تعالى فانفلق حتى ظهرت أرضه وأمر بنى اسرائيل بالعبور فيه فعبروا من الشاطىء الغربى الى الشاطىء الشرقى . وأشرف فى ذلك الحين فرعون على الموضع الذى عبر منه بنو اسرائيل فرأى طريقا فى البحر لا وعورة فيه . وبنى اسرائيل بين فرقى الماء لم يمسهم أذى فطمع ان يعبر فى أثرهم فيردهم هو وجنوده . فاقتحموا الطريق اليابس فى البحر خلف بنى اسرائيل . فلما جاز

بنو اسرائيل البحر ولم يبق أحد منهم بين المياه المنحسرة . وفرعون قدتوسط البحرهو وجنوده انطبق البحر عليهم وعاد كما كان أولا .وغرق فرعون وجنوده ولم يفلت منهم أحد ممن اقتحم الماء

فى ذلك الوقت الذى أدرك فيه فرعون الغرق . قال (آمنت أنه لا أله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين)

والذى أعتقده أن فرعون أراد أن يدفع عن نفسه الغرق بهذه الكلمة التى نطق بها دون أن يعتقدها مقدرا أنه بذلك يخدع موسى وإلهه. ويمثل فى هذه المرة الأدوار التى مثلها من قبل . لانه وقومه كانوا يقولون لموسى (ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) الخ ويقولون لموسى (يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون) فكان الله يكشف عنهم البلاء ثم يعودون سيرتهم الاولى فظن أنه ينجو فى هذه المرة بمثل الخديعة التى كان ينجو بها أولا . ولا يعجبني قول الجلال الدوانى . ان فرعون ناج لانه آمن . والله تعالى يقول « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن » وقال تعالى : (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا أيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا) . وفرعون لم يكسب فى ايمانه خيرا بفرض أنه آمن .

اما فرعون فقد اختلف فى اسمه الحقيقى . وأحدث الاقوال ان اسمه ريان أبا . وقد اكتشفت جثته فى أحد النواويس وكتب بشأنه المرحوم أحمد نجيب بك الاثرى الشهير صاحب (الأثر الجليل فى قدماء وادي النيل) مقالا ضافيا فى المؤيد أيام العثور على جثة ذلك الرجل وأكد انه فرعون موسى. وأن قوله تعالى : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » تحقق بالعثور على جثته . ومن علاماته أن ذلك الرجل أرنبة أنفه مأكولة غير موجودة فعلل ذلك بأن السمك أكل ذلك المكان من جسمه وانه ألقى الى الساحل وان المصريين أخذوه وحنطوه ودفنوه . وأنا أميل الى رأيه

رأى آخر فى فرعون صاحب موسى

فى يوم ٧ مايو سنة ١٩٣٢ نشرت الاهرام بحثا للمونسنيور لويس ملحمه فى شأن فرعون موسى فما جاء فى ذلك البحث الطلى قوله

تكرر ذكر فراعنة مصر فى ثنايا الاسفار المقدسة على وجوه شتى . وكان أول فرعون ذكر فى الاسفار فرعون ابراهيم وآخرهم فرعون صدقيا على أن من هؤلاء الفراعنة من أطلقت عليهم التوراة اسمه العلمى كشيشاق وزارح وهذان من السلالة الثامنة والعشرين ـ وترهاقة من السلالة الخامسة والعشرين ومنهم من ذكرتهم باسم فرعون مردفا بالعلمية وهما فرعون خفرع وفرعون نكو ـ وهذان الاخيران من السلالة السادسة والعشرين

ثم أخذ يأتى بالادلة ويقارن فهداه البحث الى أن بنى اسرائيل ذاقوا الامرين من اثنين من الفراعنة كل منهما قد اشتد فى معاملتهم بارهاقهم بالتسخير والاعمال الشاقة وقتل الابناء واستحياء النساء

وان الفرعون الاول هو الذى سام بنى اسرائيل أقسى الاضطهاد وان ثانيهما الذي خلف الاول مباشرة هو الذى خرج بنو اسرائيل من مصر فى أيامه وهو صاحب موسى . وان العلماء والباحثين فى الآثار وان كانوا لم يتفقوا على اسم كل فرعون منهما ولكن السواد الاعظم منهم على ان خروج الاسرائيليين كان فى عهد الفرعون منفتاح سليل الاسرة التاسعة عشرة وهو ابن رمسيس الثانى الذى ملك من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٢٥ قبل المسيح أى مدة سبع وستين سنة ثم ساق الادلة وكان من ضمنها أن مدة مكث بنى اسرائيل فى مصر كانت ٤٣٠ سنة وذكر أن ماسبرو يسلم بشيء من الافتراض القديم

أن رعمسيس الثانى هو الملك الذى لا يعرف يوسف وان الخروج حدث بعد وفاته . ثم ذكر أن رعمسيس كان عدو الحثيين وخشى أن ينضم بنو اسرائيل الى خصومه فأذلهم وأرهقهم . وانه فى عهد اضطهاد رمسيس لبنى اسرائيل ولد موسى . ثم ختم مقاله بقوله : فينتج اذا مما تقدم بيانه أن رعمسيسنا هو مضطهد العبرانيين وقد ملك سبعا وستين سنة كما مر بك وهو أيضا الذى أشار اليه سفر الخروج بقوله (وكان بعد أيام كثيرة ان ملك مصر مات) فخلفه على سدة الفراعنة ابنه منفتاح وهو الفرعون الذى خرج بنو اسرائيل فى أيامه من أرض مصر اه

أما موضع العبور فلم يعلم بالضبط والتوراة تورد أسماء أمكنة مر بها بنو اسرائيل حتى أتوا الى مكان العبور . وهذه الامكنة ليست مسمياتها معروفة اليوم. والبحارة فى البحر الاحمر يسمون مكانا فى خليج السويس (بركة فرعون) ويقولون أن العبور كان بها وهى بعيدة عن السويس كثيرا تمر بها السفن البخارية بعد نصف الليل اذا قامت من السويس فى المساء وانى استبعد ذلك كثيرا وأعتقد أن خليج السويس كان يمتد فى تلك الازمان الى البحيرة المرة أو يقرب منها وفى هذا الخليج من تلك الناحية كان عبورهم. وبعبارة أخرى انهم عبروا من مكان شمالى المكان المعروف بعيون موسى فى البر الاسيوى وهى لا تبعد عن السويس كثيرا

وتقول التوراة : ان الله ارسل ريحا شرقية على البحر فازالت الماء حتى ظهرت اليابسة وعبر بنو اسرائيل فتبعهم فرعون فغرق

وعلى كل حال فالآية ظاهرة واضحة سواء أكان ذلك بسبب ضرب موسى البحر أو بهبوب الريح بالكيفية التي شرحتها التوراة . فان الناس لم يعهدوا أن الريح عملت هذا العمل فى هذا الخليج مرة أخرى فلم يكن ذلك الا بعناية خاصة

من الله تعالى لا نفاذ ما فى علمه

ويذكر المفسرون أن الطرق كانت اثنى عشر طريقا بعدد أسباط بنى اسرائيل وعبارة القرآن ليست نصا فيما يقولون. اقرءوا هذه الآيات

سورة الاعراف : (فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ١٣٦ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ١٣٧)

سورة يونس : (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ٩٠ آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ٩١ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ٩٥)

سورة الاسراء : (فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا ١٠٣ وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ١٠٥)

سورة طه :(ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ٧٧ فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم ٧٨ وأضل فرعون قومه وما هدى ٧٩)

سورة الشعراء :(وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون ٥٢ فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ٥٣ أن هؤلاء لشرذمة قليلون ٥٤ وأنهم لنا لغائظون ٥٥ وأنا لجميع حاذرون ٥٦ فأخرجناهم من جنات وعيون ٥٧ وكنوز ومقام كريم ٥٨ كذلك وأورثناها بنى اسرائيل ٥٩ فأتبعوهم مشرقين ٦٠ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى أنا لمدركون ٦١ قال كلا أن معى ربى سيهدين ٦٢ فأوحينا

الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ٦٣ وأزلفنا ثم الآخرين ٦٤ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ٦٥ ثم أغرقنا الآخرين ٦٦ أن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ٦٧ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ٦٨)

سورة القصص : (واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ٣٩ فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ٤٠)

سورة الزخرف : (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ٥٥ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ٥٦)

سورة الدخان : (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ١٧ أن أدوا الىّ عباد الله إنى لكم رسول أمين ١٨ وان لا تعلوا على الله أنى آتيكم بسلطان مبين ١٩ وإنى عذت بربي وربكم أن ترجمون ٢٠ وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون ٢١ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ٢٢ فأسر بعبادى ليلا أنكم متبعون ٢٣ واترك البحر رهوا أنهم جند مغرقون ٢٤ كم تركوا من جنات وعيون ٢٥ وزروع ومقام كريم ٢٦ ونعمة كانوا فيها فاكهين ٢٧ كذلك وأورثناها قوما آخرين ٢٨ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ٢٩ ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين ٣٠ من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ٣١)

سورة الذاريات : (وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين ٣٨ فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون ٣٩ فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم ٤٠)

طبيعى أن يفهم أن فرح بنى اسرائيل كان عظيما جدا بنجاتهم بهذه الاعجوبة وهلاك فرعون وجنوده فى اليم حتى صاروا سلفا ومثلا للآخرين على مر الدهور وتعاقب الحقب

وقد ذكرت التوراة نجاة بنى اسرائيل وهلاك فرعون فى الاصحاح الرابع عشر من سفر الخروج ويلخص فى أن بنى اسرائيل ضلوا طريق فلسطين وكان ملك الله يسير أمامهم فى عمود دخان نهارا وفى عمود نار ليلا ليضىء لهم ثم أمرهم الله بالعود الى مكان خاص. وغضب فرعون من انطلاقهم . فجمع جنوده وخيله ومركباته قاصدا رد بنى اسرائيل إلى العبودية والذل . فلما رأى بنو اسرائيل فرعون وجنوده ذعروا وفزعوا إلى موسى فأوحى الله إليه أنهم ناجون وأن فرعون وجنده مغرقون . وحال بين فرعون وبينهم وضرب موسى البحر فأجرى الله تعالى ريحا شرقية قوية طول الليل حتي جعلت فى البحر طريقا يابسة وسار فيها موسى وبنو اسرائيل على اليبس والماء كالسور عن يمينهم وعن شمالهم . فساروا فيه حتى عبروا الى الضفة الأخرى ورآهم فرعون يسيرون على اليابسة فسار فى أثرهم فلما توسط اليم وعبر بنو اسرائيل جميعاً انطبق الماء على فرعون وجنده فاغرقوا جميعاً

وفى الاصحاح الخامس عشر فرح بنو اسرائيل واعلنوا فرحهم مترنمين بتسبيح الله تعالى . وأخذت مريم أخت هارون الدف وخرج جميع النساء وراءها يدفقن ويرقصن لنجاتهم وهلاك عدوهم

سوء حال فرعون وقومه يوم القيامه

وما أعد الله لهم من الخزى والنكال

لايحتاج الى شرح أو تعليق ماجاء فى الكتاب الكريم من الآيات متعلقا بمآل فرعون وقومه وما أعد الله تعالى لهم من سوء العذاب وأليم العقاب فى الدار الآخرة وحسبنا فى ذلك أن نقول اقرءوا الكتاب ففيه عبرة لأولى الالباب

سورة هود : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ٩٦ الى فرعون وملئه

فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ٩٧ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود ٩٨ وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ٩٩)

سورة القصص : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ٤١ وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ٤٢)

سورة غافر ـ (وحاق بآل فرعون سوء العذاب ٤٥ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٦ واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ٤٧ قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ٤٨ وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ٤٩ قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ٥٠ أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ٥١ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ٥٢)

سورة الدخان ـ (أن شجرة الزقوم ٤٣ طعام الأثيم ٤٤ كالمهل يغلى فى البطون ٤٥ كغلى الحميم ٤٦ خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ٤٧ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ٤٨ ذق انك أنت العزيز الكريم ٤٩ ان هذا ما كنتم به تمترون ٥٠)

لصوق الوثنيـــة

(بقلوب فريق من بنى اسرائيل على عهد موسى . طلبهم الى موسى أن يجعل لهم ألها كما للناس آلهة حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم . توبيخ موسى لهم على طلبهم ألها غير الله الذى انجاهم من سوء العذاب وفضلهم على العالمين

تفجير العيون من الصخر بعدد قبائل بنى اسرائيل . انزال المن والسلوى عليهم فى برية سينا . تظليل الغمام لهم من حر الشمس . طلبهم أن يطعمهم الله تعالى الفوم (الثوم) والقثاء والعدس والبصل)

كان بنو اسرائيل قد ألفوا وثنية المصريين وقلدوهم فى وثنيتهم شأن المغلوب فى تقليد الغالب ولم يؤمن بموسى و ألهه الأذرية من قومه على حال رهبة من فرعون وشيوخ بنى اسرائيل أن يفتنهم عن دينهم ويردهم الى الوثنية كما قال تعالى (فما آمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم) باعتبار الضمير فى ملئهم راجعا الى قوم موسى . ولم تكن العجائب التى ضرب الله بها فرعون وقومه لتزجرهم عن تلك الوثنية التى طال ألفهم لها

ما بالكم بقوم لقوا من المصريين الوان العذاب ، من الذل والاهانة وجاءهم منقذ منهم هو موسى . وقد لقى الامرين فى انقاذهم من العذاب الأليم وتحمل فى سبيل ذلك الاهانة والسخرية والتهديد بالقتل والتكذيب ورمى بانه ساحر مجنون. والقى على فرعون وقومه الدروس القاسية بآياته البينات الدالة على صدقه ورأوا بأعينهم انفلاق البحر لهم حتى جازوه على يبس قاعه لم تبتل أقدامهم ولا نعالهم ولم يفقدوا نقيرا ولا قطميرا بل خدعوا نساء المصريين واستعاروا منهن الحلى من الذهب والفضة وذهبوا بذلك المال كله كما ذهب الاسير بقيده

ولما أراد فرعون أن يدركهم ويردهم الى عبوديته وطمع أن يعبر كما عبروا أطبق الله عليه وعلى جنوده الماء فكانوا من المغرقين .

كل ذلك يجرى أمام أعينهم وموسى يتخولهم بالنصح والموعظة . ويقول لهم ان كل الاعمال التى عملها إنما هى من صنع إلههم وإله آبائهم الواحد الحى المنزه عن الشريك والمعين . ورمال البحر الرطبة لم تزل عالقة بنعالهم . مع هذا كله غلبت عليهم الوثنية اللاصقة بقلوبهم وغلبت عليهم بلادة الطبع والمركز فى

طبيعتهم من السخف وما استولى على أنفسهم من الغشاثه

أجل غلبت عليهم كل هذه الخصال الذميمة ودفعتهم الى أن يطلبوا من موسى (وقد مروا على قوم يعبدون الاصنام) ان يتخذلهم إلها كما لهؤلاء القوم آلهة

لاجرم كان جواب موسى لهم تجهيلا ولو ما وذما على طلبهم إلها سوى الله الذى فعل بعدوهم العجائب المدهشة . وأنجاهم من عذابه بأعجوبة الاعاجيب وخصهم بالاكرام . وفضلهم على العالمين . وان إلها هذه آياته وهذا احسانه اليهم لايعدل عن عبادته إلى عبادة غيره الا من سفه نفسه وسجل عليها من الجهل عارا لايمحى

ولما كان القوم قد عبروا الى سهول شبه جزيرة سيناء والشمس فيها شديدة ولا مساكن يكتن فيها القوم . ولا شجر يتفيأون ظلاله شكوا الى موسى ما يلقون من العناء فدعا موسى ربه فساق الغمام الى ذلك المكان ليظلهم ويقيهم وهج الشمس ودام ذلك لهم

ولما كان زادهم عرضة للنفاد وتاقت أنفسهم الى اللحم مع خشيتهم الجوع والهلاك . أرسل الله لهم الرياح تحمل لهم المن والسلوى . والمن مادة تتزهر على أوراق بعض الاشجار يميل طعمها الى الحلاوة فيها لين وهى سهلة الهضم . والسلوى طائر السمانى كان يغطى الارض فيأخذ منه كل انسان حاجته . وقد أمرهم ان لا يطغوا فيه بالادخار لأن ذلك من سوء الظن بالله . فخالف قوم منهم وادخروا فداد ماذخروه كما بين ذلك فى سفر الخروج

ولما جازوا البحر وجاءوا الى الشاطىء الشرقى لم يجدوا ماء لشربهم وسقيا دوابهم. فشكوا الى موسى متذمرين واستسقوه فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه. فلما ضربه انبجست منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط من الاسباط عين تجرى بالماء

يشرب منها وهذه العيون بالبر الشرقي غير بعيدة من مدينة السويس شهيرة (بعيون موسى) وقل اليوم ماء هذه العيون وبعضها طمست آثاره . ويزرع على تلك المياه بعض النخيل . والظاهر ان ضرب الحجر وانبجاسه بالماء حصل مرات

اقرءوا هذه الآيات

سورة الاعراف : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ١٣٨ إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون ١٣٩ قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين ١٤٠)

سورة طه : (يابني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ٨٠ كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ٨١ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ٨٢)

سورة الاعراف : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ١٥٩ وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ١٦٠)

سورة البقرة - (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم)

قد يكون طلبهم البقول والعدس والبصل واخواتها وسيلة من الله تعالى لتنبيههم الى أن طلبهم لا يكون الا اذا نزلوا مصرا من الامصار . تجيء اليه

ثمرات ريفه . وتجلب اليه خيرات الارض الزراعية القريبة منه حتى اذا علموا بذلك كان مغريا لهم بمنازلة اعدائهم ومكاثرتهم حتى يملكوا عليهم مدينتهم للارتفاق بريفها والحاصلات التي تجيء اليها . ولكن ذلك لم يوقظ همتهم التي اخمدها ظلم فرعون وآله وما صب على رؤوسهم من المصائب فى الاحقاب الطويلة التى جعلت الخنوع والذلة خلقا مركزا فيهم . وسيأتى لذلك فضل بيان عند طلب موسى اليهم دخول الارض المقدسة التى كتبها الله لهم

ذهاب موسى عن بنى اسرائيل

لميقات ربه . وكتابة الله تعالى له الواحا متضمنة الوصايا التى يطلب الى بنى اسرائيل العمل بها

أوصى الله موسى ان يصعد الى الجبل ويمكث فيه ثلاثين ليلة حتى اذا أتمها أعطاه الله ألواحا وكتب له فيها الوصايا التى يأخذ بها بنو اسرائيل أنفسهم وأعقابهم من بعدهم

ذكر البيضاوى والنسفى والخطيب والألوسى (وعباراتهم متفاوتة) أن موسى وعد قومه بنى اسرائيل وهم بمصر : ان أهلك الله فرعون أتاهم بكتاب فيه مايأتون وما يذرون . فلما أهلك الله فرعون سأل موسى ربه الكتاب . فأمره أن يصوم ثلاثين يوما وهى شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر موسى خلوف فمه . فاستاك أو أكل بعض النبات فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك . فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة . وأخرج الديلمى عن ابن عباس يرفعه لما أتى موسى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين وقد صام ليلهن ونهارهن كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول من نبات الارض فمضغه فقال له ربه لم أفطرت ؟ وهو

أعلم بالذى كان قال أى رب كرهت أن أكلمك إلا وفى طيب الريح قال أوما علمت ياموسى أن ريح فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرة أيام ثم ائتنى ففعل موسى عليه السلام الذى أمره ربه ا ه

وذلك مصداق قوله تعالى . « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة »

وقبل ذهاب موسى لميقات ربه أمر أخاه هارون أن يكون خليفته على بنى اسرائيل . وأكد عليه الامر بالنظر فى مصالحهم وشؤونهم واليقظة فى أمرهم

وبعد تمام الاربعين كلم موسى ربه فقال . « رب أرنى أنظر اليك » أى مكنى من رؤيتك أو تجل لى فأنظر اليك وأراك . فقال الله تعالى له . « لن ترانى ولكن انظر الى الجبل . فان استقر مكانه فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » وهنا مجال واسع للكلام بين أهل السنة المجوزين لرؤية الله تعالى والمعتزلة المانعين لها (وهذا مبحث يرى فى موضعه لا هنا). ويقول المفسرون : كيف يطلب موسى رؤية الله مع علمه بأنها غير ممكنة . ويستدلون بذلك على جوازها . والا لما طلبها موسى. كأن موسى بمجرد نبوته صار عالما بكل شىء . وما دروا أن موسى كان عليه أمور كثيرة ينبغى أن يعلمها . واذا كان حاله مع العبد الصالح أن قال له لما شاء صحبته . هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . أفما كان موسى محتاجا أن يتعلم من الله وعن الله شيئا حتى يقال أنه يعلم أن الرؤية ممكنة . ولولا ذلك ما سألها ؟

ويعجبنى قول الالوسى - سلمنا أن سؤال الرؤية ينافى العلم بالاحالة لكنا نلتزم القول بعدم العلم . وهو غير قادح فى نبوته عليه السلام فان النبوة لا تتوقف على العلم بجميع العقائد الحقة . أو جميع ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز . بل

علمه ما يتوقف عليه الغرض من البعثة والدعوة الى الله تعالى وهو وحدانيته . وتكليف عباده الاوامر والنواهى تحريضا لهم على النعيم المقيم . وليس امتناع الرؤية من هذا القبيل

أعلن الله أنه لن يراه . اما لان الرؤية غير ممكنة أصلا كما يقول المعتزلة واما لانها غير ممكنة فى هذه النشأة - كما يقول بعض العلماء - أولانه لا يقوى على تلك الرؤية . ثم أراد الله أن يعلمه أنه أنما طلب شيئا عظيما لا تتحمله الجبال فتجلى الله للجبل فصار دكا . أى غاص فى الارض أو تفتت وخر موسى مغشيا عليه كما يخر من أخذته الصاعقة . وذلك لما هاله من صوت ماعرا الجبل حين صار دكا . « فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » بعظمتك وجلالك . ويقول بعض المفسرين . أن موسى مات ثم أحياه الله تعالى وهو قول لا يساعد عليه الكتاب لان الافاقة انما تكون عن غشية ومن حي بعد موته لا يقال له أفاق . وتاب موسى من أن يطلب مثل ذلك الطلب وآمن أنه طلب مالا يقوى على احتماله . وبأن عظمة الله بالغة الحد الذى لا يطاق . وقد اختلف أهل التفسير فى هل رأى موسى ربه قبل الصعق أو بعده أو لم يره . وأنا اريح نفسى من هذا الاختلاف ملتجئا إلى كتاب الله اذ يقول . « لن ترانى » وأقول أن الرؤية لم تحصل قبل الصعق ولا بعده

بعد أن أفاق موسى من غشيته خاطبه الله تعالى بأنه اصطفاه على الناس برسالاته (وهى أسفار التوراة) وبكلامه تعالى بان يوحى اليه بلا واسطة ملك . بل يسمعه ما يريد أن يبلغه اليه وأمره أن يأخذ ما أعطاه من شرف الاصطفاء والكلام شاكرا الله تعالى على ما أعطى

وكتب الله تعالى ما تحتاج اليه بنو اسرائيل من بيان الحلال والحرام والمحاسن والقبائح فى الواح اختلف المفسرون فى عددها بين عشرة واثنين كما اختلفوا

فى حقيقتها بين خشب وحجر وزبرجد وياقوت.وكل هذا لا يعنينا .وكان المكتوب فيها مواعظ وأحكام وتفصيل لكل شيء يهم بنى اسرائيل وأمره الله تعالى أن يأمر بنى اسرائيل أن يأخذوا باحسنها أى يسيروا على أحسن وأفضل ما رسم فيها . بان يفعلوا ما هو أدعى إلى الزلفى من الله تعالى فاذا نص فيها على خصلتين تقربان الى الله تعالى واحداهما تستدعى ثوابا أعظم فعليهم ان يأخذوا بالافضل ـ وان كان فى كل فضل ثم وعده الله بان يريهم دار الفاسقين وقد اختلف المفسرون فى دار الفاسقين ما هى ؟ فقال فريق إنها مصر عاد اليها بنو إسرائيل بعد هلاك فرعون وجنده وهذا القول عندى ليس بشيء

وقال الكلبي منازل عاد وثمود . وهو كلام حاطب ليل لان ديار ثمود وان كانت قريبة من بنى اسرائيل الموجودين فى شبه جزيرة سينا ورؤيتها ممكنة لهم ولكن ديار عاد فى جنوب بلاد العرب ولا يعقل أن بنى إسرائيل يجتازون الفيافى والقفار ليروا منازل عاد وقد طمست آثارها . ولم ينقل ناقل انهم ذهبوا الى بلاد الاحقاف أصلا . والاقرب ما قاله قتادة من أن المراد بدار الفاسقين أرض الجبابرة والعمالقة بالشام ولا أريد بهذه الرؤية ما ذهب اليه بعض المفسرين من أنهم دخلوا بلاد الجبارين وهى الارض التى كتب الله لهم . لان الله تعالى حرمها على الكبار من بنى اسرائيل . وموسى لم يدخلها . وإنما رآها فقط . وانما دخلها بنو اسرائيل مع يوشع بن نون فتى موسى كما سيمر بنا.ولعل المعنى سأرى بعضكم وهم الرواد الذين دخلوا البلاد . ثم عادوا الى بنى إسرائيل بخبر اولئك الجبارين فهال بنى اسرائيل امرهم وعصوا عن مقاتلتهم ـ والاقرب أن يكون المراد بالبعض يوشع بن نون وكالب بن يفنه اقرءوا هذه الآيات

سورة الاعراف ـ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع

سبيل المفسدين ١٤٢ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين ١٤٣ قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ١٤٤ وكتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ١٤٥ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وأن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ١٤٦ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ١٤٧

اتخاذ بنى اسرائيل العجل

إلها يعبدونه ـ غضب موسى على هارون ـ أمر الله بني اسرائيل
أن يقتلوا انفسهم ليتوب عليهم ـ احراق موسى العجل ونسفه
فى اليم ـ مجازاة السامرى الذى أضلهم بالعجل ـ الى
أي شيء ينسب السامرى

قلنا فيما مضى أن بنى اسرائيل لم تكن أنفس أكثرهم مرتاضة بالايمان. وأنهم كانوا ذوى جهالة لم يحصلوا على الثقافة الكافية لصون عقائدهم من الزيغ والقوم قد عاشوا فى مصر. والفوا أن يروا عبادة المصريين للعجل أبيس. وكان للمصريين عناية فائقة بعبادة هذا العجل. وكانت العجول المؤلهة اذا

ماتت حنطوها كما يحنط الآدمى بما يحفظ جسمها من التلف ودفنوها فى مقبرة خاصة فى جهة سقارة . تسمى سرابيوم

كانت بساطتهم والفهم للوثنية مسهلة لرجل ماكر كان فيهم سماه القرآن السامرى . فجاءهم بعجل له خوار . وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى نسيه موسى هنا وذهب لملاقاته فى الغيبة الطويلة ·

وذلك أن موسى أخبرهم قبل ذهابه لميقات ربه أن غيبته عنهم لا تطول أكثر من ثلاثين يوما مع مسافة الطريق الى جبل حوريب . وهو جبل الطور فلما أمر الله موسى أن يستأنف صوم عشرة أيام طالت غيبته عن قومه . واستبطأ القوم موسى . فانتهز رجل يقال له السامرى غيبة موسى وأخذ من بنى اسرائيل بعض حليهم التى كان نساؤهم أخذنها من المصريات قبل رحيل بنى اسرائيل وألقاها فى النار وسبك منها عجلا . وجعله بحيث إنه كان له خوار أى صوت الثور . وقال لهم . هذا إلهكم وإله موسى — وليس غريبا أن يكون رجل له علم بالهندسة والحيل يجعل تمثال الثور يخور كما يخور الثور . وقد رأيت عند صديق لى تمثال بقرة من الجبس عند سرته سلك من الخيط اذا جذب الى أسفل ثم أرسل الخيط دارت آلة فى داخله ولفته على جسمها وحينئذ يحدث مايشبه خوار العجل الصغير

وبعض الناس يأخذ عظم رأس الحمار بعد أن يبلى عنه اللحم ثم يضع ضفدعا داخل تجويف الرأس ثم يقربها من الحرارة أو من دخان نار فتنق الضفدع ويخرج نقيقها من الرأس مكبرا حتى ليخيل للسامعين أن الصوت صوت حمار

سعى اليهم هارون وأراد ردهم عن عبادة هذا العجل . وأفهم القوم أنهم فتنوا به وجهد أن يردهم فلم يفلح ولم يصغوا اليه . وقالوا له « لن نبرح عليه

عاكفين حتى يرجع الينا موسى »

فلما قضى موسى أجل الصوم وكلم ربه وأعطاه الالواح سأله الله تعالى وهو أعلم - عما أعجله عن قومه . فقال انهم آتون على أثرى وعجلت اليك رب طلبا لرضاك . وحينئذ أخبره الله تعالى بأنهم فتنوا عن دينهم وأن السامرى أضلهم فرجع موسى الى قومه غاضبا حزينا حردا على أخيه إذ لم يردهم عن فتنتهم وظن به التقصير فى النصح فلما لقيه أخذ بلحية هارون ورأسه يجره اليه وكان موسى رجلا أيدا فيه حدة لايقوم لغضبه أحد . فاعتذر هارون بأنه عمل جهده ولو قام بقتال من ارتد لكان ذلك سببا لفرقة خشى هارون أن تكون سببا لغضب موسى لانه لم يرتقب رأى موسى فى هذه الفتنة . ولام موسى بنى اسرائيل أشد اللوم والقى الالواح التى كتبها الله له . ويقال انها كسرت

بعد ذلك ذهب موسى الى السامرى وسأله عن شأنه والاسباب التى حدت به الى هذا العمل المنكر فقال (بصُرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى) فقال له موسى اذهب فان الله عاقبك بأن تقول فى حياتك لامساس وان لك موعدا لن تخلفه وأن هذا الاله الذى ظل عاكفا عليه سيحرقه موسى وينسفه فى ماء البحر . وقال لبنى اسرائيل (إنما الحكم الله الذى لا إله الا هو)

ثم ان الله تعالى أوحى الى موسى أن توبة بنى اسرائيل أن يقتلوا أنفسهم بأن يقتل كل انسان من يقابله من قريب أو أخ أو نحو ذلك ثم عفا الله عنهم بعد أن قتلوا من انفسهم عددا عظيما وكان اعتذار بنى اسرائيل أنهم حملوا من زينة المصريين شيئا كثيرا فقذفوه هم والسامرى وكان عن ذلك العجل

ماحقيقة العجل الذى عبده بنو اسرائيل ـ ومن هو السامرى

يقول المفسرون والتوراة انه كان عجلا من ذهب صاغه لهم صائغه من حلى المصريات كما قدمنا . ويقول المفسرون ان السامرى اسمه موسى وكان مولودا من سفاح وأن الله أمر جبريل أن يربيه ويقوم بمصالحه فكان جبريل يأتيه على فرس وكان يلاحظ بعد أن كبر أن فرس جبريل لا يضع حافره على شيء الا صار حيا فأخذ من تراب أثر الحافر بعضا فلما صاغ العجل من الذهب التى ذلك التراب فى فم العجل فصار له خوار ويقول البيضاوى أن الذهب صار عجلا جسدا ذا لحم ودم له خوار (صوت البقر)

وقال بعضهم انه كان صائغا وقد دبره بطريقة خاصة تجعل للريح اذا مرت من دبره وخرجت من فمه صوت البقر

والذى أراه أن حكاية السامرى وجبريل ليست صحيحة فلا جبريل جاء الى السامرى ولا السامرى أخذ ترابا من أثر حافر فرسه . وان القول بأنه صاغه بحيث اذا استدبر الريح خرجت الريح من فمه ولها صوت البقر وهو الخوار أقرب من ذلك بل لاغرابة فى هذا أصلا

ولو قال القائل أن الرجل خدع بنى اسرائيل وأخذ منهم الحلى وبصر بعجل على هيئة العجول التى تعبد فى مصر لم يبصروا به فاشتراه وجاءهم به وقال لهم ماقال . وانهم قبلوا ذلك منه واعتقدوا أن ذلك العجل ألههم واله موسى وعكفوا على عبادته مع انه عجل جسد لحم ودم له خوار لايفترق عن أبناء جلدته من البقر فى شيء . ومع ذلك كله فانهم لبلادة أذهانهم وسخافة عقولهم قد جعلوه الها وعبدوه وظلوا عاكفين على عبادته . مع نهى هارون لهم وقوله : (انما فتنتم به وأن ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى) فلم يلتفتوا

اليه لما أشربوه فى قلوبهم من حب العجل لما هم عليه من الكفر لم يكن بعيدا من الصواب ولم يكن مخلا بنظم القرآن

هذا هو الذى أميل اليه . ويكون السامرى قد خدعهم بأخذ الحلى والقائه فى النار ليوهمهم أن حليهم صار عجلا . وأخذ المال لنفسه فشأنه شأن الدجالين الذين يخدعون الناس بايهامهم بالكنوز المطلسمة وافتتاحها لهم ثم يجردونهم من كل شيء فيأتون اليهم بالفقر من حيث يرجون الثروة والغنى. وهنا يعرض سؤال لاكه بعض المسيحيين فى الجرائد وهو :

كيف يكون السامرى هو الذى أضل بنى اسرائيل بالعجل مع أن السامرى نسبة الى سامرة . والسامرة بلد من فلسطين لم توجد فى زمن موسى . وانما اشتراها عمرى وهو الرابع من ملوك اسرائيل بعد أن انشقت مملكة اليهود الى قسمين قسم هو سبط يهوذا ومقره اورشليم وملوكه من ذرية داود وسليمان وكان أول ملوك بنى اسرائيل يربعام بن ناباط ورابعهم عمرى اشترى جبل السامرة وبنى تلك المدينة وجعلها مقر مملكة اسرائيل وذلك بعد موت موسى بنحو ثلاث وعشرين وخمسمائة سنة؟

والجواب على ذلك ان السامرى ليس منسوبا الى سامرة بل الى شامر بالشين فى اللغة العبرية . ويغلب ان تكون الشين فى العبرية سينا فى العربية فهو سامر كما ينطقها ايضا سبط افرايم بن يوسف وقد كان رجال سبط يهوذا فى بعض الحروب يمتحنون الرجل ليعرف هل هو من سبط يهوذا أو افرايمى بأن يأمروه بأن ينطق شبولت (سنبلة) فاذا قال سبولت علم انه افرايمى ومعنى شامر او سامر كما هو النطق العربى والافرايمى - حارس فالسامرى نسبة إلى سامر . ونطقها فى العبرية شومير من مادة شمر اى حرس

راجعوا الآية ٩ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين ونصها - فقال

الرب لقايين اين هابيل أخوك فقال لا أعلم (ه شومير أحي أنوخي؟) وترجمتها أحارس أنا الاخي؟ ـ وقد كان مصير العجل الذى عبده بنو اسرائيل ان أحرق وذرى فى الماء

أما قول السامرى فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها فمعناها على ما اخترت انه قبض قبضة من اثر الرسول اى تعليمه واحكام التوحيد التى جاء بها الرسول وهو موسى فنبذتها اى القيتها واهملتها وكذلك سولت لى نفسى

كان عقاب السامرى فى الدنيا عقابا بدنيا وهو ان يتألم من مس اى انسان له فكان اذا لقى انسانا وخشى ان يمسه يقول له لا مساس واما فى الآخرة فان الله حسيبه بما صنع

واما الذين اتخذوا العجل من بنى اسرائيل فكان جزاؤهم ان الله لا يقبل توبتهم حتى يقتل بعضهم بعضا وستأتي كيفية ذلك فيما نقصه من التوراة ويقول أهل الكتاب: ان الذى صنع العجل لبنى اسرائيل هو هارون اخو موسى : حاشاه ان يكفر بعد الايمان وهو نبى معصوم عن ذلك . ولكن هذا دأبهم مع انبياء الله ينسبون اليهم النقائض وما يتزه نفسه عنه احط الناس قدرا ويلصقون ذلك بهم. اقرءوا هذه الآيات

سورة البقرة « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ٩٢ واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين ٩٢ »

سورة الاعراف . واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ١٤٢ ولما سقط فى ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا

لنكونن من الخاسرين ١٤٩ ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما
خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم والقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره
اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء
ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ١٥٠ قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك
وأنت أرحم الراحمين ١٥١ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ١٥٢ والذين عملوا السيئات ثم
تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ١٥٣ ولما سكت عن
موسى الغضب أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم
يرهبون ١٥٤

سورة طه — وما أعجلك عن قومك ياموسى ٨٣ قال هم أولاء على أثرى
وعجلت اليك رب لترضى ٨٤ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى
٨٥ فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا
أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى
٨٦ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها
فكذلك ألقى السامرى ٨٧ فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا
الهكم واله موسى فنسى ٨٨ أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا
ولا نفعا ٨٩ ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن
فاتبعونى واطيعوا أمرى ٩٠ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا
موسى ٩١ قال ياهرون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ٩٢ الا تتبعن أفعصيت أمرى
٩٣ قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى أنى خشيت أن تقول فرقت بين
بنى اسرائيل ولم ترقب قولى ٩٤ قال فما خطبك ياسامرى ٩٥ قال بصرت بما
لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى ٩٦

قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لامساس وان لك موعدا لن تُخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ٩٧ انما الهكم الله الذى لااله الا هو وسع كل شىء علما ٩٨

سورة البقرة — وأذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم

ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى من أول الاصحاح التاسع عشرمن سفر الخروج — فذكرت أن بنى اسرائيل جاءوا أمام الجبل (حوريب) وأن موسى صعد الى الله فى الجبل فاوحى اليه كلاما يبلغه بنى اسرائيل وهو أن الله سيتخذهم شعبا مقدسا ومملكة له أن أطاعوا وصاياه. فقبلوا ذلك ووعدوا أن يفعلوا كل ما يأمرهم الله به. ثم أمره الله أن يقول لبنى أسرائيل أن يتطهروا لأن الله سيتراءى لهم فى اليوم الثالث وأن يحترزوا من أن يقربوا الجبل. ففى اليوم الثالث صارت رعود وبروق على الجبل. وكان موسى يتكلم والله يجيبه ثم دعاه الله الى الجبل فأوصاه وأمره ونهاه ووضع لبنى اسرائيل شرائع وشعب بنى اسرائيل ارتعد وقالوا لموسى كلمنا أنت ولا يكلمنا الله لئلا نموت فوضع له الشرائع المذكورة فى الاصحاحات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ خروج وفى الاصحاح ٢٤ أمر الله موسى أن يصعد الجبل هو وناداب وابيهو وسبعون شيخا من شيوخ اسرائيل وأن يسجدوا لله من بعيد ولا يقترب من الرب سوى موسى فصعدوا ورأوا الله (تعالى عما يقولون) وتحت رجليه شبه حجر من العقيق الازرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة

ثم دعا الله موسى الى أعلى الجبل وأمر القوم بالبقاء الى أن يرجع ومعهم هرون ليقيم لهم القضاء وكان موسى فى الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة

فأوحى الله اليه ما أوحى من الشرائع واعطاه الالواح فيها الشريعة مكتوبة بأصبع الله وهى ألواح من حجر مسواة . وقال الله لموسى انزل فقد فسد الشعب وزاغوا عن الطريق واراد الله ان يبطش بهم فتضرع اليه موسى ليصفح عنهم

ولما اقترب موسى من المحلة ابصر العجل والرقص فغضب موسى ورمى اللوحين من يده فكسرهما فى اسفل الجبل . ثم اخذ العجل فأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل

ولام موسى هرون فاعتذر بان الشعب شرير وقد قالوا له اصنع لنا ألها يسير امامنا فان موسى لا ندرى ما أصابه وأن هارون طلب منهم الذهب فطرحوه فى النار فخرج هذا العجل

ولما رأى موسى ذلك طلب من كان للرب أن يأتى اليه فأتاه بنو لاوى . فأمرهم أن يضعوا سيوفهم على افخاذهم وأن يمروا بالمحلة من باب الى باب ويقتل كل رجل اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعلوا . وقتل فى ذلك اليوم ثلاثه آلاف رجل . ثم صعد موسى الى الجبل وطلب من الله غفران خطيئة الشعب فاذا لم يفعل يمحو موسى من كتابه فأجابه: الذى أخطأ أمحوه من كتابى . وأمره أن يذهب بالشعب الى الارض التى وعدهم ان تكون لهم ميراثا وأنه سيطرد من أمامه تلك الامم الساكنة فى الارض وأن الله لا يكون معهم . فرجاه موسى أن يكون معهم ليتميزوا عن سائر الامم

ويذكر أيضا أن الله أرى موسى مجده على الجبل وأخفاه فى نقرة من الأرض لئلا يهلك . وسجد موسى لله عند اجتيازه وطلب اليه أن يسير فى وسطهم فاوحى الله اليه بأمور وشرائع ومكث عند الله أربعين يوما وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء فكتب الله على لوحين الكلمات العشر — يراجع سفر الخروج من

الاصحاح التاسع إلى الاصحاح ٣٤

ولا يخفى أنها تخالف القرآن فى كثير من المضامين . ولم تذكر جواب بنى اسرائيل اذ أمروا بالدخول الى الارض التى وعدوا بامتلاكها . ولاى شيء بقوا أربعين سنة . مع أن هذه الحوادث ابتدأت من الشهر الثالث لخروجهم وسيأتى ما يدل على امتناعهم فى اول سفر التثنية

والذى يظهر من عبارة سفر الخروج أن ذهاب الشيوخ السبعين كان قبل عبادة العجل . وأما القرآن فانه يذكر أنه ذهب لتلقى الالواح قبل عبادتهم العجل وذهب مع الشيوخ السبعين بعد ذلك وهذا هو المعقول

أمر الله بنى اسرائيل

على لسان موسى بدخول الارض المقدسة ـ عصيانهم موسى ـ تحريم الله الارض عليهم ـ اتاهتهم فى البرية أربعين سنة

قرب بنو اسرائيل من أرض الموعد وهى فلسطين التى وعد الله ابراهيم واسحاق ويعقوب أن تكون ملكا لاولادهم وان يطرد من أمامهم الامم التى يسكنونها فى ذلك الوقت وأمر الله تعالى موسى أن يذهب ببنى اسرائيل الى تلك الارض لامتلاكها ولكن بنى اسرائيل قوم قدثقفوا بالذلة وتمكن الصغار والهوان من انفسهم والفوا الذل فى ارض الفراعنة فلم تكن لهم قوة على الدخول الى تلك الارض وتمثل لهم شبح الموت فى كل خطوة فى ذلك السبيل . فلم يشاءوا ان يذهبوا لامر ربهم . وقالوا ياموسى «ان فيها قوما جبارين . وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون»

كان موسى قبل ان يطلب الي بنى اسرائيل دخول تلك الارض قدأرسل

من قبله روادا يتجسسون الارض وحال اهلها ويقول المفسرون انهم كانوا اثنى عشر رجلا فرأوا من جسامة اجسام اولئك القوم ما هالهم فلما عادوا اخبروا بنى اسرائيل بما رأوا فضعفت قلوبهم وتراءى لهم شبح الهلاك فى القدوم على هذه البلاد فلما امرهم موسى بالعبور ابوا . وقال رجلان من الذين جاسوا خلال البلاد لبنى اسرائيل ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه غلبتم على المدينة (اريحاء) فأبوا وقالوا لموسى . « اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » وابوا عليه كل الاباء

شكا موسى أمر بنى اسرائيل معه الى الله قائلا « رب أنى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق (احكم) بيننا وبين القوم الفاسقين » فاخبره الله تعالى بانها (أى الارض) محرمة عليهم وأنهم سيتيهون فى الارض أربعين سنة فكان بقاء بنى إسرائيل فى البرية من عهد خروجهم من مصر الى أن مات موسى وعبروا نهر الاردن وملكوا اريحاء وما معها من الارضين غرب الاردن أربعين سنة. والسر فى ذلك كما اوضحه ابن خلدون ان نفس بنى اسرائيل كانت صغيرة ضئيلة لانهم رئموا الذل والهوان فى ملك المصريين . ومن كان كذلك لا يصلح لقتال ولا استقلال ولذلك ذابت قلوبهم فى صدورهم وملأ الخوف أنفسهم حين أمروا بقتال أولئك الجبارين

والعلماء يقررون أن حضانة العلم خمس عشرة سنة . فاذا ابتدأت أمة تتعلم فانها تجنى ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة . وأما حضانة الاخلاق فمدتها أربعون سنة . فاذا أخذت الامة تستمسك بالاخلاق فانها لا تجنى الثمرة الا بعد أربعين سنة . لذلك أراد الله تعالى أن يبقى بنى اسرائيل فى البرية أربعين سنة حتى يفنى الجيل الذى نشأ فى الذل والاستعباد وينشأ جيل الف الحرية ولم تذله العبودية . وهكذا كان حال بنى اسرائيل فان الجيل الذى ولد فى

الذل وكبر حتى مزن عليه هلك فى البرية . وجاء الجيل الذى كان صغيرا أيام عبوديتهم فى مصر والذى نشأ أو ولد فى البرية فى الحرية والعزة فلم يبال بأولئك الناس ودخل عليهم بلادهم مع يوشع بن نون فتى موسى فملكها

وهنا لطيفة أريد التنبيه عليها وهى ان يوقف عند قوله « انها محرمة عليهم ويبتدأ بقوله تعالى أربعين سنة يتيهون فى الارض لانها حرمت عليهم تحريما أبديا لا تحريما مقيدا بأربعين سنة . وذلك أن الرجال الصالحين للحرب الذين عصوا امر موسى وقالوا : « اذهب انت وربك فقاتلا» ماتوا فى البرية أثناء السنين الاربعين ولم يدخل أحد منهم الى أرض الموعد فكانت محرمة عليهم باطلاق اقرءوا هذه الآيات

سورة المائدة — واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ٢٠ ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ٢١ قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ٢٢ قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ٢٣ قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ٢٤ قال رب انى لا املك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ٢٥ قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين ٢٦

هذا الموقف من مواقف موسى مع بنى اسرائيل لم يذكر فى سفر الخروج وكل ما ذكر انما هو مواقف عنيفة بين موسى وقومه ووصفهم بصلابة الاعناق والتمرد وان الله عوقهم فى البرية أربعين سنة ولم يشأ لموسى ولا لهرون ان يعبرا

أحدمنهماالى تلك الارض فمات هرون قبل موسى ودفن فى جبل هور من جبال سينا التى فى البرية . وأما موسى فامره الله أن يصعد الى جبل نبو وينظر أرض الموعد دون أن يدخلها ففعل ومات على الفسجة أى الأكمة التي هى من رمل أحمر ودفن هناك وخفيت معالم قبره

وأهل فلسطين يدعون أن قبره فى موضع من بلادهم ويقيمون له مولدا يقصدمن كل ناحية فى كل سنة فى موعد معين

وقد ذكر هذا الموقف فى الاصحاح ١٤ سفر العدد وذكر أيضا على سبيل الحكاية والتذكير فى سفر التثنية أثناء تعداد موسى أعمال بنى اسرائيل . وعصيانهم عليه ومخالفتهم لأمر الله تعالى ما ننقل بعضه من الاصحاح الاول تثنية

٦ الرب الهنا كلمنا فى حوريب قائلا - كفاكم قعودا فى هذا الجبل-

٧ تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من قرية والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات ٨ انظروا قد جعلت امامكم الارض ادخلوا وتملكوا الارض التى اقسم الرب لآبائكم أبراهيم واسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم

٢٠ فقلت لكم قد جئتم الى جبل الأموريين الذى أعطانا الرب ألهنا

٢١ انظر قد جعل الرب الهك الارض أمامك اصعد تملك كما ملك الرب اله آبائك لاتخف ولا ترتعب . .

٣٤ وسمع الرب صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلا ٣٥ لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الارض الجيدة التى أقسمت أن أعطيها لآبائهم ٣٦ ماعدا كالب بن يَفُنَّة هو يراها . وله اعطى الارض التى وطئها ولبنيه لانه اتبع الرب تماما ٣٧ وعلى أيضا غضب الرب بسببكم قائلا وأنت أيضا لاتدخل ألى هناك ٣٨ يوشع بن نون الواقف أمامك هو يدخل الى هناك . شدده لانه هو يقسمها لاسرائيل ٣٩ وأما اطفالكم الذين قلتم

يكونون غنيمة. وبنوكم الذين لم يعرفوا اليوم الخير والشر فهم يدخلون الى هناك

نتق الجبل فوق بني اسرائيل

ذكر الله تعالى فى سورتى البقرة والاعراف أنه رفع جبل الطور فوق بني اسرائيل حتى صار كأنه ظلة وظنوا أنه واقع عليهم أو أيقنوا ذلك وأمرهم أن يأخذوا ما آتاهم من الاحكام بقوة بأن يفعلوها دون تذمر أو توقف وأن يحافظوا عليها أشد محافظة بجد وعزم قوى على تحمل مشاق ما أوتوه

وان يذكروا ما فيه بالعمل به وان لا يتركوه كالمنسى. فأنهم اذا فعلوا ذلك كان مرجوا لهم أن يكونوا ممن اتقى قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق ثم لم يكن منهم الا الاعراض عن الميثاق بعد أخذه. ولولا فضل الله عليهم ورحمته بتوفيقهم للتوبة لكانوا من الخاسرين المغبونين بالمعاصى والتخبط فى الضلال

هكذا قال المفسرون ونحوا هذا النحو وشايعهم استاذنا المرحوم الشيخ محمد عبده لانه لم يرموجبا للعدول عن ظاهر القرآن الى تأويله اذ لم يصرف عنه صارف والمسألة من الممكنات العقلية وقد خلت الآية من قرينة صارفة عن الظاهر الى تأويله

وقد أورد السيد رشيد رضا فى تفسير المنار. أن هذا المعنى اعترض عليه بأنه اكراه على الايمان والجاء اليه وذلك ينافى التكليف. قال أجيب عنه بأجوبة منها أن ما يفعل بالاكراه يعود اختياريا بعد زوال ما به الاكراه. ومنها أن مثل هذا الالجاء كان جائزا فى الامم السابقة. ويزيد من قال هذا أن

نفى الاكراه فى الدين خاص بالاسلام لقوله تعالى لا اكراه فى الدين) وقوله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)

وقال الاستاذ الامام : لا حاجة لنا فى فهم كتاب الله الى غير ما يدل عليه بأسلوبه الفصيح . فهو لا يحتاج فى فهمه الى اضافات ولا ملحقات وقد ذكر لنا مسألة رفع الطور فوق بنى اسرائيل ولم يقل أنه أراد بذلك الاكراه على الايمان وانما حكى عنهم فى آية أخرى أنهم ظنوا أنه واقع بهم . فقد قال تعالى فى سورة الاعراف (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة وأذكروا ما فيه لعلكم تتقون) والنتق الزعزعة والهز والجذب والنفض ونتق الشيء ينتقه وينتقه من بابي ضرب ونصر نتقا جذبه واقتلعه وقد يكون ذلك فى الآية بضرب من الزلزال كما يدل عليه التعبير بالنتق وهو فى الاصل بمعنى الزعزعة والنفض والمفهوم من أخذ الميثاق أنهم قبلوا الايمان وعاهدوا موسى عليه . فرفع الطور وظنهم أنه واقع بهم من الآيات التى رأوها بعد أخذ الميثاق كان لاخذ ما أوتوه من الكتاب بقوة واجتهاد لان رؤية الآيات تقوى الايمان . وتحرك الشعور والوجدان ولذلك خاطبهم عند رؤية تلك الآية بقوله (خذوا ما آتيناكم بقوة وأذكروا ما فيه) أي بالمحافظة عليه والعمل به فان العمل هو الذى يجعل العلم راسخا فى النفس مستقرا عندها . أى أن نتق الجبل فوقهم لم يكن الغرض منه الاكراه على الايمان وانما كان للعمل بما أوتوه من الشريعة والمحافظة عليه بعد أن أقروا بالايمان . ثم ذكرهم بما كان منهم من التولى عن الطاعة بعد أخذ الميثاق ومشاهدات الآيات. وقد حال دون أدراجهم فى سلك الخاسرين ما أدركهم من فضل الله عليهم ورحمته بهم

وقد قال السيد رشيد رضا فى تفسير المنار أيضا — شايع الاستاذ الامام المفسرين على أن رفع الطور كان آية كونية . أى أنه انتزع من الارض

وصار معلقا فوقهم فى الهواء . وهذا هو المتبادر من الآية بمعونة السياق . وأن لم تكن ألفاظها نصا فيه . إذ الرفع هو الارتفاع وجعل الشيء — أو أن يكون الشيء — رفيعا عاليا كما قال تعالى (فيها سرر مرفوعة) وقال (وفرش مرفوعة) فكل من السرر والفرش تكون مرفوعة وهى على الارض . وقوله تعالى فى سورة الاعراف (واذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) ليس نصا أيضا فى كون الجبل رفع فى الهواء . فأصل النتق فى اللغة الزعزعة والزلزلة كما سبق قال فى حقيقة الاساس : نتق البعير الرحل زعزعه . ونتقت الزبد أخرجته بالمخض ونتق الله الجبل رفعه مزعزعا فوقهم . والظلة كل ما أظلك سواء كان فوقك أو فى جانبك وهو مرتفع له ظل . فيحتمل أنهم لما كانوا بجانب الطور رأوه منتوقا أى مرتفعا مزعزعا فظنوا أن سيقع بهم وينقض عليهم . ويجوز أن ذلك كان فى أثر زلزال تزعزع له الجبل — ثم قال — واذا صح هذا التأويل لا يكون منكر ارتفاع الجبل فى الهواء مكذبا للقرآن اه

أقول قد يكون جزء عظيم من الجبل اقتلع من مكانه أثناء رجفة أو زلزال ورأوه بأعينهم وهم فى أسفل الجبل كأنه ظلة وخافوا وقوعه بهم وذلك عند أخذ ميثاقهم على العمل بالتوراة

اقرءوا هذه الآيات — سورة البقرة ٦٣ واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ٦٤ ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين — سورة الاعراف واذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ١٧١

أما التوراة فلم يذكر فيها أن الله نتق الجبل فوق بنى اسرائيل . وانما ذكر فيها وجود رعود وبروق وارتجاف فى الجبل وبنو اسرائيل أمامه حتى خافوا جدا فى الاصحاح ١٩ خروج ١٥ فانحدر موسى من الجبل الى الشعب وقدس

الشعب وغسلوا ثيابهم ١٥ وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث. لا تقربوا
إمرأة ١٦ وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق
وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذى فى
المحلة ١٧ وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله. فوقفوا فى أسفل الجبل
١٨ وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد
دخانه كدخان الاتون. وارتجف كل الجبل جدا ١٩ فكان صوت البوق يزداد
اشتدادا جدا. موسى يتكلم والله يجيبه بصوت ..

وفى أصحاح ٢٠ خروج ١٨ وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق
وصوت البوق والجبل يدخن. ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ١٩
وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت

بنو اسرائيل ومسألة البقرة

يقول المفسرون انه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر له ابن واحد قتله ابن عمه طمعا فى ميراثه ثم جاء يطلب بدمه قوما آخرين. فانكر الآخرون قتله وترافع القوم الى موسى. فأمرهم أن يأتوه ببقرة ليذبحوها ليبين لهم المجرم من البرىء فقالوا له انك تهزأ بنا فاستعاذ بالله من أن يكون من الجاهلين الذين يهزأون بغيرهم. فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى؟ فقال لهم ان الله يقول: انها بقرة بين الفتية والمسنة وانها عوان ثم طلب منهم أن يفعلوا ما أمرهم الله به ولكن بنى اسرائيل قوم جبلوا على عدم امتثال أمر الله وعدم المسارعة الى أوامره بل اعتادوا المماطلة والمطاولة. فبحكم عادتهم لم يمتثلوا فسألوه عن لونها فبين لهم ان الله يقول: انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها لحسنها. فلم يشاءوا الامتثال. وقالوا له ان البقر تشابه علينا فبين

لهم البقرة بأنها غير مذللة بالعمل وانها سليمة الاعضاء وان لونها واحد لاشيء فيه تخالف لون جسمها . فطلبوا تلك البقرة فذبحوها وبعد الذبح جاء موسى بلسانها وضرب به القتيل فحي وأخبر بقاتله بقدرة الله تعالى . ومع ظهور ذلك كله لبني اسرائيل . فان قلوبهم بقيت على قساوتها كأنها الحجارة أو أشد قسوة منها ولم تؤثر تلك العجيبة في قلوبهم لينا

اقرءوا هذه الآيات

سورة البقرة — وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ٦٧ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لافارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون ٦٨ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ٦٩ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ٧٠ قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ٧١ واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ٧٢ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتي ويريكم آياته لعلكم تعقلون ٧٣ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار . وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعلمون

ويكون نظم القرآن في هذه القصة هكذا . قتل بين بني اسرائيل قتيل فتدافعوا فيه كل يدفع تهمة القتل عن نفسه . فلما ترافعوا الى موسى أمرهم بذبح البقرة . وبعد المرادة بينه وبينهم وبين الله ذبحوها بعد جهد شديد - يقول فامرنا موسى أن يضربه ببعضها فحي القتيل وأخبر بقاتله . وكذلك يحيي الله الموتى

ويريكم آياته لعلكم تتقون ثم انكم توليتم بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين .

اذا تأمل الانسان فى هذه الحادثة وجدها — اذا كانت قد وقعت كما يقولون — قد اشتملت على معجزة غريبة عجيبة صنعها الله لموسى وقد صنع الله له من الآيات فى تأييده ماهو أبدع منها وأعجب ويجد مع ذلك أنها قد حلت مشكلة من مشاكل بني اسرائيل حلا وقتيا فقط . ففائدتها قاصرة وخير منها أن يأتيهم بعجيبة تحل مشاكلهم أبدا على الدوام

أرأيتم لو قتل قتيل اليوم أو قبل اليوم من بنى اسرائيل أو من سواهم من البشر وذبحنا أو ذبحوا بقرة على هذا الوصف المذكور فى السورة أو ألف بقرة وضرب ببعضها هل يحيا ؟ كلا ففائدة هذه الحادثة جزئية لا تحل مشاكلهم

أما ماجاء فى التوراة متعلقا بأمر ذبح البقرة فيلخص فى أن بنى اسرائيل فرض عليهم أنه اذا قتل قتيل فى الحقل يؤتى بأهل أقرب البلاد من موضع القتيل ويأتون بعجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير ويأتى شيوخ القرية بها الى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع . ويكسرون عنق العجلة فى الوادى ثم يتقدم الكهنة بنو لاوى ويباركون الله ويغسل جميع الشيوخ الذين من القرية القريبة من القتيل أيديهم على العجلة . ويصرخون قائلين (أيدينا لم تسفك هذا الدم . وأعيننا لم تبصر اغفر لشعبك اسرائيل الذى فديت يارب ولا تجعل دم برىء فى وسط شعبك اسرائيل فيغفر لهم هذا الدم اهـ)

وهذا نصها من أول الاصحاح الحادى والعشرون من سفر التثنية

(١) اذا وجد قتيل فى الارض التى يعطيك الرب الهك لتمتلكها واقعا فى الحقل لايعلم من قتله

(٢) يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون الى المدن التى حول القتيل

(٣) فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بنير

(٤) وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة فى الوادى

(٥) ثم يتقدم الكهنة بنو لاوى لانه أياهم اختار الرب ألهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة

(٦) ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق فى الوادى

(٧) ويصرخون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر

(٨) اغفر لشعبك اسرائيل الذى فديت يارب ولا تجعل دم برىء فى وسط شعبك اسرائيل . فيغفر لهم الدم اه

فأنتم ترون أن التوراة جعلت الامر شريعة معدة لأن تتبع فى النوازل والوقائع التى تقع لبنى اسرائيل

على أن ذلك لاينافى أن حادثة وقعت عمل فيها موسى ما قصه القرآن ثم كتب الله عليهم أن يكون ذلك شريعة تتبع فى الحوادث المستقبلة المماثلة لها

وهذا الذى حدث عند بنى اسرائيل يشبه فى الجملة مايحدث عند الاعراب فى البلاد المصرية

فان الاعراب اذا قتل عندهم قتيل لايعلمون قاتله واتجهت التهمة الى قوم آخرين أرسلوا اليهم رسولا يقول لهم . ان دمنا عندكم فاذبحوا لنا ذبيحة فاذا فعلوا جاء أولياء الدم . واقسم المتهمون يمين القسامة أنهم لم يقتلوا ذلك القتيل ولا يعلمون قاتله ثم يسوى لهم لحم الذبيحة فيأكلون ويأمن بعضهم بعضا وتثبت براءتهم من القتل . ويقولون الدم يمسح العيب

ولى فى هذه الحادثة نظر آخر سوى ماذهب اليه المفسرون

هو — أننا اذا نظرنا الى القصص التى قصها الله فى هذه السورة قبل هذه القصة - وكلها متعلقة ببني اسرائيل وجدنا كل قصة مستقلة عما قبلها ومابعدهامبدوءة بقوله تعالى (واذ)

اقرءوا — واذ أنجيناكم من آل فرعون واذا فرقنا بكم البحر فانجيناكم واذ واعدنا موسى أربعين ليلة . واذ آتينا موسى الكتاب واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية واذ استسقى موسى لقومه واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها

فهذا النسق المطرد الذى لم يتخلف يجعل مسألة قتل النفس والتداريء فيها مسألة مسألة مستقلة بنفسها غير مرتبطة بما قبلها ولا مدمجة فيها

وقد حاك فى نفسى أن هاتين القصتين تفهمان على ضرب آخر من الفهم وقد قوى عند ذلك كل القوة

وها أنا اعرضه على حضرات القراء راجيا أن يعيره حضرات العلماء اهتماما وأن يوافوني بما يرونه الصواب بعد قتل المسألة بحثا حتى اذا ظهر لى الحق عدت الى مار سموا ضاربا بقولى عرض الحائط . فلست بالمتعنت ولا بالمفتون بقولى أو رأيي ولاممن تنزهوا عن الخطأ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

ذلك أن القصة التى أمر فيها موسى قومه بذبح البقرة لم يكن الغرض منها الاتيان بكل ما اشتملت عليه واندرج فيه من الحالات والاحكام بل الغرض أن يقص الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نموذجا مما بلغ اليه تعنت بنى اسرائيل فى أبطائهم عن امتثال أمر الله ومطاولتهم ومماطلتهم فى تنفيذ ما

يأمرهم به . دون استيفاء القصة استيفاء كاملا يشتمل على بيان الحكمة الباعثة على أمرهم بذبح البقرة بل هو يقص علينا نمطا من تعنتهم وصلابة اعناقهم

وأما القصة الاخرى المبينة في قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) فانه تعالى يقص علينا فيها لونا من أفضاله على بني اسرائيل وحل مشكلاتهم بطريقة لم تخطر لهم ولا لبشر ببال . وظلت هذه الحكمة العالية المشتملة عليها تلك الطريقة غامضة على بني اسرائيل وعلى جميع البشر الاجيال الطوال

والذي فهمته من القصة الاولى أن بني اسرائيل قد وقعت عندهم واقعة قد حاروا فيها . وهي أن شخصا قد قتل في الحقل . وهم لا يدرون من الذي قتله والحقل واقع بين بلاد كثيرة فاي البلاد تلصق بأهله تهمة القتل ؟ رفعوا أمرهم الى موسى فما كان جوابه الا أن قال لهم (أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) - ولما كان الجواب بعيدا في رأيهم عن الغرض الذي جاءوا لاجله وقع ذلك عندهم موقع الغرابة وقالوا لموسى (أتتخذنا هزوا ؟) - ولما كان موسى انسان صدق بعيدا عن الهزء والسخرية بعباد الله - قال لهم . أعوذ بالله أن كون من الجاهلين الذين يهزءون بعباد الله

ثم كانت المراجعة بينهم وبين موسى وربه حتى بين لهم شأن البقرة ولونها وأحوالها أتم بيان ، ومع ذلك لم يمتثلوا بل ذبحوها بعد أذ كادوا لا يفعلون أي انهم ذبحوها بعد جهد شديد

أتي موسى برجال أقرب محلة من مكان القتيل واحلفهم عليها بعد ذبحها أي وهي أمامهم انهم ما قتلوا القتيل ولا علموا به وأنهم برآء من دمه وكانوا يغسلون أيديهم على البقرة كما قص ذلك في التوراة

هذه اليمين في شريعتهم كيمين القسامة عندنا معشر المسلمين . اذا قتل قتيل في محلة غير محلة قومه أو بقرب تلك المحلة ولم يعلم قاتلة وكان هناك لوث

يقع به فى النفس صدق المدعى وهو ولى الدم (واللوث القرينة) حلف خمسين يمينا واستحق الوارث بالقسامة فى القتل الخطأ أو شبه العمد الدية مخففة فى الخطأ مغلظة فى شبه العمد على العاقلة فيهما . وتكون الدية فى القتل العمد حالة على المقسم عليه ولا قصاص فى الجديد لان القسامة حجة ضعيفة فلا توجب القود احتياطا للدماء. وأن لم يكن هناك لوث أو أنكر المدعى عليه اللوث فى حقه فاليمين على المدعى عليه . وأظهر الاقوال أنه يغلظ عليه بالعدد أهـ باختصار من شرح الخطيب على متن أبي شجاع

فتلك عند اليهود شرع كالقسامة عند المسلمين فى الجملة

وأما القصة الثانية وهى قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا) الخ فهى فى شأن قتيل وجد قتيلا فى بيته أو محلة قومه أو سقط فى معركة فيها جماعة . وقد دفع كل واحد القتل عن نفسه ولم يتعين قاتله تماما وكل واحد يتهم سواه بالقتل وحينئذ يكون المتهمون محصورين والقاتل لا يخرج عنهم بدليل قوله تعالى (فادارأتم فيها) — ولما كان الله تعالى مخرجا ما يكتمون من القتل علمهم طريقة يميز بها القاتل من البرىء

ذلك بأن يأتوا بالمتهم ثم يضربونه بجزء من تلك النفس اي من القتيل بان يأتى واحد ويضرب المتهم بيد القتيل أو رجله فاذا كان المتهم بريئا لم يحدث له شيء واذا كان قاتلا ظهر عليه انفعال نفسى ورعدة يعلم بسببها أنه القاتل دون سواه

وهذا الامر يرجع الى أحوال الغرائز النفسية والى العقل الباطن فى الانسان ذلك أن القاتل حين يباشر الجريمة وبخاصة القتل يكون واقعا تحت تأثير انفعال خاص يغلى منه دمه — يدفعه ذلك الانفعال إلى ارتكاب جريمة القتل . فاذا سكن ثائره وهدأت أعصابه . وزال ذلك الدافع الذى أكسبه الجرأة حتى طوعت له نفسه ارتكاب الجريمة عاوده الندم وتبكيت الضمير وصار شبح الجريمة مخيفا

فى نظره . ويتمثل له شبحها فى كل شىء يتعلق بها فهو يكره رؤية مكان الجريمة والاشياء التى رآها رؤية مقارنة لارتكابها وتضطرب نفسه ويرتفع نبضه ويسرع اذا ذكّر بشىء من الجريمة . ويكثر أنه اذا ادخل على القتيل أو عرض عليه تألم أشد ألم عرفه واضطرب ولم يستطع النظر اليه ولا الى مكان حدوث الجريمة . فكيف اذا حرك عضو من أعضاء القتيل وضرب به القاتل ؟ — لا شك فى أن ذلك العمل يكون ذا تأثير عظيم فى أعصابه لا يطيق معه ذلك العمل

هذا قايين بن آدم طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين وحار فى أمره لا يدرى ماذا يصنع بجثته فلما بعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه أدركه الندم فاصبح من النادمين

وهذا العربى يقول فى قريب له اراد قتله فذكّره ما بينهما من الرحم فلم يؤثر ذلك فيه فقتله وندم فقال

فلما رأيت انه غير منته　　أملت له كفى بلدن مقوم

فلما رأيت أنني قد قتلته　　ندمت عليه أى ساعة مندم

على أني لا أذهب بكم بعيدا — فهذه مادام ما كوش المالطية قتلتها بنتها بمساعدة ابنتها الاخرى وبنت بنتها وكان الباعث على القتل الحصول على المال وهو سمائة جنيه كانت عندها . وحصرت الشبهة فى ابنتها . فلما أراد المحقق أدخالها الى غرفة نوم امها التى ارتكبت الجريمة فيها وقد هيئت كما كانت وقت ارتكاب الجريمة أبت أن تدخلها اباء مطلقا وقد حكم عليها بالسجن وذهبت اختها الاخرى لتحاكم فى بلاد فرنسا والى الآن لم يصدر الحكم ونحن فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٣٢ وكان حصول الجريمة بالاسكندرية فى شهر يونية سنة ١٩٣٢

وقد أرسلت خطابا لحضرة ولدنا الفاضل احمد افندى فؤاد عبد المجيد مدرس التحقيق الجنائي بمدرسة البوليس والادارة وسألته أن يمخض لى رأيه

فى عرض معالم الجريمة على القاتل المتهم وآراء العلماء القانونيين فى هـذا الموضوع فجاء منه الرد الآتي :

مصر فى يوم الجمعة ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢

سيدى صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الوهاب النجار

أقبل الايدى وأدعو لفضيلتكم بكل خير وسعادة

تشرفت بخطابكم الكريم أمس فقط . ويسرني استمرار فضيلتكم على البحوث العلمية والاجتماعية وهذا يذكرنى الايام الماضية

وانى بكل سرور أجيب فضيلتكم ولعلي أنال رضاكم كما فزت به عند ماكنت تلميذكم . لم يكتب فى هذا الموضوع على ما أذكر أحد من الاوربيين الانجليز ولا الفرنسيين على الاخص . وقد اطلعت على أكثر كتب التحقيق الجنائي الفرنسية والانجليزية ولم ترد الاشارة الى هذا الموضوع فى بعضها . الا أن العرض قد يؤدى الى اعتراف القاتل أحيانا . ولم يذكروا الاسباب . كل ذلك لان هذا البحث خاص بعلم النفس الجنائي

ولم يوجد للآن كتاب ذو قيمة فى علم النفس الجنائي بالذات فى العالم الاوربى مع كثرة المؤلفات فى علم النفس على العموم لاسيما علاقته بالتربية ونظريات « فرويد » وأتباعه ومعارضيه . وهـذه مست نفسية المجرم مسا خفيفا

على أن تجاربي العلمية واستنباطى من المؤثرات المشابهة تمكننى من اجابتكم على قدر ماوسع علمى وهو :

لاشك أن القاتل يتأثر لحظة عرض جثة قتيله عليه . وسبب ذلك الانفعال الشديد الناتج من تصور الحالة التى كان فيها مع القتيل أثناء ارتكاب الجريمة . فمتى ارتسمت فى ذهنه وتصورها هزت أعصابه فارتبكت دورته الدموية

والنفسية . ولا تلبث هذه الانفعالات الداخلية ترتسم خارجا على وجهه وبصره وعقله ولسانه . فيبدر على لسانه من الكلام مايدل على ارتكابه الجريمة وقد يعترف خروجا من هذا الضيق . وقد يتلمس لنفسه الاعذار الغريبة . على أنه بعد هذه البرهة لايلبث أن يعود الى حالة ثانوية وهى حالة الجذل أو الحزن وقد تطول تلك البرهة أو تقصر حسب اعتياد القاتل على ارتكاب القتل .فاذا لم يسبق ارتكابه قتل الانسان أو الحيوان طالت . وان سبق له قتل حيوان قصرت قليلا . فان كان انسانا قصرت ... الخ بالتدريج

ولكن لابد من هذه البرهة وانفعاله فيها . وظهوره الخارجي يتمشى مع طول أو قصر وجود البرهة

على أنه يجوز أن المتهم البرىء يجزع عند رؤية القتيل ولكن جزعه لايدوم وهو خارجى أكثر منه داخلي لرؤية المنظر فقط . ولا يلبث أن يعود حالا الى الحالة الاعتيادية الاصلية لا الحالة الثانوية التي سنتكلم عنها

أما عودة القاتل الى الحال الثانوية بعد تلك البرهة السابق بيانها فهى حالة جذل أو حزن وهى تستند على الغرائز النفسانية للجاني وارتباطها بسبب الجريمة . فان كان القتل انتقاما لدم أو شرف أو كراهية . حصل الجذل وارتسم خارجيا ـ وان كان القتل لزعل أو دافع من الدوافع الوقتية حصل الحزن وارتسم خارجا أيضا . ويكون عميقا اذا كان القاتل عالما بداخليات القتيل وما تركه من الاولاد وما كان له من الفضل . والعكس بالعكس

وقد حصل أن غاب شاب حمّار عن أهله ببلدة « معمل القزاز » التابعة لمركز كفر الدوار وعادت حميره التى كانت معه من تلقاء نفسها دون أن يعود هو وبلغت أمه بغيابه . ومن التحريات ظهر أنه رؤى مع اثنين يركبان حماره وهذان الشخصان انكرا بتاتا وقبض عليهما. ووجدت جثة الشاب مدفونة

بجوار جسر . وبعرضها عليهما انفعلا واعترفا انما كل منهما يرمي زميله بأنه هو الذي ارتكب الخنق بالذات واعدما شنقا ـ وغير ذلك من الحوادث التي لاتعيها الذاكرة .

هذا ماعلمته ـ والله سبحانه وتعالى أعلم

وهذا بحث شيق . وسأبحث فيه بالذات ان شاء الله ـ واني فى خدمتكم وخدمة العلم دواما

وتفضلوا ياصاحب الفضيلة بقبول اسمى تحياتى ومزيد تشكراتى

تلميذكم المخلص : احمد فؤاد عبد المجيد

مدرس التحقيق الجنائى بمدرسة البوليس والادارة

وقد كتبت الى ولدنا راغب ابراهيم عطية افندى معاون بوليس مركز العياط لما أعرفه من اجتهاده وتمرسه بضبط المجرمين ويقظته لاحوالهم وقد اشتغل فى فرع المباحث الجنائية بمصر والجيزة مدة ليست بالقليلة وعينت له حادثة يذكر ما حصل من الانفعال للجانى فيها . فجاءنى منه ما يأتى

حضرة الوالد المحترم صاحب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار

تحية وسلاما ـ وبعد فقد قرأت خطابكم الكريم الذى تسألوننى فيه عن ملاحظاتي على أحوال المجرمين وموقفهم بازاء جرائمهم . وخصوصا عن الاحوال التى شاهدتها فى حادثة طنوب

وجوابى على ذلك أن المجرم حين يرى مكان الجريمة يلمحه ببصره ثم يحول وجهه عنه . ولا يحب الاتجاه اليه بعد ذلك — وكان حصول ذلك يغرينى على الحرص على تفتيش المكان الذى حول وجهه عنه تفتيشا دقيقا

وأيضا فان المجرم لا يحب أن يدخل المكان الذى فيه الاشياء التى يحرص على أخفائها كالمسروقات والحشيش والهورايين والكوكايين . كما حصل من

المتهم الذى باشرت ضبط الاشياء التى سرقت من المرحوم السيدباشاشعير بكفر عشما عنده . وكانت المسروقات نقودا ونياشين وبراءات وحججاً أخفاها أحد السارقين فى احدى القاعات فى بيته . فلما هممنا بدخول القاعة وقف عن الدخول فكان توقفه حاملا لى على زياده البحث والتفتيش حتى أخرجنا المسروقات كلها من الحيطان. وردت الى صاحبها عدا بضع مئات من الجنيهات تصرف فيها السارقون قبل الضبط وكان ذلك سنة ١٩١٩

وأما حادثة طنوب التى سألتنى عنها . فهى . أنه كان يوجد رجل من تلا منوفية أسمه أبو سعده أعطى ثلاثة أشخاص من ناحية طنوب مركز تلا منوفية مبلغ أربعين جنيها للاتجار فى العجول الصغيرة على أن يكون له نصف الربح فى هذة التجارة وللثلاثة النصف الباقى ـ والثلاثة هم عبد الغفار السقاء ومنجود علام والثالث قد غاب اسمه عن ذاكرتى الآن وقد اتجروا وكانوا يبعثون له فى كل اسبوع نصف الربح وبعد خمسة اسابيع او خمسة اسواق قطعوا عنه نصيبه فى الكسب فجاء اليهم ولقيه الثلاثة وأضافه عبد الغفار فى بيته ومعه زميلاه . وبعد أن تناولوا طعام العشاء قدم له قهوة فيها كثير من الحشيش . ولما فقد الرجل وعيه ولم تبق فيه قوة على المدافعه لتخدر أعصابه نقلوه الى زريبة البهائم وجاء عبد الغفار (بقرمه) وهى الخشبة التى يقطع عليها الجزارون اللحم ووضع رأسه عليها وفصل عنقه مع الرأس بالساطور . ثم أخرج أمعاءه وفصل أعضاءه من المفاصل ورمى بعضها فى النيل وبعضها دفن دفنا متفرقا

ولما جاء أهله للبحث عنه قيل لهم كان هنا وذهب الى سوق كذا ولم يعد وذهب عبد الغفار معهم للبحث عنه فى البلاد وكان يبكى لبكاء أهله — ولما أعياهم الامر حضروا شبهتهم فى عبد الغفار وزميليه وبلغوا النقطة فاهتممت

بالامر وتولى احمد بك الخازندار وكان وكيل النيابة التحقيق . ولما بحثت لم أجد من أعضاء القتيل سوى الرأس ومعه العنق والفخذ اليسرى واحدى القدمين . ولما عثرت على الرأس (وكان بعد ثلاثة عشر يوما من وقوع الجريمة) — أردت أن أعرضه على المتهم عبد الغفار وسألته أهذا رأس القتيل ؟ فعراه انفعال شديد . ووضع يديه على عينيه جزعاو كان يتقهقر مبتعدا عن الرأس مستغيثا قائلا (حوشوها من قدامي مش قادر أشوفها) وجلس على الارض وأبي أن يتقدم لنظر الرأس بتاتا

ومع ماتقدم فقد استمر على انكار القتل واعترف زميلاه بكل شيء والصقا به تهمة مباشرة القتل واعداد كل شيء فى بيته . وقدمت القضية الى محكمة جنايات طنطا سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ فحكم على عبد الغفار بالاعدام شنقا وعلى زميليه بالاشغال الشاقة المؤبدة . هذا ماحضرني الآن وتفضلوا بقبول وافر احترامي ؟ ٢٢/١٢/١٩٣٢

ولدكم اليوزباشي راغب ابراهيم عطية
معاون بوليس مركز العياط

ان العلم اليوم قد كشف عن بعض الغرائز النفسية وأدخلها تحت سلطانه وأخضعها لقوانينه — هذه أمريكا قد اخترع علماؤها آلة تسجل ضربات القلب كما وكيفا فهى تسجل عدد الضربات فى الثانية الواحدة وتبين حالة الضربات ان كانت مرتفعة أو منخفضة ومن ذلك يمكنهم أن يقرءوا فى ضوء هذه الآلة الاحوال النفسية للمتهم فى جريمة من الجرائم . وطريقة ذلك أن تناط الآلة بمكان نابض من جسمه كالساعد . ثم يذكر المحقق أسماء الامكنة والآلات والادوات التى يمكن أن تستعمل فى الجريمة والاحوال والازمان التى يمكن أن تقارنها أو يكون المتهم قد لابسها — فان المتهم اذا سمع اسم

الآلة التي استعملت عراه انفعال(1) خاص فتقبض نبضه نبضا عاليا متواترا يتغير به

(١) جاء فى كتاب (علم النفس) لحضرات الافاضل الاساتذة . حامد عبدالقادر افندي . وعطيه الابراشى افندى . ومحمد مظهر سعيد افندى فى الصفحة ٢٦٠ من الجزء الاول منه ما يأتى :

روى أنه عرض على ابن سينا.أحد الامراء . وقد أعيا الاطباءأمره.فلما رآه وخاطبه فى شأن مرضه . تبين له أن مرضه هو الحب . ولم يشأ المريض أن يبوح باسم محبوبته . ولما علم ابن سينا أن شفاء المريض متوقف على معرفة محبوبته وازالة ما عنده من وجدانات وعواطف كامنة مرتبطة بها . أخذ على عاتقه أن يعرف اسمها بأية وسيلة . فأمر باحضار أكبر سكان المدينة سنا .فلما حضر قال له . أتعرف شوارع هذه المدينة وسكانها ؟ قال نعم . فأمره بأن يذكر أسماء الشوارع شارعا شارعا . وهو قابض على يد المريض ليتحقق من مقدار سرعة نبضه . فلما ذكر الرجل اسم أحد الشوارع.أسرع نبض المريض. فأمرالرجل بأن يذكر أسماءالشوارع المتفرعة من هذا الشارع . فلماأتى الى اسم أحدها ازدادت سرعة النبض ثانية.فأمرالرجل أن يقص عليه أسماء البيوت الواقعة فى هذا الشارع الصغير . فلاحظ ابن سينا ازدياد نبضه عند ذكر أحد البيوت . فقال له : أخبرنى عن اسماء سكان هذا البيت من الفتيات. فلما أتى اسم المحبوبة أسرع النبض . فالتفت ابن سينا الى المريض وقال له : أليست هذه محبوبتك؟ فأجابه نعم . وبالبحث علم انها ابنة عمه . وأن الشاب كان يحبها حبا جما .ولم يجرؤ أن يذيع سره خوفا من أهله . ولكنهم لما علموا أن شفاءه فى التزوج بها زفوها اليه . فبرئ من مرضه وعاد الى حالته الطبيعية . فسبحان من يعلم السر وأخفى اهـ

نظام النبض ثم يعود الى الحالة الطبيعية فيأخذ المحقق كل كلمة اقترن بها اضطراب النبض ثم يضمها الى قريناتها حتى يخرج بتقرير عن الجريمة وآلتها ومكانها وملابساتها من حصولها فى ظلمة أو ضوء وهل حصلت من المجنى عليه مقاومة أولا وهكذا فالله تعالى مكون الغرائز ومثبتها فى الانفس شاء أن يدل بنى اسرائيل على طريقة تبين لهم الفاعل اذا تدافعوا فى قتل نفس ولم يعلم الفاعل فدلهم على هذه الطريقة التى لا تتخلف غالبا لتحقن بها الدماء وتحيا الانفس

وهذا هو المراد بقوله جل ذكره . كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته ذلك أن ولى الدم ربما حصر شبهة قتل قريبه فى برىء فاغتاله على حين غرة منه ومن الناس. ويأتى ولى المقتول الثانى ويحصر شبهته فى برىء آخر فيغتاله بالطريقة التى اغتيل بها قريبه · فالله سبحانه وتعالى أراد ببيان هذه الطريقة أن يُعلم الفاعل بلا لبس ويقتص منه ويحيا من كانوا مظنة للاتهام وهم برآء

وايضا ـ من تحدثه نفسه بقتل غيره غيلة ويظن أنه يفلت من العقاب. اذا علم أنه لا نجاة له لان هذه الطريقة ستظهره. يكف عن القتل ويحقن دم من هم بقتله ودم نفسه وفى ذلك حياته وحياة غيره على حد قوله تعالى · ولكم فى القصاص حياة لأن الحياة التى فى القصاص ليست للقتيل ولا للقاتل ولكن لمن كانوا على طريق القتل من الأحياء

بقى أن يقال . أن اهل الكتاب ليس عندهم هذا الضرب الذى مشيت عليه فى الآية ـ وجوابي على ذلك أن الله تعالى شهد عليهم بأنهم نسوا حظا مما ذكروا . فليكن هذا مما ذكروا به ونسوه

وليس هذا الشأن بأول شىء نسوه مما ذكروا به فكم من حادثة ذكرها القرآن وليس لها ذكر عندهم فقد سكتت التوراة عن هلاك زوجة نوح وعن مسألة ابنه وهلاكه وذكرهما القرآن

والذى أريد أن أخرج به من هذا البحث هو أن القول بان القصة الاخيرة

مرتبطة بما قبلها ليس متعينا وأن مسألة ضرب القتيل بجزء من البقرة فحيي وأخبر بقاتله لم يرد به نص قطعي الثبوت والدلالة.وأن الرأى الذى رأيته مما تحتمله الآية والله تعالى هو الموفق للسداد

بعد كتابة ما تقدم وطبعه أطلعت عليه حضرة العلامة البحاثة الاستاذ محمد فتحى رئيس مجلس حسبي مصر فأظهر لى ارتياحه وأهدى الى رسالتين عنوان كل منهما (علم النفس الشرعى وكشف الجرائم) ثانيتهما تشتمل على ما نشره فى مجلة المحاماة عددى مايو وأكتوبر سنة ١٩٢٧ وفيها عدة مباحث لكشف الجرائم بالوسائط العلمية وقد خطر لى أن انقل لحضرات القراء بعض الكلمات التى جاءت فى بحث طريف من ابحاث الرسالة وهو

(قياس الانفعالات النفسية عن طريق الجلد)

قال :-

ان كشف آثار الانفعالات النفسية لا يقف عند حد قياس زمن التفاعلات العقلية بالكرونسكوب - بل هنالك من الوسائل العلمية الاخرى ما لا تقل عنه خطورة وأهمية

ولقد أشرت فى محاضرة ألقيتها فى نادى الحقوق فى يناير سنة ١٩٢٥ (ومنشورة فى مجلة المحاماة عدد نوفمبر من تلك السنة تحت عنوان (علم النفس الشرعى وآثار الانفعالات النفسية) الى كشف التأثرات النفسية بقياس قوة مقاومة سطح الجلد للتيارات الكهربائيه بتمرير تيار كهربائى ضعيف فى الجسم ثم رصد آثار الانفعالات التى تنتاب الشخص الذى تحت الاختبار بمقياس دقيق لمقاومة التيار معروف باسم (جلفانومتر) وهو جهاز ذو ابرة مغناطيسية حساسة للتيارات الكهربائية وتسجل ما يطرأ عليها من التغيير

فان هذه الظاهرة الجلدية العجيبة قد درست من الوجهة الطبية وأجريت فيها

عدة ابحاث فنية قام بها نخبة من خيرة العلماء أمثال شارل فيريه (C . Féré) وفيجورو (R. Vigourou) وستكر (Sticker) وتارشنوف (Tarchanof) وزومر (Sommer) وفورستنو (Furnstcnau) وغيرهم من رجال العلم وابطال البحث

فدلت التجارب المتعددة التي قاموا بها على أن كل خاطر يمر بالبال أو كل لفظ يطرق السمع مهما كان مدلوله تافها وظاهره مجردا عن المغزى . له تأثيره الخاص فى النفس . ويظهر بوضوح فى جهاز الاختبار

أما أساليب الاختبار فكثيرة متنوعة . ويكفى هنا ذكر الطريقة الاكثر شيوعا : وهى أن يؤمر المختَبَر بأن يستوى على مقعد مريح وثير الفراش ذى متكأين يركز عليهما منكبيه ثم يبسط راحتيه على لوحين نحاسيين . أو يضع أطراف بعض أصابعه فى أناءين صغيرين من الصينى بهما محلول ملح الطعام ـ ثم يسلط على اللوحين أو الاناءين تيار كهربائى ضعيف من بطارية قوتها ١٥ فولتا بحيث لا يكون التيار محسوسا طول مدة الاختبار

وتقاس التقلبات التى تطرأ على التيار بجلفانومتر دقيق ذى مرآة عاكسة ويوضع على مسافة متر تقريبا تجاه المرآة مصباح قوى يلقى أشعته عليها وهذه تعكسها على لوح كبير من السليوليد مقسم الى سنتى مترات . ومليمترات بحيث أن كل تغيير فى قوة مقاومة التيار مهما كان طفيفا يؤدى الى تحرك الجلفانومتر بالمرآة فيظهر أثر هذه الحركة مكبرا فى رحلات الاشعة الساقطة على اللوح المقسم وبهذا يمكن قياس درجات انحراف الاشعة عن موضعها الاصلى بسهوله

فكل لفظ يحدث فى النفس انفعالا مهما كان طفيفا يؤثر فى قوة مقاومة الجلد للتيار تاثيرا خاصا يبدو على اللوح مكبرا وبذلك يتسنى للخبير أن يرصد مراتب الانفعالات المختلفة لكل خاطر بدقة ووضوح تام . فيدرس مما تسطره

يد العلم على لوح الامتحان نفسية المختبَر ـ درسا غاية فى الدقة حيث ينطق الجلد قبل اللسان بما يكنه الفؤاد ويضمره الجنان - أن هذا الاسلوب العجيب من البحث قد استخدم فى الابحاث الطبية وتشخيص الانفعالات النفسية فى الحالات المرَضية بمهارة وأحكام

ولقد اتجهت انظار العلماء أخيرا الى تطبيقه فى الابحاث الجنائيه لـكشف التأثرات الخفية الخاصة بالذكريات الاجرامية فوصلوا فى ابحاثهم الى نتائج جديرة بكل اعتبار واهتمام

أقول: أن العلم فى كل زمان يخدم القرآن الكريم ويبين البيان الوافى أن الغرائب التي فيه صحيحة مؤيدة بالبراهين الناصعه

ورد فى القرآن الكريم أن أهل الذنوب يُنطق الله تعالى جلودهم يوم القيامة فتشهد عليهم بما اقترفوا من الذنوب فى الحياة الدنيا - وهذا العلم جاء اليوم يؤيد ذلك

اقرءوا قوله تعالى فى سورة فصلت . ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون . حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون - لا أريد حمل الآية على أن المراد بها أن الله تعالى يُنطق الجلود بتلك الآلة ولكنى أقول ان العلماء يُنطقون الجلود فى الدنيا بما أوتوا من العلم والله ينطقها فى الآخرة بماله من القدرة الغالبة والحكمة العالية

ويعجبنى قول الاستاذ العلامة محمد فتحى فى آخر رسالته المذكورة وكلما ازدادت أساليب الاختبار تحسينا وأتقانا زادت معها نسبة النجاح فى اقتحام ضمير المتهم وكشف بواطن عقله واستخلاص ما يكنه فى سويداء قلبه من الخبايا وانتزاع أعز مايحرص عليه بين حنايا ضلوعه من الاسرار اه

فاذا كان ذكر أسماء الاشياء التى لها ذكريات فى الجريمة كاف لفضح سر المتهم . فمن باب أولى يكون عرض القتيل على القاتل وضربه بجزء منه حاملا على اضطرابه وظهور أمارة الاجرام عليه .

قصة قارون وموقف موسى بأزائه

ايذاء بنى اسرائيل لموسى — اظهار الله تعالى براءته

أما قصه قارون . فتلخص فى أنه كان رجلا من بنى اسرائيل آتاه الله بسطة فى الرزق وأدر عليه أخلاف الثراء حتى ان مفاتيح خزائنه كانت تنوء بالعصبة أولى القوة فكان مرموقا من قومه بعين الغبطة — كل من رآه فى زينته وأبهته يتمنى أن يرزق مثل ما رزقه من الحظ فى الدنيا ويستعظمون ذلك أيما استعظام

كان أولوا البصائر من قوم قارون يعظونه ويبذلون له النصح ويحذرونه عاقبة ما هو عليه من الخيلاء والزهو ويشيرون عليه بالابتعاد عن سوء مجاورة نعمة الله بالافساد فى الارض ويحضونه على أن يبتغى فيما آتاه الله الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا بان يظهر عليه أثر معرفة نعمة الله بالاحسان الى الفقراء من عباد الله كما يظهر أثرها عليه فى تناول المباحات من اللذائذ وأن لا يستعمل نعمة الله فى طرق الافساد فى الارض. لان ذلك يغضب الله تعالى لان مجاورة نعمة الله بالافساد فى الارض تدعو الى أن يغير الله تلك النعمة . فاعطاهم أذنا صماء ولم يصغ الى نصائحهم - وقال فى المال الذى عنده . انما أوتيته على علم عندى — ويقول المفسرون انه كان واقفا على سر الصناعه أى

الكيمياء (١) (احالة المعادن الخسيسة الى معدن نفيس هو الذهب) ذاهلا عن أن فضته وذهبه لن يغنيا عنه من الله شيئا . لان الله تعالى قد أهلك من القرون من هم أشد منه قوة وأكثر جمعا فما أغنى عنهم جمعهم وما كانوا يعتزون به من مال و نشب ولم يفلتوا من عذاب الله تعالى

كان من احداث الزمان أنه خرج على قومه فى زينته فقال المولعون بالدنيا الذين يزدهيهم زخرفها ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فوعظهم أهل البصر النافذ فيما وراء المظاهر الخلابة. وقالوا لهم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا طالبين صرفهم عن المطامع الباطله فكانت عاقبة طغيانه وانصرافه عن شكر الله على نعمته ان أزال الله عنه لباس النعمة وأذاقه وبال أمره فخسف به وبداره الارض ولم يجد له ناصرا أومعينا

اقرءوا هذه الآيات : —

سورة القصص ـ ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة . أذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ٧٦ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض أن الله لا يحب المفسدين ٧٧ قال أنما أوتيته على علم عندى . أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ٧٨ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى

---

(١) ظل الاوربيون يقولون باستحالة تحول المعادن حقبة من الدهر . ولكنهم بالاستمرار فى البحث فى الذرة — أو الجوهر الفرد — صاروا يقولون ان ذلك من الممكنات وهم جادون فى تفريق أجزاء الذرة حتى اذا تم لهم هذا أمكنهم ايجاد أى مركب كالذهب وغيره وحينئذ يكون ما كان يبدو مستحيلا صار جائزا

قارون أنه لذو حظ عظيم ٧٩ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا . ولا يلقاها ألا الصابرون ٨٠ فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ٨١ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ٨٢ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين

أما أيذاء بنى أسرائيل لموسى . فقد اختلف فى نوع الايذاء . فقال قوم انهم قالوا ان موسى به عيب جسمى واتهموه بالأدرة وقال آخرون بالبرص فنزل الماء ليستحم ووضع ثوبه على حجر فجرى الحجر بثوب موسى . فصار موسى يجرى خلفه خارج الماء ويقول ثوبى حجر ثوبى حجر ألى أن وقف الحجر فى مجتمع بنى اسرائيل وموسى مكشوف العورة . فظهر لبنى أسرائيل انه برىء من العيب الذى اتهموه به

وأنا لا أدرى ما هو الحامل أو الداعى الذى أراده الله من جعل الحجر يشتد فى الجرى وموسى فى أثره مكشوف العورة ولم كانت هذه المعجزة التى تهتك ستر نبى كريم يحنق بسببها ويضرب الحجر حتى يؤثر فيه ندوبا - وايضا فانى لم أفهم كيف يكون ابتلاء موسى بالأدرة عيبا يحول بينه وبين الوجاهة عند الله تعالى

وأذا كان الاتهام بالادرة هو الأمر الذى أوذى به موسى فكيف ينافى هذا علمهم بانه رسول الله اليهم كما يشعر بذلك قوله لهم ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم؟ فلا بد أن يكون الايذاء اكبر من الاتهام بالادرة

نعم ورد الحديث بمسألة الحجر ولكن فى رجاله عوف وقد جاء عنه فى تذهيب التهذيب أنه كان شيعيا رافضيا شيطانا

والذى أميل اليه فى مسألة أيذاء بنى أسرائيل موسى ماذكره البيضاوى فى

تفسير آية الأحزاب والالوسى فى تفسيره وابن الأثير فى تاريخه وعبارة ابن الأثير أوسع . ذلك أن موسى طلب الزكاة من قارون . فشحت نفسه بالمال . واراد ان يكيد لموسى ليرجمه . فاتفق مع امرأة أن تقول عن موسى انه زنى بها . ولما أصبح قال لموسى : أليس من الشريعة ان الزانى يرجم ؟ قال بلى قال فانك قد زنيت بفلانة ويجب أن تسلم نفسك لنرجمك

فلما جاءت المرأة أخبرت أن قارون لقنها ان تدعى هذه الدعوى على موسى وهو برىء منها . وبذلك برأه الله مما قالوا وكان عندالله وجيها . وهذا هو اللائق أن تحمل عليه الآيات لان من كان زانيا لا يكون وجيها عند الله تعالى —

ويظهر أن قارون اجتمع عليه كثرة المال والشح به على الواجبات . والتيه على قومه حتى آل أمره الى الافتراء على موسى . فكان عاقبته ان خسف الله به وبداره الارض . ولما كان اكبر اعتقادى ارتباط الايذاء بقارون وأضرابه الذين شايعوه على موسى فأنا اميل الى هذا الرأى وقد أورد الالوسى احتمالات كثيرة لا أرى ضرورة لنقلها

اقرءوا هذه الآيات

سورة الاحزاب — ياءيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عندالله وجيها

سورة الصف — وأذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله أليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين

ذكرت قصة قارون فى الاصحاح السادس عشر من سفر العدد . وملخصها أن قورح (قارون) وهو ابن عم موسى . وداثان وأبيرام ابنا الياب وأون بن فالت بنو رأوبين كانوا يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعه . فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما أن الجماعة كلها مقدسة

وفى وسطها الرب . فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب

فلما سمع موسى سقط على وجهه وقال غدا يعلن الرب من هوله ومن المختار والمقدس حتى يقربه اليه . وأمر القوم أن يأخذوا مجامرهم وأن يضعوا فيها النار وأن يضعوا على النار بخورا . والرجل الذى يختاره الله هو المقدس وعاتب موسى قورح قائلا اسمعوا يابنى لاوى . أقليل عليكم ان أله أسرائيل افرزكم من جماعة أسرائيل وقربكم اليه لخدمته . اذن انتم متفقون على الله وعاصون لأوامره والا فماهو هارون حتى تتذمروا عليه وأرسل يدعو داثان وابيرام بن الياب فلم يصعدا اليه قالا لرسوله قل له أقليل أنك اصعدتنا من ارض تفيض عسلا ولبنا لتميتنا فى البرية . ولم تات بنا الى ارض تفيض لبنا وعسلا كما وعدتنا ولم تعطنا نصيب حقول وكروم ؟ لا نصعد اليك فاغتاظ موسى وقال لله . لا تلتفت الى تقدمتهما (حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسأت الى احد منهم)

وامر موسى قورح ان يكون مع اولاده والجماعة المظاهرين له فى ابواب خيامهم ويكون معه ابناؤه ويأتى هرون بمجمرته ويكون الجمر فى المجامر ويتقدمون أمام الله مائتين وخمسين مجمرة وان الله كلم موسى وهرون وامرهما ان ينفرزا عن كل بنى اسرائيل ليهلكهم فتضرع موسى الى الله حتى لا يأخذ كل القوم بخطيئة رجل فأمره ان يبعد جماعة بنى أسرائيل عن خيام هؤلاء المشاقين ففعل

ولما حضروا من الغد قال موسى للجماعة ـ أذا كان الله قد ارسلنى لاعمل هذه الاعمال وليست من نفسى . أن مات هؤلاء كموت كل أنسان فليس الله قد أرسلنى . ولكن ان ابتدع الله بدعة وفتحت الارض فاها وابتلعتهم وكل مالهم فيهبطوا احياء ألى الهاوية تعلمون ان هؤلاء القوم قد ازدروا بالله

فلما فرغ موسى من قوله انشقت الارض وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع الأموال وانطبقت عليهم الارض فبادوا من كل الجماعة وأرسل

الله ناراعلى المائتين والخمسين من اعداء موسى الذين قربوا البخور ـ افرءوامن أول الاصحاح السابع عشر من سفر العدد الى آية ٢٤ منه فهذا هو ايذاء بنى اسرائيل لموسى وهذه براءته

اختيار موسى سبعين رجلا

من شيوخ بني اسرائيل لطلب المغفوة من الله والندم على ما صدرمن قوم موسى من عبادة العجل ـ طلب بعضهم من موسى ان يروا الله جهرة ليؤمنوا به ـ اخذ الصاعقة اياهم ـ تضرع موسى الى الله الا يهلكهم بفعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية ـ احياؤهم بعد موتهم من الصعقة ـ التبشير بمحمد على اثر ذلك

لما رأى القوم انهم قد ظلموا انفسهم وقارفوا اثما كبيرا بعبادة العجل ـ اختار موسى من القوم سبعين رجلا يذهبون معه الى الجبل الذى اعتاد ان يناجى الله فيه ليقدموا الطاعة لله والندم على ما اقترفوا من اثم ويتوبوا الى الله مما جناه عبدة العجل فذهب بهم ألى الجبل (حوريب) وهو جبل الطور . فلما كلم الله تعالى موسى وهم شهود يسمعون كلام الله عاودت جماعة منهم جبلة التمرد والعصيان فلم يؤمنوا ان الله تعالى هو الذى يكلم موسى وانه اعطاه التوراة . وقالوا له لن نؤمن لك ان الله نبأك واعطاك الكتاب حتى نرى الله تعالى جهرة باعيننا لا يحجبه حجاب ولا يستره ساتر . والظاهر انهم لم يؤامروا موسى فى هذا الاقتراح من قبل . ولو فعلوا لارشدهم واعلمهم علم مالقى من التجربة القاسية وهى الصعقة التى نالته على اثر ذلك الاقتراح الذى صدر منه وتجلى الله تعالى للجبل الذى صار دكا

من هيبته تعالى ـ ولا يبعد ان يكون اعلمهم بذلك كما يقول بعض المفسرين وانهما لم يقبلوا منه قوله

على اثر هذا الطلب من القوم اخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم الى بعض يتهافتون على اديم الأرض ليكون ذلك برهانا فعليا لديهم على ان ما اصابهم حق لاشبهة فيه . ثم بعثهم اللهمن بعد موتهم بعد التضرع والتذلل من موسى وطلب العفو عمــا صدر من سفهائهم والغفران لزلتهم فغفر الله لهم ذلك واعادهم الى الحياة . وكان من طلب موسى المغفرة والرحمة فى الدنيا والآخرة . فأخبره الله تعالى بان ذلك راجع لمشيئته. واخبره الله تعالى بانه كتب رحمته للمتقين الذين يؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله ولا يعارضون فيها ولا يتعنتون فى الاقتراح بعد ايمانهم كما فعل قوم موسى . وهم الذين يتبعون النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا فى التوراة والانجيل ومن أوصافه انه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى آخر الآيات . فكانه تعالى كان يباهى بمحمد واتباعه اتباع موسى قبل وجود محمد وأمته باكثر من الف وخمسمائة سنه ويوبخهم بان له عبادا ليسوا على شاكلة قوم موسى يؤمنون بالله وآياته بدون تعنت أو تذمر بعد ائتسامهم بالايمان ـ ووصفهم بأروع الاخلاق واجل الصفات

نبوة محمد موجودة فى التوراة رغم مااعتورها من التحريف والتشذيب وهاأنا اسوق تلك للمواضع من التوراة تعجيلا للفائدة ولأنها أيضا من قصة موسى

ففى الآية العشرين من الاصحاح السابع عشر تكوين (واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه (هاانا اباركه وأثمره واكثره كثيرا جدا)

ولفظ العبارة الأخيرة فى العبرية (هِنّـى بيرَ ختى أوتُـوو هفـريتى أوتوو هرْبيتى أوتو بماد ماد) باماله الالف فى بماد ماد الى واو

ومن عادة العبرانيين الاعتماد فى الوقائع والاسماء على قيمة حروف الكلمة

من جهة الحساب فلو حسبنا لفظ بما ماد بالجمل لكانت جمل محمد بلا زيادة ولا نقصان ٩٢ وهو من ابناء اسماعيل الموعود بالبركة والاثمار فى ابنائه

ثانيا - فى الآية ١٥ من الاصحاح ١٨ من سفر التثنية قول موسى لبنى اسرائيل ١٥ يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ١٦ حسب كل ما طلبت من الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا لا اعود اسمع صوت الرب الهي ولا ارى هذه النار العظيمة لئلا اموت ١٧ قال لى الرب قد احسنوا فيما تكلموا ١٨ أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيتكلم بكل ما أوصيه. فقوله من اخوتهم فى الآية ١٥ وقوله من وسطهم من اخوتهم فى الآية ١٨ تدل على ان الموعود به لا يكون من بنى اسرائيل بل من اخوتهم · واخوتهم بنو اسماعيل كما تدل على ذلك الآية ١٨ من الاصحاح ٢٥ تكوين. وسكنوا (اى ابناء اسماعيل) من حويلة الى شور التى أمام مصر حين ما تجى نحو اشور امام جميع اخوته نزل. وحويله هى بلاد خولان على تخوم اليمن مما يلى الحجاز ولا مقابل لابناء اسماعيل فى جهة شور سوى بنى اسرائيل وكما تدل على ذلك ايضا الآية ١٢ من الاصحاح ١٦ تكوين (وامام اخوته يسكن) وايضا فان قوله (واجعل كلامي فى فمه) الخ يدل على انه يكون اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يدع احد من ابناء اسماعيل ذلك سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقم نبى أمى سواه منذ خلق الله الدنيا الى اليوم

ثالثا — الآية الثانية من الاصحاح الثامن والثلاثين تثنيه ٢ قال جاء الرب من سينا واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم فجبل فاران بمكة وهى البلاد التى سكنها اسماعيل

أما بقية كتب الانبياء ففيها اخبار كثيرة تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم

والبلدالذى يخرج منه . أما هذا الموقف من مواقف موسى فاقرءواهذه الآيات التى تدل عليه

سورة الأعراف ـ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ١٥٥ واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ١٥٦ الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون ١٥٧

سورة البقرة ـ واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون

وقوله ثم بعثناكم دليل على انهم ماتوا لان البعث لايكون الاعن موت ولا مانع ان يكون فى الكلام مجاز فشبه افاقتهم من الصعق بالاحياء

العبد الصالح صاحب موسى

حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال اخبرنى سعيد بن جبير قال لابن عباس ان نوحا البكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل . فقال ابن عباس كذب عدو الله . حدثنى أبى ابن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا

فى بنى اسرائيل فسئل اى الناس اعلم ؟ فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك . قال موسى يارب فكيف لى به ؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم . فأخذ حوتا فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق . فلما استيقظ نسى صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى امر الله به فقال له فتاه ارأيت إذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا . قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا . فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بارضك السلام . قال انا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . ياموسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت ـ وانت على علم من علم الله علمك الله لا اعلمه . فقال موسى : ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا . فقال له الخضر فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ الا والخضر قد خلع لوحا من السفينة بالقدوم . فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا . قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال لا تؤاخذنى

نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا . قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من موسى نسيانا . قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ بصر الخضر بغلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا . قال وهذه اشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض .قال :مائل فقام الخضر فاقامه بيده فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بينى وبينك . الى قوله ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وددنا أن كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما

قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا . وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين

ما اسم العبد الصالح

وأما العبد الصالح فقد اختلف العلماء فى اسمه وهل هو نبي أو رسول أو ولى واختلفوا فى زمنه وهل هو حى الى اليوم أو ميت

اما اسمه فقالوا انه الخضر وقيل بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس وقيل ملك من الملائكة وقيل اسمه عامر وقيل احمد . واختلفوا فى اسم أبيه

فقيل أنه ابن آدم لصلبه وقيل أنه ابن فرعون وقيل ابن العيص وقيل ابن كليان. والجمهور على أنه بليا بن ملكان وأن الخضر لقب له وعلى أنه نبي وقال غير الجمهور أنه رسول وقال آخرون أنه ولى وعليه القشيرى. واختلف هل هو حى اليوم أو ميت. فذهب جمع الى أنه ليس بحى وأنكر البخارى أن يكون حيا

وفى صحيح مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل موته ما من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى حية. وسئل غير البخارى من الائمة فتلا قوله تعالى — وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد — وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية عنه فقال لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه — وسئل ابراهيم الحربى عن بقائه فقال من أحال على غائب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس الا الشيطان. ونقل فى البحر عن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل المرسى القول بموته. ونقله ابن الجوزى عن على بن موسى الرضا رضى الله تعالى عنهما... اهمن الآلوسى

ويقول بعض أهل التفسير أنه والاسكندر المقدونى ابنا خالة وكان وزيره وهو قول جاهل لان الاسكندر كان بعد موسى بأكثر من ألف سنه فكيف يكون ابن خالته معلما لموسى رسول الله ؟

القرآن الكريم لم يرد فيه هذا الاسم ولولا وجوده فى حديث البخارى ما صدقت بوجود صاحب هذا الاسم ولكان هيان بن بيان. وأنى أكتفى بما قدمته من ذكر الآيات الكريمة. ومن شاء فليقرأ سورة الكهف فهى فيها

تذكير الله تعالى لبنى اسرائيل بنعمه عليهم

أن الناظر فى أحوال بنى اسرائيل والقارئ للقرآن والكتب أنبيائهم يجد الله تعالى قد دللهم وأعطاهم حكم الصبي على أهله. فأتاهم بالعجائب وفعل

بالامم الظالمة لهم الافاعيل واحتمل صلفهم وطغيانهم ولم يترك وسيلة من وسائل استرضائهم الا فعلها وهم لا يزيدون الا عنادا ومخالفة عن أمره

والظاهر أن الامم التى طردها الله أمام بنى اسرائيل وأورثهم أرضهم وديارهم كانوا غاية فى الرداءة والعصيان والكفر حتى أن بنى اسرائيل الذين نعرف حالهم كانوا مختارين من الله عليهم وقد رأيت فى الكتاب المقدس . أن موسى (على ما أذكر) قال لبنى اسرائيل لاتظنوا أن الله تعالى سيأتى بكم الى الارض المقدسة بسبب قداستكم وطهارتكم وأنكم أفضل الناس فى طاعته . كلا فانه انما يطرد الامم أمامكم لرداءتهم ورجسهم العظيمين

وقد ذكّر الله تعالى بنى اسرائيل بما صنعه لهم من الاحسان وبالآيات التى صنعها فى سبيل اطلاقهم من أسر فرعون وقومه ما نورده فى هذه الآيات

سورة البقرة : يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ٤٧ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ٤٨ واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٤٩ واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ٥٠ واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ٥١ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ٥٢ واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ٥٣ واذ قال موسى لقومه ياقوم أنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ٥٤ واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ٥٥ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ٥٦ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٥٧

واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين ٦٠ واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٦١

سورة الاعراف : واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ١٤١

سورة ابراهيم : واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذالكم بلاء من ربكم عظيم ٦ واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ٧ وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد ٨

موت هارون ثم موسى

أما هارون فقد أمر الله موسى ان يذهب هو وهارون الى جبل هور فذهبا وهناك مات هارون ودفنه موسى وعاد الى بنى أسرائيل وأخبرهم بموت هارون ويقول مفسرو القرآن ان بنى أسرائيل قد شغبوا على موسى واتهموه بقتل هارون الى ان اراهم الله هارون على سرير بين السماء والارض ليس به اثر للقتل —

وأماموسى فقدامره الله ان يذهب الى جبل نبُـو وان ينظر إلى الأرض المقدسة ولا يدخلها وهناك مات موسى ودفن عل الفسجة وهى الكثيب الأحمر

موقف لبنى اسرائيل بعد موسى

بعد وفاة موسى قام بأمر بنى اسرائيل يوشع بن نون من سبط يوسف ومعه بنواسرائيل وعبروا الى الارض التى وعدوا بها وكان أول بلد ملكوه مدينة أريحا وقد أمرهم الله أن يدخلوا باب المدينه حين يدخلونها سجدا أى خاشعين متذللين لله تعالى وأن يقولوا (حطة) ولكن القوم عاودتهم سجية مخالفة أمر الله تعالى فقالوا قولا غير الذى أمرهم بأن يقولوه ودخلوا وهم على هيئة غير التى امروا بها فغضب الله عليهم وأنزل عليهم العذاب

ومعنى (حطة) حط عنا خطيئتنا أو أمرنا حطة . وليس من البعيد أن يكون هذا اللفظ عبريا ومعناه خطيئة لان لفظ أخطأ بالعبرية (حطا) بحاء مهملة فطاء تقول (انى حطانى) أى أنا أخطأت و (أتا حطاتا) أى أنت أخطأت . ولكن يلزم عليه أن القرآن فيه لفظ غير عربى . وقد جوز بعض العلماء ذلك ومنعه آخرون . ولا مانع من أن يكون هذا اللفظ دخل فى العربية وصار منها

ويقول البيضاوى أن المدينة هى بيت المقدس أى أورشليم أو أريحا . ولعل القول بأنها أورشليم هو الذى دعا أهلها الان يسموا أحد أبوابها باب حطة. والقرآن لم يبين المدينة. والتوراة لم تذكر هذه المسألة أصلا ــ اقرءوا هذه الآيات

سورة البقرة : وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ٥٨ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ٥٩

سورة الاعراف - وأذقيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ١٦١ فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ١٦٢

ثناء الله تعالى على موسى وهارون

علمنا من هذه القصة ما كابده موسى وهارون فى معالجة شؤون بنى اسرائيل وسياستهما لذلك الشعب المشاغب . وأن هارون مات فى جبل هور وأن موسى مات ودفن فى جبل نبو بعد أن أشرف على أرض الموعد . وقد أثنى الله تعالى ثناء طيبا على موسى وهارون لما كابدا من عنت قومهما وشدة مراسهم مع ما كانا عليه من الايمان المحض والاخلاص - اقرءوا الآيات الآتية :

سورة مريم — واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ٥١ وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ٥٢ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ٥٣

سورة الصافات — ولقد مننا على موسى وهارون ١١٤ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ١١٥ ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ١١٦ وآتيناهما الكتاب المستبين ١١٧ وهديناهما الصراط المستقيم ١١٨ وتركنا عليهما فى الآخرين ١١٩ سلام على موسى وهارون ١٢٠ انا كذلك نجزى المحسنين ١٢١ انهما من عبادنا المؤمنين ١٢٢

سورة غافر — ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب ٥٣ هدى وذكرى لأولى الالباب ٥٤

العظات التي تستفاد من قصة موسى

(١) ان الابتلاء الذى يصاب به الانسان فى الدنيا ينبغى أن يقابل بالرضا فقد يكون الخير العظيم فى هذا الابتلاء . فهذا موسى قد خرج خائفا من آل فرعون متبعا نصيحة ذلك الرجل الذى جاءه من أقصى المدينة ناصحا له بالابتعاد عن مصر لأن الملأ يأتمرون به . فهاجر من مصر وكان الخير كله فى هجرته فقد وجد أهلا بأهل وجيرانا بجيران واصطفاه ربه على الناس برسالاته وبكلامه وجعله واسطة لانقاذ قومه من فرعون وآله

(٢) ان المتوكل على الله المعتمد عليه تعالى فى أموره يقيض الله تعالى من ينقذه ويهيء له من أمره يسراً كما قيض ذلك الرجل لموسى فكان سببا لنجاته أولا وكان فى هذه النجاة أن يخصه الله بوحيه

(٣) أن الشخص المستمسك بالحق لايبالى بمن خالفه ولو كان عظيما فهذا موسى قال له فرعون (انى لأظنك ياموسى مسحورا) فقال له موسى فى غير مبالاة به ولا اكتراث لما هو فيه من أبهة الملك وعز السلطان (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يافرعون مثبورا) أى هالكا بعد ان حاسنه موسى كل المحاسنة وتلطف به كل التلطف فلما لم يفد اخشن له القول

(٤) ان الحق لايعدم نصيرا . ذلك موسى جاء الى فرعون لينزله عن عرش الربوبية ويدعوه الى عبادة الله فاعتزم قتله وآمر قومه فقام رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ينافح عن موسى ويدافع عنه ويحذر فرعون وآله بطش الله ضاربا الأمثال بالامم الخالية غير مبال بمخالفة فرعون

(٥) ان لذة الايمان اذا تذوقها الانسان ملكت عليه مشاعره واستهان فى

سبيلها بكل عقاب . لذلك آمن السحرة بموسى والهه غير مبالين بفرعون وما أعد لهم من عذاب

(٦) ان الصبر على البلوى حميد العاقبة . فهؤلاء بنو اسرائيل ابتلوا فصبروا على الاهانة والذل والتسخير وتقتيل الأبناء واستحياء النساء الى أن أعقبهم الله الحسنى كما قال « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا »

(٧) ان موسى كان حليما على بنى اسرائيل رءوفا بهم . فان الله قد غضب عليهم بسبب عبادة العجل وهددهم بالابادة . وكذلك الشيوخ الذين ذهبوا لتقديم توبة الشعب طلبوا رؤية الله تعالى جهلا وعنتا فأخذتهم الصيحة فأخذ موسي يتضرع الى الله ويقول « رب لو شئت أهلكتهم من قبل وأياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون

استطراد

بمناسبة هذه الآية الكريمة عرض لى أن أسائل نفسى سؤالين . وهما -

(١) أن التواريخ قددلت على أن اليهود قد احتلوا جهات من الحجاز كتيماء ووادى القرى وفدك وخيبر ومدينة يثرب واتخذوا تلك الامكنة مقاما وجعلوها دار

قراهم وأثاروها وعمروها وبنوا فيها المصانع والآطام العظيمة والحصون المنيعة واستقر من قبائلهم هنالك بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . فما الذى أزعجهم عن فلسطين تلك الارض التى اذا تكلموا عنها قالوا أنها تفيض لبنا وعسلا ؟

(٢)ولم كان اتجاههم الى تلكم الارض القليلة الريف وأرض الله واسعة أمامهم فهذه مصر متاخمة لارضهم والشام من شمالهم والعراق مهاجرهم الاول . فلم اتجه هؤلاء الناس الى تلك الناحية ؟

(١) أما السؤال الاول فجوابه فيما اعتقد أن بنى اسرائيل انما أزعجهم من فلسطين التى كانوا يحبونها حبا جما. أغارة طيطس الرومانى على بلادهم وايقاعه بهم وتخريبه بيتهم المقدس وهيكلهم الذى كانوا يفاخرون به كل الامم ويباهون بضخامة بنيانه وما فيه من آنية الذهب والفضة وذلك سنة ٧١ بعد الميلاد

(٢) وأما جواب الاستفهام الثانى ـ فان بنى اسرائيل قد وعدوا بنبي يقوم من بين إخوتهم وهم العرب الاسماعيليون وأنه سيكون ظهوره واعلان أمره فى مدينة يثرب ـ فلما ضاقت أنفسهم مما انزله بهم الرومان . رجوا أن يأتيهم الفرج ويعود لهم العز بمظاهرة هذا النبي الذى وصف لهم فى كتب الانبياء فجاءوا الى مكان ظهوره انتظارا لمقدمه وعلى الطريق بين البلد الذى يظهر منه وبين فلسطين

جاء فى اشعيا ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة تسبيحه من أقصى الارض . أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها . الديار التى سكنها قيدار . لتترنم سالع من رءوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر ١٣ الرب كالجبار يخرج كرجل حرب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على اعدائه اه

فسالع هذهالتي يدعوها أشعياء للابتهاج ليستسوى جبل سلع . اذ الوادي الذي به المدينةالمنورة يكتنفه جبلان احدهما شرقي وهو جبل أحد. وثانيهما غربي وهو جبل سلع

والاغنية الجديدة انما هي الدين الجديد الذي يعلن توحيد الله وأفراده بالعبادة ويكون حربا للاصنام التي تعبد من دون الله تعالى كما في قول اشعيا ص٤٢ — ١٧ قدارتدوا الى الوراء يخزى خزيا المتكامون على المنحوتات . القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا

لم يأت نبي بعد أشعياء كان حربا على الاصنام وعبادتها وأعلن ثورته عليها حتى ابادها من بلاده سوى محمد صلى الله عليه وسلم — لهذا السبب جاء اليهود الى يثرب بلصق سلع التي دعاها أشعيا الى الابتهاج بشريعة الله الجديدة والنبي القائم بها

وقد يكون قد هجس لبعض اليهود أن يكون منهم النبي الذي يقوم من سالع وتبتهج به فنزلوا في تلك الديار رجاء أن يبعث ذلك النبي منهم وتكون لبقيتهم العزة به

هود عليه الصلاة والسلام

وشانه مع قبيلة عاد

ذكر هود في القرآن الكريم سبع مرات . فذكر في سورة الاعراف في الآية ٦٥ وفي سورة هود في الآيات ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٩ وفي سورة الشعراء في الآية ١٢٤

واعلموا وفقني الله واياكم أن عاداً لم تذكر في كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم . وليس بيد أحد من الناس من اخبارهم ما يوثق به .

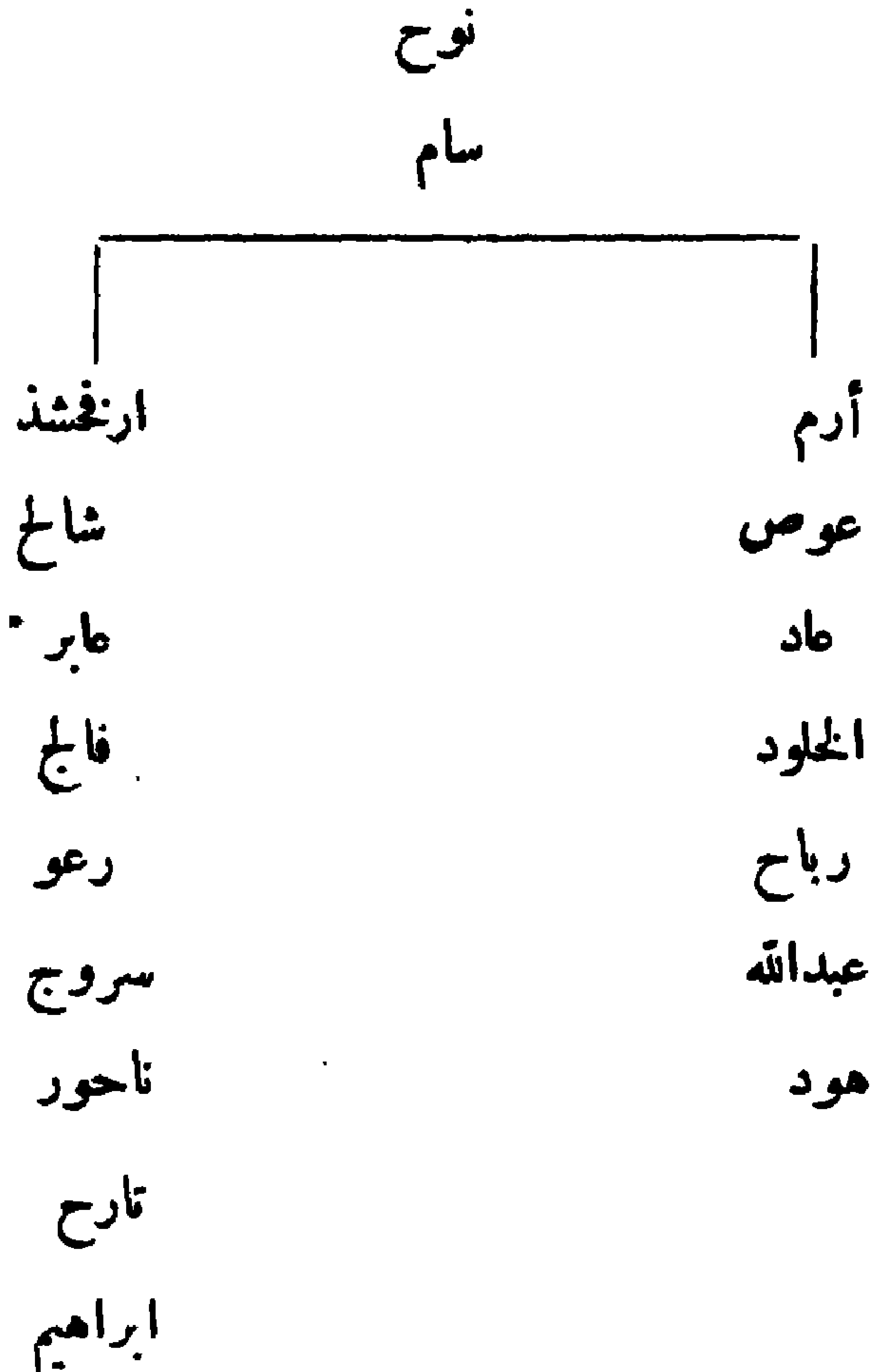
ويصح التعويل عليه ، سوى القرآن وحده ـ فقد ذكر مساكنهم واحوالهم وجسامة اجسامهم وقوتهم وما كانوا ناعمين فيه من خصب ورغد عيش وما استمسكوا به من الكفر والاوثان وعتوهم وفسادهم فى الارض وتماديهم فى الاستمساك بعبادتهم الباطلة وما بذل هود فى سبيل هدايتهم وردهم عن فاسد اعتقادهم وما قابلوه به من العناد والسخرية والاستهزاء ألى أن تأذن الله بهلاكهم .

فعلى ضوء ما جاء فى الكتاب الكريم نقص قصصهم مع هود رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما جاء فى أثناء القصة مما لا يدل عليه القرآن الكريم فليس يبلغ الشىء القطعى ولا الشىء المؤرخ المأخوذ عن المصادر ذات القيمة التى سجلها التاريخ . وأنما هى آثار أثرت عن بعض أهل العلم . هى دون التاريخ .

أما عاد فهو اسم لأبى القبيلة وقد اشتهر انه اسم عربى ويقول سيبويه أنه أعجمى أذ يقال أن أول من نطق بالعربية يعرب . وعن ابن عباس أن هودا أول من نطق بالعربية — ولكننا اذا قدرنا صحة ما يقال من أن العرب انما سموا عربا لانهم سكنوا غربى الفرات فكانوا بادية الآراميين وأن الأمم التى اطلق أهلها عليهم اسم (عرب) انما تنطق الغين المعجمة عينا مهملة وأن قبيلة عاد وغيرهم من العمالقة وسواهم هم الذين ينطبق عليهم هذا الاسم حكمنا بأنه عربى كما هو المشهور

ويقال ان هودا هو ابن شالخ بن ارنخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وعلى هذا الرأى محمد بن اسحق وبعض القائلين بهذا يقولون أن هودا ابن عم أبى عا. وقيل ابن عوص بن أرم بن سام بن نوح وقيل عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن أرم بن سام .

وهاكم عمود النسب لكل من هود وابراهيم عليهما السلام



واذا قارنا بين نسب هود وابراهيم عليهما السلام وجدنا هذا النسب أقرب الى القبول من غيره — اذ بين هود وسام ستة أشخاص على عمود النسب وبين ابراهيم وبين سام ثمانيه أشخاص على عمود النسب

والمشهور من أقوال من يتعرضون للكلام عن عاد أنهم بادوا بعد وجود ابراهيم وبناء البيت بمكة ومن المحتمل أن عادا كانوا أطول أعمارا كما كانوا أكبر أجساما. وأما من يقول أن هودا هو ابن عوص ابن أرم فهو أبعد فى الشطط أذ فى هذه الفترة القصيرة من الزمن يبعد كل البعد أن يتولد لأرم قبيلة كبيرة ضخمة تعمر الارض وتعتز بقوتها بالحال التى كانت عليها عاد —

فقد كانوا أهل زرع وضرع وعمروا البلاد وأذلوا العباد . كما يشهد بذلك قول هود لهم . أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون

مساكن عاد

كانت مساكن عاد فى أرض الأحقاف وهى تقع فى شمال حضرموت وفى شمالها الربع الخالى وفى شرقها عمان وموضع بلادهم اليوم رمال شامخة الذرا وليس بها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم ولم يتعرض أحد من الباحثين والمنقبين الى الكشف عن بلادهم والتنقيب فى أرضهم . ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة فى عالم الآثار وأبان عن مدنية عظيمة مطمورة تحت تلك الكثبان

عبادتهم

كان قوم هود أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى ضاهوا فى عبادتها قوم نوح حين عبدوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا — وفى أثر مروى عن ابن عباس أنهم اتخذوا صنما يقال له صمود وصنما يقال له الهتار فبعث الله اليهم هودا. وكان هود من قبيلة يقال لها الخلود ، وكان من أوسطهم نسبا وأصبحهم وجها ، وكان فى مثل أجسادهم أبيض بادى العنفقة طويل اللحية ، فدعاهم الى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا ذلك وكذبوه وقالوا « من أشد منا قوة » ٤٩٧ ج ٨ تفسير المنار

كان هود عليه الصلاة والسلام ينذر قومه ويحذرهم بأس الله. يضرب لهم

المثل بقوم نوح ويذكرهم بنعم الله تعالى عليهم اذ زادهم فى الخلق بسطة وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وبوأهم أرضا تدر عليهم الخير وتخرج لهم الزرع الذى يعيشون منه وتنبت الكلأ الذى ترعى فيه ماشيتهم . وأن عليهم أن يستعملوا عقولهم ليتبينوا أن مايعبدون من دون الله لايضرهم ولا ينفعهم وأن الذى يضر وينفع انما هو الله تعالى الذى أغدق عليهم نعمه وهو الذى خلقهم وبيده مماتهم . وأن الواجب عليهم أن يتقوه ويتوبوا اليهوأن يستغفروه لما فرط منهم من اشراك غيره معه فى العبادة وأنهم اذا تابوا اليه واستغفروه لما أسلفوا من آثام . فانه يرسل المطر عليهم متتابعا من غير أن يصحب نزوله ضرر . ويزيدهم عزا الى عزهم

وكان هود يبين لهم أنه لايطلب على نصيحته لهم أجرا يأخذه منهم أو رياسة يتزعم بها بينهم . وأنه لايطلب الأجر على ذلك الا من الله تعالىومن كان كذلك يكون أبعد عن التهمة اذ هو لايجر لنفسه من وراء ذلك نفعاولا يبغى لها فائدة من أتاوة يفرضها وزعامة يتولاها

كان فى ملأ عاد ناس قد عتوا ورأوا كبيرا على أنفسهم أن يصدواعن أى مراد يريدونه كما كان منهم مؤمنون . ألا أن شقوة أهل الكفروالعتو قد غلبت عليهم وكانوا الجمهور الاعظم فسفهوا هودا وكذبوه وتجاهلوا الحجج الناصعة والبراهين القاطعة . وقالوا له ياهود ماجئتنا ببينةوما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين. انك مرسل من الله وأن آلهتنا التى تنهانا عن عبادتها لاتشفع لنا عند الله ورموه بالسفاهة والخروج عن السبيل السوى بابتداع ماابتدع من الدعوة الى ترك الاصنام وافراد الله تعالى بالعبادةوذلك غير ماورثوه من الآباء من عبادتها والاستشفاع بها

راجعهم هود بأنه ليس به سفاهةولكنه رسول من رب العالمين ليبلغهم

رسالة ربهم وما كان الله ليرسل الى عباده بسفيه يكون الضرر برسالته أكبر وأعظم من النفع بها وهو أعلم حيث يجعل رسالته

ترقى قوم هود فى تكذيبه واتهموه فى عقله .وقالوا . اننا لا نقول إلا انك لما عبت آلهتنا وحاولت صرفنا عن عبادتها . قد اعتراك بعضها بسوء فألحق بك الخبال والجنون فانت عندنا فى حكم أهل العته والجنون — وقد ظنوا انهم باتهامهم اياه عليه السلام بالجنون ينصرف الناس عن الاصغاء اليه والاعتداد بكلامه

سمع هود ذلك فاشهد الله تعالى وأشهدهم أنه برىء من تلك الآلهة التى يزعمون لها القدرة على أن تمسه بسوء وتحداهم وآلهتهم أن يكيدوه اذا كان ذلك فى قدرتهم وأن يسرعوا الى ذلك مبادرين دون أن ينظروه فانه واثق من أن ألهه الذى بيده نواصى كل ما على الارض من دابة سينصره ويمنعه أن يصلوا الى مسه باذى. وانما خص الناصية لان الحيوان اذا أمسك بشعر ناصيته انقاد وصار الممسك بناصيته مسيطرا عليه . وكانت العرب تجز ناصية الاسير ليعلم أن ناصيته ملكت وجزت

وأعلمهم هود عليه السلام بأنهم اذا تولوا معرضين عن قوله ولم يستمعوا لنصيحته. فانه قد قام بواجبه الذى كلف به من ربه وأن الله تعالى سيبيدهم ويستخلف قوما غيرهم وأن هذا لا يضر الله شيئا لانه حافظ ومستول على كل شيء وكل شيء فى قبضة قدرته. لم يزل هود يمحضهم النصح ويعلمهم أنه ناصح لهم خالص النية فى العمل بكل ما ينفعهم. أمين على ما يقوله لهم عن الله تعالى فهو لا يدعوهم ألا ألى ما فيه سعادتهم وحسن حالهم . وأنهم لا ينبغى لهم أن يعجبوا لانهم جاءهم رجل منهم لينذرهم لان ذلك من سنة الله تعالى أن يجعل

الرسول الى القوم منهم ليكونوا أشد فهما لما يلقيه اليهم ولانهم اعلم بحقيقته وامانته وماهو عليه من خلق حسن

راجعه قومه متعجبين بما يطلبه منهم من عبادة الله وحده وتركما وجدوا آباءهم يعبدونه من الاصنام . اذ فى ذلك تحقير للآباء وامتهانهم برميهم بالكفر وفيه أيضا تحقير أوليائهم وشفعائهم عند الله بترك التوجه اليهم عند التوجه اليه تعالى وهم وسيلتهم اليه وهم المقصودون بالتعظيم لصورهم وتماثيلهم ثم ترقوا الى تحديه . قائلين (فأتنا بما تعدنا « من العذاب » ان كنت من الصادقين) فى انذارك بقولك (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

حينئذ أنذرهم هود بان الله تعالى سيحل بهم عذابا قريبا بقوله (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) أي عذاب وغضب ومعنى ذلك أنه قد قرب الانتقام المحتم وانما عبر بوقع لانه محقق الوقوع ثم وبخهم قائلا (أتجادلوننى فى اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) ثم قال لهم انتظروا حلول العذاب بكم أنى معكم من المنتظرين

فلما عتا قوم هود على ربهم وعصوا رسوله وكذبوه وجحدوا بآيات الله التى أقامها هود على صدقه فى أنه مرسل من ربه واتبعوا أمر كل جبار عنيد من ملأ قومهم ولم تبق فائدة فى أنذارهم أحل الله تعالى بهم نقمته فى الدنيا بأن أمسك الله عنهم المطر حتى جهدوا وكان كلما نزل بهم الجهد ذكرهم هود بدعوته وأنه لا ينجيهم من البلاء سوى الاستماع له والعمل بنصائحه فكان ذلك يزيدهم عتوا الى أن أرسل الله عليهم الريح العقيم سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فاهلكهم الله وأبادهم وصارت أجسامهم كأنها اعجاز نخل منقعر . وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة . ونجى الله تعالى هودا والذين آمنوا معه برحمته من ذلك العذاب الغليظ

وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الاولى . وأما عاد الثانية فهم سكان اليمن من قحطان وسبأ وتلك الفروع

ويقول أهل حضرموت . أن هودا عليه الصلاة والسلام سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد الى أن مات ودفن فى شرقى بلادهم على بضعة مراحل من مدينة تريم قرب وادى برهوت. وقد أثر عن على كرم الله وجهه أنه مدفون فى كثيب أحمر وعند رأسه سمرة فى حضرموت وأهل فلسطين يدعون أنه دفن عندهم وقد بنوا له قبرا ويعملون له فى كل سنة مولدا . وقول أهل حضرموت أقرب الى المعقول لانها متاخمة لبلادهم دون فلسطين .

وفى تفسير الالوسى . قيل كانوا أربعة آلاف وقيل ثلاثة آلاف

اقرءوا هذه الآيات

سورة الاعراف — والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون ٦٥ قال الملأ الذين كفروا من قومه أنا لنراك فى سفاهة وأنا لنظنك من الكاذبين ٦٦ قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من العالمين ٦٧ ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح أمين ٦٨ أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم . واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ٦٩ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذرما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ٧٠ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب . اتجادلوننى فى اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين ٧١ فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ٧٢

سورة هود — وألى عادا اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الا مفترون ٥٠ ياقوم لااسألكم عليه أجرا أن أجرى الا على الذى فطرنى -

أفلا تعقلون ٥١ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ٥٢ قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي
آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ٥٣ ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال
انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون ٥٤ من دونه فكيدونى جميعا ثم
لا تنظرون ٥٥ انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
ان ربى على صراط مستقيم ٥٦ فان تولوا فقد ابلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف
ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شىء حفيظ ٥٧ ولما جاء
امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ٥٨ وتلك
عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد ٥٩ واتبعوا
فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا أن عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ٦٠
سورة المؤمنون : ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ٣١ فأرسلنا فيهم رسولا
منهم أن اعبدوا الله ما لكم من أله غيره أفلا تتقون ٣٢ وقال الملأ من قومه
الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا الا
بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ٣٣ ولئن أطعتم بشرا مثلكم
أنكم اذا لخاسرون ٣٤ أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ٣٥
هيهات هيهات لما توعدون ٣٦ أن هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن
بمبعوثين ٣٧ ان هو ألا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ٣٨ قال
رب انصرنى بما كذبون ٣٩ قال عما قليل ليصبحن نادمين ٤٠ فأخذتهم الصيحة
بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ٤١ ثم أنشأنا من بعدهم قرونا
آخرين ٤٢

سورة الشعراء — كذبت عاد المرسلين ١٢٣ أذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ١٢٤ انى لكم رسول أمين ١٢٥ فاتقوا الله وأطيعون ١٢٦ وما اسألكم عليه من أجر ان أجرى ألا على رب العالمين ١٢٧ أتبنون بكل ريع آية تعبثون ١٢٨ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ١٢٩ واذا بطشتم بطشتم جبارين ١٣٠ فاتقوا الله واطيعون ١٣١ واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ١٣٢ أمدكم بأنعام وبنين ١٣٣ وجنات وعيون ١٣٤ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ١٣٥ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ١٣٦ إن هـذا الا خلق الاولين ٢٣٧ وما نحن بمعذبين ١٣٨ فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين ١٣٩ وان ربك لهو العزيز الرحيم ١٤٠

سورة فصلت — فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ١٥ فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون ١٦

سورة الذاريات — وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ٤١ ماتذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم ٤٢

سورة القمر — كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ١٨ انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ١٩ تنزع الناس كانهم أعجاز نخل منقعر ٢٠ فكيف كان عذابى ونذر ٢١

سورة الحاقة — وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ٦ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم أعجاز نخل خاوية ٧ فهل ترى لهم من باقية ٨

سورة الاحقاف واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت

النذر من بين يديه ومن خلفه إلا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم ٢١ قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
٢٢ قال انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون ٢٣
فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب أليم ٢٤ تدمر كل شىء بامر ربها فأصبحوا لا يرى الا
مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ٢٥ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه
وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا
أفئدتهم من شىء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به
يستهزئون ٢٦

سورة الفجر — ألم تر كيف فعل ربك بعاد ٦ إرم ذات العماد ٧ التى لم يخلق مثلها
فى البلاد ٨

العبرة من قصة هود مع قومه عاد

القارئ لقصة هود عليه السلام مع قومه يخيل اليه أنه يرى انسانا وقوراً رزينا يزن الكلام قبل القائه يتجلى الاخلاص وحسن النية على قسمات وجهه وهو

١ ـ لا يقابل الشر بمثله بل لا يفارقه استعمال اللين فى كلامه مع قومه

انظروا الى قولهم له « انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين » ثم ماذا كان جوابه ؟ كان جوابه أن قال لهم « ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » فمن تأمل فى هذا الجواب وجده غاية فى دماثة الاخلاق والتلطف فى اسداء النصيحة الخالصة من شوائب جرأية منفعة

٢ ـ تلطفه بذكر نعم الله تعالى عليهم وترغيبهم فى الايمان وبيان أن ذلك

يحفظ عليهم حسن حالهم وتذكيرهم بما أنعم الله عليهم من أموال وبنين وجنات وعيون وانه زادهم فى الخلق بسطة وجعلهم خلفاء الارض من بعد قوم نوح وأن ايمانهم يستتبع رضا الله تعالى فيرسل السماء عليهم مدراراً لسقى زروعهم وجناتهم وانبات الكلأ لماشيتهم وأنه تعالى يزيدهم عزاً الى عزهم

فكان جواب قومه له التعجب من شأنه وشأن رسالته اذ جاءهم ليعبدوا الله وحده وأن يذروا ما كان يعبد آباؤهم من قبلهم واتهموه بأن بعض آلهتهم مسه بالجنون الذى أفقده صوابه عقابا له على الخوض فى حقهم والتقليل من سلطتهم - ولقد جاء سقراط الى قومه بدون ماأتى به هود اذ أراد التقليل من سلطة الآلهة فحكم عليه أن يتجرع السم بيده

٣ - انه مع مشاكستهم له وافترائهم عليه ورميهم له بالجنون اعتراه به بعض آلهتهم لا كلهم لم يزد فى جوابه على أن قال لهم «اني أشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم

٤ - ان الذي يتولى عظة الناس وارشادهم والنصح لهم ينبغى أن يكون آخذا اخذ هود عليه السلام فى سعة الصدر وعدم مقابلة الشر بمثله ويحتمل صلف المدعوين وسوء ردهم عليه رجاء أن يظفر ببغيته منهم ويفوز بهدايتهم أو هداية بعض منهم . وأن يكون جوابه عند اليأس بعد بذل الجهد واستنفاد أساليب الترغيب ماقاله هود عليه السلام . (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا أن ربى على كل شيء حفيظ) .

قصة صالح عليه الصلاة والسلام

ذكر اسم صالح فى القرآن تسع مرات : فى سورة الاعراف فى الآيات ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ وفى سورة هود فى الآيات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٩ وفى سورة الشعراء فى الآية ١٤٢ وفى سورة النمل فى الآية ٤٥

وقوم صالح هم ثمود

نسب صالح وثمود

اختلف فى نسبه فقال الحافظ البغوى أنه صالح بن عبيد بن أسف بن ماشح ابن عبيد بن حاذر بن ثمود — وعن وهب انه ابن عبيد بن جابر بن ثمود

وأما ثمود فهى القبيلة التى منها صالح سميت باسم جدها ثمود بن عامر بن أرم ابن سام وقيل ثمود بن عاد بن عوص بن أرم - قال الالوسى هو المنقول عن الثعلبى

مساكن ثمود

كانت مساكنهم بالحجر (بكسر الحاء) وموقعها بين الحجاز والشام الى وادى القرى . ومدائن صالح ظاهرة الى اليوم . وقد زارها بعض أصحابى ودخل بيت الملك وهو بيت ذو حجرات به ردهة كبيرة وهو منقور فى الصخر . والمكان الذى فيه ديارهم يعرف الى اليوم (بفج الناقة) - ويقول المسعودى : ورممهم باقية وآثارهم بادية فى طريق من ورد من الشام وحجر ثمود فى الجنوب الشرقى من أرض مدين وهى مصاقبة لخليج العقبة - قد كان يقال لعاد عاد

ارم الى ان هلكوا فقالوا ثمود ارم

وقد اختلف الباحثون من المستشرقين فى اوربافى أصل ثمودوزمن وجودهم فقال فريق انهم قوم من اليهود سكنوا تلك الناحية ولم يدخلوا فلسطين وهذا القول لا يعد وان يكون ظنا لا أثر فيه للتحقيق . إذ القرآن ناطق بأنهم قد انقضى امرهم وعرت ديارهم من كل ديّار قبل خروج موسى من مصر ببنى اسرائيل . وهذا مؤمن آل فرعون قلم يخوف قومه حين كذبوا موسى بأس لله وأنه يخاف عليهم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

وقال آخرون منهم أى من المستشرقين . أنهم بقية من العماليق انتقلوا الى ذلك المكان من غرب الفرات . ويظن آخرون انهم من العماليق الذين طردهم أحمس ملك مصر فى عهد الاسرة الثامنة عشرة وقد حذقوا صناعة النحت أيام أقامتهم بمصر ولذلك نحتوا لهم بيوتا بعضها نقر فى الصخر وبعضها كان بناء كسائر الابنية التى تتخذ من الصخر وقال بعض المؤرخين انهم بقية من عاد . وهذاأقرب الى المعقول. ويدعى أهل حضرموت ان ديار ثمود كانت من مستعمرات عاد وهذا القول لا يخالف ما قبله وقد يؤيده قول صالح الآتى لقومه (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا)

أما زمن وجود ثمود فلم يعلم بالضبط غير أنى أقول انهم كانوا وبادوا قبل زمن موسى . وأما وجود الكتابة الآرامية على بعض القبور بتلك الانحاء وكون تلك الكتابة مؤرخة بتاريخ قريب من زمن الميلاد فلا يدل الا على أن ناسا أخذوا الخط الآرامى يخلدون به آثارهم قد نزلوا فى تلك الناحية

وكتبوا على مقابرهم ونحوها

قال المرحوم جورجى زيدان بك فى كتابه « العرب قبل الاسلام »

أما الثابت من قراءة الآثار . أن مدائن صالح « الحجر » دخلت قبل تاريخ الميلاد فى حوزة النبطيين سكان بطره الآتى ذكرهم . والاطلال المشار اليها . زارها غير واحد من المستشرقين كما ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب . ودرسوا بقاياها وهى منقوشة فى الصخر أهمها انقاض تعرف بقصر البنت . وقبر الباشا . والقلعه . والبرج

وقرءوا ما عليها من نقوش نبطية فاذا أكثرها أو كلها تبركات منقوشة على القبور . هذا مثال منها وجدوه فى الحجر بالحرف النبطى وتاريخه حوالى الميلاد

(هذا القبر الذى بنته كمكم بنت وائله بنت حرم وكليبة ابنتها لانفسهن وذريتهن فى شهر طيبة من السنة التاسعة للحارث ملك النبطيين محب شعبه فعسى ذو الشرى وعرشه (؟) واللات وعمند ومنوت وقيس تلعن من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يخرج منه جثة أو عضوا أو يدفن فيه احدا غير كمكم وابنتها وذريتها — ومن يخالف ما كتب عليه فيلعنه ذو الشرى وهبل ومنوت خمس لعنات ويغرم الساحر (؟) غرامة مقدارها الف درهم حارثى الامن كان بيده تصريح من يد كمكم أو كليبة ابنتها بشأن هذا القبر والتصريح المذكور يجب أن يكون صحيحا صنع ذلك وهب اللات بن عبد عبادة)

دين أهل ثمود

كانت قبيلة ثمود تدين بعبادة الاصنام يشركونها مع الله فى العبادة فارسل الله اليهم صالحا واعظا لهم ومذكرا لهم نعم الله عليهم وآياته الدالة على توحيده

وأنه لاشريك له وأقام لهم الادلة القاطعة والبينة الواضحة على ضلالهم فى عبادتهم، وعلى أن الله هو الذى يجب افراده بالعبادة دون سواه

وقد جاء فى تفسير المنار (٥٠٢ ج ٨) مانصه

قد علمنا من سنة القرآن وأساليبه فى قصص الانبياء مع أقوامهم أن المراد بها العبرة والموعظة ببيان سنن الله تعالى فى البشر وهداية الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لاحوادث الامم وضوابط التاريخ مرتبة بحسب الزمان أو أنواع الاعمال. وقد حكى هنا عن صالح عليه السلام أنه ذكر الآية التى أيده الله تعالى بها عقب تبليغ الدعوة وفى قصته من سورة هود أنه ذكر لهم الآية بعد ردهم لدعوته · وتصريحهم بالشك فى صدقه · وزاد فى سورة الشعراء طلبهم الآية منه · وكل ذلك صحيح ومراد وهو المسنون المعتاد اه

ولكن ماهى هذه الآية التى جاءهم بها؟ لم يبين الله له آية سوى الناقة ولا مانع من أن يكون جعلها آية صدقه بأنهم سيبقون سالمين على حال حسنة مادامت الناقة مسلمة لم يعتروها بسوء ولم يمسوها بأذى · فاذا خالفوا غيّر الله مابهم وأحل بهم نقمته

والذى يظهر من قصة صالح أنها تلخص فى أن القوم كانوا عاكفين على عبادتهم الباطلة وكانوا أهل خصب ورفاغة حال لما كان لهم من الماشية الكثيرة والجنات الوافرة الجنى والعيون التى يستقون منها هم وماشيتهم وزروعهم بدليل قوله لقومه (أتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين)

جاء اليهم صالح ومحضهم نصيحته وذكرهم أنواع التذكير وخوفهم بأس الله فآمن له المستضعفون من قومه وكفر الملأ منهم ولم يؤمنوا له وقد أبان أنه لايسألهم أجرا على الهداية التى يسديها اليهم وانما يطلب أجره من الله

ومن كان شأنه كذلك يكون أبعد من تهمة جر النفع الى نفسه بريئا من اتخاذ الدعوة طريقا للكسب أو الرياسة وألح على جمهورهم أن يطيعوه ولا يتبعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون لان الاصلاح يفوت عليهم المنافع التى يجرونها لانفسهم . فقال المستكبرون من قومه أؤنزل عليه الذكر من بيننا استبعادا لان ينال الخير أحدا سواهم واستكبارا عن متابعة رجل منهم لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء وقالوا لمن استضعف منهم - أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا أنا بما أرسل به مؤمنون . فاجاب الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون وطلبوا آية على صدقه فأتاهم بالناقة كما قدمنا وقال لهم أن لها شربا ولكم شرب يوم معلوم

وأمرهم أن لا يمسوها بسوء وعليهم أن يذروها تأكل فى أرض الله فان سلامتهم بسلامتها من إيذائهم

ولم يثبت ثبوتا قطعيا أنه أتى لهم بالناقة حسب اقتراحهم من الصخرة وأن الصخرة تمخضت عنها فخرجت منها سوداء الحدق حمراء الوبر خلفها فصيلها وأنها كانت اذا شربت وأتت على الماء فى يومها تتفحج لهم ويأخذون من لبنها ما يشاءون لان ذلك زائد عما فى الكتاب الكريم

ظلوا على ذلك مدة غير طويلة لم تحدد فى الكتاب الكريم الى أن خاسوا بعهدهم وعقروا الناقة •

ورد فى القرآن الكريم نسبة الناقة التى أتى بها صالح الى الله فى قول صالح لهم (هذه ناقة الله لكم آية) وهذه الاضافة ذكرت تعظيما لشأنها . وقيل لانه خلقها على خلاف سنته تعالى فى خلق الابل وصفاتها . اذ لم يخلق فى الابل سواها ناقة تختص بالشرب يوما وأهل ذلك الماء يوما آخر وتعرف يومها الخاص بها ولا تقرب الماء فى يوم أهلها - كما قال تعالى ونبئهم أن الماء قسمة

بينهم كل شرب محتضر وقال تعالى (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)

ومجموع آيات الكتاب الواردة فى شأن الناقة تدل على أن آية الله تعالى فى الناقة ألا يتعرض أحد من ثمود بسوء لها فى نفسها ولا فى أكلها ولا فى شربها فى الماء الخاص الذى كان قسمة بينهم وبين الناقة وأن الوعيد بالعذاب يحل بهم متى اعتدوا عليها فى أحد هذه الاشياء

بذل صالح الجهد فى تذكير القوم بنعم الله تعالى عليهم ونهاهم عن أن يعثوا فى الارض مفسدين بعبادة غير الله تعالى والتكبر فى الارض

أما الملأ المستكبرون من قومه وكانوا ذوى عناد ولهم الزعامة فى الامة فقد رأوا كبيرا عليهم أن يطيعوا رجلا منهم ويصيروا سوقة مرءوسين لأن صالحا سيصير بحكم هدايته أياهم الى الله تعالى رئيسا يفزعون اليه فى كل شأن ويكون واسطة بينهم وبين ربهم ودالا لهم على مايقربهم اليه وناهيا لهم عما يبعدهم عنه — فذهب أولئك السادة الى المستضعفين من قوم صالح وسألوهم متهكمين — أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ ـ فكان جواب المستضعفين بالايجاب قائلين ـ أنا بما أرسل به مؤمنون ـ فقال المستكبرون أنا بالذى آمنتم به كافرون كما قدمنا

يقول الالوسى فى روح المعانى - وأراد أشرافهم أن يؤمنوا به فنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم ـ ثم قال ـ ولم يزالوا فى سعة ورغد ـ وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها مواشيهم وتهبط الى بطن الوادى فى حره وجدبه وتشتو فى بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهره فى برد وجدب فأضر ذلك بمواشيهم للأمر الذى يريده الله تعالى بهم والبلاء من الاختبار فكبر ذلك عليهم

فعتوا عن أمر ربهم فاجمعوا على عقرها

وأن أمرأتين ذواتى مال وأبل يقال لاحدهما صدوق عرضت نفسها على رجل يقال له مصدع إن قتل الناقة فاجاب واسم الاخرى عنيزة لها بنات حسان عرضت احدى بناتها على قدار بن سالف فاجاب واستغويا سبعة رجال فكانوا تسعة ، فاما مصدع فرمى الناقة بسهم وأما قدار فانحى اليها بسيفه فكشط على عرقوبها ثم نحرها وذهب السبعة وراء سقبها ففر منهم الى الجبل ورغا ثلاثا. وعن ابن اسحق انه تبع السقب أربعة من التسعة فرماه أحدهم بسهم فاصاب قلبه ثم جر برجله فانزله ووضعوا لحمه مع لحم أمه واقتسم أهل البلد لحم الناقة وسقبها فانذرهم صالح بان العذاب يحل بهم بعد ثلاث لما انتهكوا من حرمة الله فكانوا يهزءون منه ويستنجزونه ما أوعدهم به من العذاب وانذرهم بانهم يصبحون وجوههم مصفرة وفى اليوم الثانى تكون وجوههم محمرة وفى اليوم الثالث تكون وجوههم مسودة وذلك آية هلاكهم ثم يصبحهم العذاب اه من الالوسى باختصار

أما أولئك الرهط الذين اقترفوا عقر الناقة وأعانوا عليه فقد تقاسموا بالله ليبيتن صالحا ويقتلونه وأهله ثم يقولون لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانهم صادقون فيما يزعمون

فلما أرادوا تنفيذ عزمهم جاءوا الى صالح يرصدون الفرصة للايقاع به وأهله فأهلكهم الله ـ قيل أن الملائكة دمغتهم بالحجارة فأهلكتهم وأراد قومهم قتل صالح لأنهم اتهموه بقتلهم فمنعه قومه

وقال البيضاوى — روى أنه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه ـ فقالوا ـ زعم أنه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا

ثمة وهلك الباقون فى أماكنهم بالصيحة كما أشار اليه قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين)

وكان تدمير قوم صالح بالصاعقة وقد عبر الله تعالى عنها تارة بالرجفة وتارة بالطاغية وتارة بالصيحة وكل صحيح لان الصاعقة تكون مصحوبة بصوت عظيم وقد تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلزال وقد تكون فى مكان ويطغى تأثيرها حتى يصل الى مكان آخر والصاعقة عبارة عن استفراغ كهربائى يحصل بين كهربائيتين متخالفتين بالايجاب والسلب . فاذا دنا جسم مكهرب كهربائية موجبة من جسم مكهرب كهربائية سالبة اتحدت الكهربائيتان لما بينهما من التعاشق فيحصل عن ذلك البرق الشديد ثم الرعد بسبب اضطراب الهواء وتدافع أجزائه فى مكان الاستفراغ وذلك هو الصيحة واذا كان الاستفراغ حصل من دنو سحابة مكهربة كهربائية موجبة من الارض فحين دنوها تحصل الكهربائية بالتأثر وتتصل الكهربائية السالبة التى فى الارض بالكهربائية الموجبة التى فى السحابة ويكون الاستفراغ أو الاتحاد فى جسم مما على الارض فيصهر اذا كان معدنيا لا سن فيه ويحترق اذا كان شجرا أو أنسانا ويتفتت أن كان صخرا أو بناء ومبلغ ما تدمره منوط بمقدار كمية الاستفراغ ومبلغ قوة الكهربائيتين وعن ذلك تكون الرجفة وهولها

واذا حصل الاستفراغ بين سحابتين مكهربتين بكهربائيتين متخالفتين بالايجاب والسلب حصل البرق أولا ثم الرعد ثم المطر

وسبب اختلاف الكهربائيتين فى السحاب . أن الجو مكهرب كهربائية موجبة وهو مشحون بها . والارض مكهربة كهربائية سالبة . فاذا تكونت السحابة فى مكان مرتفع فى أعالى الجو كانت كهربائيتها موجبة . واذا تكونت فى مكان سافل قرب الارض كانت كهربائيتها سالبة . فاذا دنت كل من السحابتين الى

الاخرى فبمقتضى الناموس المودع فى الكهربائية من ميل كل من الكهربائيتين للاتحاد بالاخرى يكون التفاعل الذى هو الاتحاد ـ وأما السحابتان اللتان كهربائيتاهما موجبة أو سالبة فان الكهربائية فيهما تميل الى الابتعاد عن الاخرى

فهلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق

أما صالح والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب الذى أدركهم بعد ثلاثة أيام من جريمتهم . وتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين

ويشبه قوله هذا فى خطابه لقومه بعد هلاكهم ما يكون من الواحد منا اذا هلك له انسان متصل به وقد حذره ذلك السبب الذى هلك به بأن يقول له ألم أحذرك ما وقعت فيه ـ وكذلك ما قال رسول الله لاهل بدر أصحاب القليب اذ قال لهم (يافلان بن فلان وفلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا) وقد قالوا أن الله أحياهم حتى أسمعهم . قال العلماء ومثل هذا انما خص الله به الانبياء

وقد قال بعض المفسرين ان صالحا والذين آمنوا معه ذهبوا بعد هلاك قومهم الى ناحية الرملة من فلسطين ويقول أهل حضرموت انهم ذهبوا الى حضرموت وأقاموا بها لان أصلهم من تلك الناحية اوهم فصيلة من أهل الاحقاف وهناك قبر يزعمون أنه لصالح ـ وقال آخرون أنهم أقاموا فى ديارهم بعد هلاك قومهم . وآخرون على انهم ذهبوا الى مكة وأقاموا بها الى أن ماتوا وقبورهم غربى الكعبة

وأقرب الاقوال عندى الى التصديق انهم ذهبوا الى الرملة ونواحى فلسطين لانها أقرب بلاد الخصب اليهم والعربى انما يطلب الكلأ لرعى ماشيته والارض ذات الماء . وفى الالوسى ان الذين نجوا مع صالح كانوا مائة وعشرين . أما

الهالكون فكانوا أهل خمسة آلاف بيت اقرءوا هذه الآيات

سورة الاعراف — والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ٧٣ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين ٧٤ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون ٧٥ قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ٧٦ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ٧٧ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ٧٨ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين ٧٩

سورة هود — والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب ٦١ قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب ٦٢ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله أن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ٦٣ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ٦٤ فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ٦٥ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز ٦٦ وأخذ الذين ظلموا

الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ٦٧ كأن لم يغنوا فيها الا أن ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ٦٨

سورة الشعراء — كذبت ثمود المرسلين ١٤١ اذ قال لهم أخوهم صالح الا تتقون ١٤٢ أنى لكم رسول أمين ١٤٣ فاتقوا الله وأطيعون ١٤٤ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الاعلى رب العالمين ١٤٥ أتتركون فيما هاهنا آمنين ١٤٦ فى جنات وعيون ١٤٧ وزروع ونخل طلعها هضيم ١٤٨ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ١٤٩ فاتقوا الله واطيعون ١٥٠ ولا تطيعوا أمر المسرفين ١٥١ الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون ١٥٢ قالوا انما انت من المسحرين ١٥٣ ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين ١٥٤ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ١٥٥ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ١٥٦ فعقروها فاصبحوا نادمين ١٥٧ فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ١٥٨ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ١٥٩

سورة النمل — ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذاهم فريقان يختصمون ٤٥ قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ٤٦ قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون ٤٧ وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون ٤٨ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وأنا لصادقون ٤٩ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ٥٠ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ٥١ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون ٥٢ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ٥٣

سورة فصلت - وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ١٧ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ١٨

سورة الذاريات ـ وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ٤٣ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ٤٤ فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ٤٥

سورة النجم ـ وأنه أهلك عادا الاولى ٥٠ وثمود فما أبقى ٥١

سورة القمر ـ كذبت ثمود بالنذر ٢٣ فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا اذاً لفي ضلال وسعر ٢٤ أؤلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر ٢٥ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ٢٦ انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ٢٧ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ٢٨ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ٢٩ فكيف كان عذابي ونذر ٣٠ انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ٣١ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ٣٢

سورة الحاقة ـــ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ٤ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ٥

سورة الشمس ـ كذبت ثمود بطغواها ١١ إذ انبعث أشقاها ١٢ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ١٣ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ١٤ ولا يخاف عقباها ١٥

سورة الحجر ـ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ٨٠ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨١ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ٨٢ فأخذتهم الصيحة مصبحين ٨٣ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ٨٤

قصة شعيب عليه الصلاة والسلام

ذكر شعيب فى القرآن عشر مرات - فى سورة الاعراف فى الآيات ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ وفى سورة هود فى الآيات ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٤ وفى الآية ١٧٧ من سورة الشعراء وفى الآية ٣٦ من سورة العنكبوت

قومه ومكانهم

أما قومه فهم شعب مدين بن ابراهيم عليه السلام ويعبر عنهم فى التوراة بمديان . وأما مكانهم فقد كانوا نزولا فى بلاد الحجاز مما يلى الشام على خط عرض يوافق خط عرض قفط فى البر الافريقى فهى الى الجنوب من القصير فى الجهة المقابلة

كان أهل مدين فى عيش رافغ وهم مع ذلك أهل تجارة وكانوا يعبدون غير الله تعالى ويفعلون الشرور ولا يكفون . فكانوا يطففون المكيال والميزان ويماكسون الناس فى سلعهم ارادة شرائها بثمن بخس . وكان شعيب ينهاهم عن كل ذلك ويحذرهم بأس الله تعالى فأنكروا عليه ماجاء به أشد الانكار وهو دائب على نصحهم وهدايتهم . ويسميه المفسرون خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه وبراعته فى اقامة الحجة عليهم ودحض حججهم وقد جاءهم ببينة من ربه على صدقه فيما يدعو اليه غير أن الله تعالى لم يذكر فى الكتاب هذه البينة وقد تنوعت أقوال المفسرين فيها بما لا برهان لهم به - فالأولى

التسليم لعلم الله تعالى — وقد كانوا يقعدون على الطرق يرصدون الناس الذين يأتون الى شعيب ليصدوهم عن الدين ويعيبون طريقته ويوعدون من آمن بشعيب . ويبغون سبيل الله عوجا . ولعل البينة الطريقة الواضحة المقبولة فى العقول وهى شريعة من الله أتاهم بها

وقد جهدوا جهدهم فى ابطال دعوى شعيب فقد كانوا يقولون (ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول) ويحتقرون شأنه بقولهم (وانا لنراك فينا ضعيفا) ظنا منهم أن القوة ميزان الصدق فى القول وهو ضلال منهم ثم يتهددونه بقولهم (ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)

تهديد شعيب والمؤمنين

باخراجهم من القرية

ولما أخرج شعيب قومه بدعائهم الى مالا يريدون من الايمان بالله وحسن المعاملة والاستقامة على الجادة . اجتمع ملأ قومه وهددوه هو والذين آمنوا معه باخراجهم من القرية اذا لم يدخلوا فى دين قومهم فراجعهم بقوله أو لو كنا كارهين ؟ انا نكون قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم ودينكم بعد اذ نجانا الله منها بالهداية الى أقوم السبل وان العود الى ملتكم ليس بملكنا ولكن ذلك يكون اذا أراد الله خذلاننا وابعادنا عما جاءنا به من الحق وهذا مالا سبيل لنا الى علمه ولكن يعلمه الذى وسع كل شىء علما وهو الله الذى نتوكل عليه

وقال الملأ من قوم شعيب يحذرون الجمهور الوقوع فى دين شعيب قائلين

(لئن اتبعتم شعيبا انكم اذاً لخاسرون) لانه يمنعكم التطفيف فى الكيل والميزان وهذا مما يزيد فى ثروتكم · وعجبوا له كيف ينهاهم عن عبادة ماكان آباؤهم يعبدونه وكيف يأمرهم بالعدل فى الكيل والميزان وينهاهم أن يفعلوا فى أموالهم بحسب أهوائهم وما يشتهون وعابوا عليه صلاته التى تأمره بذلك وتهكموا به قائلين : (أئنك لأنت الحليم الرشيد) وهو فى كل ذلك يراجعهم ويقيم الحجة عليهم الى أن تأذن الله بهلاكهم فأخذتهم الرجفة وهى الزلزال فبادوا كأن لم يغنوا فيها

وبعد أن فرغ الله من أهل مدين ونجّى شعيبا والذين آمنوا معه ارسله الى اصحاب الأيكة - وهي غيضة تنبت ناعم الشجر كانت بقرب مدين تسكنها طائفة من عباد الله · وكان شعيب اجنبيا منهم وكانوا على مثل طريقة أهل مدين · فلما نهاهم عماهم فيه قالوا (انما أنت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا · وان نظنك لمن الكاذبين ظنا منهم أن الله لا يرسل الى البشر هداة منهم جهلا منهم بأن الله أعلم حيث يجعل رسالته

وكان من شدة حماقتهم أن يطلبوا الى شعيب أن يسقط عليهم كسفا من السماء أى قطعة منها ان كان من الصادقين · ولشدة جهلهم لم يطلبوا الهداية الى الحق فأخذهم عذاب يوم الظلة بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت مياههم ثم ساق اليهم غمامة فاجتمعوا للاستظلال بها من وهج الشمس فامطرت عليهم نارا فاحترقوا والى ذلك الاشارة فى قوله تعالى (انه كان عذاب يوم عظيم)

اقرءوا هذه الآيات :

سورة الاعراف — والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا

الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين ٨٥ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به
وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين ٨٦ وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ٨٧ قال الملأ الذين استكبروا
من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى
ملتنا قال أو لو كنا كارهين ٨٨ قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع
ربنا كل شىء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاتحين ٨٩ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذاً
لخاسرون ٩٠ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ٩١ الذين كذبوا
شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ٩٢ فتولى
عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم
كافرين ٩٣

سورة هود — والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من
الله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب
يوم محيط ٨٤ وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس
أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين ٨٥ بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين
وما أنا عليكم بحفيظ ٨٦ قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا
أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد ٨٧ قال ياقوم أرأيتم
ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى
ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح مااستطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت

واليه أنيب ٨٨ وياقوم لايجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد ٨٩ واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود ٩٠ قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ٩١ قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط ٩٢ وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إنى معكم رقيب ٩٣ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ٩٥

سورة الحجر : وان كان أصحاب الأيكة لظالمين ٧٨ فانتقمنا منهم وانهما لبإمام مبين ٧٩

سورة الشعراء : كذب أصحاب الأيكة المرسلين ١٧٦ اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ١٧٧ انى لكم رسول أمين ١٧٨ فاتقوا الله وأطيعون ١٧٩ وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين ١٨٠ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ١٨١ وزنوا بالقسطاس المستقيم ١٨٢ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين ١٨٣ واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين ١٨٤ قالوا إنما أنت من المسحرين ١٨٥ وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين ١٨٦ فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين ١٨٧ قال ربى اعلم بما تعملون ١٨٨ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ١٨٩ ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ١٩٠ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ١٩١

سورة العنكبوت : والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين ٣٦ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين ٣٧

زمن شعيب

قدمنا فى الكلام على موسى عليه السلام أن شعيبا لم يكن صاحبه . والآن اعيد الكلام فى زمن شعيب

القرآن الكريم لم ينص على زمن شعيب وهلاك مدين ولم يجئ ذكر شعيب فى كتب التوراة . ولكن جاء ذكر المديانيين وهم أهل مدين فى كتاب القضاة بعد أن ذكرت موت يوشع بن نون فتى موسى بعد ما شاخ وبلغ عشرا ومائة من السنين . وبعد أن حكم بنو اسرائيل بالقضاة دهرا وقامت فيهم دبورة القاضية فى بنى اسرائيل وبعد مرور دهر طويل من بعد موسى . جاء ذكر اهل مدين وأنهم ضايقوا بنى اسرائيل وسطا منهم خمسة عشر الف محارب ومعهم العرب وقاتلوا بنى اسرائيل وذل الاسرائيليون لهم دهرا . وكانوا يأخذون زروع بنى اسرائيل وثمرات غروسهم ولا يقدر الاسرائيليون على دفعهم دهرا طويلا فلو كان شعيب تقدم هذا الزمن ما كان للقوم شوكة أو سلطة وقوة حتى يذلوا شعب اسرائيل .

وعلى ذلك فلا بد أن يكون شعيب بعد هذا الزمن لان شعب مدين لم يبد . ووجود شعيب دليل ابتداء ابادتهم وعلى ذلك لا أرى بعيدا ما قاله القلقشندى فى صبح الاعشى أن شعيبا كان موجوذا على عهد آحاز أحد ملوك يهوذا الذين جاءوا بعد داود وسليمان . تراجع الآيات ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٣ من الاصحاح السادس قضاة . والآيات ١ ، ٢ ، ٧ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣ من الاصحاح السابع قضاه ويراجع صبح الاعشى . وقد تقدم فى موسى

داود عليه الصلاة والسلام

هو كما فى انجيل متى. داود بن يسى . بن عوبيد . بن بوعز . بن سلمون ابن نحشون . بن عمينا داب . بن أرام . بن حصرون . بن فارص . بن يهوذا ابن . اسحاق . بن ابراهيم عليه السلام .

ورد اسم داود فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعا . فى الآية ٢٥١ من سورة البقرة . ، ١٦٣ من سورة النساء . وفى ٧٨ من سورة المائدة . وفى ٨٤ من سورة الانعام . ، ٥٥ من سورة الاسراء . ، ٧٨ ، ٧٩ من سورة الانبياء ، ١٥ ، ١٦ ، من سورة النمل ، ١٠ ، ١٢ ، من سورة سبأ . ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، من سورة ص - وقد آتاه الله النبوة والملك فى بنى اسرائيل - وقد ذكرت قصته فى القرآن مرات كثيرة . تارة مختصرة و تارة مطولة وكلها يكمل بعضها بعضا وقد طالت مدته فى الملك وله مواقف أيام ملكه وقبله .

والكلام فى داود و تلخيص قصته يحتاج الى تمهيد نبدأ به فنقول

تمهـــــــــيد

لما دخل بنو اسرائيل بلاد فلسطين مع يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام وقسم لهم الارضين قام يوشع بأمرهم الى وفاته . واقاموا على ذلك يقيم لهم أمرهم قضاة منهم وليس فيهم ملك ستا وخمسين وثلاثمائة سنة بعد موسى عليه السلام

وكان بنو اسرائيل فى تلك الاثناء عرضة لغزوات الامم القريبة منهم كالعمالقة من العرب والمديانيين والفلسطينيين والآراميين وغيرهم وكانت الايام دولا بين الفريقين . تارة يغلبهم اليهود وتارة يغلبون اليهود. وكان الانبياء

فى ذلك العهد مرشدين لأولئك القضاة والحكام من اليهود وواسطة بينهم وبين الله تعالى. وفى بعض الاحيان يكون النبي قاضيا

وكان فى أواسط المائة الرابعة فى أيام عالى الكاهن أن العبرانيين دخلوا فى حرب مع الفلسطينيين سكان أشدود بالقرب من غزة. وقد أخذ بنواسرائيل معهم تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه التوراة أى الشريعة ليستنصروا به. فغلبهم الفلسطينيون وأخذوا تابوت العهد ودخلوا به الى بيت داجون (١) الههم (وهو رأس انسان على جسم سمكة). وكانت هزيمة بنى اسرائيل عظيمة وذلهم شديدا

ندع تابوت العهد فى بيت داجون مؤقتا ونذكر لكم أنه كان من قضاة بنى اسرائيل نبي اسمه صمويل (٢) قضى لبنى اسرائيل زمنا وعين ابنين له للقضاء فى بعض أحياء اسرائيل فلم يعدلا وخاف بنو اسرائيل أن يفسد عليهم الامر بعد صمويل وجاءوا اليه فى بلدة الرامة والحوا عليه فى أن يقيم عليهم ملكا منهم يأتمرون بأمره ويقودهم الى قتال اعدائهم الذين أذلوهم دهرا طويلا ويدافع عنهم من يريد الاغارة عليهم — وكان صمويل عالما بعقلية بنى اسرائيل وعاداتهم وما انطوت عليه أنفسهم فقال لهم — هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا (فصل بين عسى وخبره بالشرط) والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فأجابوه قائلين. وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد

---

(١) توجد قريه قرب الرملة من بلاد فلسطين اسمها بيت دجن اعتقد أنها بيت داجون وان معبد هذا الاله كان بها وان بها كان تابوت العهد الذى لبنى اسرائيل ورد أيام طالوت

(٢) رأيت قبره على جبل على يمين الذاهب من بيت المقدس الى الرملة بعد أن يجاوز لفته وأبى غوش وقد قيل انه دفن فى الرامة ولعل ذلك الموضع يقال له الرامة

أخرجنا من ديارنا وأبنائنا — والمعنى ان دواعى القتال موجودة وهى أن الاعداء اخرجونا من ديارنا واسروا ابناءنا . فلا يتأتى منا النكول ونحن على هذه الحال

وقد جاء فى الكتاب الكريم انهم لما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلامنهم عرّفهم صمويل بعد ذلك أن الله قدجعل طالوت ملكاعليهم واسمه فى سفر صمويل (شاول) بن قيس بن ابيئيل بن صرور بن بكورة بن افيح من سبط بنيامين . وكان شاول شابا جميلا لم يكن فى بنى اسرائيل أحسن منه

عرفنا أن الشاب شاول هو الذى اختاره الله ليكون ملكا لليهود

وقد نصّت حكاية شاول الذي هو طالوت فى سفر صمويل الأول من الاصحاح الثامن الى الحادى عشر

وكان من قصته وأمر تمليكه ان ضلت أتن لقيس أبي شاول فقال لابنه خذ معك واحدا من الغلمان وفتش على الأتن فبحث فى امكنة كثيرة الى أن أتى الى المدينة التى فيها صمويل فأشار الغلام على شاول ان يقصد النبي صمويل ليدله على الأتن فذهب اليه فالتقى به فى وسط المدينة يريد صمويل لقاءه فسأله عن الأتن فطمأنه واكرمه اكراما عظيما فى ذلك اليوم وفى اليوم الثانى صب صمويل الدهن على رأس شاول ومسحه به وقبله وأخبره بما سيصير اليه أمره

ثم أخذ صمويل فى العمل لتعيين من اختاره الله ملكا لليهود أمام الشعب وطلب شاول فوجد مختبئا بين الامتعة . ولما جاءوا به كان اطول الناس فرضى به الشعب وهتفوا له وغضب آخرون . واحتقروه

وفى القرآن الكريم انه لما اخبر بنى اسرائيل ان الله قد بعث لهم طالوت ملكا تذمروا . وقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . فقال لهم نبيهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم

والله يؤتى ملكه من يشاء . وكان شاول طويلا

وكان مما اخبر به صمويل بنى اسرائيل ، أن آية ملك طالوت ان يأتيهم التابوت الذى اخذ منهم (وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون) اى موسى وهارون على حد قول عمر : لوضاع عقال بشط العراق لخشيت ان يسأل الله عنه آل عمر - يريد عمر نفسه (تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين)

نعود الى التابوت الذى فى بيت داجون فنقول : ذكر فى سفر صمويل أن الفلسطينيين كانوا يجدون إلههم داجون ملقى عن مكانه فى كل ليلة وسلط الله عليهم الفيران فافسدت عليهم حاصلاتهم وخرجت لهم البواسير وعلموا أن ذلك من وجود التابوت عندهم . فصنعوا تماثيل فيران من ذهب وتماثيل بواسير من ذهب ووضعوها مع التابوت قربانا وجاءوا بعجلة جديدة وعلقوا فيها بقرتين مرضعتين ووضعوا التابوت على العجلة وأطلقوا البقرتين فجاءتا بالتابوت بدون سائق او قائد الى قرية بيت شمس؟ الى اهل قرية يعاريم اليهودية فأخذوا التابوت وما معه وأوجدوه فى بيت وخصوا به أحد الكهنة لخدمته وكان مكث التابوت عند الفلسطينيين سبعة أشهر واقام فى يعاريم عشرين سنة

وصعود التابوت من عند الفلسطينيين هو الذى أقامه صمويل آية على ملك طالوت ومعنى تحمله الملائكة على هذا انها كانت تدل بالبقرتين الجارتين للعجلة

جمع بعد ذلك طالوت الجنود لقتال الفلسطينيين وكان شجاعهم وعظيمهم رجل يقال له جالوت . اوجليات قد هابه الناس وتحاموا حربه لشجاعته وقوته

وكان فى ذهاب طالوت اليه ان قال لجنوده (ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده) فأصاب القوم ظمأ شديد فلما اشرفوا على النهر لم يملكوا انفسهم ان شربوا منه وصبر عن اناء قوم آثروا

طاعة الله وكانوا قليلا . فلما جاوز النهر هو والذين آمنوا معه على قلتهم قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده — لانهم نظروا الى قلتهم وكثرة أعدائهم. فقال الذين يظنون أنهم ملاقو الله اى المؤمنون بأنهم ملاقو الله وانما عبر بالظن للاشارة الى ان مجرد الظن كاف للعاقل فى العمل لما ينجيه لانه اخذ بالأحوط (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقد كان من حاضرى الحرب داود بن يسى وكان صغيرا يرعى الغنم لافضل فيه للحرب ولكن أباه أرسله الى اخوته الثلاثة الذين مع طالوت ليأتيه عنهم بما يطمئنه عليهم فرأى جالوت وهو يطاب المبارزة والناس قد تحامته لماملأ أنفسهم من هيبته وتيقن كل مبارز له أنه هالك . فسأل داود عما يصير لقاتل هذا الفلسطينى فأجيب بان الملك يغنيه غنى جزيلا ويعطيه ابنته ويجعل بيت أبيه حرا فى اسرائيل

كان داود فى ذهابه الى اخوته المحاربين لايعلم أنه سيحارب ولم يكن قد جرب نفسه فى الحرب ولكنه ذهب الى شاول وطلب الاذن بمبارزة جالوت فضن به شاول وحذره . فقال انى قتلت أسدا أخذا شاة من غنم أبى وكان معه دب فقتلته . والبسه شاول لامة حربه فلم يعرف داود ان يمشى فيها فخلعها وتقدم بعصاه وخمسة احجار ملس فى كنف (١) انتخبها من الوادى ودعه مقلاعه وبعد كلام مع جالوت رماه داود بحجر فثبت فى جبهته واخذ منه السيف وفصل به رأسه عن بدنه وهزم الفلسطينيون ووعد الملك داود ان يزوجه ابنته ميكال وجعله رئيس الجند — اقرءوا هذه الآيات الآتية

سورة البقرة — الم تر الى الملأ من بنى أسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ، قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال

---

(١) وعاء يجعل فيه الراعى خبزه ونحوه

ألا تقاتلوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء

رجع الكلام الى داود

بعد هذا التمهيد الذى قدمنا نقول لما هزم داو جالوت ورجاله حسنت حاله عند شاول وصار مقدما بين رجال الحرب فى بنى اسرائيل وعظمت منزلته وزوجه ابنته وانعقدت أواصر المحبة الصادقة بين داود وبين يوناثان بن شاول .

تغير قلب شاول بعد ذلك على داود لما أحس من تعلق الشعب به وعظمه فى أعينهم فعمل على اهلاكه خشية أن تمتد عينه الى الملك . وكان يوناثان بن

شاول يعمل على تحسين مركز داود عند أبيه ويطريه ويشيد باخلاصه فى خدمة الملك ولما اعتزم شاول الفتك بداود أنذرته زوجته ميكال بنت شاول فهرب وأوهمتهم أنه على سريره ولم يكن فوق السرير سوى متاع مغطى. وكان داود قد أعطى شاول صداقها مائة غلفة من الفلسطينيين

وكان شاول حين ولى داود حرب الفلسطينيين بعد أن تغيرت نيته فيه يريد بذلك أن يلى الاعداء قتله ويكفوه أمر داود . ولكن داود كان مظفرا فى حروبه · فلما لم يهلك أحب أن يهلكه بجنده وأعوانه ففاتهم . وكان داود مع علمه بخبث نية شاول عليه لا يقصر فى النكاية بأعداء الملك. ولما أيقن داود أن نية الملك قد صحت على قتله هرب منه . حتى لقد هم شاول أن يطعن ابنه يوناثان بالرمح لأنه كان يحاجه فى داود فراغ منه ونجا · فتمت عزيمة داود على الهرب منه وأن يغيب وجهه عنه

انتهى داود فى هربه الى أخيش ملك جت وهم أعداء شاول الالداء ولداود أسوأ النكايات بالقوم فى الحرب . فلما ظفروا به جاءوا به الى الملك وحرضوه على قتله · فتظاهر داود بالجنون · وأوقع الله فى قلب الملك طرد هذا المجنون من حضرته · فامر غلمانه باطلاقه وأبعاده عنه ففعلوا وقد لامهم الملك على ادخال مجنون الى بيته

ذهب داود الى مغارة عدلام وجاء اليه أخوته وجميع بيت أبيه واجتمع اليه كل رجل متضايق وكل مدين · فانتقل الى مصفاة موآب وأرسل أباه وأمه الى ملك موآب ليكونا فى كفالته الى أن يعلم مصير أمره . ثم انتقل بمن معه الى أرض يهوذا

سمع شاول بداود ومن اجتمع له من الرجال فلام رجاله على عدم اخباره بأمر داود مع ابنه يوناثان انهما تعاهدا على الصداقة والوفاء · فاغراه أحد

رجاله بأخي مالك بن خيطوب الكاهن وأخبره أنه أعطى داود طعاماوسلحه بسيف جالوت وأن الكاهن دعا له بالنجاح · فأتى شاول بالكاهن ولامه فيأمر داود فاثنى الكاهن على داود وقال أنه مخلص فى خدمة الملك وقد شاع أمره واشتهر وأن الملك لاينبغى أن يكافئ داود عن الاحسان شراً · فأمر الملك بقتله وقتل الكهنة فقتل منهم خمسة وثمانين ولم ينج منهم سوى طفل يقال له أبياثار بن اخيطوب وهرب الى داود وأخبره بكل مافعل شاول · فرحب داود بابياثاروأقامه عنده لان أهل بيته قتلوا بسببه

أقام داود فى البرية وشاول يطلب الفرصة لاهلاكه وعلم داود بكل مايدبر عليه وقد جمع شاول ثلاثة آلاف للتفتيش عليه والايقاع به واختبأ ومعه بعض رجاله فى كهف فجاء شاول ونام فى ذلك الكهف وداود ورجاله فى داخله · ولاحت الفرصة لداود فى قتله وأغراه رجاله بذلك فوبخهم ولم يفعل واقتصر علي قطع طرف جبة شاول — ولما استيقظ شاول وخرج من الكهف تبعه داود وأخبره بأنه قد كانت له الفرصة فى قتله ولم يمد اليه يدا وان آية ذلك أنه قطع طرف جبته وعف عن الحاق الاذى به . فندم شاول وقال له أنت أبر منى

لم يلبث شاول أن عاوده الخوف على ملكه من داود فألح فى طلب إهلاكه وخرج مع رؤساء جنده فى جيش لاهلاك داود · فصبر داود حتى نزلوا منزلا ناموا فيه وقد ركز الملك رمحه عند رأسه ونام فجاء داود وتخطى الجند ورؤساءهم وأخذ الرمح وكوز ماء كان عند رأس الملك ووقف على ربوة ونادى رؤساء الجند موبخا لهم على تقصيرهم فى حراسة الملك فاستيقظوا ودعا داود أحدا منهم يجيء اليه ليأخذ رمح الملك وكوز الماء وأعلم الملك بأن الفرصة

قد سنحت له فى قتل الملك ولكنه لم يفعل · فاظهر له الملك الندم وعاد الملك الى بيته وأقام داود فى حصن اتخذه لنفسه

لما يئس داود من صلاح الحال بينه وبين الملك ذهب الى الفلسطينيين فطلب من ملكهم أن ينزله فى احدى القرى يقيم فيها هو ورجاله

ولعل ملك الفلسطينيين قد رأى الفرصة سانحة لعمل هدنة مع داود ليكتفى شره ورأى ذلك خيرا من بقائه على العداء ودوام النكاية بالملك وجنده فأجاب طلب داود

لم يطل المقام بداود حتى قام شاول لمحاربة الفلسطينيين وخرج داود برجاله معهم ولكن قادة الجند تخوفوا جانبه وأغروا الملك برده فرده بعد مسير ثلاثة أيام وكان الملك به ضنينا · فلما عاد الى المكان الذى فصل منه وجد الفلسطينيين خالفوا الى نساء داود والرجال الذين معه وأولادهم فسبوهم ونهبوا كل شىء وأحرقوا القرية التى كان داود نازلا بها وتدعى (صقلغ) فجد وراء المغيرين وخاص السبي واثخن فى قتل أولئك القوم وغنم منهم غنائم عظيمة

أما شاول فلقيه الفلسطينيون فانهزم جيشه وقتل هو وثلاثة من بنيه وهزم رجاله وجلا العبرانيون عن المدن القريبة من الموقعة وسكنها الفلسطينيون

فى أثناء هذه الخطوب مات صمويل صلوات الله عليه وقام فى بنى اسرائيل نبي آخر اسمه جاد — وكان صمويل قد تغير على شاول وابتعد عنه ولم يشأ أن يذهب اليه مع الحاح الملك فى الطلب · وقد أخبر داود ان الملك صائر اليه بعد موت شاول

لم يكن داود يعلم بما تم على شاول وجنده من القتل والهزيمة والتشريد حتى

جاء اليه غلام عماليقى · وأخبر بما تم على شاول وجنده · وان شاول كان فيه بقية رمق بعد سقوطه فى الحرب · وعلم أنه مأخوذ لامحالة فطلب الى الغلام العماليقى أن يقتله ففعل وأنه أخذ اكليله وسواره وجاء بهما الى داود فغضب عليه داود وقتله وأقام مأتما على شاول ويوناتان صديقه ورثاهما رثاء عظيما والظاهر ان شاول كان حسن السياسة وان مدته كانت مدة رفاغة وهناء لبنى اسرائيل كما تدل عليه مرثية داود

صعد بعد ذلك داود الى حبرون وهى مدينة الخليل اليوم . فجاء رجال يهوذا وأقاموا داود ملكا على بيت يهوذا

وأما بقية اسرائيل فدانوا بالطاعة لا (يشبوشث) بن شاول وقام بأمره رجال أبيه ورؤساء جنده

وقد حصلت حروب بين رجال دواد ورجال ايشبوشث بن شاول الى أن هلك ابن شاول بعد سنتين وأقام داود ملكا فى حبرون وجاء اليه بقية رؤساء اسرائيل وملكوه عليهم وأقام فى حبرون سبع سنوات · ثم انتقل الى صهيون وهو حصن سماه مدينة داود وكان المقيمون فى جبل الموريا من اليبوسيين . فاقام داود بجانبهم فى صهيون الى أن صارت جميعها لبنى اسرائيل

قام داود فى أيام ملكه بحروب كثيرة كان موفقا فيها منصورا على أعدائه واتسع ملكه حتى صار من أيلة (خليج العقبة) وهى المدينة التى على الخليج الى الفرات فدانت له تلك البلاد كلها بعد حروب كان الظفر حليفه فيها كلها فافتتح بلاد الفلسطينيين وأخذ دمشق عاصمة ملك الآراميين بعد حرب شديدة وحارب الاقوام الذين على الفرات ونصر عليهم قبل أن يملك دمشق وما معها

وقد أحسن داود الى غلام بقى من بيت شاول ورد عليه أملاك أسرته وملك داود شرق الاردن بعد أن حاربه بنو عمون.

نعم الله على داود

قد ذكر الله تعالى لداود مواقف صالحات وأنه أنعم عليه نعما عظيمة فمن ذلك :

١ — ان الله ذكر فى الكتاب الكريم أنه سخر الجبال مع داود يسبحن بكرة وعشيا وقد دل على ذلك بقوله فى سورة سبأ - ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير - وفى سورة ص — انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق

قال البيضاوى فى قوله أوبى — رجعى فى التسبيح كلما رجع فيه اهـ وهذا أمر يدل على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال كالعقلاء المنقادين لأمره فى نفاذ مشيئته

٢ — تسبيح الطير معه كما تفعل الجبال أيضا كما تقدم فى سورة سبأ وفى سورة — ص - والطير محشورة كل له أواب

(٣) علم منطق الطير : فقد جاء فى سورة النمل (وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء)

قال البيضاوى والضمير فى أوتينا وعلمنا له ولابيه اوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة ـ ويؤيد (فى نظرى) انه يتكلم عنه وعن أبيه ـ اولا قوله تعالى : يا جبال اوبى معه والطير ـ ثانيا قوله تعالى والطير محشورة كل له أواب · ثالثا قوله تعالى وورث سليمان داود . اذ الظاهر أنه ورثه فى الملك والعلم والحكمة ·

(٤) الانة الحديد له . كما فى قوله تعالى فى سورة سبأ - وألناله الحديدأن اعمل سابغات وقدر فى السرد (النسج او الثقب) قال البيضاوى ألناله الحديد جعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بآلاته او بقوته أه فكان يعمل الدروع المسروده اى ذات الحلق من الحديد بيده معجزة له وأمراخارقا للعادة . ولو كان يعمل الدروع بواسطة النارلم يكن فى ذلك امتنان من الله عليه اذ كل الناس يعملون كذلك . اللهم الا ان يدعى مدع ان إلانة الحديد لم تكن معروفة قبل داود وان الله هداه الى هذا الامر الذى لم يكن معروفا قبله . وهذا مالا سبيل الى تحقيقه

(٥) عمله الدروع المركبة من حلق الحديد(١) وكانت تعمل صفائح فكان هو الذى نسجها من حلق الحديد تناط الحلقة بامثالها الى ان يكمل الدرع وهى اخف من الدروع الاخرى وابعد من مضايقة لابسها وهى تقى لابسها من ان تعمل فيه الاسلحة . فهى مع لابسها حصن متنقل بتنقله كما قال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)

واعلموا ان الدروع لم تبق لها فائدة حربية بعد اختراع المدافع والبنادق فان مقذوفات البنادق تخترقها وقد سمعنا انهم فى بعض الاحيان يتخذون الدروع من الحديد المقسى (اى المقوى بالنيكل)فتكون لها قوة لا تخترقها قذائف البنادق ولكنها غالية جدا

(٦) تشديد ملكه . ذلك ان الله تعالى قواه في الملك وجعله منصورا على أعدائه فقد انتصر على جميع مبغضيه ومناوئيه قبل الملك وبعده ومكث دهرا لايقوم له معارض الاغلبه ولا يعتدى على ملكه معتدمن خارج مملكته فى اواخر

(١) لعل الذى جعله يفكر فى عمل الدروع المسرودة عدم قدرته على المشى فى لامة الحرب التى ألبسه اياها شاول يوم برز داود لجالوت كما تقدم

ملكه — وقال البيضاوى شددنا ملكه : قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة : قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فأوحى الله اليه ان اقتل المدعى عليه . فأعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته

(٧) آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب . والمراد بالحكمة النبوة وأصل معناها اللغوى وضع كل شيء فى محله . أى أن يقول الانسان القول لا خلل فيه وليس فيه موضع لليت أو للو . وفعل الصواب الذى لا اعتراض لأحد عليه . بل يأتى به الانسان على وجه الكمال

ومعلوم أن النبوة هى من هذا القبيل . ولكن الحكمة بمعنى النبوة تكون هبة من الله تعالى دون أن تكون نتيجة بحث أو درس . ولكن حكمة غير الانبياء تكون بعد البحث والدرس . ومجاهدة النفس ورياضتها على السير بمقتضى الحكمة . فالنبوة طريق الى الحكمة مختصر يختص الله به من اصطفاهم من عباده . وهو الفاعل المختار . قال البيضاوى فى تفسير فصل الخطاب. فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل . أو الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وإنى إلى الاول أميل

(٨) ان الله تعالى أعطاه الزبور كما فى قوله تعالى — وآتينا داود زبوراً — وهو عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمده والثناء عليه والتضرع له وبعض أخبار مستقبلة كما قال تعالى — ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون — أى أنه تضمن الاخبار بشأن النبى الآتى وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما فى الزبور الخامس والاربعين وكان داود عليه الصلاة والسلام حسن الصوت حسن الانشاد حتى انه الى

اليوم مضرب للمثل بحسن الصوت فيقال للحسن الصوت انه اعطى مزمارا من مزامير داود (عليه السلام) والزبور يسمى عند أهل الكتاب المزامير وعددها مائة وخمسون مزمورا وليست كلها لداود بل بعض المزامير منسوبة لقورح امام المغنين وبعضها منسوب الى داود وبعضها منسوب للمغنين على السوسن وبعضها غير منسوب. والكثير منها منسوب الى داود. وليس فى الزبور أحكام ولا أوامر ولا نواه بل كله كما وصفنا. وبعض المزامير الف بعد داود بمئات السنين كالمزمور الذى أوله: على انهار بابل. فانه الف بعد سبي الاسرائيليين الى بابل فى حادثة بختنصر

موقفان لداود

(١) الاول — لا يختص بداود وحده بل يشترك معه فيه ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام

قال المفسرون: ان حرثا أى زرعا أو كرما تدلت عنا قيده نفشت فيه غنم لغير أهله أى أكلته ليلا فجاء المتحاكمون الى داود وعنده سليمان. فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه الذى أتلفته الغنم. برعيها اياه ليلا. فقال سليمان (وهو ابن احدى عشرة سنة) غير هذا أرفق. فأمر بدفع الغنم الى أهل الحرث فينتفعون بالبانها وأولادها وأشعارها. والحرث الى أهل الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان

قال البيضاوى: والاول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى. والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا أبق. وحكمه فى شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا. وكذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته. فقال على

أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل الدواب حفظها بالليل . وعند أبى حنيفة لاضمان الا أن يكون معها حافظ

(٢) الثانى ـ قالوا ان داود جزأ أزمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما لخاصة نفسه فتسور عليه ملائكة فى صورة الناس فى يوم الخلوة والاحتجاب والحرس على الباب لايتركون من يدخل عليه . ففزع منهم فقالوا له لاتخف نحن فوجان مختصمان بغى بعضنا على بعض ـ فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط (تجر فى الحكومة) واهدنا الى سواء الصراط (وهو العدل) ان هذا أخى (فى الدين والصحبة) له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة (وهى الانثى من الضأن وقد يكنى به عن المرأة) فقال أكفلنيها (أى ملكنيها) وعزنى فى الخطاب (أى غلبنى فى الحجة أو فى خطبة المرأة) فأجاب داود قائلا لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (منكرا فعل خليطه ومهجنا طمعه) وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم (أى قليل وجودهم وكأنه يتعجب لقلتهم) وظن داود أنما فتناه (ابتليناه بالذنب وامتحناه بتلك الحكومة ليتنبه) فاستغفر ربه (لذنبه) وخر راكعا وأناب (الى الله بالتوبة) . ولعل داود رأى أنه أسرع بالحكم قبل سؤال المدعى عليه . وعلم أنه تجاوز الحق بذلك فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وهو أحد الآراء التى تحمل عليها الآية وهو حسن

قال البيضاوى : واقصى مافى هذه القصة الا شعار بأنه عليه السلام ود أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب ـ وماروى أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان . ان صح فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بمثل هذا . وما قيل أنه أرسل أوريا مرارا الى الحرب

وأمره أن يتقدم حتى قتل فتزوجها - هزؤ وافتراء . ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين - أقول ان المائة والستين حدا قذف . وكأنه رضي الله عنه أراد أن يحده حد القذف والثاني تغليظ لأن المقذوف نبي

أما مواساة الانصار للمهاجرين بنحو هذا . فبلغ علمي أن سعد بن معاذ عرض على عبد الرحمن بن عوف أن يطلق احدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن فأبى . وحاصل مايفهم من هذه القصة . أن داود عليه السلام كان يرى بعض الاشياء عند غيره فيستحسنها وتقع من نفسه موقعا ويتمنى لو كانت له وهذه الاشياء أعم من أن تكون امرأة أو سواها . وهو لايريد بذلك أن يكون له الا من وجه حل طبعا . فاراد الله تعالى أن ينبهه على القناعة بما عنده من أمثال مايستحسن مما أنعم الله به عليه . فارسل الملكين بهيئة متخاصمين فلما أفتاهما وتحقق بعد ذلك أنهما ملكان ظن أن الله تعالى قد ابتلاه وانهما معاتبان في الواقع وليسا بخصمين فاستغفر الله تعالى وأناب اليه - وأولى منه أن يكون ندم على الحكم قبل سؤال المدعى عليه كما قدمنا - هذا هو الذي ينبغي المصير اليه وهو اللائق بمقام داود الذي يقول الله تعالى فيه (نعم العبد انه أواب) ويقول أيضا (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) ويقول أيضا (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وبعيد من الحكمة أن يكون الحكيم فاسقا قاتلا من غير حق ولا برهان

بقي أن القول الذي نقلناه عن البيضاوي وفرض صحته وهو احتمال انه خطب على خطبة رجل آخر أو طلب اليه أن ينزل له عن زوجته . وأن ذلك كان سائغا عندهم . انما هو قول تلطف به المسلمون . وأما أهل الكتاب فانهم يقولون : ان داود نظر وهو يمشي على سطح داره الى امرأة تستحم فأعجبته

وأحرم بها وأتى بها واضطجع معها فحبلت منه وأعلمته وكان زوجها أوريا الحثى فى الحرب فأتى به ليسأله عن أمر الحرب فى الظاهر وليحدث الرجل بامرأته عهداً حتى لايرتاب بأمرها اذا علم فيما بعد أنها حامل ولكن الرجل كان تقيا جداً فبات بباب داود ولم يزر امرأته لانه رأى من عدم التقوى أن يتمتع بزوجه واخوانه فى الحرب بعيدون عن أزواجهم . فلما علم داود بأمره لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره الا تعريض أوريا لجبهة القتال حاملا الراية وأن يتأخر عنه الجند بعد التقدم . وبهذه الوسيلة قتل الرجل . وأتت امرأته بولد من تلك الزنية؟وتزوجها داود . ثم مرض الولد فحزن داود لمرضه حزناً شديداً حتى لايقدر أحد على تسرية همه.ثم مات الولد. ومن هذه المرأة كان سليمان . وكل هذا منهم كذب وافتراء وانى أرد كذبهم بالشهادات الحسنةالتى شهدت بها كتبهم لداود

ففى سفر صمويل الثانى فى الاصحاح الثانى والعشرين يقول داود(يكافئنى الرب حسب برى حسب طهارة يدى يرد على لانى حفظت طرق الرب ولم أعص الهى . لان جميع أحكامه أمامى . فرائضه لاأحيد عنها)

وهذا السفر يقرون أنه كتب بالهام وهو واجب التسليم وكل مافيه صدق عندهم ومحال أن يكون الزنا من البر واتباع وصايا الله والمحافظة على شريعته

وفى الاصحاح الثالث من الملوك الاول . فقال سليمان . انك قد فعلت مع عبدك داود أبى رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانةوبر واستقامةقلب معك فحفظت له هذه الرحمة العظيمة وأعطيته ابنا يجلس على كرسيه كهذااليوم. فهل من البر والاستقامة أن يكون زانياقاتلا؟

وفى الاصحاح السادس من أخبار الايام الثانى قول الله لداود (ان يكن بنوك طرقهم يحفظون حتى يسيروا فى شريعتى كما سرت أنت أمامى) فهل

يريد الله لابناء داود الذين يقوبهم ويملكهم أن يكونوا كداود زناة قتله؟ وهل هذا الوصف مما يكافئ الله عليه بحفظهم وتشديد ملكهم؟ ويكون ذلك حفظا للشريعة؟ وفى سفر الملوك الاول قول الله ليربعام بن ناباط عن سليمان اصحاح ١١

٣٤ ولا آخذ المملكة من يده لاجل داود عبدي الذي اخترته الذى حفظ وصاياي وفرائضى.... (٣٨) فأذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت فى طرقى وفعلت ما هو مستقيم فى عينى وحفظت فرائضى ووصاياى كما فعل داود عبدى أكون معك وأبنى لك بيتا آمنا كما بنيت لداود واعطيك اسرائيل

وكانت مدة ملك داود أربعين سنة منها سبعة أعوام وهو ملك فى حبرون لسبط يهوذا وحده سنتين. ولاسرائيل كلهم خمسة. وثلاث وثلاثون سنة ملكا لجميع اليهود فى صهيون وجعل ابنه سليمان ولى عهده قبل أن يموت ومات وهو شيخ كبير جدا

اقرءوا هذه الآيات :

سورة البقرة - ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت

بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء

الزبور

ذكر الزبور فى الآيتين الآتيتين من القرآن الكريم :

سورة الاسراء - وآتينا داود زبورا ١٦٣

سورة النساء - ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ٥٥

ولده سليمان

سورة ص ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب ٣٠

حكمة داود

تسبيح الجبال والطير معه واشتغاله بعمل الدروع

سورة الانبياء — وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ٧٨ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا

مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ٧٩ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ٨٠

سورة سبأ ـ ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد ١٠ أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير ١١

سورة ص ـ اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داودذا الايد انه اواب ١٧ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق ١٨ والطير محشورة كل له أواب١٩ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ٢٠

سورة النمل — ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ١٥ وورث سليمان داودوقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين ١٦

ما يتعلق بالفتنة من القرآن

سورة ص — وهل أتاك نبأ الخصم اذتسوروا المحراب ٢١ اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا الى سواء الصراط ٢٢ ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب ٢٣ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ٢٤ فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ٢٥ ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ٢٦

مكان العبرة من قصص داود

أولا : ان داود عليه السلام اختاره الله تعالى ليفعل العجائب بيده ولم يكن من أهل تلك الأفعال لأنه كان غلاما راعيا للغنم فقتل الله تعالى بيده جالوت الجبار الذي تحامته الأبطال ولم يقاتله بسيف ولا رمح ولم ينزل اليه بدرع ولا ترس وانما قتله بحجر ارسله من المقلاع فكان ذلك أدل على قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الاشياء على يد أضعف العباد

ثانيا : ان الشخص الضعيف لاينبغي له ان ييأس من النجاح واحراز اسباب الفلاح مادام معتصما باسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالى

ثالثا : ان انتصار داود على جالوت لم يغير من طباع داود ولم يذهب به مذهب اهل الكبرياء بل لم يزده هذا الأمر الا تواضعا وكان الله يرفعه درجات كلما تواضع وشكر

رابعا : ان طاعة الله تعالى وشكر نعمه مما يوجب المزيد منها . فان الله تعالى لما رأى طاعة داود وشكره زاده من نعمه فألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع المسرودة لتحصن الناس من البأس وأنعم عليه بولده سليمان الذي ورثه ملكه وعلمه وحكمته

سليمان بن داود عليه السلام

ذكر سليمان فى القرآن ست عشرة مرة فى الآية ١٠٢ من البقرة ، ١٦٧ من سورة النساء وفى ٨٤ من الانعام وفى ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ من الانبياء ، وفى ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٣٦ ، ٤٤ من النمل ، ١٢ من سبأ ، ٣٠ ، ٣٤ من ص وقد جاء فى القرآن كثير من الآيات فى نعم الله المترادفة عليه وعلى أبيه وهى لا تكون كلها قصة تسرد من أولها إلى آخرها وانما هى مواقف أنعم الله عليه فيها وأظهر فضله ونحن أولاء نثبتها هنا

الأول : ان الله منحه الذكاء واصابة الحكم منذ صباه - تدل على ذلك قصة الحرث الذى نفشت فيه غنم غير أهله فقد وفق إلى الحكم الأقوم - وقد تقدمت وقد ذكر ذلك فى القرآن فى قوله تعالى : «وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال » وهذه القصة لم تذكر فى كتب اهل الكتاب

الثانى : ان الله تعالى علمه منطق الطير (المنطق والنطق كل لفظ يعبر عما فى الضمير والاصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارة سيما وفيها مايتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه) قال البيضاوى ولعل سليمان مهما صوت حيوان علم بقوته الحدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ماحكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول « اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء » وصاحت فاختة فقال إنها تقول ! « ليت الخلق لم يخلقوا» فلعل صوت البلبل كان عن شبع وفراغ بال . وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب اه

والذين لهم مراقبة للحيوان والطير يجدون أصواتها تتكيف بكيفيات مختلفة باختلاف حاجاتها ومطالبها . فمواء الهرة المحبوسة غير موائها اذا طلبت السفاد والطعام او الماء فلكل صوت كيفيات ونبرات ليست في الصوت الآخر يفهمه عنها ابناء جنسها وقد اخبرني صديقي الشيخ احمد عمر السكندري أن أطفالا ألقوا في بيته حدأة بعد أن عبثوا بها ونهكوا قوتها ورضّوا بعض عظامها فالقاها أولاده فوق السطح فكان يصدر عنها صوت خاص كلما رأت الحدأ فكن يحمن عليها وفي كل يوم يلقين إليها بعض الطعام من عظام بها بعض اللحم وارجل دجاج ونحوه مما يرزقهن الله وكان أولاده يقدمون لها الماء وبعض الاكل الى أن أبلت وقويت وطارت - وعلى كل فادراك كل صوت من الطير وما يقصد به لم يكن الا هبة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده وقد وهبها سليمان .

اقرءوا قوله تعالى في سورة النمل

(ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين) والمراد بقوله من كل شيء كثرة نعم الله تعالى عليه ومنها تعليمه كلاما لا يعلمه سواه وهذه المنحة لم تذكر في كتب اهل الكتاب وانما يذكرون ان سليمان كان عظيم الحكمة ولذلك يسمونه سليمان الحكيم ولا يلقبونه بالنبي أصلا .

الثالث . تسخير الرياح له يصرفها بامره كما يصرف الانسان عنان دابته وكانت تسير وقت الغدوة مسيرة شهر ومثلها في وقت الرواح .

يقول المفسرون . أن سليمان كان له نحو البساط من الخشب له الف ركن في كل ركن الف بيت يكون فيها جند سليمان من كل صنف وتحت كل ركن الف

نجئ يحملون ذلك الشيء الخشبي حتى يرتفع فى الجو وحينئذ تسيربه الريح وكان يخرج من القدس فيقيل فى اصطخر ثم يبيت بخراسان

وأقول تحريك الريح لأى شيء عظيم ليس ببعيد

ومسير الريح هذه المسافة شيء ضئيل فى قدرة الله تعالى : ولكن الذى اريد الحصول عليه هو وقوع ذلك بالفعل والدليل عليه . فانى لم أجد ذلك فى القرآن ولا أدرى لم ذهب سليمان الى اصطخر ثم الى خراسان؟ وليستا من ملكه وإذا ذهب زائرا لملوك تلك البلاد فأى داع الى أخذ الجند الذين لا يقل عددهم عن مليونين وكيف يسمح الملوك لملك زائر بادخال الآلاف المؤلفة من الجند الى ممالكهم ؟ وإذا كان سليمان لم يعلم بمملكة سبأ وملكتها حتى هداه الهدهد الى ذلك . فكيف يترك اليمن التى فى متناول يده ويذهب الى اصطخر ثم الى خراسان ؟ ولم لم يكن ذلك الى مصر ومصر اقرب البلاد اليه هذا وبعض المفسرين يقدر مسير الريح بشهر أى بمسير الذاهب للتنزه بحيث يكون سيره فى اليوم فرسخا وعلى ذلك يكون مسير الريح شهرا أى ثلاثين فرسخا أو تسعين ميلا ولما كان الفرسخ البرى ٤٤٤٤ مترا كان مدى غدوة الريح ٣٢٠ و ١٣٣ لك وهو مقدار ضئيل

نعرف أن متوسط سرعة الريح المعتدلة ما بين ٤٠ الى ٥٠ كيلو مترا فى الساعة فاذا كانت الغدوة ست ساعات فقط وجب أن تكون المسافة نحو ٣٠٠ كيلو متر وهو شيء قليل ولعل الذي حداهم الى ذلك انهم حسبوا السير المعتدل للابل فوجدوا أنها تقطع فى الشهر ٣٠×٤٢=١٢٦٠ كيلو مترا فاذا فرض سير الريح فى الغدوة ست ساعات كان ماتقطعه الريح فى الساعة ٢١٠ كيلو متر وهذا انما يكون فى وقت العواصف الشديدة لذلك عدلوا عن القول بذلك الى كون الشهر سير الشخص الطالب للنزهة وقد فاتهم أن الله تعالى قال :(فسخرنا

له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) وفى آية أخرى (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها) أى ان الريح الحسنة تجرى بأمره رخاء فهى فى هذه الحالة تقطع مثل ما تقطعه وهى عاصفة وبعد هذا فهل من لوم على من يقول: ان الريح كانت مسخرة لسليمان يصرفها تجرى بأمره رخاء فيأمرها بأن تهب فى هذه الناحية لاحتياج أهلها الى الريح الرخاء للانتفاع بها فى زرعهم ومعاشهم او فى تزجية السفن تصل الى المرافئ سالمة وبذلك يندفع ما قد يقال. وما فائدة تسخير الريح اذا لم تحمله وجنوده الى مسافات بعيدة.

لوأن القائلين ببساط سليمان الذى تحمله الريح اقتصروا به على عشرة أذرع فى مثلها أو عشرين ذراعا فى مثلها أو مائة ذراع فى مثلها لكان الأمر معقولا مقبولا. أما وهم يقولون إن فيه ألف ركن فى كل ركن ألف بيت فانهم يجعلون له من السعة وترامى الاطراف مالا يقبله تصور. بل لم يكن فى ملك سليمان كله ما يكفى لشغله من الجند إذ جعلوا به مليونا من البيوت للجند فاذا كان بالبيت الواحد جنديان فقط كان به مليونان من الجند. ولا يصح ان يكون قد خلف من الجند أقل منهم لحماية البلاد. فتلك اربعة ملايين. فاذا كانوا عشر السكان وجب أن يكون السكان أربعين مليونا وهو عدد لا يمكن ان تسكن فلسطين ولبنان وسوريا بنصفه أو بربعه

ويكون البساط فى مساحته اكبر من عشرين كيلو مترا مربعا ومحال ان نجد فى فلسطين مكانا مستويا يستقر عليه هذا البساط فضلا عن البلاد التى ينتقل اليها على غير استعداد — وهذه مدينة بيت المقدس ليس فيها مكان مقداره عشرة امتار فى خمسين يوجد مستويا اصلا. فاين كان سليمان يبسط بساطه؟

على أن سليمان كانت اسفاره مع جنوده على الارض لا على متن الريح كما يقولون. وهذا القرآن الكريم يقص علينا قول النملة حين مر بجنده على وادى

النمل إذ قالت (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وما كان سليمان وجنوده ليحطموا النمل وهم على بساط الريح الذى يزعمون

ان مملكة سليمان وداود لم تمتد الى اكثر من خليج أيلة وفلسطين وشرق الاردن ولبنان وسوريا الى شط الفرات فقط .

وهذا المقدار لايحتاج فى السفر الى الشهور بل يحتاج الى أيام فما كان فى حاجة الى بساط تحمله الريح ولم يكن له من الجند ما يتلاءم مع مقدار البساط فهذا ابن خلدون يقول ان مبلغ خيله لم يزد على اثنى عشر الف فرس ومثل ذلك فى كتب الانبياء

وعلى كل فهذا البساط بهذا المقدار انما هو أسطورة تكفل برواجها تبرع الناس بحمل كل ما للانبياء صلوات الله عليهم على الغرابة وعدم السير على السنن الطبيعى وحبهم للتزيد على ما منحهم الله اياه من غرائب المعجزات ونحن نقر بالمعجزات والعجائب التى منحها الله لانبيائه مما جاء به نص قطعى الثبوت والدلالة ولكننا لا نبذر فيها ولا نسرف - واعلموا أن اثبات معجزة لنبى لم تكن كذب عليه يساوى اثمه انكار معجزة ثابتة

الرابع : سليمان والصافنات الجياد

ذكر هذا الموقف فى سورة ص فى قوله تعالى .(ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اد عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد . فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب . ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق) ويقول بعض المفسرين فى تفسير هذه الآية . ان سليمان عرض عليه خيل جياد فى وقت العصر فألهاه ذلك عن صلاة العصر فغضب لذلك وطلب من الله أن يرد عليه الشمس بعد غروبها ليصلى العصر حاضرا فردت ثم غضب على الخيل التى كانت سببا فى فوت الصلاة فقطع أعناقها وسوقها وان الضمير فى قوله حتى توارت وفى قوله تعالى ردوها للشمس المفهومة من

قوله بالعشى ومعنى(أحببت حب الخير عن ذكر ربى) انه أحب هذه الخيل معرضا عن ذكر ربه وهو الصلاة · وهذا التأويل وما تضمنه اراه بعيدا بل أراه بعيدا بعد المشرقين ·

وانى اترك الفخر الرازى يرد عليه فى تفسيره قال .ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله تعالى .(وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) وان الكفار لما بلغوا من السفاهة الى هذا الحد قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم · (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ·) وذكر قصة داود ثم ذكر عقبها قصة سليمان وهذا الكلام لا يكون لائقا لو قلنا ان سليمان عليه السلام أتى فى هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله واعرض عن الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام فى هذه المواضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر القصة لائقا بهذا الموضع فثبت أن كتاب الله تعالى ينادى على هذه الاقوال بالرد والافساد والابطال · بل التفسير المطابق للحق ولالفاظ القرآن والصواب ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما انه مندوب اليه فى دين محمد صلى الله عليه وسلم فاحتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنه لا يحبها لامر الدنيا ونصيب النفس وانما يحبها لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربى ثم انه عليه السلام أمر باعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر الرائضين أن يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور

الاول. تشريفا لها وا ا نة لعزتها لكونها من أعظم الاعوان لدفع العدو

الثاني. أراد أن يظهر أنه فى ضبط السياسة والملك متضع الى حيث يباشر اكثر الأمور بنفسه

الثالث . انه كان اعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق انطباقا مطابقا موافقا ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات المحظورات الى سليمان عليه السلام

ثم قال الرازى: وأنا شديد التعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع أن النقل والعقل يردها وليس لهم فيها شبهة فضلا عن حجة وقد أطال الفخر الرازى فى الرد على من يقول خلاف هذا وهذا الموقف ليس فيه عند أهل الكتاب كلام أصلا

الخامس- فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه

جاء فى القرآن الكريم فى سورة ص: « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب. قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب » يقول أهل الحشو ومن لا يبالون بان يأتوا فى تفسير كتاب الله تعالى بكل مايتخيلون من الحكايات المصطنعة ان سليمان بلغه خبر مدينة (١) اسمها صيدون بجزيرة فى البحر فخرج اليها بجنوده تحمله الرياح فدخلها وقتل ملكها وأخذ بنتاله اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت تبكى على ابيها ابدا فأمر سليمان فمثل لها صورة ابيها فكستها بمثل كسوته

(١) يقول المفسرون عن المدينة انها صيدون . وصيدون هى مدينة صيداء وليست جزيرة وانما هى بين بيروت وعكا وهو لا يحتاج فى حربها الى عناء وقصاراه ان يرسل اليها بعض جنده فينال مأربه منها

وكانت تذهب إلى هذه الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدن لها فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى خلاء وفرش الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له أم ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملك سليمان فى خاتمه فوضعه عندها يوما فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسى سليمان فأتى عليه الطير والانس والجن وتغيرت هيئة سليمان فأتى امينة يطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم أخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحال أربعين يوما عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن مايدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل قد نفذ حكمه فى كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه وأخذ ذلك الشيطان وأدخله فى صخرة والقاه فى البحر — ولهم رواية ثانية وهى أن تلك المرأة لما أقدمت على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان وكان الخاتم يسقط من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فتب الى الله - ولهم رواية ثالثة: وهى أن سليمان قال لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال أرنى خاتمك أخبرك فأعطاه اياه فنبذه فى البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه . ثم يسوقون الحكاية بتمامها كما فى الرواية الاولى ففتنة سليمان ابتلاؤه - والقاء الجسد على كرسيه هو جلوس الشيطان عليه ونفاذ أمره فى الرعية والملك — ولهم قول رابع وهو ان سليمان احتجب ثلاثة أيام

عن الناس فسلب الملك وجلس الشيطان على كرسيه عقوبة له

هذه أقوال لم يرد بها قرآن ولا نقل صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنطبق على عقل ولا على حكمة فهى جرية بالرد وقد رد عليها العلماء بوجوه

الأول - ان الشيطان لو قدر على التشبه في الصورة والخلقه بالانبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس فى صورة محمد وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم فى الصورة لأجل اغواء الناس واضلالهم. ولما كان ذلك باطلا لأنه يؤدى الى ابطال الدين بالكلية كان ما أدى اليه باطلا بالكلية

الثانى . لو قدر على سليمان يعامله هذه المعاملة لقدر على مثلها من العلماء والزهاد فيقتلهم ويمزق كتبهم ويمحوها ويثبت فيها شيئا آخر - ولما كان المشاهد خلاف ذلك وانه لم يقدر من أحد منهم على هذا : فوجب ان يكون سليمان ممن لا يقدر عليهم بالأولى

الثالث - لو قلنا ان المرأة عبدت صورة ابيها — فلا يخلو الأمر . اما ان يكون ذلك بأمر سليمان وحينئذ يكون كافرا وهو محال واما أن يكون بدون أمره وعلمه وحينئذ لا جريرة صدرت منه ولا عقاب عليه

الرابع - يقولون ان الشيطان لما جلس على كرسى سليمان اجتمعت عليه الطير والانس والجن . وقائل هذا فى غفلة عما جاء فى الكتاب الكريم من ان تسخير الجن لسليمان انما كان بعد الفتنة لا قبلها بدليل قوله تعالى . (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث اصاب . والشياطين كل بناء وغواص) .

وقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره وجوها لتفسير هذه الآية: أحسنها أن سليمان ابتلى بمرض شديد ضنى منه حتى صار لشدة المرض كانه جسد أو جسم بلا روح ثم أناب أى رجع الى حالة الصحة

أقول. وعندى وجه لم يذكره أحد من العلماء وهو أن كرسى داود انما هو كرسى سليمان لان داود كان يرشح سليمان للملك والجلوس على كرسيه وقد قام ابشالوم بن داود وثار على والده وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسى الذى هو فى الواقع كرسى سليمان وهرب منه داود الى شرق الاردن وسرح الجيوش لمقاتلته وباشر ابشالوم الحرب بنفسه فقتل ابشالوم اذ مر به بغله تحت بطمة فتعلق فى أغصانها من شعره فأتى رئيس الجند يوآب وقتله وعاد سليمان الى كرسيه بعد أن تزعزع بفعل أخيه ابشالوم . وتضرع الى الله وسأله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده

لا شك فى أن سليمان فى تلك البرهة كان يعتقد اعتقادا جازما لا شك فيه أن الكرسى الملكى أفلت من يده ولا راد له سوى الله تعالى فاستغفره تعالى لما قد أسلف من هواجس نفسيه لا يخلو منها من كان مثله فى سن الصبا من زهو بذلك الكرسى الذى ينتظره . والملك العريض الذى سيكون بيده صولجانه فامتحنه الله تعالى بمن اغتصب ذلك الكرسى وتسرب إلى نفسه دبيب الياس فاستغفر سليمان ربه لتلك الهواجس التى تعد على المقربين ذنوبا وهى غير ذنوب وأناب اليه ضارعا أن يهب له ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فآتاه الله ذلك الملك بعد وفاة أبيه داود الذى كان قد بلغ من الكبر عتيا وسخر لسليمان ما سخر من الجن والانس والطير والرياح التى تجرى بأمره وكل ما يدعى خلاف ذلك فلا يخلو من أن يكون هاجس نفس . أو جموح خيال وقد علمتم رأيى فى الوجه الذى اتى به الفخر الرازى

وأما ما روى انه عزم على الطواف على سبعمائة أو سبعين من نسائه فى ليلة

واحدة . فتأتى كل واحدة منهن بولد يجاهد فى سبيل الله · ولم يقل ان شاء الله · فعاقبه الله بانهن لم يحملن كلهن الا امرأة واحدة جاءت بشق انسان فجىء اليه به وهو على كرسيه ووضع فى حجره · فبعيد إذ قدرة الانسان تعجز عن الطواف بسبعمائة امرأة أوسبعين فى ليلة واحدة والليلة لا تسع ذلك أصلا مهما قدرت حظا صغيرا لكل امرأة من الزمن · ولم يجعل الله تعالى معجزة الانبياء فى السفاد وغشيان النساء ومسابقة الحيوان فى هذا الضرب · ولا يوجد متحد يمثل هذا حتى تتم المعجزة · فالمعول عليه ما اوردنا فيما سبق

أما قولهم ان السبب فى عدم اتيان النساء باولاد عدم قوله ان شاء الله فعجيب لأن هذه اللفظة لا يقصد بها الا التعبد لا انجاح المطالب فقد قال موسى للعبد الصالح ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا و لم يصبر

السادس ـ اسالة عين القطر لسليمان عليه السلام

ذكر الله تعالى فى كتابه الكريم أنه أسال القطر لسليمان وذلك فى معرض تعداد النعم التى أنعم بها عليه — والقطر هو النحاس المذاب — ونحن نعلم أن سليمان كان رجل عمارة وبناء للمصانع العظيمة ويكفيه فخرا أنه بنى الهيكل وما حوله من المبانى العظيمة الضخمة بالحجارة العظيمة التى لا يفوقها سوى حجارة قليلة فى البناء المعروف اليوم بقلعة بعلبك وبعض المبانى المصرية . فهو يحتاج الى القطر فى معالجة توثيق المبانى فاسال الله تعالى له عين نحاس تقذفه مذابا وسبب ذوبانه أن الارض التى فتحت فيها العين مصطهرة بالنار فالنحاس المختلط بصخور تلك الارض يصهر ويقذف من فوهة تلك العين سائلا . فيأتى عمال سليمان ويأخذونه للانتفاع به فى الصناعات ونحوها مما يحتاج اليه سليمان

قد يقول بعض الناس ان سليمان كان أول من صهر النحاس وأساله وان الله لم يسل له عينا من الارض

والذى أقوله إنى أسلم بذلك متى علم علما صحيحا أن القطر لم يوجد قبل سليمان — وعلى كل حال فقد من الله تعالى عليه وهداه إلى مالم يهتد اليه أحد قبله — والتوراة خاليه من هذا

السابع ـ تسخير الجن لسليمان

اخبر الله تعالى فى كتابه الكريم بانه سخر الجن لسليمان إذ قال . (والجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) وقال بعد ان ذكر تسخير الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب (والشياطين كل بناء وغواص) وقال أيضا — (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون)

فهذا كله دل على أن الله تعالى سخر لسليمان الجن تطيعه وتنفذ امره فيهم ويعملون له ما يشاء من ضخم المبانى والعمائر والتماثيل (وكانت التماثيل يجوز صنعها عندهم) والقدور الراسيات والجفان التى كانها الحياض لسعتها

وقد ذكر فى سفر الملوك الاول ص ٩ العمائر التى قام بعملها سليمان وهى بيت الرب (١) وهذا البيت وتوابعه كان يقع على مساحة تقدر بما يقرب من ستين فدانا كما شاهدت رقعته بنفسى (٢) وبيت الملك (٤) وسور أورشليم (٥) وحاصور (٦) ومجدو (٧) وجازر (٨) وبيت حورون السفلى (٩) وبعلة (١٠) وتدمر فى البرية — كل ذلك عدا المخازن . ومدن المركبات ومدن الفرسان ومابناه فى لبنان وغيرها من سائر مملكته وسخر فى ذلك بقايا الشعوب الذين كانوا فى فلسطين ولم يبدهم الاسرائيليون : ولم يكن من الشعب الاسرائيلى مسخر وكان

رؤساء المسخرين خمسمائة وخمسين رئيسا

ومن نظر الى هذه الاعمال ونخامتها وضخامة أحجارها لم يستبعد أن يكون للجن عمل عظيم فى ذلك وبخاصة تدمر وبعض آثارها الضخمة ماثل اليوم

وقد ذكر النابغة الذبيانى تسخير الجن لسليمان فى شعره الذى يعتذر به الى النعمان إذ يقول

ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه ولا احاشى من الاقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الاله له قم فى البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن إنى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

هذا — والكتابات التى على مبانى تدمر الماثلة الى اليوم تدل على أنها هياكل لعبادة الكواكب. والكتابة رومانية — غير أنه لامانع من أن تكون المدينة بنيت فى عهد سليمان. فلما جاء الرومان حولوا بعض مبانيها الى هياكل وكتبوا عليها ماكتبوا — وليس من شأنى أن أقطع فى شيء من ذلك فان علماء الآثار أملى بذلك

قال البيضاوى: روى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران باجنحتهما ويصنعون له القدور الراسيات على أثافيها لاتحرك لعظمها وثقلها والجفان كالجوابى أى الحياض الكبيرة وقد كان بناء الهيكل وما معه فى سبع سنوات فقط وهو زمن يسير بالنسبة لعظمه

الثامن - سليمان وملكة سبأ

دلت الآيات فى القرآن الكريم على أن سليمان كان يفهم ماتريده الطير بأصواتها اذا صوتت ويفهمها ما فى نفسه ويحاورها. وكانت مسخرة

بأمره يأمرها فتأتمر ويستعملها فى بعض مهماته - فمن ذلك أنه تفقد الطير يوما فلم يجد الهدهد . فعد ذلك جريمة اقترفها وتهدده بالذبح أو التعذيب إلا إذا أتاه بعذر بين أوجب هذا التخلف - فلما جاء الهدهد سأله عن غيبته فاخبره بأنه كان فى سبأ من بلاد اليمن - وأخبره بملك عظيم وملكة تملك على تلك الأمة . وأنهم صابئة وثنيون يعبدون الشمس من دون الله . وأن لملكتهم عرشا عظيما فيه أنواع الزينة والجواهر

أراد سليمان أن يختبر الهدهد. أصادق فى خبره أم كاذب؟ فأعطاه كتابا ليوصله الى الملكة - فذهب الهدهد بالكتاب وألقاه على سريرها - فأخذته فاذا به من سليمان وانه (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين)

لم ترد الملكة أن تستبد بالاجابة فجمعت رجال دولتها وأهل مشورتها من الاقيال وغيرهم وأعلمتهم علم الكتاب . فأخذتهم العزة وثارت فيهم الحماسة قالوا لها (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين)

كانت الملكة عاقلة فنظرت فى الامر بعين الفطنة. ولم تغتر بما أبداه رجالها من الحماسة - وقالت لهم أن دخول الملوك الى المدن ليس من الهنات الهينات وأثره ليس بالسهل على أهلها . فانهم اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة - وعرضت عليهم رأيا آخر وجدته أقرب الى حل هذه الأزمة التى أتتها من حيث لا تحتسب - ذلك أن ترسل الى سليمان بهدية تصانعه بها وتستنزل مودته بسببها ثم تنظر ماذا يرجع به رسلها الى سليمان

ظاهر أنها كانت تريد من ارسال الهدية أن يقف رسلها على أحوال هذا الملك الذى أرسل يتهددها على غير جريرة ويطلب حضورها اليه خاضعة بلا

ترة · ثم يعودون اليها بالتقرير الوافى عن حقيقته · وقوته فى ملكه ومبلغ ما يمكن أن يقدر عليه من المكيدة اذا لم تخضع لامره لتكون على بينة مما تأتى وتدع وتكون على رأس أمرها — حتى اذا فعلت أمرا فعلته بعد تقدير عواقبه — فلما جاءت رسلها الى سليمان بالهدية لم يقبلها وأظهر أنه ليس فى حاجة الى أموالهم وأنه فى حال حسنة وانفساح ثروة أحسن مما فيه الملكة وقومها وتوعدهم وملكتهم بأن يرسل الى بلادهم بجنود لاقبل لهم بها · وأن عاقبة ذلك اخراجهم من بلادهم أذلة صغرة

جاء الخبر مع الرسل الى الملكة وعلمت عظمة سليمان وقوة ملكه وأشفقت على قومها · فاجمعت الذهاب اليه فى رجال دولتها وجاءت الى أورشليم بهدية عظيمة

لما علم سليمان باعتزام ملكة سبأ على زيارته فى عاصمة ملكه . شيد لها صرحا عظيما . ومرد أرضه بالزجاج · وهذا شئ لاعهد لاهل اليمن بمثله

ولما قربت من ديار سليمان أراد أن يظهر لها من دلائل عظمته ونعم الله تعالى عليه ما يبهرها . وأن ترى بعينها مالم ترها الاحلام بفعل عجيبة ظاهرة وهى أن يأتيها بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه فى ذلك الصرح — فسأل جنوده عن قوى يأتيه بذلك العرش · فانتدب له عفريت من الجن وقال له — أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا وانى عليه لقوى أمين على ما فيه من الجوهر والحلى — وقال شخص من الانس أو الجن عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك · وكان الامر كما قال · فجاء به ووضع فى الصرح الذى هيئ لاستقبالها

فلما جاءت ورأت العرش · قيل لها أهكذا عرشك؟ فقالت كأنه هو. ولما أرادت دخول الصرح والوصول الى العرش ظنت الزجاج ماء فكشفت عن

ساقيها لئلا تبتل ثيابها بالماء . وأخبرت بأن ماظنته ماء انما هو زجاج .فقالت (رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)

أما الطريقة التى أتى بها العرش على يد الذى عنده علم من الـكتاب . فشىء لم يكشف عنه العلم وهو نص صريح قاطع الثبوت والدلالة ومن التعسف تأويله بأنه خريطة بلادها كما يقول بعض من كتبوا فى التفسير — وما دام الامر معجزة خارقة للعادة فلا معنى للمكابرة. إذ خالق النواميس له أن يخرقها بقدرته التى أوجدها بها — ولعل لمثل هذه الأعمال نواميس أخرى لم يكشفها العلم أطلع الله عليها بعض عباده معجزة لهم فى وقت يجهل كل الناس تلك النواميس والله تعالى يخلق مايشاء ويختار

وأهل القصص وأهل التفسير يذكرون أن سليمان تزوج منها وأتى منها بولد . ويزعم ملوك الحبشة أنهم أبناء سليمان من الولد الذى أتى به منها

اقرءوا هذه الآيات

سورة النمل — وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين ٢٠ لاعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين ٢١ فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ٢٢ انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ٢٣ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ٢٤ ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وما تعلنون ٢٥ الله لاإله الا هو رب العرش العظيم ٢٦ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ٢٧ اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ٢٨ قالت يأيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم ٢٩ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ٣٠ ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ٣١

قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ٣٢ قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين ٣٣ قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ٣٤ وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ٣٥ فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ٣٦ ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ٣٧ قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ٣٨ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين ٣٩ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك . فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم ٤٠ قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون ٤١ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ٤٢ وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين ٤٣ قيل لها ادخلى الصرح · فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ٤٤

وقد قدمت أن التوراة وأهلها لايعرفون قصة ملكة سبأ بهذا الوصف وانما يذكرون أنها سمعت بحكمة سليمان فأتت اليه وشاهدت بنفسها تلك الحكمة العظيمة

ولعل اتصال ملكة سبأ بسليمان كان سببا فى وجود الديانة الموسوية فى بلاد اليمن · وأن ذلك هو الاساس الذي بني عليه ذو نواس الحميرى دخوله فى اليهودية نكاية بالدولة الرومانية الشرقية التي أرسلت الى اليمن القسوس مقدمة

لاستعمار اليمن . فلم ير أنكى لهم من الدخول فى اليهودية وتعصب لها حتى تقيل أهل نجران وخد لهم الاخدود وحرقهم بالنار فكان ذلك سبب غزو الحبشان لليمن كما هو معروف فى التاريخ — ولم يزل بصنعاء عشرة آلاف يهودي إلى اليوم.

أما مايدعيه أهل الحبشة من أن الاسرة المالكة فيهم يرجعون فى نسبهم الى سليمان فليس عندى ما يؤيد هذه الرواية أو ينفيها والناس مأمونون على أنسابهم ـ وقد تراخى الزمن وتطاول ولا يعلم الغيب الا الله

موت سليمان عليه الصلاة والسلام

جاء فى سورة سبأ بشأن موت سليمان قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين)

والمفسرون يذكرون فى موته عجائب ويستدلون لذلك بالآية الكريمة ويؤولونها على الوجه الذى يدعو الى الغرابة وكل ماجاء فى هذا الباب أحاديث منكرة ويظن ابن كثير أنها مما يقوله أهل الكتاب. واليك نص ماقاله فى تفسير هذه الآية بعد أن ذكرها قال

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له فى الاعمال الشاقة فانه مكث متوكئا على عصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحوا من سنة فلما أكلتها دابة الارض وهي الارضة ضعفت وسقط الى الارض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة وتبينت الجن والانس أيضا أن الجن لايعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك وقد

ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفى صحته نظر

قال ابن جرير حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا ابراهيم ابن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (كان نبي الله سليمان عليه السلام اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاى شيء أنت فان كانت تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاى شيء أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فأكلتها الأرضة فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين

قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفى رفعه غرابة ونكارة والاقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابات وفى بعض حديثه نكارة وقال السدى فى حديثه نكارة .

وقال السدى فى حديث ذكره عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم قال (كان سليمان عليه السلام يتحرر فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى توفى فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا ينبت الله ببيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها فيقول ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها

وإن كانت تنبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولأى شيء نبت قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان عليه السلام ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألست جلدا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام فى المحراب إلا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع فى البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهى العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهى فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل (ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب

ولكنا سننقل إليك الماء والطين قال فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت

قال ألم تر إلى الطين الذى يكون فى جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهى وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقى لا يصدق ولا يكذب

وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تبارك وتعالى (ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته (قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بى فأعلمنى فأتاه فقال ياسليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكىء على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حى قال فبعث الله عز وجل دابة الأرض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها وأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخرميتا فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال أصبغ: بلغنى عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر وذكر غير واحد من السلف نحوا من هذا والله أعلم

هذا ما اورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره . ونحن اذا نظرنا الى متن الحديث وجدناه مضطربا ومخالفا لسنة الانبياء وخصوصا فى عهد بنى اسرائيل . اذ شريعتهم تقضى على كل اسرائيلى ان يأتى فى العيد ويقرب القرابين ويقوم بالطقوس الدينية وسليمان شريعته التى يتبعها هى التوراة التى جاء بها موسى وليس له شريعة سواها وغير معقول ان يكون سليمان النبي الكريم هو الذى يخالف

الشريعة ويمكث فى محرابه دون أن يقوم بالمراسم التى أوجبتها التوراة على كل اسرائيلى فيغيب عنها فى وقت يقوم بها فيه الرؤساء والسوقة . وإذا فعل يكون قد سن لبنى إسرائيل سنة سيئة تجرى سواه على مخالفة الشريعة التى أمر الله بنى إسرائيل بحفظها وعدم الاخلال بها ٠

ومعلوم أن اليهود فى عيد الفصح يجب عليهم أن يأكلوا الفطير سبعة أيام وأن لا يرى الخمير فى جميع تخومهم . فاذا كان سليمان قد مكث سنة ميتا أفما كان له زوجة تسأل عنه وتبعث له بالفطير الواجب فى الفصح فتعلم أنه ميت وعنده ألف امرأة

فى ص ١٦ تثنية ف ١٦ ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب الهك فى المكان الذى يختاره .فى عيد الفطير . وعيد الاسابيع .وعيد المظال ولا يحضروا أمام الرب فارغين ١٧ كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب إلهك الذى أعطاك ـ فمن الذى يقوم بتلك المراسم عن سليمان والله لم يسن لهم البدل

ثم ان سليمان بمقتضى مركز الملك الذى يشغله عليه مسئولية إقامة العدل بين الناس كما كان يفعل داود وقد رأينا داود فى فصل خصومة الحرث الذى نفشت الغنم فيه . وفى سماعه الخصومة فى نعجة . فما كان سليمان بالذى يغيب عن خصومات قومه ونوازلهم ويكل فض الخصومات لقوم هم أقل منه فهما وعلما

وهو أيضا بمقتضى منصبه الملكى تأتيه الوفود من الملوك . ويطالعه العرفاء والرؤساء بمشكلات نواحيهم . فليس من المعقول أن يكون قد مات وبقى سنة كاملة لا يعلم بموته أحد ويهمن اهمالا لا يهمله أحد من السوقة

والمسأله تحمل على أحد وجهين

الاول ـ أن يكون قد مات كما يموت سائر الناس وبقى موته معمى على الجن دون سواهم من الانس ودفن وانتهى أمره وقام فى الملك ابنه والجن فى أمكنة

قائمة كتدمر لا يفترون عن العمل دائبين عليه خشية أن يعاقبهم سليمان. وبعد مدة لم يحددها القرآن علم أحد الجن بموته اذ رأى عصاه ملقاة على الارض فرفعها فإذا الارضة قد أكلتها . فاستدل من أكل الارضة إياها أن سليمان قد تركها ملقاة على الارض مدة طويلة وما كان ليتركها الا لحدث من موت أو مرض (١) فتقصى الامر فاذا هو قد مات فأعلم الجن بالامر وكانوا لا يعلمونه كما كانوا يوهمون الناس ويتوهم الناس لهم أنهم يعلمون الغيب . وأيقنوا أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين

وعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى . فلما خر اى مات . لا خر بمعنى وقع على الارض لعجز العصا عن حفظ توازنه

قال فى القاموس . والخر السقوط كالخرور من علو الى أسفل يخر ويخر والشق والهجوم من مكان لا يعرف والموت

وفى لسان العرب ج ٥ ص ٣١٧ وخر أيضا مات وذلك ان الرجل إذا مات خر ومن ذلك قول حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أخر الا قائما معناه ان لا أموت لانه إذا مات فقد خر وسقط.

الوجه الثانى - أنه عليه السلام وجد فى محرابه فادركه الموت وهو جالس متكئ على عصاه فجاءت الارضة واشتغلت بأكل طرف العصا فأكلت بعضه فانهار الجزء الذى أكلته فاختل توازنه فخر فدل ذلك أهله على موته . وأكل جزء من العصا يكون انهياره سببا فى اختلال التوازن لا يحتاج الى زمن طويل ومن رأى فعل الارضة فى دنقلة العجوز لا يستبعد ذلك . فقد أخبرنى المرحوم الشيخ محمد بك الخضرى أنه أهمل وضع أرجل مكتبه فى اناء فيه ماء وهو بدنقلة فلم يمض أيام حتى وجد الارضة قد أثرت فى جزء مهم من تلك الارجل وتركت جبته

(١) حمل العصا كان من شارات الرياسة والرئيس وبخاصة من كان ملكا كسليمان لا يترك عصاه مادام صحيحا معافى

بجانب الحائط بضعة أيام ثم جاء اليها فاذا بها بهيئة الجبة فلما مد يده اليها فاذا هي هباء

ثم ان مرجع الضمير في قوله مادلهم يحتمل أنه الجن ويحتمل أنه آل داود الذين هم آل سليمان أيضا وهم المذكورون في قوله آخر الآية قبلها اعملوا آل داود شكرا

وأيضا فانهم يقولون إنهم ارادوا بعد موت سليمان أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا الى آخره . فما هذه الارضة التي تمتد اليها الايدي فتقر طائعة على العصا وتأخذ في أكلها حتى تعلمهم مقدار ما أكلت؟ — ان هذه الدابة وأمثالها اذا أخذت باليد ووضعت في مكان لا تستقر بل تمعن في الهرب . وأي دليل عندهم على أن أرضة واحدة فقط هي التي تولت أكل المنسأة حتى يعلموا أنها أكلتها في سنة ؟ وهل هناك برهان على أنها لم تكن مئين أو آلافا وهم انما أتوا بفرد أرضة دون أرض كثيرة . وهل يوافق علماء الحيوان على أن الارضة تبقى سنة حية ولا تلد؟

وأيضا شكر الجن للارضة واتيانها بالطين والماء وهي في جوف الخشب شيء حصل بين الجن وبينها فمن . الذي أعلم الناس ذلك وهذا سر بين الارضة والجن ؟ وأما أتيانها بالطين مكافأة لها على ذلك فلا يدريه الا من وقف على أحوال الارضة قبل موت سليمان . ثم رأى أن تلك الأحوال تغيرت بعده

وعندي أن ذلك كله من التخرص الذي لا تقوم عليه بينة ولا يهدي اليه دليل و بعد هذا كله . فما المانع من أن تكون دابة الارض التي أكلت عصا سليمان هي بعض من الحيوان القراض كالفار ونحوه من الحيوان الذي يقرض الخشب أجل ان الالوسي رد هذا الوجه واني اخالفه وأقول أنه احتمال وجيه فان الفار من دواب الأرض يتخذ مسكنه فيها

وعلى كل حال فمكث سليمان سنة أو نحوها أمر زائد عما تدل عليه الآية الكريمة ولا يوجد نص صريح في تلك المدة — وأحد الرأيين اللذين قدمتهما كاف في الخروج من كل اشكال أو اعتراض وأولها أولاها

أيوب عليه الصلاة والسلام

من الانبياء الذين قص الله علينا قصصهم فى القرآن « أيوب عليه السلام »

وقد ذكر اسمه فى القرآن الكريم أربع مرات فى الآية ١٨٦ من سورة النساء و فى الآية ٨٤ من سورة الانعام وفى الآيه ٨٣ من سورة الانبياء وفى الآية ٤١ من سورة ص

وقد ورد ذكر ايوب فى كتب أهل الكتاب وله سفر خاص به من الاسفار القانونية فى العهد القديم

قال البستانى فى دائرة المعارف صفحة ٨٠٤ من المجلد الرابع : أنه رجل مشهور بالاستقامة والتقوى والصبر ولذلك لقب بالصديق وضرب به المثل بالصبر . ويقال أنه عوص بكر ناحور أخى ابراهيم . وقيل هو يوباب بن حفيد عيسو بن اسحق

كان موطنه أرض عوص ويظن أنها جزء من جبل سعير أو بلاد أدوم قيل انه كان قبل موسى وقيل قبل ابراهيم بأكثر من مائة سنة وهو أرجح . ومن أراد الوقوف على تفاصيل قصته فليطلبها من السفر المنسوب اليه من العهد القديم

وسفر أيوب هو أحد أسفار العهد القديم القانونية وهو يحتوى على ٤٢ أصحاحا يجمعها خمسة فصول كبيرة

الاول : يذكر تقوى أيوب وأملاكه وأقاربه وصفاته

الثاني : يتضمن ما جرى بينه وبين أصحابه الثلاثة من الجدال

الثالث : أقوال الحكمة التى نطق بها إلياهو أصغر أصحاب أيوب (١)

الرابع : يذكر مخاطبة الله أياه من العاصفه

---

(١) اصحاب ايوب الذين ذكروا فى سفره هم اليفاز التيمانى وصوفر النعمانى وبلدد الشوحى والياهو

الخامس : يتضمن خضوعه لله وشفاءه وتعويض ما فقده من المال والاهل

وجاء فى صفحة ١٨٤ ، ١٨٥ من الجزء الاول من اظهار الحق (معقبا على ما قله من أقوال بيلى ، فانظر أيها اللبيب أن كلام محققهم مطابق لكلامى أم لا؟ وما قال ان بين العلماء المسيحية نزاعا فى حقيقة أيوب بل فى وجوده قديما فأشار الى الاختلاف القوى لان (رب مماني ديز) الذى هو عالم مشهور من علماء اليهود وكذا ميكايلس وليكلرك . وسملر واستان وغيرهم قالوا ان ايوب اسم فرضى وما كان مسماه فى وقت من الاوقات . وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة . وكامت . وأنتل . وغيرهما قالوا انه كان فى نفس الامر

ثم القائلون بوجوده اختلفوا فى زمانه على سبعة أقوال

١ — انه كان معاصرا لموسى عليه السلام

٢ — انه كان معاصرا للقضاة

٣ — انه كان معاصرا لهاسى روس أو أردشير سلطان ايران

٤ — انه كان معاصرا ليعقوب عليه السلام

٥ — انه كان معاصرا لسليمان عليه السلام

٦ — انه كان معاصرا لبختنصر

٧ — انه كان قبل الزمان الذى جاء فيه ابراهيم عليه السلام إلى كنعان

وقال هورن من محققى فرقة بروتستانت (أن خفة هذه الخيالات دليل كاف على ضعفها)

وكذا اختلفوا فى غوط بلده الذى جاء ذكره فى الآية الاولى من الباب الاول من كتابه بأنه كان فى أى أقليم على ثلاثة أقوال

١ — فقال بوجارت وأسباهم وكامت وغيرهم انه فى أقليم العرب

٢ ـ وقال ميكايلس وألجن انه فى شعب دمشق

٣ ـ وقال لود وماجى وهيلزو كودو بعض المتأخرين أن غوطا اسم أدومية

وكذا اختلفوا فى مصنف هذا الكتاب بأنه اليهود أو أيوب او سليمان أو أشعيا أو رجل مجهول الاسم معاصر للسلطان منسا أو حزقيال أو عزرا أو رجل من آل اليهود أو موسى عليه السلام الخ اه

أما نحن فنقول أنه عبد صالح من عباد الله امتحنه الله فى ماله وأهله وبدنه فصبر صبرا جميلا فوهبه الله تعالى العافية وأعطاه أكثر مما فقد من أهل ومال وأثنى عليه ثناء جميلا فى قرآنه الكريم وجعله نبيا

ملاحظتان

الاولى ـ ان الناس يروون فى بلاء أيوب أقوالا يوردونها تدل على أنه مرض مرضا مشوها ومنفرا للناس من قربانه والدنو منه

وهذا يتنافى مع منصب النبوة وقد قرر علماء التوحيد أن الانبياء منزهون عن الامراض المنفرة . فكيف يتفق ذلك ومنصب النبوة ؟

والجواب على ذلك من وجهين

الاول ـ أن الابتلاء على الوجه الذى يقولون كان قبل النبوة وأن منحة النبوة انما كانت لما بدا منه من الصبر والرضا بما أصابه من مكروه وملازمته جانب الرضا عن الله تعالى

الثانى ـ أن المبالغين فى ضر أيوب انما اعتمدوا فيما يقولون على ما جاء عند أهل الكتاب فى السفر المسمى سفر أيوب وإذا ثبت أن هذا السفر حقيقى فعبارته مؤوله

ففى هذا السفر ما نصه (فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب

بقرح ردیء من باطن قدمه الى هامته . فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد ص ٢ أيوب

لانه مثل خبزى يأتيني أنيني ومثل المياه تنسكب زفرتى ص ٣ آية ٢٤

١ ـ قد كرهت نفسي حياتى . أسيب شكواى . أتكلم فى مرارة نفسى ص ١٠ ٣٨ ص ١٣ وأنا كسوس يبلى كثوب أكله العث)

قرءوا ذلك فحسبوا هذا القول على وجه الوصف الحقيقى ولو تدبروا لعلموا أن سفر ايوب يشبه قصائد شعرية قيلت فى وصف ضره وصبره والشعر فى كل لغة ميدان المبالغة

انظروا الى قول عمر بن الفارض رضى الله عنه

فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى　　وايقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى　　ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى

وهذا المتنبي يقول .

كفى بجسمى نحولا أننى رجل　　لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

ويقول : ولو أن ما بى من جوى وصبابة　　على جمل لم يدخل النار كافر

أى ان الجمل يلج حينئذ فى سم الخياط ويحصل المعلق عليه فى قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)

وآخر يقول :

ولو قلم ألقيت فى شق رأسه　　من السقم ما غيرت من خط كاتب

وآخر يقول :

نحلت فلو علقت فى رجل ذرة　　لطارت ولم تشعر بأنى تعلقت
ولو نمت فى جفن الذباب معرضا　　من السقم لم تشعر بأنى قد نمت

الملاحظة الثانية — أن القرآن الكريم ذكر أن الله أمر أيوب أن يأخذ بيده ضغثا فيضرب به وبذلك لا يكون حانثاً فما هذه الحادثة ؟ والجواب

عن البيضاوى - روى أن زوجته ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف أن برئ ليضربنها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود

وعن الالوسى - أن امرأته رحمة بنت افرايم أومنسا بن يوسف أوليا بنت يعقوب أو ماخير بنت منسا بن يوسف على اختلاف الروايات ذهبت لحاجة فابطأت أو بلغت أيوب عن الشيطان أن يقول كلمة محظورة فيبرأ وأشارت عليه بذلك فقالت له الى متى هذا البلاء كلمة واحدة ثم استغفر ربك فيغفر لك أو جاءته بزيادة على ما كانت تأتى به من الخبز فظن أنها ارتكبت فى ذلك محرما فحلف ليضربنها ان برئ مائة ضربة فأمره الله بأخذ الضغث (وهو الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو قضبان) ولقد شرع الله تعالى ذلك رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهى رخصة باقية فى الحدود فى شريعتنا وفى غيرها أيضا لكن غير الحدود يعلم منها بالطريق الاولى

بقى أن أقول . ان يعقوب ليس له بنت تسمى ليا بل ابنته تسمى (دينا) وهذا على علاته إنما يتمشى على قول من يقول أن أيوب بكر عيسو أخى يعقوب

وعلى كل حال . فلم يرد عند أهل الكتاب أنه كان موجودا فى زمن افرايم أومنسا ولدى يوسف

أما ماجاء فى القرآن الكريم عن قصته فاقرءوه فى هذه الآيات .

سورة الانبياء - وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ٨٣ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ٨٤

سورة ص - واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ٤١ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ٤٢ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الالباب ٤٣

وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب ٤٤

يونس عليه الصلاة والسلام

ذكر يونس عليه الصلاة والسلام فى القرآن الكريم باسمه أربع مرات سورة النساء آية ١٦٣ . الانعام آية ٨٦ - يونس آية ٩٨ - الصافات آية ١٣٩

وذكر أيضا فى سورة الانبياء فى قوله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا الخ) ولم يعلم عنه فى كتب التفسير والحديث إلا أنه يونس بن متى - ويقول أهل الكتاب أمتاى ولم يزد نسبه عندهم وعندنا على هـذا وقد ذكرت قصته فى سورتين من القرآن الكريم فى سورة الانبياء وفى سورة الصافات - وتلخص فى أن الله أمره بان يذهب إلى أهل مدينة لهدايتهم وإرشادهم إلى الله تعالى نخشى أنهم لا يسمعون لقوله . ولما كان أمر الله له محتما أراد أن يبتعد عن عن ذلك البلد فنزل فى سفينة فسلط الله عليها ريحا وهاج البحر واضطرب وكان من عادة الناس فى ذلك الزمن متى حصل لهم مثل هذا علموا أن فى السفينة عبداً آبقا أو رجلا آثما فعملوا القرعة فخرجت على يونس فألقوه فى اليم فالتقمه حوت . فرجع إلى الله تائباً اليه منيبا فقبل الله توبته ونجاه مما هو فيه فألقاه الحوت من جوفه بالعراء وهو ضعيف مما احل به مدة بقائه فى جوف الحوت وأنبت الله عليه شجرة من يقطين - قالوا وكانت الاروية وهى نوع من الغزلان ترضعه بلبنها حتى قوى . ثم جفت اليقطينة التى نبتت عليه فأسف لذلك فعاتبه الله على أسفه على قطينة لم يخلقها ولم تكن له يد فى تنميتها - أفلا تبلغ

المدينة التى أرسل الى أهلها ومن فيها ان تكون عند الله بمنزلة اليقطينة عنده وهو الذى خلقهم ورزقهم وأمدهم بالاموال والبنين والله يريد أن يرسله اليهم لتكون نجاتهم على يده وسلامتهم من عذاب الله بسببه

لم يكن من يونس بعد ذلك الا أن ذهب اليهم وحذرهم وأنذرهم . فبعد مماطلة منهم واحساسهم بأس الله تابوا وأنابوا ورجعوا الى الله فسلموا ومتعهم دهرا حتى غيروا فغير ما بهم والله يحكم لا معقب لحكمه

وقد اضطربت كلمة أهل التفسير فى البلد الذى أرسل الله يونس صلوات الله عليه الى أهله — فقال فريق إنه (نينوى) بكسر النون الاولى وضم الثانية كما ضبطه الالوسى وهى من بلاد الموصل فوق العراق — وقال آخرون انه كان أحد الملوك غزا بنى اسرائيل واسر منهم تسعة أسباط ونصف سبط وذلك فى مدة الملك حزقيل . فاوحى الله الى شعياء النبى أن اذهب الى حزقيل الملك وقل له يوجه خمسة من الانبياء لقتال هذا الملك وأمره أن يخرج فقال يونس هل أمرك الله تعالى باخراجى! قال لا قال : هل سمانى لك ؟ قال لا فقال يونس. فهاهنا أنبياء غيرى فالحوا عليه فخرج مغاضبا فاتى بحر الروم فوجد قوما هيئوا سفينة فركب معهم فلما وصلوا اللجة تكفأت بهم السفينة وأشرفت على الغرق فقال الملاحون معنا رجل عاص. ورسمنا ان ابتلينا بذلك أن نقترع ومن خرجت عليه القرعة ألقيناه فى البحر ولأن يغرق أحدنا خير من ان تغرق السفينة — فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس عليه السلام . فقال أنا الرجل العاصى والعبد الآبق ثم القى نفسه فى البحر فابتلعه الحوت فاوحى الله اليه ان لا يؤذيه وأنه لم يجعله له طعاما بل جعل الحوت سجنا له فمكث فى بطن الحوت ما شاء الله وهو يسبح وينادى ربه الى أن قذفه الحوت بالعراء ثم أنبت الله عليه شجرة يقطين فلما جفت حزن عليها فقيل له أتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة الف

أو يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب راحتهم — فتوجه اليهم وطلب من الملك أن يطلق بنى اسرائيل وأن الله يأمره بذلك فأبى وقال ما نعرف ما تقول فأنبأهم أن العذاب واقع بهم اذا لم يؤمنوا فأبوا عليه — ولما ابتدأ العذاب يحل بهم تابوا وأنابوا وتضرعوا وطلبوا يونس فلم يجدوه فى المدينه وبحثوا عنه فوجدوه وأنابوا الى الله فكان فى توبتهم نجاتهم وبعثوا معه بنى اسرائيل

وأنا لا أنكر من القصة على هذا الوجه سوى أن القصة كانت بسبب أسر بنى اسرائيل وأيضا فان صدر القصة يستدعى أنه انما خرج للحرب لا للدعوة والهداية — وقد ذكر الالوسى وجوها كثيرة فى تفسيرها واللائق بالحق أن يقتصر فى فهم القصة على ما نصه الكتاب الكريم — اقرءوا الآيات القرآنية

سورة يونس . فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ٩٨

سورة الانبياء — وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ٨٧ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ٨٨

سورة الصافات . وان يونس لمن المرسلين ١٣٩ اذ أبق الى الفلك المشحون ١٤٠ فساهم فكان من المدحضين ١٤١ فالتقمه الحوت وهو مليم ١٤٢ فلولا أنه كان من المسبحين ١٤٣ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ١٤٤ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ١٤٥ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ١٤٦ وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون ١٤٧ فآمنوا فمتعناهم الى حين ١٤٨ — ومعني للبث فى بطنه الى يوم يبعثون أنه لا يخرج من بطنه حيا اصلا لا أنه يبقى حيا ثم يخرج كذلك يوم البعث

وهنا مسائل

١ — ممن ذهب يونس مغاضبا

والجواب — أن يونس لما كلف بدعوة قوم ليسوا من عشيرته ولا من

بلده ثقل عليه ذلك وخشى أن يطغوا عليه أو ينالوه بالاذى فذهب على وجهه مريدا الابتعاد عن الجهة التى هم فيها عالما أن الله تعالى لن يعجزه أن يرسل اليهم نبيا آخر يكون أقدر على اقناعهم والتلطف بهم وفى ذلك راحته من عنتهم وامنه على نفسه منهم . وهو فى ذلك لا يظن انه يغضب الله تعالى وان كان ذهابه على هذا الوجه بهيئة الغاضب — وقال البيضاوى . مغاضبا لقومه (الذين وجه لارشادهم) لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر — وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وقال الالوسى (إذ ذهب مغاضبا) اى غضبان على قومه لشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مع طول دعوته اياهم وكان ذهابه هذا هجرة عنهم لكنه لم يؤمر به

٢ — كيف يظن يونس ان الله لا يقدر عليه وهو نبي ومثل ذلك الظن ينزه عنه الانبياء

والجواب — ان يونس لم يكن يتوهم انه بابتعاده عن القوم الذين ارسل اليهم يخرج من قبضة قدرة الله تعالى . ولكنه كان يظن ان الله تعالى لا يحتم عليه الرجوع اليهم بل اذا ابتعد عنهم كلف الله غيره من الانبياء واعفاه منهم

قال البيضاوى (فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرىء مثقلا . او لن نعمل فيه قدرتنا . وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا أو خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة

وفى الالوسى كلام مطول لا يخرج عن هذه المعانى

وفى اعتقادى ان يونس كلف بالذهاب الى اولئك القوم عقيب نبوته ولم يكن قد مرن على النبوة وواجباتها وآداب اهلها . لان العلم بذلك يستدعى مدة

وتكرر الوحى والازدياد من معرفة الله تعالى والارتياض على الوحى وتلقيه لحداثته فى النبوة هى التى خيلت اليه ما قلنا من انه خيل اليه انه بابتعاده وتغربه فى البلاد ربما استتبع اعفاءه من تلك المأمورية . أضيفوا الى ذلك انه كان حدث السن فقد اورد الالوسى فى تفسيره ان سنه كانت ثمانيا وعشرين سنة ومن كان حديث العهد بالنبوة وفى مثل سن يونس يغتفر الله تعالى لهم بعض ما عملوه عن غير تمرد وقصد جازم الى المعصية .

٣ — كيف يمكث يونس فى بطن الحوت ولم يمت

الجواب . ان المفسرين اختلفوا فى مدة مكث يونس فى بطن الحوت فقال قوم انه لفظه كما التقمه اى انه لفظه ساعة التقامه ولو ان الامر كما قالوا لما قال الله (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) لان وصوله الى حال السقم يستدعى وقتا طويلا

وقال بعضهم انه مكث ثلاثة ايام . وقال بعضهم سبعة ايام وقال آخرون ان المدة كانت اربعين يوما والقول بان المدة كانت ثلاثة ايام اشبه بالحق . وليس بغريب ان يمكث فى بطن الحوت هذه المدة . اذ يحتمل ان يكون ذلك الحوت من فصيلة القيطس ـ والقيطس عظيم الخلقة وراسه ثلثه فهو أشبه بالحجرة الواسعة وبذلك يجد فيها متنفسا ولا ينقطع عنه الهواء ـ والقيطس من عادته أن يظل قريبا من وجه الماء ليتنفس الهواء لانه من الحيوان الذى يتنفس برئته لا بخياشيمه كما تتنفس الاسماك وعلى ذلك فيمكن بقاؤه فى جوفه تلك المدة مع معاناة المشقة التى أوجبت له السقم

٤ . من أى بلد كان يونس

الجواب أن القرآن لم ينص على بلده والمفسرون لم يقطعوا بذلك البلد وقرائن الاحوال تفيد أنه عبرانى فاسمه واسم أبيه أو أمه يشيران إلى ذلك . ويسمى عند أهل الكتاب، يونان بن أمتاى وفى سفر يونان أنه ركب الفلك من مدينة يافا وعلى الجملة فلا يوجد فى هذا الباب شىء مقطوع به

ولا يستبعد الالوسى أن يكون الحوت من حيتان دجلة لأنه رأى بعض الحيتان كبيرة وأنا أستبعد أن يكون الحوت من حيتانها والاشبه أن يكون قيطسا تسرب إلى البحر الابيض المتوسط إذ هو يندر وجوده فيه لأنه دائما يأوى إلى الجهات القطبية ونحوها وإنما يصل إلى البحار الاخرى نادراً فالالوسى يميل إلى أن الحوت من حيتان دجله ليكون لفظ الحوت ليونس بالقرب من نينوى - وعندى أنه لا مانع من أن يكون الحوت الذى التقم يونس عليه السلام كان بالبحر الابيض المتوسط ولفظه على ساحله ثم ذهب بعد أن ملك صحته إلى نينوى

يونس عليه السلام عند اهل الكتاب

يسمى يونس عليه السلام عند أهل الكتاب يونان بن أمتاى . وله كتاب فى ضمن الكتب القانونية التى قبلتها الكنيسة . وكتابه يقع فى أربعة إصحاحات (فصول)

ومضمونه أن الله أمر يونان أن يذهب إلى نينوى لأن شرهم قد كثر . فقام يونان ليهرب إلى (ترشيش) من وجه الرب فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فنزل فيها بعد أن دفع الأجر . فارسل الله ريحاً شديدة فحصل نوء عظيم حتى كادت السفينة تغرق ويهلك من فيها . فكان كل واحد ينادى إلهه ويونان نائم فى قاع السفينة فايقظوه . وعملوا قرعة لمعرفة من كان سبباً فى غضب الله فخرجت القرعة عليه وحدثهم بقصته وأرادوا الرجوع إلى الساحل فلم يقدروا فأشار عليهم بأن يلقوه فى اليم ليسكن عنهم غضب الله فألقوه فالتقمه حوت عظيم وسكن هيجان البحر عن القوم - فدعا يونان إلهه من جوف الحوت وتضرع واستغاث وظل على ذلك ثلاثة أيام وثلاث

ليال . ثم لفظه الحوت بالساحل ثم أمره الله أن يذهب إلى نينوى . فذهب وأوحى الله اليه أن ينادى بان نينوى ستهلك بان تنقلب على أهلها بعد أربعين يوماً . فآمن أهل نينوى بالله وصلوا وصاموا وتضرعوا إلى الله وأنابوا . وبلغ الامر ملك نينوى ففعل فعل أهل مملكته وأمر بفصل صغار البهائم عن أمهاتها والحيلولة بين الدواب والعلف والماء

ولما مضت الاربعون لم يحصل لاهل نينوى شيء مما أنذروا به . فاغتم يونان لان وعيده لم يتحقق فخرج من المدينة واتخذ لنفسه كنا يكون فيه . فأنبت الله عليه يقطينة فأسرعت فى النمو وأظلت كنه بأوراقها ففرح بها وفى اليوم الثانى سلط الله عليها دودة فأكلت أصلها وهبت عليها ريح حارة فجففتها . فاغتاظ يونان وقال موتي خير من حياتي . فأوحى الله اليه . هل اغتظت من أجل اليقطينة . فقال (اغتظت بالصواب حتى الموت)فقال الله : أشفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها التى بنت ليلة نبتت وبنت ليلة هلكت أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من اثنتى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة ؟هذا مجمل لما جاء فى كتاب يونان

أقول أن ترشيش تطلق على مكانين أحدهما فى شرقى افريقية الجنوبى أو جنوبي آسيا والثاني مدينة من مدن اسبانيا يظن أنها قرطاجنة — وظاهر أن السفن من يافا لا توصل إلى شرقى أفريقية مباشره وإنما تصل اليها السفن التى تذهب من خليج أيلة وإنما السفن من يافا توصل إلى ترشيش إسبانيا اللهم إلا إذا قيل ان السفن كانت تدور حول افريقية حتى تأتى إلى شرقى تلك القارة ثم تعود دائرة حولها

جاء فى قاموس الكتاب المقدس مجلد ١ — ص ٨٤ ما يأتى

ترشيش (أرض صخرية) يقال أن سفن سليمان وحيرام كانت تأتى اليها كل ثلاث سنين مرة إلى مكان يسمى بهذا الاسم على الشاطئ الشرقى من افريقيا أو إلى فرضة بين فرض جنوبى آسيا فتحمل منه ذهبا وفضة وعاجا وقروداً وطواويس ١ مل ١٠ — ٢٢ و٢أى ٩ :٢١) ولما كان يقتضى لتلك السفن ثلاث سنين لكى تعود من سفرها ترجح . اما ان ترشيش بعيدة جداً عن أرض يهوذا . أو أن السفن كانت تذهب الى فرض أخرى أبعد منها بعد أن تمر بها وتتم شغلها فيها . ولهذا كان يقتضى لها ثلاث سنين ذهابا وإيابا

وكانت ترشيش أيضا تطلق على مدينة شهيرة وفرضة أمينة فى جنوبى اسبانيا وهى اسم لنهر ومقاطعة أيضا . وقد تباينت الآراء فى تسميتها فالترجمة السبعينية تدعوها قرطاجنة — والمعلوم عندنا أن النبي يونان هرب اليها فى جهة مخالفة لجهة نينوى . وأن سفن سليمان أقلعت اليها مع عمارة حيرام من صور . لان ترشيش كانت مستعمرة فينيقية وكثيراً ما كانت الريح الشرقية تدفعها فتصدم سفن ترشيش المحملة بأثمن البضائع وتكسرها فى عباب بحر الروم (مز ٤٨ : ٧ حز ٢٧ : ٢٦) وكانت ترشيش غنية جداً فى المعادن كالفضة والحديد والقصدير والرصاص (حز ٢٧ : ١٢) وطالما تحدثت الكتبة فى غنى ترشيش فقد جاء بان ٤٠٠٠٠ شخصاً كانوا يستخرجون منها المعادن فى زمن الرومان وانها كانت تدفع ٢٥٠٠٠ درهما من الفضة سنويا إلى الجمهورية الرومانية ولجهلنا جغرافية تلك الاعصر لا سبيل لنا إلى التوفيق بين القولين أن يهوشافاط بنى سفن ترشيش على البحر الاحمر لتذهب إلى أوفير (١ مل ٢٢ : ٨٤) وأن هذه السفن عملت لتذهب إلى ترشيش ولم تذكر اوفير (٢أى ٢٠ : ٣٦ قابل ١ مل ٩ : ٢٨ و٢ أى ٩ : ٢١) فترتب على ذلك تأويل عديدة للتوفيق بين القولين من جملتها أن المقصود بسفن ترشيش . السفن الكبيرة اه

استدراك

ورد ذكر يونس عليه السلام أيضا فى القرآن الكريم باسم صاحب الحوت فى قوله تعالى فى سورة ن (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ٤٨ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ٤٩ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ٥٠)

آيات عامة

بما نزل بالامم الخالية من العذاب لما كذبوا رسلهم

سورة الاعراف — وما أرسلنا فى قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ٩٤ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ٩٥ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ٩٦ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ٩٧ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ٩٨ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ٩٩ أو لم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

١٠٠ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ١٠١ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ١٠٢

سورة التوبة — ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٧٠

سورة هود — ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ٨٩

سورة ابراهيم — وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ٤ وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد ٨ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وأنا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب ٩

سورة الاسراء — وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ١٥ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ١٦ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيرا ١٧

سورة الحج — وأن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ٤٢ وقوم ابراهيم وقوم لوط ٤٣ وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ٤٤ فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ٤٥

سورة الفرقان — وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما ٣٧ وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ٣٨ وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ٣٩ ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ٤٠

سورة الشعراء — وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ٢٠٨ ذكرى وما كنا ظالمين ٢٠٩

سورة العنكبوت — وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ٣٨ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين ٣٩ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٤٠

سورة فاطر — وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور ٤

وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ٢٥ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ٢٦

سورة غافر — وقال الذي آمن ياقوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ٣٠ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ٣١

سورة فصلت — فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ١٣ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون

سورة ق -- كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ١٢ وعاد وفرعون واخوان لوط ١٣ وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ١٤

سورة الحاقه - كذبت ثمود وعاد بالقارعة ٤ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ٥ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ٦ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ٧ فهل ترى لهم من باقية ٨ وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئه ٩ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ١٠

سورة الفجر — ألم تر كيف فعل ربك بعاد ٦ ارم ذات العماد ٧ التى لم يخلق مثلها فى البلاد ٨ وثمود الذين جابوا الصخر بالوآد ٩ وفرعون ذى الاوتاد ١٠ الذين طغوا فى البلاد ١١ فأكثروا فيها الفساد ١٢ فصب عليهم ربك سوط عذاب ١٣ إن ربك لبالمرصاد ١٤

سورة هود - ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ١٠٠ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب ١٠١ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد ١٠٢

آيات عامة

ذكر فيها أسماء بعض الانبياء والمرسلين اجمالا

سورة البقرة - قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ١٣٦

سورة آل عمران — ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل

عمران على العالمين ٣٣ ذرية بعضها من بعض والله سميع علیم ٣٤

قل آمنا بالله وماأنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ٨٤

سورة النساء — انا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ١٦٣ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ١٦٤ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ١٦٥

سورة الانعام — وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ٨٣ ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ٨٤ وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ٨٥ واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ٨٦ ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ٨٧

سورة الانبياء — واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين ٨٥ وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين ٨٦

سورة الاحزاب — وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ٧

سورة ص — واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار ٤٥ انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ٤٦ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ٤٧ واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار ٤٨

المسيح عيسى بن مريم

هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه.وهو آخر انبياء الله ورسله من بنى اسرائيل كما أن آخر الانبياء والرسل من بنى الانسان جميعا محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ذكر اسمه فى القرآن بلفظ المسيح تارة وهو لقب لهو بلفظ عيسى وهو اسمه العلمى وهو بالعبرية (يشوع) أى المخلص اشارة إلى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم.وبكنيته (ابن مريم) تاره أخرى

ومن الجدول الآتى تتبين أنه ذكر فى ثلاث عشرة سورة من القرآن الكريم فى ثلاث وثلاثين آية منه وسيأتى ذلك وها كم الجدول الموعود

جدول أرقام الآيات التي ذكر فيها سيدنا عيسى عليه السلام

اسم السورة	رقم السوره	عدد الآيات	أرقام الآيات	المسيح	عيسى	ابن مريم
البقرة	٢	٣	٨٧		—	—
			١٣٦		—	
			٢٥٣		—	—
آل عمران	٣	٥	٤٥	—	—	—
			٥٢		—	
			٥٥		—	
			٥٩		—	
			٨٤		—	
النساء	٤	٤	١٥٧	—	—	—
			١٦٣		—	
			١٧١	—	—	—
			١٧٢	—		
المائدة	٥	٩	١٧	—٢		—٢
			٤٦		—	—
			٧٢	—٢		—
			٧٥	—		—
			٧٨		—	—
			١١٠		—	—
			١١٢		—	—
			١١٤		—	—
			١١٦		—	—

ملاحظة: الآية المؤشر عليها برقم ٢ هكذا ٢ تدل على ان الاسم ذكر فيها مرتين .

تابع جدول أرقام الآيات التى ذكر فيها عيسى عليه السلام

اسم السورة	رقم السورة	عدد الآيات	أرقام الآيات	المسيح	عيسى	ابن مريم
الانعام	٦	١	٨٥		—	
التوبة	٩	٢	٣٠	—		
			٣١	—		—
مريم	١٩	١	٣٤		—	—
المؤمنون	٢٣	١	٥٠			—
الاحزاب	٣٣	١	٧		—	—
الشورى	٤٢	١	١٣		—	
الزخرف	٤٣	٢	٥٧			—
			٦٣		—	
الحديد	٥٧	١	٢٧		—	—
الصف	٦١	٢	٦		—	—
			١٤		—	—
		٣٣		١١	٢٥	٢٣

والمسيح من بلدة يقال لها الناصرة وهى تتبع مدينة داود المعروفة ببيت لحم

نسب المسيح عند النصارى

ان النصارى اذا ذكروا نسب المسيح فانما يذكرون نسب يوسف النجار بناء على أن المسيح كان يدعى يسوع بن يوسف النجار

أما يوسف النجار فهو شاب صالح من شبان اليهود من قوم مريم ويقول لوقا فى الاصحاح الاول فى الفقرة ٢٧ من انجيله انه من بيت داود - وكانت مريم مخطوبة ليوسف قبل ان تحمل بالمسيح . ولما وجدت حاملا أسر فى نفسه أن يتركها ولا يشهر بها لانه كان بارا فامر فى منامه بامساكها لانها بريئة من الدنس متى ص ١ — ٢٠

ونشأ يسوع (عيسى) وهو مشهور بانه ابن يوسف النجار . ويقول برنابا ان مريم اتخذت يوسف النجار عشيرا لها من حين احست بالحمل حتى لا تظن بها الظنون

أقول . وهذه العادة — عادة اتخاذ العشير موجودة فى اليهود الى اليوم . ياتى الشاب الى أهل الفتاة ويخطبها . وحينئذ يتعاشران بدون اتصال زوجى ويقيمان على ذلك مدة كافية حتى اذا رضيت أخلاقه ورضيها أتما الزواج ودخل بها وعاشرها معاشرة الارواج . واذا لم يرض أحدهما أخلاق الآخر فسخت الخطبة وذهب كل منهما لسبيله

وقد اختلف المسيحيون فى نسب المسيح الذى هو نسب يوسف النجار اختلافا ظاهرا لا مفر المطلع عليه من الحكم بتناقض كل من متى ولوقا فى ذلك النسب وهما المنفردان بذكره من بين سائر من كتبوا الاناجيل

نسب المسيح فی انجیل متی

يسوع بن يوسف النجار بن يعقوب بن
متان بن اليعازر بن اليود بن اخيم بن
صادوق بن عازور بن الياقيم بن ابيهود
ابن زربابل بن شلتائيل بن يكنيا بن
يوشيا بن أمون بن منسا بن
حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عزيا بن
يورام بن يهوشافاط بن آسا بن أبيا
بن رحبعام بن سليمان بن داود بن
يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون
ابن نحشون بن عمينا داب بن آرام بن
حصرون بن فارص بن يهوذا بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

نسب المسيح فی انجیل لوقا

يسوع بن يوسف النجار بن هالى بن متثان
ابن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف
ابن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن
حسلى بن نجاي بن ماث بن متاثيا بن شمعى
ابن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا
ابن زربابل بن شلتائيل بن نيرى بن
ملكى بن ادى . بن قصم . بن المودام
ابن عير . ن يوسى . بن اليعازر بن
يوريم بن متثان بن لاوى بن شمعون
بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم
ابن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان
ابن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز
بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن
أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا
بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

إذا قارنا بين النسبين وجدنا (١) متى يقول . ان يوسف بن يعقوب — ولوقا يقول — يوسف بن هالى (٢) متى يقول ان المسيح من أولاد سليمان بن داود ولوقا يقول . انه من أولاد ناثان بن داود (٣) متى يقول ان آباء المسيح من داود الى جلاء بابل سلاطين مشهورون . ولوقا يخالفه ويذكر انهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان (٤) ذكر متى أن شلتائيل بن يكنيا

ولوقا يقول انه ابن نيري (٥) يقول متى ان ابن زربابل ابيهود ويقول لوقا أناسمه ريسا مع أن اسماء بنى زربابل مـكتوبة فى الاصاح الثالث عشر من السفر الاول من أخبار الايام وليس فى اسمائهم ابيهود ولاريسا(٦) يقول متى ان بين داود والمسيح ستة عشر جيلا ويقول لوقا أن بينهما واحدا وأربعين جيلا

أما مريم عليها السلام فقد ذكرت فى القرآن الـكريم احدى عشرة مرة فى سورة آل عمران فى الآيات ٣٦ و ٣٧ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤

وفى سورة مريم فى آية ١٦ و ٢٧ وفى سورة المؤمنون آية ٥٠ وفى سورة الزخرف آية ٥٧ وفى سورة التحريم آية ١٢ وفى سورة النساء آية ١٥٦

وقد ذكرت بدون اسمها العلمى فى قوله تعالى والتى أحصنت فرجها

وقد ذكرت قصة المسيح فى القرآن متعددة منها ما حصل فى هذا العالم ومنها ما هو مزمع أن يقع يوم الدين وسيأتى ذلك كله

ولما كانت مريم أم عيسى متقدمة عليه فى الوجود وكان وجودها وأحوالها ارهاصا بوجوده وما ينتظر أن يكون منه أحببنا تقديم قصصها ومواقفها قبل الكلام على مواقف ابنها عيسى عليه السلام

مريم بنت عمران

كان عمران أبو مريم رجلا عظيما بين العلماء فى بنى اسرائيل وقد حملت زوجه فلما أحست الحمل نذرت ما فى بطنها محررا لله لخدمة بيته على ما كانت عليه العادة عند بنى اسرائيل . فلما وضعت تبينت أن الجنين الذى انفصل منها انثى وكانت ترجو أن يكون ذكرا ليخدم فى بيت الله فتوجهت الى الله تعالى كالمعتذرة أو الآسفة قائلة (رب انى وضعتها أنثى) - (والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان

الرجيم) ولكن الله تعالى تقبل تلك المولودة بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا

والظاهر أن عمران قد توفى وابنته صغيرة تحتاج الى من يكفلها ويقوم بشأنها فلما قدمتها أمها الى رعاة الهيكل اختلفوا فيمن يقوم بكفالتها وألقوا على ذلك قرعة . فكان الكافل لها زكرياء والد يحي عليه السلام

وكان زوجا لخالة مريم . وفى أثناء رعايته لمريم كان يجد عندها رزقا من رزق الله لم يأتها به ولا وجود له عند الناس فى ذلك الوقت فيسائلها قائلا (يا مريم أنى لك هذا) فتجيبه قائلة . من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب

وكانت ملائكة الله تعالى تأتى الى مريم وتخبرها باصطفاء الله تعالى واجتبائه اياها وتطهيرها من الارجاس والادناس وتحثها على الاجتهاد فى العبادة والقنوت لله

هكذا نشأت مريم على الطهارة والبعد عن كل دنس ودامت على ذلك

اقرأوا هذه الآيات

سورة آل عمران . ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ٣٣ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ٣٤ اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم ٣٥ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ٣٦ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ٣٧

سورة آل عمران . واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ٤٢ يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين

٤٣ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ٤وما كنت لديهم اذ يختصمون ٤٤

وليس عند اهل الكتاب كلام فى ولادة مريم وكفالة زكريا اياها ولا نذرها

تبشير مريم بعيسى

نشأت مريم نشأة طهر وعفاف وبعد عن الاسعاف الى رذيلة مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته . فلما بلغت مبلغ النساء وجدت وقتا فى خلوة وحدها فلم ترع الا بالملك جبريل الذى ارسله الله اليها جاءها على صورة فتى فأخذها الرعب وظنته يريد بها سوءا فاستعاذت منه ووصفته بعدم التقوى قائلة (انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) والذى اميل اليه ان (إن) نافية — فاعلمها أنه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاما زكيا — فاخذها العجب من ذلك. اذ كيف يكون لها ولد وهى لم يمسها أحد من الناس . فهون عليها الامر واحال على قدرة الله تعالى وهو الاله الذى لا يعجزه شىء ونفخ فى جيب درعها فاذا هى حامل

وفى بعض الآيات عبر الله عن الروح الذى جاءها بالملائكة بلفظ الجمع والجمع ليس مقصودا ولكن المقصود أن الذى كلمها كان من ذلك الصنف من خلق الله بدليل قوله بعد ذلك (قال كذلك) بالافراد

وكان فيما أخبرها الملك به ان ابنها يسمى المسيح عيسى بن مريم وانه يكون وجيها فى الدنيا والآخرة وأنه يكون من المقربين . وأنه يكلم الناس فى المهد وكهلا للاشارة الى أنه يكلمهم فى المهد بكلام انما يصدر مثله ممن كان كهلا وأن الله تعالى سيعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ويعطيه الانجيل اى البشارة وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله تعالى ورحمة منه لعباده اذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه من أوحال يتركسون فيها اذ كان اليهود قد صاروا

الى المادية وتجاوزوا حدود الله ولم يراعوا كتابه فأحلوا حرامه وحرموا حلاله فجاء لهدايتهم وردهم عن ضلالهم

ومعنى مسيح فى العبرية ملك - وليس المراد أنه صار ملكا على بنى اسرائيل بل هو اسم كما تسمى ولدك سلطانا أو أميرا - وقد يكون المراد أنه يأتيهم بمملكة الاخلاق والفضائل والرحمة وأنه يكون فى هذه الفضائل رأسا

أقرأوا هذه الآيات

سورة آل عمران : اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ٤٥

ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ٤٦

قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر . قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون

ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ٤٨

سورة مريم — واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ١٦

فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ١٧

قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ١٨

قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ١٩

قالت اني يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ٢٠

قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ٢١

أما كتاب الاناجيل فلم يتكلم أحد منهم على تبشير مريم بولادة عيسى سوى لوقا

فقد جاء فى ص ١ آية ٢٦ و فى الشهر السادس (اى من حمل اليصابات زوج
زكريا) أرسل جبريل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ٢٧
الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم ٢٨
فدخل اليها الملاك وقال سلام أيتها المنعم عليها · الرب معك مباركة انت فى
النساء ٢٩ فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ماعسى ان تكون هذه التحية
٣٠ فقال لها الملاك لاتخافى يامريم لانك قد وجدت نعمة عند الله ٣١ وها انت
ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ٣٢ هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى
ويعطيه الرب الا له كرسى داود ابيه ٣٣ ويملك على بيت يعقوب ولا يكون
لملكه نهاية
٣٤ فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلا ٣٥ فاجاب
الملاك وقال لها · الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك ايضا القدوس
المولود منك يدعى ابن الله ٣٦ وهو ذا اليصابات نسيبتك هى ايضا حبلى بابن
فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ٣٧ لانه ليس شىء
غير ممكن لدى الله ٣٨ فقالت مريم هو ذا · أنا أمة الرب ليكن لى كقولك
فمضى من عندها الملاك

وفى انجيل برنابا مانصه

الفصل الأول

بشرى الملاك جبريل للعذراء مريم بولادة المسيح

١ — لقد بعث الله فى هذه الايام الاخيرة بالملاك جبريل الى عذراء تدعى
مريم من نسل داود من سبط يهوذا ٢ بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل

طهر بدون ادنى ذنب المنزهة عن اللوم. المثابرة على الصلاة مع الصوم يوما ما وحدها وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلا « ليكن الله معك يامريم (٣) فارتاعت العذراء من ظهور الملاك ٤ ولكن الملاك سكن روعها قائلا لاتخافى يامريم لانك قد نلت نعمة من لدن الله الذى اختارك لتكوني ام نبي يبعثه الى شعب اسرائيل ليسلكوا فى شرائعه باخلاص ٥ فاجابت العذراء وكيف الدبنين وأنا لا أعرف رجلا ؟ ٦ فأجاب الملاك . يامريم ان الله الذى صنع الانسان من غير انسان لقادر أن يخلق فيك إنسانا من غير إنسان لانه لا محال عنده ٧ فأجابت مريم انى لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته ٨ فقال الملاك كونى حاملا بالنبي الذى ستدعينه يسوع ٩ فامنعية الخمر والمسكر وكل لحم نجس لان الطفل قدوس الله ١٠ فانحنت مريم بضعة قائلة ها أنا ذا أمة الله فليكن بحسب كلمتك ـ أقول .

أما قول لوقا (وابن العلى يدعى) وكذا قوله (المولود منك يدعى ابن الله) وقوله (ويعطيه الاله كرسى داود أبيه) فان هذه العبارات تفرد بها لوقا ولم يذكرها أحد من كتاب الاناجيل سواه ونحن لا نقول بأن الالهام قصر معهم — وفيهم أصحاب المسيح المشاهدون لاحواله العالمون بشأنه وأفاض على لوقا الذى ليس تلميذا ولا من الاثنى عشر بل رجل دخل فى الدين متأخرا وصار تلميذا لبولس الذى لم ير المسيح ولم يعاشره . فهذه العبارة مما جاء به ليزين أمر المسيح ويدخل على الناس تعظيمه والمسيح ليس فى حاجة الى ذلك وقد أورد صاحب (الفارق بين المخلوق والخالق) وجهين وجيهين فى الطعن على هذه الجملة وهى (ويعطيه الاله كرسى داود أبيه)

الاول — ان عيسى عليه السلام من أولاد يوائيم بمقتضى النسب الذى فى انجيل متى ومن كان من أولاد يوائيم لا يصلح أن يجلس على كرسى داود لانه لما أحرقت الصحيفة التى كتبها باروخ من فم النبي أرمياء عليه السلام نزل.

الوحى إلى أرمياء فقال كما فى ف ٣٠ من ص ٣٦ من كتاب أرمياء هكذا يقول الرب ضد يواقيم ملك يهوذا لا يكون منه جالس على كرسى داود

الثانى - أن المسيح مع كونه لم يجلس على كرسى داود . فهذا بيلاطس أمر بضربه واهانته وسلمه لليهود كما يزعم النصارى ففعلوا به ما فعلوا ثم صلبوه - على أنه يعلم من انجيل يوحنا فى ص ٦ أنه كان هاربا من قومه عند ماأرادوا أن يجعلوه ملكا. ولا يتصور أنه يهرب من أمر بعثه الله لاجله على ما بشر جبريل أمه العذراء قبل ولادته - ومعلوم أنه لم يملك بيت يعقوب ساعة فضلا عن الابد

وأما قوله وابن العلى يدعى . فهذه الجملة منتزعة من قول زكريا عليه السلام فى ابنه يوحنا (يحيى) - (وأنت أيها الصبى نبي العلى تدعى) فحرفت فى حق عيسى عليه السلام الى قول لوقا على لسان الملك (وابن العلى يدعى) ليوهموا الناس أن المسيح اله بن اله

حمل مريم بالمسيح وولادتها اياه

حملت مريم عليها السلام بالمسيح بمجرد نفخ الملك فى جيبها وطبعى أنها قد مرت بجميع أدوار الحمل الى أن ولدته

والقرآن الكريم لم يذكر عن تلك الادوار شيئا ويقول البيضاوى وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة . كما حملته نبذته اه

والذى أميل اليه أن كل هذا تكلف من أصحاب هذه الاقوال . لان أمره فى الحمل لما كان عجيبا أرادوا أن يجعلوه فى مدة الحمل أيضا عجيبا . ونحن ليس فى أيدينا ما يثبت العجيبة فى مدة الحمل فالا ليق أن يحمل على الامر الطبيعى الذى جرت العادة بمثله

ولما حان انفصال جنين مريم ألجأها المخاض الى جذع نخلة هناك في الموضع الذى فيه مدينة بيت لحم وهى على بضعة من الكيلومترات من بيت المقدس ويقول البيضاوى ان الزمن كان زمن شتاء والنخلة يابسة وانما كان مجيئها اليها لتستتر بها أو لتعتمد عليها

هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لما هي قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وما سيرمونها به من الفاحشة فقالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا (بالكسر والفتح) منسيا وهو اللبن المشوب بالماء يترك وينسى لحقارته فناداها مناد من تحتها أن لاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا

وهذا المنادى قيل هو جبريل كان فى مكان أسفل من مكانها وقيل المنادى هو عيسى عليه السلام والسرى هو النهر وقيل الوجيه من الناس ويؤيد كونه نهرا قوله بعد ذلك . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا . وقد أراد الله تعالى بهذا أن يسكن روعها وتعلم أن من أوجد لها الرطب من النخلة اليابسة فى الشتاء وأوجد لها الماء الجارى فى تلك الهضبة التى كانت عليها من الجبل قادر أن يرد عنها عيب العائبين وقذف القاذفين . فكلى واشربى وقرى عينا ولا يحزنك ما يقولون فاذا رأيت من البشر أحدا فقولى أنى نذرت للرحمن صوما عن الكلام فلن أكلم اليوم أنسيا وفى ذلك الحين يتولى الله تعالى البرهنة على براءتها

بقى أن يقال

١ - كيف يتولد عيسى عليه السلام من نفخة الملك فى جيب قميص مريم ونحن لم نر انسانا أتى من غير مباشرة الرجل للمرأة

والجواب على ذلك أن أمر الحمل جاء عجيبا دالا على قدرة الله تعالى اذ جعل المرأة تأتى بانسان من دون مباشرة رجل اياها وهذا ليس أعجب من خلق

السموات والارض وما فيها من عجائب . بل ليس أعجب من خلق الانسان من رجل وامرأة مع المباشرة ولا من خلق الحيوان وتقلبه فى الادوار الجنينية واحواله فى كل دور.كل ذلك ناطق بأنه صنع حكيم عليم قادر قدرة فائقة الوصف

والله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) فاذا كان المعترض ممن يقول بآيات الله ويقر بأن الله تعالى صنع العجائب لأنبيائه وغيرهم فالخطب سهل. وان كان ممن لا يقرون بالآيات مع الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم . قلنا وما تنكر من صنع الله وهو الذى أوجد آدم من غير أب ولا أم ؟ فالذى صنع آدم سهل عليه أن يصنع عيسى دون أب - وهذا صنع الله فى كل حين يصدر على خلاف ما مضت به السنة . فقد تضع المرأة قردا وهو من غير جنسها وقد تضع بعيرا اوشيئا آخر وهذا أمر يأتى فى كل حين وتطالعنا به الجرائد - فمن الجائز أن يأتى مولود كعيسى على خلاف ما مضت به عادة غير أمه من النساء - وأيضا الا يجوز ان الله تعالى أكن فى جرثومة مريم التى تخلقت منها جرثومة اخرى استكنت فى موضع الرحم بداخله . وظلت فى حالة خدر بدون نمو الى ان حان الوقت الذى اراد الله تعالى أن يظهر فيه العجيبة الدالة على قدرته وباهر حكمته فأرسل الملك وكان نفخه فى درعها سببا لتحرك هذه الجرثومة وأخذها فى النمو الطبيعى حتى جاءت انسانا سويا وهى على كل حال أمر عجيب غريب اذ لم تجر عادة النساء بهذا ؟ ان قدرة الله تعالى صغير فى جنبها ايجاد هذه العجائب - أيكون خلق انسان بدون مباشرة رجل أعجب من خلق هذا العالم العلوى وايجاد الكواكب السيارة والثابتة وتحرك كل فى مداره حركة منتظمة خاصة به على قانون متسق ولكل منها من الفوائد والتأثير فى هذا العالم الارضى ما ليس فى الآخر ولا يعارض أحدها الاخر ولا تبطل دورته ولا عمله عمل الآخر ولا دورته - وبعض هذه النجوم لا يصل الينا ضوؤه الا فى ملايين

السنين الضوئية وما كشف العلم من عجائب هذا الكون القريب والبعيد الا قليلا

ان أقرب عجائب المخلوقات التى تطالعنا بها الصحف ماجاء الى الاهرام ونشر بعدد يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٣٣ وهو الشهر الذى نحن فيه من فاقوس أن أحد الاهالى ولدت شاة عنده مولودا على هيئة القرد اى انه اشبه بالقرد منه بولد الضأن . وفى كتاب حضرة الفاضل الياس الغضبان (تاريخ الانسان الطبيعى) من الهول والمخلوقات الشاذة التى لم تجر على السنن الطبيعى الغالب فى جنسها شىء كثير جدا يقضى بالعجب . فليكن حمل مريم على الوصف الذى اوردنا واحدا من هذه الحوادث التى جاءت على غير المعهود فى نوعها فتبارك الله احسن الخالقين

٢ - ما بلغ سن مريم حين اتت بالمسيح عيسى ؟

الجواب — يقول البيضاوى فى تفسيره ان سنها كانت ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وانها حاضت قبل الحمل حيضتين فقط والذى اقوله انها كانت بلغت مبلغ النساء وكفى وأدع علم ذلك الى الله تعالى

٣ - ما الحكمة فى أمرها بهز جذع النخلة لتساقط عليها الرطب ولم كان رزقها رطبا ؟

والجواب انمريم لم يكن لها فى ذلك الحين من يهتم بأمرها . ولا تقدر وهى نفساء أن تجهز لنفسها الطعام وما يلزم لمثلها ممن هن فى حال النفاس وأيضا فان الرطب طعام وحلوى ولا يحتاج الى علاج ومعاناة صنع فكان ذلك رفقا بها - ويقول البيضاوى عن الرطب: انه خرسة(١) النفساء الموافقة لها أى انه أوفق طعام للوالدة

وقال البيضاوى ايضا انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله لها رأسا وفيها خوص وثمر . وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها

---

(١) خرسة بفتحتين طعام النفساء كما فى القاموس

واني لا أستبعد ذلك من قدرة الله تعالى والمعجزات ثابتة ولكن لا ينبغى لنا الاسراف فيها بدون برهان وهذا المقدار الذى بينه زائد عما ورد فى القرآن وفى غيره من الكتب التى تعرضت لهذا الموضوع فلا بدمن التحفظ فى قبول مثل هذه الاشياء ونقول انها كانت نخلة مثمرة

واقول ايضا . ان وجود النخل ببيت لحم وهى البلدة التى كانت بها مريم يوم ولادة المسيح نادر . وقد رايت بكنيسة بيت لحم المبنية على موضع ولادة المسيح مكانا قد قور البلاط فيه . يقولون ان فى موضع هذا التقوير كانت النخلة التى ولدت عندها مريم

وهناك مذود الماشية التى وضعت طفلها فيه عقب ولادته لانه لم يكن لها بيت يأويها فى ذلك البلد فأوت الى مكان الرعاة الذين كانوا غائبين بماشيتهم فى الرعى وولدت فيه . وهناك واد عميق بجانب المدينة يقال له وادى الرعاة

وسبب وجودها ببيت لحم ان الحاكم فى ذلك الزمان امر بعد الناس واثباتهم فى الدفاتر فجاءت مريم ومعها خطيبها يوسف النجار من ابناء عمومتها الى بيت لحم ليثبت نفسه ومريم فى التعداد فكانت الولادة هناك ـ وأما السرى الذى هو النهر فـلا وجود له فى ذلك المـكان ولعله كان عينا فاضت زمنا ثم غاضت

اقرءوا هذه الآيات :

سورة مريم ـ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ٢٢ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ٢٣ فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ٢٤ وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ٢٥ فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا ٢٦

سورة الانبياء — والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ٩١

سورة التحريم — ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ١٢

سورة آل عمران — ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ٥٩

لم يتكلم من أصحاب الاناجيل عن الحمل بالمسيح سوى متى ولوقا وعبارة متى مختصرة فقد جاء فى الآية ١٨ ص ١ وما بعدها . أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا — لما كانت مريم أمة مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . ولكن فيما هو متفكر فى هذه الامور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يايوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم

وعبارة لوقا ص ١ — ٢٦ . وفى الشهر السادس (أى من حمل اليصابات زوج زكريا) أرسل جبريل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ٢٧ الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم ٢٨ فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت فى النساء ٢٩ فلمارأته اضطربت من كلامه وفكرت . ماعسى أن تكون هذه التحية ٣٠ فقال لها الملاك لا تخافى يامريم . لانك وجدت نعمة عند الله ٣١ وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا اسمه يسوع ٣٢ هذا يكون عظيما واستمر يقص قصتها بما يوافق ما جاء فى القرآن ولا يخالفه . وقد تقدم هذا

وجاء فى الفصل الثانى من برنابا

انباء الملاك جبريل يوسف بحبل العذراء مريم

أما مريم فاذا كانت عالمة مشيئة الله وموجسة خيفة أن يغضب الشعب عليها لانها حبلى فيرجمها كانها ارتكبت الزنا . اتخذت لها عشيرا من عشيرتها قويم السيرة يدعى يوسف لانه كان بارا متقيا الله يتقرب اليه بالصيام والصلاة ويرتزق بعمل يديه لانه كان نجارا . هذا هوا الرجـــل الذى كانت تعرفه العذراء واتخذته عشيرا . وكاشفته بالالهام الالهى ولما كان يوسف بارا عزم اذ رأى مريم حبلى على ابعادها لانه كان يتقى الله وبينا هو نائم اذا بملاك الله يوبخه قائلا لماذا عزمت على ابعاد امرأتك . فاعلم أن ما كون فيها انما كون بمشيئة الله فستلد العذراء ابنا وستدعونه يسوع تمنع عنه الخمر والمسكر وكل لحم نجس . لانه قدوس الله من رحم أمه فانه نبى من الله ارسل الى شعب اسرائيل ليحول يهوذا الى قلبه ويسلك اسرائيل فى شريعة الرب كما هو مكتوب فى ناموس موسى وسيجيء بقوة عظيمة يمنحها له الله وسيأتى بآيات عظيمة تفضى الى خلاص كثيرين . فلما استيقظ يوسف من النوم شكر الله وأقام مع مريم كل حياته خادما لله بكل اخلاص

هذا هو ماجاء فى الاناجيل وهو لايخالف ما فى القرآن. غاية مافى الامر انها تزيد حكاية يوسف النجار وهى امر مسكوت عنه

وقد ذكرت فيما مضى أن اليهود اليوم يختار الرجل لابنته منهم عشيرا يعاشرها فى بيت أبيها مدة من الزمن فاذا رضيته ورضيها تم الامر بالزواج ولكل منهما فى أثناء المعاشرة قبل الزواج أن يتخلى عن الآخر . وكأن برنابا يقول ان مريم عولت على يوسف فى ستر أمرها وعبارة القرآن لا تمنع هذا

مريم تفكر فى أمرها

لم يكن علم مريم ببراءة ساحتها من الدنس بالشيء الذى يطمئن نفسها بل أخذت الهواجس تنتابها وتحسب لما سيقول الناس عنها الف حساب . ولقد زادت وساوسها حين أخذها المخاض ورأت ماسيحسبه الناس جريمة لها ماثلا أمام عينها فقالت ما قصه الله تعالى عنها فى قوله جل من قائل . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا

ولكنها كانت تريد الجواب الذى تجيب به لوامها والزارين عليها والمعيرين لها . فقال لها معلما ومرشدا . فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا وكان الصوم عن الكلام ضربا من العبادة كما يفعل غاندى اليوم من الصوم عن الكلام يوما فى كل اسبوع

فلما أتت قومها وعلى يدها عيسى تحمله . ارتاعوا لهذا الحدث النازل والخطب العظيم وزاد فى ارتياعهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت وطيب البيئة ونشأة التقوى التى نشأتها فأخرجهم ذلك الى الزراية عليها وتعنيفها على ما أتت به من أثم فى زعمهم وما قارفت من خطيئة وقالوا لها فيما قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أى بديعا منكرا من الاثم يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا

وهنا اختلف المفسرون فى قوله تعالى يا أخت هارون تلك الكلمة التى نطق بها قومها فقال بعضهم انها كانت من ذرية هرون عليه السلام فقالوا يا أخت هرون كما يقال للتميمى يا أخا تميم وللازدى يا أخا الازد وهذا يقتضى أن

مريم وابنها من ذرية لاوى بن يعقوب وليس بشىء لان شهرة انها من بيت داود . لا تحتاج الى بيان وقد كان المسيح يعبر بقوله : قال أبونا داود وان أبانا داود كما تكرر ذلك فى انجيل برنابا وقد جاء فى الاناجيل قول بعض المرضى للمسيح ياابن داود ارحمنى وداود من سبط يهوذا

وقال آخرون ان معنى يا اخت هرون تشبيه لها برجل فاسق كان فى زمانها يعيرونها بأنها تشبهه كما تقول للرجل تريد وصفه بشدة البطش والقتل ظلما يا أخا أبى حريشه (وهو رجل كان بالغربية زعيما لله وص وقد عمل أعمالا فظيعة وشنق فى طنطا سنة ١٣٠٢ وأهل الغربيه يشبهون به كل فتاك الى اليوم)

وقال آخرون ان هرون كان رجلا صالحا فى زمانها قالوا لها ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم بها لسوء جرمها فى نظرهم وهذا أقرب من سابقيه

سمعت مريم هذا القول وهى قد نذرت الصمت فأشارت الى ابنها وهو فى المهد طالبة اليهم أن يوجهوا اليه كلامهم . فعدوا ذلك غريبا وقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . فلم يمهلهم عيسى أن أجابهم الجواب الشافى الدال على براءة أمه والمؤذن بانه سيكون من أهل العلم الذين آتاهم الله الكتاب وأنه سيجعله نبيا ويبارك فيه أينما توجه وان الله أوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته وأنه سيكون برا بوالدته وسيكون عبدا متواضعا لاجبارا شقيا ـ اقرأ هذه الآيات

سورة مريم — فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ٢٧ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ٢٨ فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ٢٩ قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ٣٠ وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ٣١ وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ٣٢ والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ٣٣

أما ما جاء فى كتب العهد الجديد متعلقا بولادته فهاهو

لم يذكر متى شيئا من مولده سوى أنه ولد فى بيت لحم اليهوديه فى أيام هيرودس الملك ١ ص ٢ متى

وأما لوقا فذكر مولده باستفاضة

ص ٢ لوقا - ١ وفى تلك الايام صدر أمر من أوغسطس قيصر بان يكتتب كل المسكونه .... فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته ٤ فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ٥ ليكتتب مع مريم المخطوبة وهى حبلى ٦ وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ٧ فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود اذ لم يكن لها موضع فى المنزل

وقال برنابا فى الفصل الثالث

١ كان هيرودس فى ذلك الوقت ملكا على اليهودية بأمر قيصر أوغسطس ٢ وكان بيلاطس حاكما فى زمن الرياسة الكهنوتية لحنان وقيافا ٣ فعملا بأمر قيصر اكتتب جميع العالم ٤ فذهب اذ ذاك كل الى وطنه وقدموا أنفسهم بحسب أسباطهم ليكتتبوا ٥ فسافر يوسف من الناصرة الى احدى مدن الجليل مع امرأته وهى حبلى ذاهبا الى بيت لحم (لانها كانت مدينته وهو من عشيرة داود) ليكتتب عملا بأمر قيصر ٦ ولما بلغ بيت لحم لم يجد فيها مأوى اذ كانت المدينه صغيرة وحشد جماهير الغرباء كثيرا ٧ فنزل خارج المدينة فى نزل جعل مأوى للرعاة ٨ وبينما كان يوسف هناك تمت أيام مريم لتلد ٩ فأحاط بالعذراء نور شديد التألق ١٠ وولدت ابنها بدون ألم ١١ وأخذته على ذراعيها ١٢ وبعد أن ربطته باقمطة وضعته فى المذود ١٣ اذ لم يوجد موضع فى النزل ١٤ فجاء

جوق غفير من الملائكة الى النزل بطرب يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفى الله ١٥ وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع وقاما على تربيته بأعظم سرور

فالقارئ يرى أن تلك الكتب لم تذكر أمر النخلة ولا السرى بمعنى النهر كما هو أحد التأويلين ولا نذرها الصوم ولا تأنيب قومها لها ولا كلامه فى المهد وانما ذكر كل ذلك القرآن المهيمن على كتب اهل الكتاب. ولا غرابة فى سكوت كتب أهل الكتاب عن ذلك واثبات القرآن له فقد قال الله تعالى فى أهل الكتاب (فنسوا حظا مما ذكروا به)

إذ لا يمكننى أن افهم أن حادث حمل مريم يمر بين اليهود دون أخذ ورد وطلب محاكمة ولا يعقل أنهم صدقوها فى دعواها أن ذلك حصل بفعل الله دون ان يكون لانسان دخل فيه بمجرد قولها . وقد سكتت الاناجيل عن ذلك وانما ذكره القرآن فقط كما قدمنا . والظاهر من عبارة القرآن انهم رموها بالزنا كما فى قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما)

ختان المسيح

فى شريعة اليهود أن الطفل يختن بعد ثمانية أيام من ولادته كما أمر الله ابراهيم بذلك وقد ختن المسيح لما تم له ثمانية أيام . وختانه لم يذكر فى القرآن الكريم وانما ذكر فى انجيل لوقا فى آية ٢١ من الاصحاح الثانى ونصها . ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن

وفى انجيل برنابافى الفصل الخامس

١ فلما تمت الايام الثمانية حسب شريعة الرب كماهومكتوب فى كتاب موسى أخذا الطفل واحتملاه الى الهيكل ليختتناه ٢ ختنا الطفل وسمياه يسوع كما قال الملاك قبل أن حبل به فى الرحم

المجوس ويسوع

حكايه المجوس ويسوع انفرد بها متى من بين الاربعة وذكرها برنابافى انجيله وهى تلخص فى ان ثلاثة من المجوس فى المشرق كانوا يرقبون نجوم السماء فبدا لهم نجم شديد التألق فجاءوا الى اليهودية يهديهم النجم ولما وصلوا فى طريقهم الى أورشليم سألوا أين ولد ملك اليهود؟وسمع هيرودس ذلك فارتاع فجمع الكهنة والكتبة وسألهم أين يولد المسيح فقالوا فى بيت لحم فاحضر هيرودس المجوس وسألهم عن مجيئهم فقالوا انهم رأوا نجما فى المشرق هداهم الى هنالك فجاءوا بهدايا أحبوا أن يقدموها لملك اليهود الذى ولد . فأمرهم أن يذهبوا الى بيت لحم ويبحثوا عن الطفل وأن يعلموه به فذهبوا الى بيت لحم وسجدوا للطفل يهديهم النجم وقدموا الهدايا وخافوا على الطفل من هيرودس فلم يرجعو اليه بل ذهبوا الى بلادهم

ولما لم يعودوا علم هيرودس أنهم قد سخروا منه فأمر بقتل كل طفل ولد فى بيت لحم — ويظهر لى انها حكاية مصنوعة — فما شان المجوس بالمسيح وكيف يسير النجم امامهم يهديهم ؟ ولم جاء بهم الى اورشليم ولم يذهب بهم الى بيت لحم وهذا لوقا الذى تتبع الامر بتدقيق لم يذكر ذلك ولم يشر اليه ولم يذكر ذهاب المسيح الى مصر بل ذكر انهما اقاما به فى الناصرة

ذهاب يوسف ومريم بالمسيح الى مصر

وهذه المسألة انفرد بها أيضا متى وذكرها برنابا

وتلخص فى أن هيرودس لما أمر بقتل كل طفل فى بيت لحم أمر يوسف النجار فى منامه بأن يذهب بالطفل وامه الى مصر لان الملك أمر بقتل كل طفل ولد فى بيت لحم . فقام من فوره وأخذ الطفل وأمه وذهب بهما الى مصر وأقاموا الى أن هلك هيرودس . ولما هلك أمر يوسف فى نومه بأن يأخذ الطفل وأمه إلى بلادهما لان الذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا فرجع

ومن أحب فضل بيان فليرجع الى أنجيل برنابا من أول الفصل السادس الى آخر الفصل الثامن

وبعض مفسرى القرآن الكريم يذكرون أن مصر هى المعنية فى القرآن الكريم بقوله تعالى فى حق عيسى وأمه (وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) ويزعم المسيحيون فى مصر أنهما استقرا ببلدة عين شمس ويقولون أنهما استظلا بشجرة هناك قد بقى اصلها محتفظا به الى امد غير بعيد منا وكانوا يسمونها شجرة العذراء ويعنى الناس بالذهاب الى زيارتها بضاحية المطرية

وفى كتاب الفاروق بين المخلوق والخالق تزييف لهذه الحكاية فليراجع فى ص٢٩ج١

المسيح أيام صباه

لم يذكر القرآن الكريم شيئا عن المسيح أيام صباه بعد كلامه فى المهد ولم يتكلم فى ذلك سوى لوقا من بين الاربعة فقال فى ١٠ ص ٢ وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه ٤١ وكان ابواه يذهبان كل سنة الى اورشليم فى عيد الفصح ٤٢ ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادة العيد ٤٣ وبعد ما أكملوا الايام بقى عند رجوعهما الصبي يسوع فى أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما ٤٤ واذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الاقرباء والمعارف ٤٥ ولما لم يجداه رجعا الى أورشليم يطلبانه ٤٦ وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم ٤٧ وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته ٤٨ فلما ابصراه اندهشا وقالت له أمه يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا . هوذا أبوك وانا كنا نطلبك معذبين ٤٩ فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لابى ٥٠ فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما ٥١ ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة وكان خاضعا لهما وكانت أمه تحفظ جميع هذه الامور فى قلبها ٥٢ وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والنعمة عند الله والناس

هذه الحكاية ذكرها برنابا فى انجيله أيضا ونصها فيه من الفصل التاسع

يسوع يحاج العلماء

بعد رجوعه الى اليهودية وبلوغه اثنى عشر عاما من العمر

١ ولما مات هيرودس ظهر ملاك الرب فى حلم ليوسف قائلا ٢ عد الى اليهودية لانه قد مات الذين كانوا يريدون موت الصبى ٣ فأخذ يوسف الطفل ومريم (وكان الطفل بالغا سبع سنين من العمر) وجاء الى اليهودية حيث سمع أن أرخيلاوس بن هيرودس كان حاكما فى اليهودية ٤ فذهب الى الجليل لانه خاف أن يبقى فى اليهودية ٥ فذهبوا ليسكنوا فى الناصرة ٦ فنما الصبي فى النعمة والحكمة أمام الله والناس ٧ ولما بلغ يسوع اثنتى عشرة سنة من العمر صعد مع مريم ويوسف الى أورشليم ليسجد هناك حسب شريعة الرب المكتوبة فى كتاب موسى ٨ ولما تمت صلواته انصرفوا بعد أن فقدوا يسوع لانهم ظنوا أنه عاد الى الوطن مع اقربائهم ٩ ولذلك عادت مريم مع يوسف الى أورشليم ينشدان يسوع بين الاقرباء والجيران ١٠ وفى اليوم الثالث وجدوا الصبي فى الهيكل وسط العلماء يحاجهم فى أمر الناموس ١١ وأعجب كل أحد باسئلته وأجوبته قائلا (كيف أوتى مثل هذا العلم وهو حدث ولم يتعلم القراءة) ١٢ فعنفته مريم قائلة يا بنى ماذا فعلت بنا فقد نشدتك وأبوك ثلاثة أيام ونحن حزينان ١٣ فاجاب يسوع الا تعلمين أن خدمة الله يجب أن تقدم على الاب والام ١٤ ثم نزل يسوع مع أمه ويوسف الى الناصرة ١٥ وكان مطيعا لهما بتواضع واحترام

من مجموع ذلك تفهم أن المسيح عليه السلام نشأ نشأة محمودة لا غبار عليها وأنه كان غيورا على الدين منذ صغره حريصا على تفهم حكمه واسراره غيورا عليه وأنه كان يختلس من وقته ما يقوى به معارفه ويثبت به علمه ويجالس

العلماء ويناقشهم ويسائلهم ويجيبهم فالبيئة التى تمرس بها فى صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين

كيف ابتدأت نبوة المسيح ؟

لم يذكر القرآن الكريم متى كان ابتداء نبوة المسيح ولا كيف كان ذلك وأصحاب الاناجيل الاربعة قد ذكروا ذلك فمنهم المسهب ومنهم الموجز ويلخص شأنه فى ذلك فى أن يوحنا المعمدان وهو يحي بن زكريا وجد فى البرية زمنا وكان يقتات من الجراد والعسل البرى وثيابه من اوبار الابل وعلى حقويه منطقة جلد ثم ظهر فى ناحية الاردن ينذر الناس بالتوبة فخرج اليه أهل أورشليم والكور القريبة من الاردن فكان يعمدهم فى النهر وينذرهم باقتراب ملكوت السموات

وقد أرسل اليه الكهنة يسألون هل هو ايليا ؟ فاجاب لا — هل هو المسيح ؟ فاجاب لا — هل هو النبي ؟ فاجاب لا . فقالوا له . فلم تعمد اذا لم تكن ايليا ولا المسيح ولا النبي ، طلبوا أن يقول لهم من هو . قال أنا صوت صارخ فى البرية اعدوا طريق الرب واصنعوا سبله مستقيمة لانه قد اقترب ملكوت السموات

وهذه الجملة مقتبسة من الآية ٣ ص ٤٠ اشعيا

وأن المسيح قد جاء الى يوحنا واعتمد منه فى الاردن وان الروح القدس نزل عليه مثل حمامة ثم ان المسيح بعد ذلك صام فى البرية أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ثم جرب من الشيطان على أثر صومه اذ أحس بالجوع فاتاه الشيطان وقال له ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا فقال له . مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . فأوقفه على جناح الهيكل وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل لانه مكتوب

أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك فقال له مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك . فأخذه ابليس على جبل عال وأراه ممالك الارض ومجدها . وقال له أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى . فقال له المسيح اذهب ياشيطان لانه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد فذهب عنه الشيطان وجاءته الملائكة وعلم المسيح عقب ذلك أن يوحنا أسلم أى هلك فجاء الى الجليل وترك الناصرة وسكن كفرناحوم وكان يكرز ببشارة ملكوت الله وكانت سن المسيح ٣٠ سنة يراجع ص٣و٤ متى وص١ مرقس وص٣، ٤ لوقا وص١ يوحنا . وهناك رواية برنابا أوردها بنصها من الفصل العاشر دون تلخيص وهى

يسوع وهو ابن ثلاثين يتلقى على جبل الزيتون الانجيل من الملاك جبريل

١ ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما اخبرنى بذلك نفسه صعد الى جبل الزيتون مع أمه ليجنى زيتونا ٢ وبينما كان يصلى فى الظهيرة وبلغ هذه الكلمات (يارب برحمة ...) واذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون (ليتمجد الله) ٣ فقدم له الملاك جبريل كتابا كأنه مرآة براقة ٤ فنزل الى قلب يسوع الذى عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله حتى ان كل شيء كان عريانا ومكشوفا له ٥ ولقد قال لى (صدق يابرنابا أنى أعرف كل نبي وكل نبوة . وكل ما أقوله انما قد جاء من ذلك الكتاب ٦ ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبي مرسل الى بيت اسرائيل كاشف مريم أمه بكل ذلك قائلا لها: انه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله وانه

لا يقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها ٧ فلما سمعت مريم هذا أجابت (يا بنى انى نبئت بكل ذلك قبل أن تولد فليتمجد اسم الله القدوس) ٨ ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه ليمارس وظيفته النبوية

والذى افهمه من أكل ذلك الكتاب الخ أن العلم الذى قذف الله به فى روعه أول ما بدأه الوحى على يد جبريل مثل له كتابا ومثل له أنه يأكله فاستضاءت به بصيرته كما مثل لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل جاءه بنمط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغته — الى أن قال له اقرأ باسم ربك الذى خلق

نبوة المسيح على رأس ثلاثين سنه

دلت عبارات بعض الاناجيل على أن المسيح نبئ على رأس ثلاثين سنة من عمره وجرى على ذلك المؤرخون ومفسرو القرآن الكريم . فكيف هذا مع ان علماء التوحيد يقولون أن النبوة انما تكون بعد الاربعين ؟

والجواب - أن كون النبوة بعد الاربعين أمر غالبى فقط فقد ينبأ الشخص قبل هذه السن . وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام يقول الله فيه وآتيناه الحكم صبيا

وبيان ذلك - أن بعض الناس قد يبكر فيهم النمو فتنمى أجسادهم وعقولهم بسرعة يفوتون بها أمثالهم . وفى العام المنصرم ذكرت الجرائد السيارة أن طفلا فى تركيا بكر عليه الكبر فبلغ مبلغ الرجال وهو ابن خمس سنوات وطلب التزوج فأحيل على الاطباء فقرروا أنه رجل تام الرجولة وان كان فى سن الاطفال . ولكنه لم يلبث طويلا حتى جاءت الاخبار بأن هذا الشخص قد قضى نحبه — فكما بكر بالرجولة بكر عليه الفناء فلا مانع من تبكير الرجولة على شخص فيتم نضجه بدنا وعقلا فيؤتيه الله النبوة قبل أن يبلغ زمن الشيخوخة كما حصل للمسيح ويحيى عليهما السلام

معنى كلمة الانجيل

معنى الانجيل البشارة(١) والشواهد متضافرة على أن الله تعالى أعطى المسيح الانجيل وأنه كتاب تضمن الهدى والنور وقد أهاب ببنى اسرائيل أن يرجعوا الى الله ويعبدوه وأنبأهم باحداث مستقبلة وبشرهم باقتراب زمن النبي الذى وعد بنو اسرائيل بان يبعثه الله وعلى يده يكون بعث شريعة جديدة وأنه يكون كموسى صاحب شريعة مستقلة وفيه وصفه ووصف أتباعه - اقرءوا هذه الآيات

سورة آل عمران — نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل ٣ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ٤

ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ٤٨

يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ٦٥

سورة المائدة — وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ٤٦ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ٤٧

ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ٦٦

---

(١) جاء فى مقدمة انجيل تولستوى لحضرة الفاضل سليم افندى قبعين وان لفظة انجيل باللغة اليونانية مركبة من كلمتين — ايف ومعناها جيد — حسن — صلاح — خير - صدق . وانجليون - ومعناها الاخبار يخبر ما من الاخبار - ويكون تعريب اللفظتين معا . الاخبار بالخبر أو الخبر الحسن

قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ٦٨

واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ١١٠

سورة الاعراف — الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ١٥٧

سورة التوبة — ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ١١١

سورة الفتح — ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ٢٩

سورة الحديد — ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل ٢٧

فأين يوجد اليوم انجيل المسيح الذى ذكره القرآن الكريم ؟ ان الانجيل الذى أتى به المسيح وسلمه الى تلاميذه وأمرهم أن يبشروا به لا يوجد الآن وانما توجد قصص الفها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف

ودليلى على أن المسيح أتاهم بانجيل وأن الاناجيل كانت أكثر من هذه الاربعة ماترون من الشواهد التى أنقلها من رسائل بولس من الكتب القانونية التى تسلم بها الكنيسة فاقرءوا ما يأتى

بولس رومية ص ١ . ٩ — فان الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم — المراد بقوله ابنه (يسوع) — فهذه الجملة تدل على أن المسيح له انجيل

كورنثيوس ص ٢ : ٣ ولـكن ان كان انجيلنا مكتوما فانما هو مكتوم في الهالكين

كورنيثوس ص ٨ : ٨ وأرسلنا معه الاخ الذى مدحه فى الانجيل فى جميع الكنائس

غلاطية ص ١ : ٦ انى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ٧ ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحولوه أى يغيروه

غلاطية ص ٢ : ١٤ ولـكن لما رأيت أنهم لا يسلـكون باستقامة حسب حق الانجيل الخ

فلبى ص ١ : ١٢ ثم أريد أن تعلموا أيها الاخوة أن أمورى قد آلت أكثر الى تقدم الانجيل ... ١٧ وأولئك عن محبة عالمين انى موضوع لحماية الانجيل

فهذه الجملة تدل على أنه كان هناك انجيل وان بولس وضع لحمايته وبالطبع ذلك الانجيل الذى يتحدث عنه ليس واحدا من هذه الاربعة . وايضا فان الانجيل كان مهددا وفى حاجة الى حمايته وقد أوصاهم بعد ذلك قائلا ٢٧ فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح

١ تسالونيكى ص ٢ : ٨ اذ كنا حانين اليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا انجيل الله فقط بل انفسنا أيضا

ص ٣ : ٢ فارسلنا تيموثاوس وخادم الله والعامل معنا فى انجيل المسيح

٢ تسالونيكى ص ١ فى نار لهب معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح

١ تيموثاوس ص ١ : ١١ حسب انجيل مجد الله المبارك الذى أو تمنت عليه

٢ تيموثاوس ص ٢ : ٨ واذكر يسوع المسيح المقام من الاموات من نسل داود حسب انجيلى

تبين من ذلك كله أن المسيح عيسى بن مريم جاء الى أصحابه بكتاب هو الانجيل ولكن الناس على مر الزمان تركوا ذلك الانجيل . وترتب على ذلك ضياعه واستمسكوا بكتب الف بعضها تلاميذ المسيح وبعضها الفها تلاميذ تلاميذه أو من بعدهم وقد كثرت الاناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة . وفيما تقدم عن بولس تجدون ما يؤذن بأن المغيرين أخذوا يحولون الانجيل عن مجراه . ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها وأقرت الاناجيل الاربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من انقطاع السند وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقى المفضى الى أن أحد الاقوال صادق وما عداه كاذب

المهمة التى جاء لها المسيح

جاء المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لمهمة ساميه

١ - ذلك أن بنى اسرائيل قد طال عليهم الامد فقست قلوبهم وحرفوا شريعة الله التى جاءهم بها موسى عليه الصلاة والسلام وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقامهم عليه الانبياء من السبيل السوى وخرجوا الى الافراط والتفريط . فمن افراطهم فى مراعاة التوراة واخراجها عن روحها المراد لله تعالى أنهم كانوا يتحرجون من عمل الخير فى السبت باعتباره يوم عطلة لا يجوز العمل فيه فيفوتوا طاعات كثيرة توجب الزلفى الى الله بتلك الحجة. والله انما يريد الكف عن الاعمال الدنيوية . وأما فعل الخير فانه لا حرج فيه وليس من الافعال المنهى عنها ـ لذلك جاء المسيح ليرد اليهود عن ذلك التنطع المفضى الى تعطيل الخير فى ذلك اليوم

انظروا الاصحاح الثانى عشر من متى فانكم تجدون

١ فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزرع فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون ٢ فالفريسيون لما نظروا قالوا هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت ٣ فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ٤ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ٩ ثم انصرف من هناك وجاء الى مجمعهم ١٠ واذا انسان يده يابسة . فسألوه قائلين هل يحل الابراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه ١١ فقال لهم أى انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا فى السبت فى حفرة أما يمسكه ويقيمه ١٢ فالانسان كم هو أفضل من الخروف ؟ اذا يحل فعل الخير فى السبوت ١٣ ثم قال للانسان مد يدك فمدها فعادت صحيحة كالاخرى

ومن تفريطهم تهالكهم على المادة واستغراق حب المال تفكيرهم فكانوا يحرضون الفقراء والمحتاجين على النذر للهيكل ليحتووا على ذلك المال . والناذرون والباذلون فى أشد الحاجة الى بعض ما يبذلون يصرفونه على أنفسهم وعيالهم وآبائهم وأمهاتهم فأراد المسيح أن يخفف من هذه الانانية فى الكهنة ورجال الدين فمن ذلك ما قاله برنابا فى الفصل الثانى والثلاثين .

١ ودعا أحد المتضلعين من الشريعة يسوع للعشاء ليجربه ٢ فجاء يسوع الى هناك مع تلاميذه ٣ وكثيرون من الكتبة انتظروه فى البيت ليجربوه ٤ فجلس التلاميذ الى المائدة دون أن يغسلوا أيديهم ٥ فدعا الكتبة يسوع قائلين (لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا بعدم غسل أيديهم قبل أن يأكلوا خبزا ؟)
٦ أجاب يسوع : وأنا أسألكم لاى سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم ؟ ٧ تقولون لأولاد الآباء الفقراء « قدموا وانذروا نذورا للهيكل »
٧ وهم انما يجعلون نذورا من النزر الذى يجب أن يعولوا به آباءهم ٩ واذا أحب

آ باؤهم أن يأخذوا نقودا يصرخ الابناء « ان هذه النقود نذرلله» ١٠ فيصيب الآباء بسبب ذلك ضيق ١١ أيها الكتبة الكذابون المراءون أيستعمل الله هذه النقود ؟ كلا ثم كلا ١٣ لان الله لا يأكل كما يقول بواسطة عبده داود النبي « هل آكل لحم الثيران واشرب دم الغنم ؟ ١٤ أعطني ذبيحة الحمد وقدم لي نذورك ١٥ لاني أن جعت لا أطلب منك شيئا لان كل الاشياء في يدي وعندي وفرة الجنة » ١٦ أيها المراءون انكم انما تفعلون ذلك لتملئوا كيسكم ولذلك تعشرون السذاب والنعنع ١٧ ما أشقاكم لانكم تظهرون للآخرين أشهر الطرق وضوحا ولا تسيرون فيها

١٨ أيها الكتبة والفقهاء انكم تضعون على عواتق الآخرين احمالا لا يطاق حملها ١٩ ولكنكم أنفسكم لا تحركونها باحدى أصابعكم

٢٩ وقد ندب الله هذا بواسطة أشعيا قائلا « حقا ان هذا الشعب يعبدني باطلا ٣٠ لانهم ابطلوا شريعتي التي أعطاهم اياها عبدي موسى ويتبعون تقاليد شيوخهم» ٣١ « الحق أقول لكم أن أكل الخبز بأيد غير نظيفة لاينجس انسانا لان ما يدخل الانسان لا ينجس الانسان بل الذي يخرج من الانسان ينجس الانسان »

٣٢ فقال حينئذ احد الكتبة . ان اكلت لحم الخنزير او لحوما اخرى نجسة افلا تنجس هذه ضميري ؟

٣٣ اجاب يسوع « ان العصيان لا يدخل الانسان بل يخرجه الانسان من قلبه ٣٤ ولذلك يكون نجسا متى أكل طعاما محرما » ٣٥ حينئذ قال احد الفقهاء « يا معلم لقد تكلمت كثيرا في عباد الاصنام كأن عند شعب اسرائيل اصناما ٣٦ وعليه فقد اسأت الينا » ٣٧ أجاب يسوع « اعلم جيدا انه لا يوجد اليوم تماثيل من خشب في اسرائيل ولكن توجد تماثيل من جسد » ٣٨ فاجاب حينئذ جميع الكتبة بحنق « انحن اذا عبدة اصنام ؟ » ٣٩ اجاب يسوع « الحق اقول

لكم لا تقول الشريعة : اعبد . بل احب الرب الهك بكل نفسك وبكل قلبك وبكل عقلك ٤ ثم قال يسوع « اصحيح هذا ؟ » ٤١ فاجاب كل واحد « انه لصحيح »

وقال برنابا ايضا فى الفصل الثالث والثلاثين :

١ ثم قال يسوع حقا ان كل ما يحبه الانسان ويترك لاجله كل شيء سواه فهو الهه ٢ وهكذا فان صنم الزانى هو الزانية وصنم النهم والسكير جسده ٣ وصنم الطماع الفضة والذهب ٤ وقس عليه كل خاطئ آخر .

٢ — كان فى اليهود فريق الصدوقيين الذين يقولون لا توجد قيامة ولا حشر ولا نشر ولا حساب ولا عقاب وان جزاء الاعمال الصالحة أن يبارك الله اصاحبها فى الدنيا وجزاء الاعمال الرديئة أن يعاقبه الله فى الدنيا فكان من مهمة المسيح أن يرد هؤلاء الى عقيدة اليوم الآخر وهو يوم الجزاء وان يثبت الايمان بها فى قلوبهم ويحذر الناس من اتباعهم والزيغ عن سبيل الله الى سبيلهم

٣ — كان بين اليهود أيضا قوم يقال لهم الفريسيون(١) وحقيقة هذا الاسم انهم قوم تجردوا لطاعة الله تعالى وملك عليهم حبه مشاعرهم فتفردوا للعبادة وانقطعوا عن العباد وزهدوا فى حطام الدنيا الفانية وأقبلوا بكليتهم على الآخرة . ولكنهم من قبل زمن المسيح عليه الصلاة والسلام قد انحرفوا عن سنن سلفهم وألهتهم الحياة الدنيا بزبرجها وزخرفها وأقبلوا على الشهوات يستترون بها وهم فى عملهم يراءون الناس استدراجا لهم ليوقعوهم فى مخالبهم ويبتزوا أموالهم . فكان ظهورهم بمظهر الزهد فخا نصبوه لصيد الدرهم والدينار

٤ — وكان هناك الكتبة ومن وظائفهم الوعظ وكتابة الشريعة لمن يطلبها وكانوا فى شؤونهم يشبهون الفريسيين فى تصيد أموال الناس

٥ — كان هناك الكهنة وخدمة الهيكل وكانوا قد صاروا الى حال رديئة

---

(١) يفسر الفاضل سليم قبعين (الفريسين) بمستقيمى الرأى

ويحرفون كلام الله ويتهالكون على الحطام الفانى

كل أولئك كانت أحوالهم تستدعى اصلاحا قويما ومصلحا مخلصا فجاء المسيح لتخليصهم جميعا من الاوحال التى ارتطموا فى حمأتها . فكان يوبخهم ويبكتهم جهده . وأنى اقتصر فى هذا المقام على ماجاء فى انجيل متى فى هذه الشؤون

جاء فى انجيل متى ص ٢٢

١٥ حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة ١٦ فأرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين يامعلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس ١٧ فقل لنا ماذا تظن أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ١٨ فعلم يسوع خبثهم (وقال) لماذا تجربوننى يامراءون ١٩ أرونى معاملة الجزيه . فقدموا له دينارا ٢٠ فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة ٢١ قالوا له لقيصر فقال لهم اعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ٢٢ فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا ٢٣ فى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه ٢٤ قائلين يامعلم قال موسى ان مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بأمرأته ويقيم نسلا لاخيه ٢٥ فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الاول ومات واذ لم يكن له نسل ترك امرأته لاخيه ٢٦ وكان الثانى والثالث الى السبعة ٢٧ وآخر الكل ماتت المرأة أيضا ٢٨ ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فانها كانت للجميع ٢٩ فاجاب يسوع وقال لهم تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ٣٠ لانهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء ٣١ وأما من جهة قيامة الاموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل ٣٢ أنا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ليس الله اله أموات بل اله أحياء ٣٣ فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه ٣٤ أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معا ٣٥ وسأله واحد منهم وهو ناموسى ليجربه قائلا ٣٦ يامعلم أية وصية هى العظمى فى الناموس ٣٧ فقال له يسوع

تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ٣٨ هذه هى
الوصية الاولى العظمى ٣٩ والثانيه مثلها تحب قريبك كنفسك ٤٠ فبهاتين
الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء ٤١ وفيما كان الفريسيون مجتمعين
سألهم يسوع ٤٢ قائلا ماذا تظنون فى المسيح ابن من هو قالوا له ابن داود
٤٣ قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا ٤٤ قال الرب لربى اجلس عن
يمينى حتى أضع اعداءك موطئا لقدميك(١) ٤٥ فان كان داود يدعوه ربا فكيف
يكون ابنه ٤٦ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد
أن يسأله بتة

متى ص ٢٣

١ حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه ٢ قائلا على كرسى موسى جلس
الكتبة والفريسيون ٣ فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن
حسب أعمالهم لا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون ٤ فانهم يحزمون أحمالا
ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها
باصبعهم ٥ وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون
أهداب ثيابهم ٦ ويحبون المتكأ الاول فى الولائم والمجالس الاولى فى المجامع ٧
والتحيات فى الاسواق وان يدعوهم الناس سيدى سيدى ٨ وأما أنتم فلا تدعوا
سيدى لان معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا اخوه ٩ ولا تدعوا لكم أبا على
الارض لان أباكم واحد الذى فى السموات ١٠ ولا تدعوا معلمين لان معلمكم
واحد المسيح ١١ وأكبركم يكون خادما لكم ١٢ فمن يرفع نفسه يتضع ومن
يضع نفسه يرتفع ١٣ لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراءون لانكم
تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين

---

(١) حقيقتها . قال الرب اسيدى . ونصها فى العبرية فى المزمور ١١٠ « نئيم
يهوفا لا دونى شب ليمينى » ولفظ أدونى معناها سيدى لا ربى

يدخلون ١٤ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تدخلون
بيوت الارامل · ولعلة تطيلون صلاتكم . لذلك تأخذون دينونة أعظم ١٥
ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تطوفون البحر والبر
لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا
١٦ ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء. ولكن
من حلف بذهب الهيكل يلتزم ١٧ أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم
الهيكل الذى يقدس الذهب ١٨ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ولكن من
حلف بالقربان الذى عليه يلتزم ١٩ أيها الجهال والعميان ايما اعظم القربان ام
المذبح الذى يقدس القربان ٢٠ فان من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه
٢١ ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ٢٢ ومن حلف بالسماء
فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه ٢٣ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون
المراءون لانكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق
والرحمة والايمان . كان ينبغى ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ٢٤ أيها القادة
العميان الذين يصفون(١) عن البعوضة ويبلعون الجمل ٢٥ ويل لكم ايها الكتبة
والفريسيون المراءون لانكم تنقون خارج الكاس والصحفة وهما من داخل مملوءان
اختطافا ودعارة ٢٦ ايها الفريسى الاعمى نق اولا داخل الكاس والصحفة لكى
يكون خارجهما ايضا نقيا ٢٧ ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم
تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميله وهى من داخل مملوءة عظام اموات
وكل نجاسة ٢٨ هكذا انتم ايضا من خارج تظهرون للناس ابرارا ولكنكم
من داخل مشحونون رياء واثما ٢٩ ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون
لانكم تبنون قبور الانبياء وتزينون مدافن الصديقين ٣٠ وتقولون لو كنا فى

(١) هكذا فى ترجمة العبرية بالصاد ولو انصف المترجم لجعلها تعفون من العفه بالعين ولعل ذلك فيها من خطأ الكاتب

ايام آبائنا لما شاركناهم فى دم الانبياء ٣١ فانتم تشهدون على انفسكم انكم ابناء قتلة الانبياء ٣٢ فاملأوا انتم مكيال آبائكم ٣٣ ايها الحيات اولاد الافاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ٣٤ لذلك ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينه ٣٥ لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ٣٦ الحق اقول لكم ان هذا كله يأتى على هذا الجيل(١)

كما قدمنا كان هناك الفريسيون وهم الدراويش او الزهاد الذين قطعوا صلتهم بالعالم الا لضرورة وكانوا قد فسدوا وهو يريد أن يردهم الى الحق ويبين فسادماهم عليه من الطمع والتهالك على الدنيا

ومن أراد أن يقف على حوار المسيح للفريسيين المرائيين ويعرف حقيقتهم وما كانوا عليه قبل زمن المسيح وفى عهده فليقرأ من الفصل الرابع والاربعين بعد المائة من انجيل برنابا الى الفصل الخمسين بعد المائة فانه يقرأ المطرب المعجب والعظات والنصائح الصادرة باخلاص من قلب مفعم بالتقوى

٦ — من الاغراض السامية التى جاء المسيح لتقريرها واذاعتها بين اليهود وغيرهم البشارة باقتراب ملكوت السموات والمراد بذلك الشريعه الالهية التى يرسل الله تعالى بها النبي الامى المذكور فى آية ١٥ وما بعدها من الاصحاح ١٨

(١) لقد اتى عليهم ذلك فى سنة ٧١ على يد طيطوس الروماني الذى شتتهم وخرب هيكلهم

سفر التثنية(١) الذى وعد الله بنى اسرائيل على لسان موسى أن يرسله من بين اخوتهم ويجعل كلامه فى فمه ويخبرهم بكل الذى يوصيه الله به . وقد مر الكلام على هذه النبوة فى موسى . وقد بشر اليهود به أيضا أنبياء كثيرون . منهم داود فى المزمور الخامس والاربعين والمزمور التاسع والاربعين بعد المائة والعاشر بعد المائة وأشعيا فى الاصحاحات ٨و٩و٢٦و٣٥و٤٢و٤٣و٥٠و٥١و ٥٢ و ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ و ٦٥ ودانيال فى ص ٢و٧ وحقوق ص ٣ وحجى فى ص ٢ وزكريا فى ص ٣ وملاخى فى ص ٣ وهذا قليل من كثير مما فى تلك الكتب مع ما اعتورها من التحريف القصدى وغير القصدى

جاء المسيح عليه السلام ليبشر بهذا النبي الكريم . ولا غرو فان المسيح آخر الانبياء فى بنى اسرائيل ولا أدل على ذلك من أنه قد مضى على القوم ١٩٣٣ سنة لم يقم فيهم نبي سواه ويحي بن زكرياء فلم قاطعهم الله هذه المقاطعة وهجرهم هجرا غير جميل ؟

كان المسيح يعبر عن المبشر به بلفظ النبي و بلفظ فارقليط وهو تعريب لفظ

---

(١) يحمل المسيحيون هذه البشارة على المسيح والحقيقة أن بشارة موسى فى التثنية لا تنطبق على عيسى لان المفروض المماثلة الحقيقية وهى لا تنطبق على عيسى لان المبشر به نبي وعيسى عندهم اله وانه يكون صاحب شريعة تامة كاملة مستقلة وعيسى لم تكن شريعته كذلك . وموسى كان متزوجا وله أولاد بخلاف المسيح . وموسى حارب أعداءه ولا كذلك المسيح واذا كان المسيح قد وجد ثم انتهى امره فما معنى أن يبشر تابعوه بان ملكوت السموات قد اقترب مع أنه قد جاء وانتهى كما يقولون ومن أراد فضل بيان فعليه الاطلاع على كتاب المرحوم رحمة الله افندى الهندى فى الكلام على البشارات التى جاءت عن رسول الله فى العهدين

« بيريكلتوس »اليونانية ومعناها الذى له حمد كثير(١) كما عبر عنه بعض الكتب بلفظ « ايلياء » واليهود يظنون أن ايلياء يأتى اليهم ولكن اذا عرفوا أن ايلياء جملها ٥٣ كجمل لفظ احمد زال الاشكال وتبين المراد . وكان يعبر عن الشريعة الآتية بلفظ ملكوت السموات ولفظه قريب من التعبير الذى عبر به دنيال ص٢ فى تعبير رؤيا الملك بختنصر اذ يقول

وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها

---

(١) كنت فى سنة ١٨٩٣ . سنة ١٨٩٤ ميلاديا طالبا بدار العلوم فى السنة الاولى . وكان يجلس بجانبي فى درس اللغة العربية العلامة الكبير الدكتور كارلو نلينو المستشرق التلياني وكان يحضر درس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الايتالية فانعقدت أواصر الصحبة المتينة بيني وبينه . وكان المرحوم أحمد بك نجيب يعطى محاضرات فى الانتيافترو العمومى وكنا نحضرها ونعطى ملازم من كتابه الاثر الجليل فى قدماء وادى النيل ففى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنه ١٣١١ خرجنا بعد المحاضرة وسرنا فى درب الجماميز . فقال لى الدكتور نلينو هذه الليلة ليلة المعراج . قلت نعم . فقال وبعد ثلاثة أيام عيد السيدة زينب فقلت نعم . ثم قلت له ما رأيك ياد كتور فى المعراج . فقال هو ذهاب النبي عليه الصلاة والسلام من مكة الى بيت المقدس ليلا وصعوده الى السماء وعوده الى مكة فى ليلة واحدة . فقلت أنا أعلم أنك تفهم هذا ولكن الذى اريد أن أعرفه هو رأيك فى هذا القول . هل هو صحيح او كاذب ؟ (والرجل مؤدب جدا) فقال . هذا شىء عجيب ! فقلت يوجد ما هو أعجب منه . قال ما هو ؟ قلت أن المسيح يصلب ويقتل ويدفن ثم يقوم من الاموات ويصعد الى السماء ويجلس على يمين الله . قال وهذا أيضا شىء عجيب . ثم قلت له (وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة) ما معنى

لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت الى الابد لانك رأيت أنه قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب والمسيحيون يحملون البشارة على الدين المسيحى الذى جاء به المسيح عليه الصلاة والسلام وإذا نظرنا الى ما جاء به المسيح لم نجده سوى عظات ونصائح وحكم وامثال يريد بذلك توجيه نظر الجماهير من اليهود الى اخلاص العبادة لله تعالى والتخفيف من مادياتهم التى غرقوا فيها الى آذانهم وترك الرياء والنفاق وان يتلبسوا بروح الدين الذى ورثوه عن موسى كما جاءهم وأن يطلقهم من اسار الكهنة الذين يعوجون الشريعة ويتخذونها مستغلا لاشباع جشعهم ويحرفونها عن مواضعها ارضاء لشهواتهم النازية. ويبشرهم باقتراب ملكوت السموات أى الشريعة الالهية الدائمة وبمجىء محمد صلى الله عليه وسلم

ولم يلم الانجيل بشىء من الاحكام الا فى القليل النادر كوجوب الاقتصار على زوجة واحدة وعدم تزوج من طلق امرأة بامرأة سواها وعدم تزوج المطلقة بآخر وعدم جواز الطلاق الا بعلة الزنا . وأمر بالعفة وبالغ فى ذلك حتى قال ان من نظر الى امرأة يشتهيها يكون زانيا بها فى قلبه ونهى عن الاخلاق الرديئة كالمكر والخداع وأكل الاموال بغير حق والرياء والنفاق وشدد النكير على المتصفين

بيريكلتوس فاجابنى بقوله أن القسس يقولون ان هذه الكلمة معناها « المعزى» فقلت انى أسأل الدكتور « كارلو نلينو » الحاصل على الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيسا فقال أن معناها (الذى له حمد كثير) فقلت هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد فقال نعم فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسمائه (أحمد) فقال يا أخى أنت تحفظ كثيرا ثم افترقنا وقد زدت تثبتا فى معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح ومبشرا برسول يأتى من بعدى أسمه احمد

بالاخلاق الرديئة من اليهود والكتبة والفريسيين والكهنة وأفاض فى ذلك افاضة عظيمة. ولو أن انجيل المسيح وصل الى الناس كما كتبه (وهو صلى الله عليه وسلم لا يكتب الا ما نزل اليه) لكان ذلك الكتاب من اهم الكنوز وأغلاها قيمه

الاناجيل الموجودة الآن

يطلق اسم انجيل عرفا على تلك القصص التى وجدت بعد زمان المسيح تقص أحواله وأعماله وأقواله التى وعظ بها ومعجزاته وخوارق العادات التى أجراها الله على يده

والكنيسة تعترف بأربعة منها وهى:

انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا

والقدر الذى وصل الى العالم فى تلك الاناجيل من الجمل والامثال والنصائح المقتطفه مما نطق به المسيح من العظات والحكم يتضمن حث الناس على توحيد الله تعالى واختصاصه بالعبادة والاخلاص فى طاعته والعمل بأوامره واجتناب نواهيه وحسن المعاملة بين الانسان وبين الناس والتواضع والبعد عن الكبرياء والصلف والظلم والتعدى وتأمر بالبذل فى سبيل الخير وان الواجب ان لا يتهالك الناس على الدنيا وزخارفها ويمثل الناس كل واحد بالمسافر. والمسافر لا يتخذ القصور ولا يتأثل العقار. وان الواجب على المرء الذى وقف نفسه على طاعة الله ان يتوكل على الله حق التوكل فلا يكون امر طعامه وكسوته اكبر همه لان الرازق هو الله وهو كفيل بكل ذلك للمتوكلين عليه. وهكذا من الاخلاق الفاضلة والسجايا الكريمه

لم يكتب شيء من هذه الاناجيل فى زمانه ولكن بعد انتهاء امر المسيح بالخاتمة التى انتهى بها — قام بعض التلاميذ وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم

وكتبوا قصصا كثيرة . وكل واحد يسمى ما كتبه انجيلا حتى لقد قيل ان الاناجيل بلغت نيفا ومائة انجيل

بعد أن أفاق المسيحيون من الاضطهادات التى كانت تتوالى عليهم نظروا فى تلك القصص واختارت الكنيسة من بينها القصص التى لا تتعارض مع نزعتها وسلمت بها وجعلتها قانونية ولم تكترث لما بين مضامينها من التخالف والتناقض ما دام ذلك لا يخالف المنزع العام الذى قصدته الكنيسة . والاناجيل جميعها منقطعة السند ولا توجد نسخة انجيل بخط مؤلفه أو بخط تلميذ من تلاميذ ذلك المؤلف ولا ما يضمن شبهة صحة فيها

وهاكم بعض ما كتبه الفاضل المرحوم رحمة الله الهندى وغيره عن الأناجيل الاربعة ـ جاء فى صفحة ١٦١ ج أول وما بعدها من كتاب اظهار الحق ما يأتى:

١ ـــ الانجيل الذى ينسب الى متى الآن « وهو أول الاناجيل وأقدمها عندهم » ليس من تصنيفه يقينا . بل ضيعوه بعد ما حرفوه لان اقدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين على أن انجيل متى كان باللسان العبرانى وهو ضاع وفقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية . والانجيل الموجود الآن ترجمته ولا يوجد عندهم اسناد هذه الترجمة حتى لم يعلم اسم المترجم أيضا باليقين الى هذا الحين كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم فضلا عن علم أحوال المترجم وقد أفاض فى البيان والشرح والاستشهاد

وجاء فى كتاب الفارق بين المخلوق والخالق صفحة ٢٠ ج ١ نقل أيضا العالم جرجس زوين الفتوحى اللبنانى فى كتابه المطبوع سنة ١٨٧٣ (فى الاصل ١٣٧٨ فى بيروت المترجم من اللغة الافرنسية الى العربية أن متى قد كتب بشارته أى انجيله فى أورشليم سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب اليه القديس ايرونيموس ـــ والسبب فى ذلك على ما ذهب اليه القديس ابيفانوس أنه إما

اجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح أو اجابة لأمر الرسل . ولم يكتب انجيله باليونانية بل بالعبرية على زعم أوسيبيوس فى تاريخه . وقد وافق أوسيبيوس القديس ايرونيموس أن بانتيوس اذ كان قد ذهب ليكرز بالايمان المسيحى فى الهند وجد انجيلا لمتى الرسول مكتوبا بالعبرانية فجاء به الى الاسكندرية وبقى محفوظا فى مكتبة قيصرية الى أيامه . لكن هذ النسخة العبرانية قدفقدت وبعد فقدها ظهرت ترجمتها فى اليونانية فلم يعرف الذى كان ترجمها . انتهى

٢ — انجيل مرقس

قال بطرس قرماج فى كتابه (مروج الاخبار فى تراجم الابرار المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٠) ما ملخصه . أن مرقس هذا كان يهوديا لاويا وهو تلميذ لبطرس ولد باقليم الخمس مدن وصنف انجيله بطلب أهل رومية وكان ينكر الاهية المسيح ولم يذكر فى انجيله مدح المسيح لبطرس ومات مقتولا فى سجن الاسكندرية سنة ٦٨ ميلادية قتله الوثنيون — انتهى

وقد اختلفت النصرانية فى تاريخ تأليف انجيله . قال صاحب كتاب مرشد الطالبين ولفظه فى صفحه (١٧٠) أن انجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ م لنفع الامم الذين كان تنصرهم بخدمته . انتهى راجع ٣١٦ من الجزء الاول من كتاب الفارق

٣ — انجيل لوقا

لا يقل اختلاف النصارى فى انجيل لوقا عن اختلافهم فى انجيل متى . وقد كان لوقا طبيبا من أهل أنطاكية ولم ير المسيح أصلا وقد لقن النصرانية عن بولس . وبولس هذا كان يهوديا متعصبا على المسيحيه ولم ير المسيح فى حياته وكان يسيء إلى النصارى إساءات متصله . ولما رأى أن اضطهاده للنصرانية لا يجدى عمد من طريق الحيلة إلى الدخول فى النصرانية وأظهر الاعتقاد بالمسيح

وادعى أنه صرع وفى حال صرعه لمسه المسيح وزجره عن الاساءة إلى متبعيه ومن ذلك الوقت آمن وأرسله المسيح ليبشر بانجيله وانطلت حيلته على الكنيسة وهو الذى جعل النصارى يمرقون من واجبات الناموس الذى ما جاء المسيح لابطال احكامه ولكن جاء لتأييدها فأباح لهم أكل الميتة وشرب الخمر وعلم بان الايمان وحده كاف فى النجاة بدون عمل.... الخ

وكان تأليف لوقا انجيله بعد ما كتب مرقس انجيله وذلك بعدموت بطرس وبولس . وفى مبتدأ هذا الانجيل ينص على أنه يراسل به ثاوفيلس ليؤكد له صحة الكلام الذى علم بهوعبارته هى

ص ١ - ١ اذ كان كثيرون قدأخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا ٢ كما سلمها اليناالذين كانوا من البدء معاينين وخداما للكلمة ٣ رأيتأنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الاول بكل تدقيق أن اكتب اليك على التوالى أيها العزيز ثاوفيلس ٤ لتعرف صحة الكلام الذى سمعت به. اه

قال فى كتاب الفارق (فتبين ان انجيله ليس الهاميا كما زعموا) وساق على ذلك أدلة خمسة من أقوال العلماء المسيحيين تلخص فى أن مستر كدل فى رسالة الالهام نص على أن انجيل لوقا ليس الهاميا استنادا إلى المقدمة التى نقلناها — وتصريح جيروم بان بعض القدماء كانوا يشكون فى البابين الاولين من هذا الانجيل وأنهما ما كانا فى نسخة فرقة مارسيونى وجزم اكهارن فى صفحة ٩٥ من كتابه أن من ف ٤٣ إلى ٤٧ من الباب ٢٢ من انجيل لوقا الحاقية وأن اكهارن يقول فى صفحة ٦١ من كتابه (قد اختلط الكذب الروائى ببيان المعجزات التى نقلها لوقا والكاتب ضمه على طريق المبالغة الشاعرية لكن تمييز الصدق عن الكذب فى هذا الزمان عسير . وقول كلى مى شيس إن متى ومرقس يتخالفان فى التحرير واذا اتفقا ترجح قولهما على قول لوقا

وليعلم القارئ أن لوقا أتى فى انجيله بزيادات عماذكره متى تبلغ نيفا وعشرين محلا بعضها معجزات وبعضها حكايات أخرى وأما زيادته عن مرقس فكثيرة جدا

٤ — أنجيل يوحنا يذهب كثير من المسيحيين إلى أن يوحنا الانجيلي هو يوحنا أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر وأبوه زبدى الصياد. ولد فى بيت صيدا من الجليل وأنه هو الذى كان يحبه عيسى جدا

قال جرجس زوين الفتوحى اللبنانى. أن شيرينطوس وأبيسون وجماعتها لما كانوا يعلمون المسيحية بان المسيح ليس الا انسانا وأنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك فى سنة ٩٦ — اجتمعوا — (أى) عموم أساقفة اسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بانجيل مما لم يكتبه الانجيليون الآخرون وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح فلم يسعه أن ينكر اجابة طلبهم

وقد اضطربت كلمة المسيحيين فى السنة التى ألف فيها انجيل يوحنا فمن قائل سنة ٦٥ ومن قائل سنة ٩٦ ومن قائل سنة ٩٨

وكثير من علماء النصرانية أنكروا أن يكون هذا الانجيل من تأليف يوحنا التلميذ — فمن ذلك ما كتبه استادلن ونقله عنه صاحب كا تلك هرالد فى صفحة (٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ ونصه (ان كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الاسكندرية)

وقال برطشنيدر إن هذا الانجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها أحد فى ابتداء القرن الثانى ونسبه إلى يوحنا ليعتبره الناس

وقال كروتيس إن هذا الانجيل كان عشرين بابا فالحقت كنيسة أفاس الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا اه راجع ٣٤١ و٣٤٢ من كتاب الفارق ج ١

ومن ذلك نعلم أن الكتاب المذكور كتب لغرض خاص هو اثبات الاهية

المسيح والقضاء على التعاليم التى كانت تؤكد أنه انسان

ولاختلاف مصنفى الاناجيل اختلفت مصنفاتهم فبعضهم يذكر فى انجيله حالات أو عجائب لا يذكرها البعض الآخر أو يروى الخبر الواحد فى انجيل بعبارة تناقض بالزيادة أو النقص ما ذكر فى الانجيل الآخر

واليكم قليلا من التناقض بين الاناجيل

(١) متى ص ٩ — ٢ واذا مفلوج يقدمونه اليه مطروحا على فراش مرقس ص ٢: ٢ وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسمع ولا ما حول الباب فكان يخاطبهم بالكلمة ٣ وجاءوا اليه مقدمين مفلوجا يحمله أربعه ٤ واذ لم يقدروا أن يقتربوا اليه من أجل الجمع كشفوا السقف حيث كان وبعدما نقبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعا عليه

فعبارة متى تفيد أنهم قدموه اليه تقديما عاديا وعبارة مرقس تفيد أنهم نقبوا السقف ودلوه

(٢) يقول متى أن المسيح لقيه مجنونان من القبور فى قرية الجرجسيين وقد صرخا قائلين ما لنا ولك يايسوع وأنه أمر الروحين اللذين بهما ان يذهبا الى قطيع الخنازير (متى ص ٨ — ٢٨ وما بعدها). وفى مرقس أنه كان إنسانا واحدا به شياطين كثيرة (ص ٥)

(٣) وفى متى أن رئيسا سجد له وقال له إن ابنتى ماتت تعال وضع يدك عليها فتحيا ففعل وحييت بعد موتها (١٨ وما بعدها ص ٩ متى)

وفى مرقس انه قال له أنها مريضه على آخر نسمة ليتك تأتى وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا فمضى معه (مرقس ص ٥: ٢٢) وما بعدها — وفرق بين من ماتت ومن هى مريضة

(٤) ذكر مرقس أن المسيح جاء إلى بيت صيدا فقدموا اليه اعمى وطلبوا اليه أن يلمسه فأخرجه خارج القرية وتفل فى عينيه ووضع يده عليهما وسأله

هل يبصر فأخبره أنه يرى الناس كأشجار يمشون فوضع يده على عينيه ثانيا وسأله فأبصر جيدا (ص ٨ آيه ٢٢) وهذه لم يذكرهامتى ولاغيره

ولا أريد أن أذهب الوقت فى عد أمثال هذه الاشياء فمن شاء فليرجع إلى كتاباظهار الحق لرحمة الله الهندى وكتاب الفارق بين المخلوق والخالق للباجه جى زاده والاجوبة الفاخرة للقرافى وكتاب هداية الحيارى لابن القيم

انجيل برنابا

كان برنابا من اتباع المسيح المواظبين على نشر دعوته والتبشير باقتراب ملكوت السموات وقد جاء عنه فى كتاب الاعمال ص ٢ : ٣٦ ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ وهو لاوى قبرسى الجنس اه وكأن هذا الرجل موثوقا به فى الكنيسة ثقة تامة وينتدب لوعظ النـاس المدعوين للدخول فى الدين

أعمال ص ١١ — ٢٢ فسمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية ٢٢ الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب ٢٤ لانه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والايمان فانضم الى الرب جمع غفير

أعمال ص ١١ - ٢٩ فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم ان يرسل كل واحد شيئا خدمة الى الاخوة الساكنين فى اليهوديه ٣٠ ففعلوا ذلك مرسلين الى المشايخ بيد برنابا وشاول

أعمال ص ١٢ - ٢٥ ورجع برنابا وشاول من أوشليم بعد ما كملا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس

أعمال ص ١٣ - ٢ وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس

أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه

أعمال ص ١٥ - ١١ لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضا ١٢ فسكت الجمهور كله وكانوا يسمعون برنابا وبولس يتحدثان بجميع ماصنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم .

أعمال ص ١٣ — ٣٤ أنه أقامه من الاموات غير عتيد أن يعود ايضا إلى فساد فهكذا قال أنى سأعطيكم مراحم داود الصادقة ٣٥ ولذلك قال أيضا فى مزمور آخر لن تدع قدوسك يرى فسادا ٣٦ لان داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله وقد انضم إلى آبائه ورأى فسادا ٣٧ وأما الذى اقامه الله فلم ير فسادا

أعمال ص ١٥ — ١ وانحدر قوم من اليهود وجعلوا يعلمون الاخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا ، فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة

أعمال ص ١٥ . ٢٩ أن تمتنعوا عما ذبح للاصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى ان حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون . كونوا معافين

أعمال ص ١٥ — ٣٥ أما بولس وبرنابا فأقاما فى انطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضا بكلمة الرب

هذا الرجل الذى قصصت عليكم شأنه قد وجد له انجيل مدون وهو عبارة عن قصة للمسيح كانجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا منقطع السند كما هى منقطعة السند . وهذا الانجيل يقول فيه مترجمه الدكتور خليل سعاده: تضاربت فيه آراء الباحثين وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين وخبطوا فيه بين ضلالة وهدى وتلمسوا حقيقته بين رشاد وهوى واستنطقوا الآثار والاسفار واستفسروا الاعصار والامصار فما ظفروا بعد كل ذلك بما يشفى منهم عليلا أو يبرد لهم غليلا

وهذا الانجيل كانت نسخته بمكتبة البابا (سكتس) بروماواختلسها أسقف يقال له «فرامريتو» حين عثر عليها مصادفة فقرأها واعتنق الاسلام وذلك فى أواخر القرن السادس عشر

ويقول حضرة المترجم فى مقدمته أنه يرى أن كاتب انجيل برنابا يهودى اندلسى متمكن من الديانة اليهودية والاطلاع عليها قد تنصر واطلع اطلاعا عظيما على النصرانية ثم أسلم واطلع على الديانة الاسلامية ويرى ان هذا الحل أقرب الى الصواب ثم قال وبعد كل ما تقدم فان هذا الانجيل قد أتى على آيات باهرة من الحكمة وطراز راق من الفلسفة الادبية وأساليب تسحر الألباب ببلاغتها السامية على ما فيها من البساطة فى التعبير وهو يرمى الى ترقية العواطف البشرية الى أفق سام وتنزيهها عن الشهوات البهيمية آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حاثا على الفضائل مقبحا للرذائل داعيا الانسان الى تضحية نفسه فى سبيل الاحسان الى الناس حتى يزول منه كل أثر للانانية ويحيا لنفع اخوانه

وقال ناشره السيد محمد رشيد رضا فى مقدمته

« لم نقف على ذكر لانجيل برنابا فى أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذى أصدره البابا جلاسيوس الاول فى بيان الكتب التى تحرم قراءتها فقد جاء فى ضمنها انجيل برنابا وقد تولى جلاسيوس البابويه فى أواخر القرن الخامس للميلاد أى قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم — على أن بعض علماء أوربا يرتابون اليوم فى ذلك المنشور كما ذكر الدكتور سعادة فى مقدمته والمثبت مقدم على النافى

وما كان من الامر . فانجيل برنابا واحد من الاناجيل التى الفت فى قصة المسيح وان كان يمتاز عن سائرها بالبلاغة . ودقة التعبير ويصرح بامور لعلها هى التى زهدت الكنيسة فيه حتى حرمه البابا جلاسيوس . ومن ذلك التصريح

باسم محمد فى كثير من المواضع وانى أنقل عن انجيل برنابا لا لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل لان روايته للحوادث أبين واستقصاءه للاخبار أتم وان كان فى نظرى لا تخلو بعض الموضوعات فيه من المبالغات الشعريه .

على أن الدكتور سعاده مترجم انجيل برنابا قال فى مقدمته بعد أن أفاض فى الاحتمالات والآراء فى انجيل برنابا « بيد أن هناك انجيلا يسمى بالانجيل الاغنطسى طمست رسومه وعفت آثاره يبتدئ بمقدمة تندد بالقديس بولس وينتهى بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد ويذكران ولادة المسيح كانت بدون ألم ولما كان كل ذلك من انجيل برنابا فمن المحتمل أن يكون ذلك الانجيل الاغنطسى أبا لانجيل برنابا — وأقول: ومن المحتمل أيضا أن كاتب الانجيل الاغنطسى ألم بما كتبه برنابا فى انجيله واقتبس منه ما أثبته فى انجيله وأن انجيل برنابا يصح أن يكون أبا للانجيل الاغنطسى . ولو أن اخواننا المسيحيين أبقوا جميع الاناجيل ولم تحرم الكنيسة قراءتها لوصلت الينا ولو على نوع من التحريف وكانت معرضا جميلا. ولكن ذلك التحريم أعدم تلك الاناجيل وربما كان فيها الكثير الطيب والا. فاين الانجيل الاغنطسى والاناجيل المذكورة فى لا ناجيل أنها وجدت والاناجيل التى كان الداعون الى المسيحية كبولس يحذرون الناس من اتباعها والتى كانوا يقولون أن أصحابها يحولون انجيل المسيح؟

الحواريون

هم أصحاب المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وخاصته الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه وبادروا الى الايمان به وتتلمذوا له وتعلموا منه وكانوا اثنى عشر رجلا — وهذا اللفظ لم أعرفه عبرانيا . وأما عربيا فقد

قال صاحب القاموس : وقد جاء اطلاق حوارى رسول الله على الزبير بن العوام — ويظهر أن لفظ الانصار فى جانب رسول الله بمنزلة الحواريين فى جانب المسيح عليه السلام والاناجيل تعبر عنهم بلفظ « التلاميذ » واذا جاز لى تخريج هذا اللفظ فانى أقول إن معناه الاخوان فى طلب العلم من لفظ « حبور » العبرى وهو التلميذ وجمعه « حبوريم » نطق به فى العربية حوارى وحواريين

ذكرت أسماء الحواريين فى متى فى الاصحاح العاشر من انجيله

وقد ذكر برنابا أسماء التلاميذ في الفصل الرابع عشر من انجيله

وهذه اسماء التلاميذ الاثنى عشر عند متى	وهذه أسماء التلاميذ الاثنى عشر عند برنابا
١ سمعان الذى يقال له بطرس	١ اندراوس
٢ أندراوس أخو سمعان بطرس	٢ بطرس الصياد (سمعان)
٣ يعقوب بن زبدى	٣ برنابا
٤ يوحنا أخو يعقوب	٤ متى العشار
٥ فيلبس	٥ يوحنا } ابنا زبدى
٦ برثولماوس	٦ يعقوب } ابنا زبدى
٧ توما	٧ تداوس
٨ متى العشار	٨ يهوذا
٩ يعقوب بن حلفى	٩ برثولماوس
١٠ لباوس الملقب تداوس	١٠ فيلبس
١١ سمعان القانوى	١١ يعقوب بن حلفى
١٢ يهوذا الاسخريوطى	١٢ يهوذا الاسخريوطى

ومن ذلك ترى ان برنابا نقص من الحواريين عند متى اثنين هما توما وسمعان الغيور المعروف بالقانوى ووضع مكانهما اسمه واسم تداوس . فهل

الصواب معه ولكن الكنيسة لما رأت انجيله يخالف ماتهوى حذفت اسمه واسم سمعان من بين التلاميذ لانهما كانامتطابقين فى الرأى؟—قد يكون ذلك وانهم اكتفوا فى عقابه بهذا مع بقاء اسمه بين الرسل الذى حملوا قسطا عظيما فى نشر الدعوة والتبشير باقتراب ملكوت السموات— وما كان من الامر فقد عرفنا أسماء الحواريين على اختلاف رأيى متى وبرنابا

هؤلاء هم الحواريون الذين استجابوا المسيح عليه السلام وهم الذين بثهم فى القرى اليهودية ليدعوا الكفار بدعوة المسيح ومن غلا فى شأنه أو كذبه ورد دعوته

لم تكن استجابة هؤلاء المسيح دفعة واحدة ولا فى يوم واحد . بل جاءوا متفرقين. وقد بين ذلك مرقس فى انجيله ص ١ : ١٦ الى ٢٠ وفى ص ٢ : ١٢ وقد قص الله تعالى شأن الحواريين فى سورة آل عمران والمائدة والصف اقرءوا هذه الآيات :

سورة آل عمران — فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ٥٢ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ٥٣

سورة المائدة — وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ١١١

سورة الصف - يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ١٤

تنبيه

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي المعروف بالقرافي في كتابه المشهور بالاجوبة الفاخره

إن الاناجيل خمسة يعرف النصاري منها أربعة مشهورة والخامس لا يعرفه الا القليل منهم — والاربعة هى انجيل متى وهو من الحوريين الاثنى عشر وبشر بانجيله باللغه السريانية بأرض فلسطين بعد صعود المسيح عليه السلام بثمان سنين — وعدة اصحاحاته ثمانية وستون اصحاحا .

وانجيل مرقس وهو من السبعين وبشر بانجيله باللغة الفرنجية بمدينة روميه بعد صعود المسيح عليه السلام باثنتى عشرة سنة وعدة اصحاحاته ثمانية وأربعون اصحاحا

وانجيل لوقا وهو من السبعين وبشر بانجيله بالاسكندرية باللغة اليونانية وعدة اصحاحاته ثلاثة وثمانون اصحاحا

وانجيل يوحنا وهو من الاثنى عشر وبشر بانجيله بمدينة أفسس. من بلاد روميه بعد صعود المسيح بثلاثين سنة وعدة اصحاحاته فى النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون اصحاحا

الخامس يسمى انجيل الصبوة ذكر فيه الاشياء التى صدرت من المسيح فى حال طفوليته ينسب لبطرس عن مريم عليها السلام . وفيه زيادة ونقصان وقد ترك فيه كثير من معجزاته ويذكر فيه قدوم المسيح عليه السلام وأمه رضى الله عنها ويوسف النجار الى صعيد مصر ثم عودته الى ناصرة قرية عند المقدس واليها ينسب النصارى

أقول : قد غلط القرافى رحمه الله فى قوله عن متى أنه بشر بأنجيله باللغة

السريانيه فى أرض فلسطين . فان النصارى يجهلون بأية لغة كتب متى انجيله . وانما يغلب على ظنهم أنه كتبه باللغة العبرانية . كما أنه غلط أيضا فى قوله عن لوقا أنه من السبعين . فانه لم يكن منهم ولم ير المسيح . وإنما سمع عن المسيح من القوم الذين شاهدوه . وأول انجيله شاهد بذلك اذ يقول فيه : (اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة . رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شئ من الاول بتدقيق ان أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس)

وأما انجيل يوحنا الذى ذكره . فليس مقطوعا بأنه يوحنا أحد الاثنى عشر . لان الغرض من عمل هذا الانجيل إنما هو اثبات لاهوتية المسيح . وذلك آخر القرن الاول كما تقدم . فلا بد أن يكون يوحنا آخر سوى الحوارى

وقوله عن يوحنا أنه بشر بانجيله فى أفسس من بلاد رومية . فأنه يريد (من بلاد الروم) وهى بلاد الاناضول لان أفسس ليست من بلاد ايطاليا كما توهم العبارة بل هى قبالة زاوية خليج الاسكندرية . وتوجد أفسس أخرى قرب أزمير

أما انجيل الصبوة . ويقال له انجيل طفولية المسيح فلم يتح لى الاطلاع عليه

أما عدد اصحاحات كل انجيل الآن فهى

متى ٢٧ مرقس ١٦ لوقا ٢٤ يوحنا ٢١

معجزات عيسى عليه السلام

المعجزة أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد الأنبياء من عباده تصديقا لهم كأنه بخرق العادة يقول لعباده المرسل اليهم صدق عبدى فيما يبلغ عنى

ولقد شاهد كثير من الناس خوارق صدرت عن بعض الناس ممن لم يكونوا أنبياء كما يصدر نحو ذلك عن براهمة الهند وفقرائها الذين ربوا ارادتهم

وتغلبت أرواحهم على اجسادهم — فما بالك برسل اختارهم الله لتبليغ عباده أوامره ونواهيه ليخرجوهم من الظلمات الى النور ويرشدوهم الى طريق الرشاد ويجنبوهم سبل الغواية ؟

من ذلك ان عيسى عليه السلام لما ابتدأ بارشاد الناس ووعظهم وردهم الى طاعة الله والاخلاص فى عبادته كان يذكر لهم أنه مؤيد من الله بالمعجزات التى لايقدر عليها غيره — من ذلك أنه يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيها فيكون طيرا باذن الله . ومن ذلك أنه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وانه ينبئهم بما يأكلون ومايدخرون فى بيوتهم ويبين لهم ان هذه الآيات كافية فى صدقه وحملهم على الايمان له

وبين لهم انه مصدق للتوراة مؤمن بما فيها حاث على اتباعها وانه يحل لهم بعض ماحرم عليهم . فانقسم الناس فى امره بين مصدق ومكذب ومقبل عليه ونافر منه

اقرءوا هذه الآيات :

سورة آل عمران — ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم أن كنتم مؤمنين ٤٩ ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ٥٠ ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ٥١

سورة المائدة — إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون

طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني وإذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذجئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا إلا سحر مبين ١١٠

سورة الزخرف — ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ٦٣ ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ٦٤

بقى أن يقال . ان ادعاء المسيح عليه السلام انه يبرئ الاكمه والابرص ويحي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا الخ. لا يستلزم ان تلك الخوارق حصلت منه بالفعل وليس فى آيات القرآن ما يدل على انه فعل تلك العجائب. وغاية ماتدل عليه الآيات انه كان عنده استعداد وفيه قوة على عمل ذلك . هكذا قال أبو مسلم الذى ينقل عنه الفخر الرازى كثيرا ومع تسليمنا بما يقول . فان النفس مطمئنة إلى أنه عمل هذه العجائب أمام أعين بني اسرائيل وذلك ظاهر من قوله تعالى (واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين)

وأما الاناجيل فقد ذكرت من العجائب والخوارق شيئا كثيراً نذكر لكم منه

(١) متى ص ٨ — ٢ واذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا ياسيد ان اردت تقدر أن تطهرنى فمد يسوع يده ولمسه قائلا اريد فاطهر وللوقت طهر برصه وقد روى هذه الحادثة لوقا أيضا فى ص ٥ — ١٢

(٢) شفاء عبد قائد المائة — متى ص ٨ — ٥ ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء اليه قائد مائة يطلب اليه ٦ ويقول ياسيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجا متعذبا جدا ٧ فقال يسوع أنا آتى وأشفيه ٨ فاجاب قائد المائة وقال

ياسيد لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي

١٣ ثم قال يسوع لقائد المائة اذهب وكما آمنت ليكن لك فبرأ غلامه في تلك الساعه

وهذه الحادثة قد ذكرها لوقا مع اختلاف إذ جعل شيوخ بني اسرائيل هم الذين سألوا يسوع أن يشفي الغلام

وذكر هذه الحادثة يوحنا على أن المريض ابن خادم للملك

(٣) متى ص ٨ — ٢٣ ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ٢٤ واذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الامواج السفينة وكان هو نائما ٢٥ فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين ياسيد نجنا فاننا نهلك ٢٦ فقال لهم ما بالكم خائفين ياقليلي الايمان ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم

(٤) جاء في متى ص ٨ — ٢٨ ولما جاء الى العبر الى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدا حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق واذا هما قد صرخا قائلين . مالنا ولك يايسوع ابن الله أجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا — وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى فالشياطين طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب الى قطيع الخنازير كله فقال لهم امضوا فخرجوا ومضوا الى قطيع الخنازير واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات في المياه . أما الرعاة فهربوا ومضوا الى المدينة وأخبروا عن كل شيء وعن أمر المجنونين فاذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ولما أبصروه طلبوا ان ينصرف عن تخومهم

وقد ذكر هذه الحادثة كل من مرقس ولوقا بابدال لفظ الجرجسيين بلفظ الجدريين وجعل مجنون بدل مجنونين

(٥) في متى ص ٩ — ١ فدخل السفينة واجتاز وجاء الى مدينة واذا مفلوج

يقدمونه اليه مطروحا على فراش فلما رأى يسوع ايمانهم قال ثق يابنى مغفورة لك خطاياك . واذا قوم من الكتبة قد قالوا فى انفسهم هذا يجدف فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم ؟ أيما ايسر ان يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش ؟ ولكن لكى تعلموا أن لابن الانسان سلطانا على الارض. أن يغفر الخطايا حينئذ قال للمفلوج قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك فقام ومضى الى بيته . فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى اعطى الناس سلطانا مثل هذا

وقد ذكر هذه الحادثة كل من مرقس ولوقا بتغيير فقد نص مرقس على أن المدينة كفر ناحوم وأغفل ذكرها كل من متى ولوقا ومتى ذكر أنه قدم له مطروحا على فراش وقال لوقا دلى اليه على سرير وقال مرقس انهم نقبوا السقف ودلوه اليه

(٦) متى فى الاصحاح التاسع — ١٨ الى ٢٦ حادثة مضمونها ان احد الرؤساء جاء الى المسيح وسجد له طالبا منه احياء ابنته التى قد ماتت وفيما هو ذاهب لمست امرأة ثوبه وكان بها نزيف مزمن فشفيت ولما وصل الى بيت الرئيس نحى المجتمعين على البنت قائلا ان الصبية لم تمت ولكنها نائمة فضحكوا عليه فأخرجهم وأمسك بيدها فقامت

وقد حكى مرقس هذه القصة بتغيير فلم يذكر ان الصبية قد ماتت ولكن قال انها على آخر نسمة والخبر جاء بموتها والمسيح فى المجمع ولوقا حذا حذو مرقس

(٧) أورد متى فى الاصحاح المذكور ف ٢٨ ان المسيح فيما هو مجتاز من هناك تبعه أعميان من هناك يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود

وبعد لأى قال لهما أتؤمنان انى أقدر أن أفعل هذا فقالا نعم فلمس أعينهما فأبصرا وأكد عليهما أن يكتما الخبر فأذاعاه فى كل الارض

وقص هذه القصة مرقس وقال ان ذلك كان عند خروجه من اريحا وإن الاعمى كان واحدا لا اثنين وان اسمه بارتيماوس بن تيماوس ووافق لوقا مرقس فى هذه القصة بعض الموافقة (١٠ ص ف٤٦)

وأوردها لوقا ص ١٨ - ف ٣٥ موافقا مرقس فى انه أعمى واحد مع تخالف فى النص - وذكر يوحنا فى انجيله ص٩ ف١ قصة أعمى أبصر وذكر ان المسيح تفل على الارض وصنع من التفلة طينا وطلى به عين الاعمى وقال له اغتسل فى بركة سلوان فمضى واغتسل وأتى بصيرا

(٨) فى الاصحاح ١٤ من متى ف ١٥ ولما صار المساء تقدم اليه التلاميذ قائلين الموضع خلاء، والوقت قد مضى . اصرف الجموع لكى يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاما . فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا أعطوهم أنتم ليأكلوا . فقالوا له ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان فقال ائتونى بها الى هنا فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ثم أخذ الارغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الارغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف ماعدا النساء والاولاد اه وقد ذكر باقى أصحاب الاناجيل هذه الحكاية مع بعض التخالف

وهنا أقول ان هذه المسألة هى مسألة المائدة السماوية ومعنى كونها سماوية ان الله تعالى بارك فى الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة . وقد حكيت فى القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة المائدة (إذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء

تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين)

وهنا اختلف المفسرون . فقال بعضهم انها نزلت وان الذين كفروا بعيسى بعد الأكل من المائدة مسخوا خنازير تحقيقا لقوله تعالى (أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين)

وقال آخرون ان المائدة لم تنزل إذ لم ينص القرآن على نزولها بالفعل وان الطالبين للمائدة لم يطلبوها بعد أن اشترط الله تعذيب من كفر بعد نزولها تعذيبا شديدا فخشوا أن يحيق بهم العذاب .

وأنا أكرر القول بأن مسألة المائدة هى مسألة الارغفة الخمسة والسمكتين والمراد بانزالها عليهم أن يرزقهم الله الطعام الكثير من حيث لا يحتسبون ومن اراد المطرب المعجب من روايات القائلين بنزولها وعن مدة نزولها وكيفية نزولها وما كان عليها من طعام وبقول وغير ذلك فليرجع الى روح المعانى للالوسى ص ٤١٠ ج ٢

(٩) وفى الاصحاح ١٤ متى ف ٢٢ وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه الى العبر حتى يصرف الجموع وبعد ماصرف الجموع صعد الى الجبل منفردا ليصلى ولما صار المساء كان هناك وحده وأما السفينة فكانت قد صارت فى وسط البحر معذبة من الامواج لان الريح كانت مضادة فى الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشياً على البحر فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين انه خيال ومن الخوف صرخوا فللوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا أنا هو لا تخافوا . فأجابه بطرس وقال ياسيد إن كنت أنت فمرنى أن آتى اليك على الماء . فقال تعال . فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى الى يسوع ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلا يارب نجنى ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له . ياقليل

الايمان لماذا شككت . ولما دخلا فى السفينة سكنت الريح والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله ـ انتهى

وقد ذكر هذه الحكاية كل من مرقس ويوحنا مع اختلاف مع متى فى بعض تفاصيلها. وأهملها لوقا

وقد أشار الى هذه الحكاية المعرى فى بعض قصائده إذ يقول لخيال المحبوبة

سريت الينا والركاب سفائن كعادك فينا والركائب اجمال

أعمت الينا أم فعال ابن مريم فعلت وهل يعطى النبوة مكسال

فقوله — أم فعال ابن مريم فعلت أى أم مشيت على الماء كما مشى عيسى بن مريم

(١٠) جاء فى متى ص١١ ف ٢٣ حينئذ أحضر اليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه حتى ان الاعمى الاخرس تكلم وأبصر. وقد أهمل مرقس ويوحنا هذه الواقعة . وقد ذكرها لوقا بقوله ص١١ ف١٤ وكان يخرج شيطانا وكان ذلك أخرس ولم يذكر أنه أعمى وجعل الاخرس الشيطان لا المجنون

جاء فى ص ١٢ ف٩ متى ثم انصرف من هناك وجاء الى مجمعهم ١٠ وإذا انسان يده يابسة فسألوه قائلين هل يحل الابراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه ١١ فقال لهم أي انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط فى السبت فى حفرة أفما يمسكه ويقيمه؟ ١٢ فالانسان كم هو أفضل من الخروف . إذاً يحل فعل الخير فى السبوت ١٣ ثم قال للانسان مد يدك فمدها فعادت صحيحة كالأخرى

(١١) فى متى اصحاح ١٥ ف٢١ ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحى صور وصيداء ٢٢ واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمنى ياسيد يابن داود ابنتى مجنونة جدا ٢٣ فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه قائلين اصرفها فانها تصيح وراءنا ٢٤ فأجاب وقال لم أرسل إلا الى خراف بيت اسرائيل الضالة ٢٥ فأتت وسجدت له قائلة ياسيد أعنى ٢٦ فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ٢٧ فقالت نعم

ياسيد والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها ٢٨ حينئذ أجاب يسوع وقال لها ياامرأة عظيم إيمانك ليكن لك كما تريدين فشفيت ابنتها من تلك الساعة.

(١٢) فى متى ص ١٧ ف ١٤ ولما جاءوا الى الجمع تقدم اليه رجل جاثيا له ١٥ قائلا ياسيد ارحم ابنى فانه يصرع ويتألم شديدا ويقع كثيرا فى النار وكثيرا فى الماء ١٦ وأحضرته الى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه ١٧ فأجاب يسوع وقال أيها الجيل الملتوى غير المؤمن الى متى أكون معكم. الى متى احتملكم. قدموه إلىّ ههنا ١٨ فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى من تلك الساعه

(١٣) فى متى ص ١٩ ف ١ ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل الى تخوم اليهودية من عبر الاردن ٢ وتبعه جموع كثيرة فشفاهم هناك

(١٤) متى ص ٢٠ ف ٢٩ وفيما هم خارجون من اريحا تبعه جمع كثير ٣٠ واذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمعا ان يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا ياسيد ياابن داود ٣١ فانتهرهما الجمع ليسكتا. فكانا يصرخان أكثر قائلين ارحمنا ياسيد ياابن داود ٣٢ فوقف يسوع وناداهما وقال ماذا تريدان أن أفعل بكما ٣٣ فقالا ياسيد أن تفتح أعيننا ٣٤ فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما وتبعاه. وخالف بطرس فى كونهما أعميين وقال كان أعمى واحدا

(١٥) متى ص ٢١ ف ١٨ وفى الصبح إذ كان راجعاً الى المدينة جاع ١٩ فنظر شجرة تين على الطريق وجاء اليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط. فقال لها لا يكن منك ثمر إلى الأبد. فيبست التينة فى الحال

ذكر الاربعة هذه الحادثة مع اختلاف فى التفصيل فليرجع اليه فى صفحة ١٦٠ فى كتاب الفارق بين المخلوق والخالق

(١٦) يوحنا ص ١١ ف ١ وكان انسان مريضا وهو لعازر من بيت

عنيا من قرية مريم ومرثا أختها ، وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا
هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ٣ فأرسلت الاختان
اليه قائلتين ياسيد هو ذا الذى تحبه مريض ٤ فلما سمع يسوع هذا الكلام قال
هذا المرض ليس للموت بل لاجل مجد الله ليتمجد ابن الله به ٥ وكان يسوع
يحب مرثا وأختها ولعازر ٦ فلما سمع انه مريض مكث حينئذ فى الموضع الذى
كان فيه يومين ٧ ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب الى اليهودية أيضا ٨ قال له
التلاميذ يا معلم كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضا الى هناك ٩ أجاب
يسوع أليست ساعات النهار اثنتى عشرة ان كان أحد يمشى فى النهار لا يعثر
لانه ينظر نور هذا العالم ١٠ ولكن ان كان أحد يمشى فى الليل يعثر لان النور
ليس فيه ١١ قال هذا وبعد ذلك قال لهم لعازر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لاوقظه ١٢
فقال له تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى ١٣ وكان يسوع يقول عن
موته وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم ١٤ فقال لهم يسوع حينئذ علانية
لعازر مات ١٥ وأنا أفرح لاجلكم انى لم أكن هناك لتؤمنوا ولكن لنذهب
اليه ١٦ فقال توما الذى يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه لنذهب نحن أيضا
لكى نموت معه

١٧ فلما أتى يسوع وجد انه قد صار له أربعة أيام فى القبر ١٨ وكانت
بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو ١٥ غلوة ١٩ وكان كثيرون من اليهود قد
جاءوا الى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما ٢٠ فلما سمعت مرثا ان يسوع آت
لاقته وأما مريم فاستمرت جالسة فى البيت ٢١ فقالت مرثا ليسوع لو كنت
ههنا لم يمت أخى ٢٢ لكنى الآن أعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيك ٢٣
فقال لها يسوع سيقوم أخوك ٢٤ قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة
فى اليوم الاخير ٢٥ فقال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات

فسيحيا ٢٦ وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت الى الابد أتؤمنين بهذا ؟
٢٧ قالت نعم يا سيد أنا قد آمنت انت المسيح ابن الله الآتى الى العالم

٢٨ ولما قالت هذا مضت ودعت مريم اختها سرا قائلة المعلم قد حضر وهو
يدعوك ٢٩ أما تلك فلما سمعت قامت سريعا وأتت اليه ٣٠ ولم يكن يسوع قد
جاء إلى القرية بل كان فى المكان الذى لاقته فيه مرثا ٣١ ثم ان اليهود الذين
كانوا معها فى البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلا وخرجت تبعوها قائلين
انها تذهب الى القبر لتبكى هناك ٣٢ فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع خرت
عند رجليه قائلة له يا سيد لو كنت هنا لم يمت أخى ٣٣ فلما رآها يسوع تبكى
واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب ٣٤ وقال اين
وضعتموه قالوا ياسيد تعال وانظر ٣٥ بكى يسوع ٣٦ فقال اليهود
انظروا كيف كان يحبه ٣٧ وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذى فتح عينى
الاعمى ان يجعل هذا أيضا لا يموت ٣٨ فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء
الى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر ٣٩ قال يسوع ارفعوا الحجر .
قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد أنتن لان له أربعة أيام ٤٠ قال لها يسوع
ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله ٤١ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا
ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال أيها الاب أشكرك لانك سمعت لى ٤٢ وأنا
علمت انك فى كل حين تسمع لى ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا
انك أرسلتنى ٤٣ ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم . لعازر هلم خارجا فخرج
الميت ويداه ورجلاه مربوطات باقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع
حلوه ودعوه يذهب

هذه الخوارق رويت عن المسيح عليه السلام فى الاناجيل ولم يرو عنه فيها أنه صور من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فكان طيرا . ولا غرابة فى ذلك

فقد ذكر القرآن عن أهل الكتاب انهم نسوا حظا مما ذكروا به . ولقد كانت هذه الخوارق سببا لافتتان فريق من الناس به حتى وصفوه بانه ابن الله على معنى البنوة الحقيقية وآخرون قالوا انه الله حتى عبد وتكلف قومه لعبادته ضروبا من المسوغات يرفضها العقل ويمقتها العلم

خاتمة أمر المسيح

أما خاتمة أمر المسيح بحسب قصص القرآن فهى عجيبة وبسيطة لا تعقيد فيها ـ ذلك أن المسيح قد أحرج الكهنة والفريسيين بتعليمه وتجريحه إياهم فى طريقتهم وفضح رياءهم وخبثهم فاخرجهم ذلك الى الكيد له والتدبير لقتله . فلما اختمر هذا الأمر فى أنفسهم شكوا أمره الى الوالى طبعا وزينوا شكواهم بما يستدعى اهتمام الوالى بان ادعوا عليه انه يقول انه ملك اليهود وانهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية فأرسل الوالى جندا للقبض على المسيح عيسى بن مريم فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه ـ والمسيح قد اهتم لهذا الامر وخشى أن ينالوه بالاذى ـ أنقذه الله من أيديهم وطهره منهم والقى شبهه على شخص آخر علم فيما بعد أنه تلميذه الخائن وعرفته الاناجيل بانه يهوذا الاسخريوطى وصار بحيث ان كل من رآه لا يشك فى أنه يسوع. فأخذ وصلب وقتل ونجا المسيح من شرهم وقد أعلم الله تعالى المسيح بما سيتم وشاع فى الناس أن يسوع الناصرى قتل بعد أن صلب وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم

وقد أورد الحافظ ابن كثير وابن جرير وغيرهما من المفسرين : أن المسيح لما قرب وقت القبض عليه . ندب أصحابه ثلاث مرات طالبا أن يتقدم واحد منهم ليفديه ويقدم نفسه الى اليهود عوضا عنه ويكون جزاؤه الجنة — فلم

ينتدب له فى كل مرة الا واحد بعينه . فلما جاء أعداؤه ألقى الله على صاحبه الذى انتدب له شبه المسيح . وصار بحيث لايشك أحد من أصحابه فى أنه يسوع . فألقى القبض عليه وصلب وقتل

هذا الامر محتمل . ولكن الشائع سواه . وهو أن الذى ألقى عليه شبهه انما هو يهوذا الاسخريوطى الذى واطأ الكهنة على الدلالة عليه بأجر — أما ماجاء عن ذلك فى القرآن الكريم فاقرءوه فيما يأتى

سورة آل عمران — اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ٥٥

سورة النساء — وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ١٥٧ بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما ١٥٨

وقد اختلف مفسرو القرآن فى معنى قوله تعالى (ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا على، ثمانية أوجه وهى

١ — المعنى رافعك الى ومتوفيك وان الكلام فيه تقديم وتأخير

٢ — المراد انى مستوف أجلك ومميتك حتف أنفك لاأسلط عليك من يقتلك فالكلام كناية عن عصمته من الاعداء وماهم بصدده من الفتك به عليه السلام لانه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك

٣ — المراد قابضك ومستوف شخصك من الارض من توفى المال بمعنى استوفاه وقبضه

٤ — المراد بالوفاة هنا النوم لان النوم والوفاة يطلق كل منهما على الآخر وقد روى عن الربيع أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام الى السماء وهو نائم رفقا به

٥ — أجعلك كالمتوفى لانه بالرفع يشبهه

٦ — المراد آخذك وافيا بروحك وبدنك فيكون ورافعك الى كالمفسر لما قبله

٧ — المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن ايصاله بالملكوت

٨ — ان المراد مستقبل عملك — قال الالوسي — ولا يخلو أكثر هذه الاوجه من بعد ولا سيما الاخير

وهناك وجه تاسع

أخرج ابن جرير عن وهب أنه قال توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه اليه — وفى رواية للحاكم عنه أنه توفاه سبع ساعات ثم أحياه

والذى أختاره أن عيسى عليه الصلاة والسلام قد أنجاه الله من اليهود فلم يقبضوا عليه ولم يقتل ولم يصلب . وان الوجه الثاني وهو — أن المراد من الآية انى مستوف أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك وأن الآية كناية عن عصمته من الاعداء هو الوجه الوجيه الذى يجب أن يصار اليه لانه المتبادر من المقام والذى يحقق احباط الله لتدبير اعدائه كما قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وما عجبت من شيء فان تعرض مثل وهب وغيره من مسلمة اليهود لشأن عيسى اعجب وقد كانوا الداعدائه الى ان اسلموا

وهنا يأتي سؤال هو . اذا كان عيسى قد نجا سالما ووقع من القى عليه شبه المسيح فى هذه الورطة . فاين ذهب ؟

والجواب — ان جمهور المسلمين على أن الله تعالى قد رفعه بروحه وجسده حيا الى السماء ودليلهم على ذلك قوله تعالى (ورافعك الى)

بقى أن يقال أن الاخبار المأثورة وردت ناطقة بأن المسيح رفع الى السماء بجسده وروحه وأنه حى فيها وأنه ينزل فى آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال

والجواب على ذلك أن هذه الاخبار وردت وبعضها مرفوع إلى رسول الله وبعضها آراء للمفسرين وبعضها عن مسلمة اليهود ككعب ووهب ومهما كان من شأنها وصراحة عبارتها فهى أحاديث أو آراء آحاد ولا تبلغ أن تكون لها قوة صريح القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ولا يمكن أن تكون فى النفس اعتقادا يقينيا جازما تطوع به النفس لصاحبها أن يشهد على الله أنه نقل المسيح حيا الى السموات ويشهد على الله مطمئنا بتلك الشهادة أنه سوف ينزل عيسى من السماء الى الارض وأنه سوف يتولى قتل رجل ينبز بالمسيح الدجال سيخلقه الله تعالى ولا يدرى متى يكون زمانه إذ كل تلك الاخبار لا يمكن أن تنهض بانشاء عقيدة إذا خالفها انسان وحاد عن الاعتقاد بها برئ من الاسلام وبرئ الاسلام منه

ولولا ما فى تلك الاخبار من الطول لنقلتها ولكنى آتركها لانها معلومة مشهورة فلتراجع فى كتب الحديث وفى كتب التفسير والطبرى وابن كثير

وقد جاء فى تفسير المنار عن الاستاذ الامام بعد أن قرر الآية على ظاهرها وأن التوفى على معناه الظاهر المتبادر وهو الاماتة العادية وان الرفع يكون بعده وهو رفع الروح — ولصاحب هذه الطريقة فى حديث الرفع والنزول فى آخر الزمان تخريجان ؛ أحدهما : أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب . والامور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعى لان المطلوب فيها اليقين وليس فى الباب حديث متواتر

وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه فى الارض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وماغلب فى تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والاخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها

وما شرعت لاجله فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر الفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم الى عالم الارواح بتحرى كمال الآداب. تراجع ص ٣١٧ ج ٣ من تفسير المنار

ونقل فى تفسير المنار أيضا أن الاستاذ الامام سئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له فقال : ان الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التى تزول بتقرير الشريعة على وجهها والاخذ باسرارها وحكمها وان القرآن أعظم هاد إلى هذه الحكم والاسرار وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك فلاحاجة للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك

أقول انى كنت ممن يطمئنون إلى هذا التأويل ولكنى الآن أميل كل الميل إلى أن المسيح الدجال انما هو رجل يقوم من اليهود ويدعى أنه المسيح أى الملك الذى وعدوا به وهم ينتظرونه الى اليوم

ذلك انى نظرت الى اليهود فوجدتهم ينتظرون مسيحا يعيد اليهم الملك والسلطان فى الارض ويعتزون به . فلما جاءهم المسيح عيسى بن مريم يشيد بينهم مملكة الاخلاق والتقوى والسجايا الكريمة لم يكن هو المسيح الذى صوروه لانفسهم فكروا به وأرادوا قتله ولو كان جاءهم بملك الثروة لآمنوا به إذ هم قوم يؤلهون الثروة والمال . انظروا اليهم وقد قال لهم صموئيل . ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا . ماذا أجابوه به

ألم يجيبوا بقولهم . انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يوت سعة من المال؟ ولا غرو أن كان المسيح عيسى مرفوضا منهم وظلوا على حالهم ينتظرون مسيحاً مالياً الى اليوم

وهاهم من عشرات السنين جادون فى ايجاد وطن قومى لهم فى فلسطين وظاهرتهم الحكومة الانكليزية وجاملتهم لانهم نفعوها بالاموال أيام الحرب العظمى فهم ساعون فى استعمار بلاد فلسطين عاملون على توطيد اقدامهم فيها وليس بعيدا ذلك اليوم الذى يقوم فيه رجل منهم يدعى أنه مسيحهم (أى ملكهم) الذى وعدوا به على لسان بعض أنبيائهم ويقيمونه ملكا فى بلاد فلسطين وحينئذ تقع الفتن

ذلك أن اليهود لهم ماض أسود فى القتال بينهم وبين مخالفيهم فهم لا يتحرجون من الاستئصال والتمثيل باعدائهم تمثيلا تقشعر منه الابدان . هذا هو رأيى وما أميل اليه فى مسألة المسيح الدجال — وقد حذر المسيح أصحابه منه فقال : سيقوم بعدى أنبياء كذبة ومسحاء كذبه

دقيقة ينبغى التنبه لها

مما يسهل القاء شبه المسيح عليه السلام على غيره .. هذه الحادثة التى ذكرها متى فى الاصحاح ١٧ من انجيله ونصها

١ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين ٢ وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور ٣ واذا موسى وايلياء قد ظهرا لهم يتكلمان معه ٤ فجعل بطرس يقول ليسوع يارب جيد أن نكون هنا . فان شئت أن نصنع هنا ثلاث

مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايلياء واحدة ٥ وفيما هو يتكلم إذاسحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا ٦ ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا ٧ فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا لاتخافوا ٨ فرفعوا أعينهم ولم يرو أحدا الا يسوع وحده

وقد ذكر هذه الحادثة أو المعجزة كل من مرقس ولوقا وأغفلها يوحنا ومن العجب أنه كان أحد شهودها — ومع ما بينهم من التناقض فى عدد الايام فقد اتفقوا على حصولها فى الجملة راجع. مرقس ص : ٩ وما بعدها ولوقا ص ٩ : ٣ وما بعدها

وما كان من الامر فقد عهد تغير هيئة المسيح تغيراً كليا فى وجهه وثيابه وهذا التغير الذى يقرون به يفسر لنا بأجلى بيان القاء شبهه على غيره وتغير هيئته حتى ان الذين أتوا للقبض عليه أخذوا من القى عليه شبه المسيح فوقع فى الورطة ونجا عيسى صلوات الله عليه

الشبه والاشتباه

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أذكر لكم أن بعض الناس قد يشبه بعضا آخر. فانى رأيت بالخرطوم أخوين روميين كانا توأمين يشبه أحدهما الآخر كما يشبه الغراب الغراب. وكان المعاملون لهما يخاطب الواحد منهم أحدهما يحسبه الآخر

وكان صديقنا المرحوم الشيخ محمد احمدين خريج دار العلوم يشبهه شخص آخر مشابهة تامة هو أخ لنصر أفندى نعمه الضابط بمدرسة الناصرية، وكان الناس يغلطون يحسبون أحدهما الآخر — وقد قال سيل الانجليزى مترجم

القرآن . ان المسيح ويهوذا الاسخريوطي كان كل منهما يشبه الاخر . أى أن يهوذا يشبه المسيح

كان لى صديق من أقاربى رحمه الله وكان له ابن ببعثة فى انجلترا وعاد فى سنة ١٩٢٥ وعين مدرساً للكيمياء والطبيعة بمدرسة الزقازيق الثانوية فذهب إلى المدرسة وقدم نفسه إلى ناظرها وتعرف إلى بعض المدرسين وتعرفوا اليه وعاد إلى القاهرة من يومه

وقد صادف أن وجد شخص يشبهه على أهبة السفر بمحطة الزقازيق قد سقط ميتا . وفى ذلك الحين مر أحد مدرسى المدرسة الثانوية فقال أنه المدرس الجديد الذى جاءنا اليوم وعرف أن بلده القرشية فأبرق البوليس إلى أهله فخف أخوه وأبناء عمومته وأصدقاؤهم الى الزقازيق وأقيم المأتم بالقرشية ودخل عليه بمستشفى الزقازيق أخوه وأبناء عمه والاصدقاء ولم يشكوا فى أنه هو بعينه . وأراد أخوه انباء أبيه فلم ير أن يفاجئه بهذا الخبر المزعج فأرسل لوالده بمصر تلغرافا يسأله عنه فجاء اليه الرد سريعا بانه موجود عنده بمصر فاطمأنوا وفرحوا وانقلب مأتم الحزن سروراً وبطل الاستعداد لاستقبال المعزين . وإذا أراد القارى معرفة اسم ذلك الميت الحى أقول له أنه عبد العزيز غباشى افندى مدرس الكيمياء والطبيعه بالمدارس الملكية الآن هذا أولا

وثانيا يوجد رأى فى مسألة المسيح جاء به غلام احمد القادياني . وهو رجل من بلد قاديان فى الهند قال ان المسيح أنجاه الله من كيد اليهود فذهب الى بلاد الهند واستقر فى بلاد قشمير فى شمال الهند بسفح جبال هملايا وأقام هناك إلى أن وافاه أجله ودفن فى تلك البلاد قرب بلدة سرنجار وله قبر معروف

هذا الرجل ادعى أنه المسيح الموعود بمجيئه . ولكن كيف يكون هو المسيح وهو معروف بأنه غلام أحمد القادياني معروف النسب معروف الاسرة؟ فذهب إلى تأويل الامر على أن المسيح مات ولا يمكن أن يأتي ولما كانت الاحاديث دالة على أنه سيأتي في آخر الزمان . قال أنا المسيح بمعنى أنني آت بهديه وتعاليمه من بث السلام والرحمة والتعاطف والمحبة . ثم زاد في الطنبور نغمة وقال اني رسول ودعواي لا تعارض قوله تعالى (محمد رسول الله وخاتم النبيين) فان معنى خاتم النبيين ان كمال النبوة انتهى به وهذا لا ينافي بقاء النبوة ولا نجاة لاحد إلا بالاقرار برسالتي وبأني أنا المسيح - وله كلام طويل في كتبه ومجلته التي كان يصدرها في حياته . وجماعته ناشطون في التبشير بمسيحيته الآن في كل مكان والدولة الانكليزية تؤيدهم لانهم يقولون ان مسيحهم أبطل الجهاد في الجملة بوحي جاءه وقد كان مغرما بالانكليز يمدح حكمهم ويراه نعمة على بلاد الهند وغيرها

وفي رأيي أن دعواه مجيء المسيح إلى الهند أمر يحتاج إلى بحث واف وتحقيق دقيق ولا يمكن تصديقه إلا بظهور الامر ظهورا بينا وثبوته ثبوتا قاطعا لكل شبهة ولو ثبت ذلك ما أفاده شيئا - لاننا إذا تمشينا مع الاحاديث (وهي لا تفيد القطع بمجيء المسيح) وجدنا فيها علامات منها أنه يقتل الدجال ويعاون المهدي المنتظر الذي يذكر فيها ويكسر الصليب الخ وهذا لم يحصل من ذلك الرجل . وقد يكون الرجل حسن النية في دعواه بريئا من الخبث ولكنه تخيل ثم خال وكبر معه الوهم الذي كثيرا ما يلازم أرباب الخلوة والرياضات ويقطعهم عن الوصول إلى مرادهم الاعظم فيستولى عليهم الاشتغال بالخيالات والاوهام عن مقصودهم وهم معذورون لانهم لم يقولوا ما قالوا عن خبث وسوء طوية . نسأل الله أن لا يجعلنا فتنة للذين آمنوا إنه سميع الدعاء

ثالثا — يوجد فريق آخر من المسلمين عددهم قليل جدا — قد كونوا لهم اعتقادا خاصا انتزعوه من نتف اقتطفوها من الاناجيل تدل على نجاة المسيح من القتل وأن فى نجاته سرا خاصا — وذلك :

١ — ان بيلاطس الوالى لم ير فيه شرا ولا أمرا موجبا للقتل كما فى متى ص ٢٧ — ٢٤ فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا اني برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم.

لوقا — ص٢٣ — ١٤ فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ١٤ وقال لهم قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشكون عليه ١٥ ولا هيرودس أيضا لانى أرسلتكم اليه . وها لا شىء يستحق الموت صنع منه

لوقا ـ ص ٢٣ ـ ٢٢ فقال « بيلاطس » لهم ثالثة فأي شر عمل هذا انى لم أجد فيه علة الموت

يوحنا — ص١٨ — ٣٨ قال له « ليسوع » بيلاطس ما هو الحق . ولما قال هذا خرج أيضا الى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة

من هذا كله نجد أن بيلاطس كان يعتقد براءة المسيح من كل مايرميه به اليهود من الافساد

٢ ان زوجة بيلاطس كانت عاطفة على يسوع مهتمة بأمره حريصة على أنه لا يمس بسوء وقد أوصت زوجها بذلك

فى ص ٢٧ متى — ١٩ وإذ كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت اليه امرأته قائلة : اياك وذلك البار . لانى تألمت كثيرا فى حلم من أجله ـ وإذا فقد علمنا أن المسيح عليه السلام له شفيع عريان شفاعته غير مردوة عند بيلاطس

٣ — ان يسوع لم يمكث على خشبة الصلب زمنا طويلا بل جاء يوسف

وهو رجل غنى من الرامة وكان من تلاميذ المسيح سرا ولم يكن راضيا عن فعل اليهود وكذلك جاء نيقوديموس وطلب يوسف من بيلاطس أن يسلمه جسد يسوع فتعجب بيلاطس من موته سريعا وسأل رئيس الشرط ولما علم منه بوفاته أمر بتسليمه ليوسف فأخذه وكفنه ولفه فى كتان ووضعه فى قبر له كان هناك

٤ — ينظر أصحاب هذا الرأى الى أمر آخر . هو أن المسيح لم تكسر ساقاه وهو على خشبة الصلب ولا بعدها كما كسرت ساقا كل من اللصين اللذين صلبا معه ولا سبب لذلك سوى العناية الخاصة التى كانت تحوطه من ناحية الوالى بيلاطس وزوجه ويوسف ونيقوديموس فاجتماع هذه الاعتبارات جعلهم يقولون أن المسيح تظاهر بالموت أى أنه أظهر للناس أنه مات ولم يكن قد مات والذى تولى انزاله رجل من تلاميذه فى الحقيقة وكان ذلك التظاهر بايحاء منه وساعده الوالى على ذلك بأن سلم له فى انزاله عن الخشبة واليهود فى غفلة عما بينه وبين المسيح من العلاقة ولفه ووضعه فى القبر الذى يملكه يوسف وأجاف على الباب حجرا

ولما هدأ الناس ودخلوا فى السبت جاء يوسف وأعوانه وأزالوا الحجر وأخذوا يسوع وواروه فى بيته أو بيت نيقوديموس الى أن برىء من أثر المسامير ثم ذهب الى بلاد غير البلاد الى أن تولاه الله بالوفاه

وهؤلاء يؤولون قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه بمعنى أن صلبه لم يؤد الى قتله ولكن شبه لهم أنه قتل على خشبة الصلب ولم يكونوا على يقين من أنه مات حقيقة وذلك معنى وما قتلوه يقينا

ولا يخفى ما فى هـذا التأويل من الضعف والتهافت وهذا الوجه ليس من الوجاهة فى شىء فى نظرى ولعل بعض الباحثين الغربيين قاله فنقلوه عنه

وهناك فريق آخر من المسلمين يقولون ان الآيات القرآنية ناطقة بنجاة المسيح عليه السلام من أيدى أعدائه وأن الله تعالى وعده العصمة من كيدهم وتدبيرهم وأنه انما يموت بالوفاة حتف أنفه وبأن شبهه التى على غيره فأخذوا ذلك الشبيه وفعلوا به ما بدا لهم يحسبون أنه المسيح وهم فى الحقيقة يجاهدون فى غير عدو — ويحملون قوله تعالى وما قتلوه يقينا على أن عدم قتله أمر يقينى أو وما قتلوا ظنهم يقينا . فهذا كل ما تدل عليه الآيات — وأما صعوده الى السماء فلا يوجد فيه نص قاطع الثبوت والدلالة — ولا حجة للجمهور فى القول بأنه رفع الى السماء لانه لا يوجد ذكر للسماء بازاء قوله « ورافعك الى » وكل ما تدل عليه هذه العبارة — أن الله مبعده عنهم الى مكان لا سلطة لهم فيه وانما السلطان ظاهرا وباطنا فيه لله تعالى فقوله — الى — لا يدل على السماء نصا . بل هو كقول الله فى لوط (فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى) اذ ليس معناه انى مهاجر الى السماء . بل هو على حد قوله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله)

وايضا فان من معانى الارتفاع الاصعاد فى البلاد — قال الفيروزابادى . رفعه كمنعه ضد وضعه كرفعه وارتفعه فارتفع . والبعير فى سيره بالغ ورفعته انا لازم متعد والقوم اصعدوا فى البلاد — ويرد عليهم القائلون بوجوده فى السماء — بان حديث المعراج فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى بن مريم فى السماء — وهؤلاء يردون عليهم بأنه عليه السلام اخبر ايضا فيه بأنه رأى يحيى بن زكريا معه ويحيى مات مقتولا ولا فرق بين الرؤيتين — ورأى آدم وموسى وهارن وابراهيم وغيرهم من الانبياء فلو كانت رؤيته لعيسى دليلا على رفعه حيا الى السماء لكانت دليلا ايضا على رفع هؤلاء احياء . ولما كان الثانى باطلا كان الاول مثله

يقال لهم . اذا فأين ذهب عيسى وما الذى آل اليه أمره؟ والجواب على ذلك أن الله تعالى أبهم أمره علينا ولم يقصه فنحن نفوض العلم بذلك الى الله تعالى فليكن أنه أماته فى الارض أو أنامه كما أنام أهل الكهف أو أصعده الى السماء لا نقطع بشىء من هذه الاشياء بعينه بل نبهمه كما أبهمه الله . ومن أراد أن يقطع بشىء فعليه دليل ما قطع به . وتفويض العلم الى الله أسلم فى العاقبة وأكثر احتياطا للدين . فليس بهين أن يشهد المرء على الله بأمر لم يشهد الله به على نفسه وليس عنده به سلطان مبين

اليهود وصلب المسيح

لم يوجد عند اليهود أثارة من علم تدل على ان رجلا جاء باسم المسيح فى زمن كذا وصلب وقتل ولا يوجد فى تاريخهم الدينى شىء من ذلك أصلا . وهذا هو الذى حدا ملاحدة أوربا على انكار وجود المسيح واعتباره انسانا فرضيا كالاشخاص الذين يفرض وجودهم فى الروايات ولا وجود لهم فى الحقيقة كالحرث بن همام وأبى زيد السروجى عند الحريرى وأبى الفتح الاسكندرى عند بديع الزمان الهمذاني

هذا يوسف القائد اليهودى الذى يدعى يوسيفوس عند الاوربيين كان هذا الرجل قائدا لفرقة من الجند اليهودى فى جهة رفح فى سنة ٧١ بعد الميلاد ولما علم بانكسار اليهود أمام طيطوس ويئس من النجاح سلم ما بيده وجاء الى الاسكندرية وألف تاريخه المشهور عن اليهود وأحوالهم وما صار اليه أمرهم .

ومع قرب زمن هذا الرجل من زمن المسيح - ونهاية أمر المسيح لا بد أن تكون قد تمت وهو حى يرزق صغيرا أو كبيرا - ومع هذا فلم يشر اليها

بكلمة ولم يجر لها ذكر فى كتابه أصلا — ولكن المتأخرين من النصارى ألحقوا به كلمة ضئيلة عن مسألة المسيح ترى فى بعض نسخ ذلك الكتاب كأنها الرقعة الجديدة فى الثوب الخلق

فاذا تكلم اليهود عن المسيح وقتله فليس ذلك لانه مثبت فى تواريخهم المأثورة عن الآباء والمشايخ ولكن لانهم يسمعون ما يقوله المسيحيون من أن المسيح جاء وقتله اليهود . والا فكتبهم خالية من ذلك (١)

خاتمة شأن المسيح عند النصارى

أما النصارى فانهم جعلوا خاتمة أمر المسيح عليه الصلاة والسلام خاتمة شنيعة ومأساة مروعة وجعلوا الاعتقاد بحصولها على الوجه الذي صوروه أصلا من أصول دينهم ودعامة من دعائم عقيدتهم لا يقبل من مؤمن ايمانه الا بها ولا ينفعه عمل صالح ولا عبادة ولا بر ولا تقوى ولا اخلاص دون الاعتقاد بصلب المسيح

وقد تلمسوا لتلك العقيدة أصلا فى العهد القديم جعلوا حمله جملا وجبته قبة وأسسوا عليه عقيدة صلب المسيح . فقالوا أن آدم وهو أبو كل البشر قد عصى الله تعالى بالاكل من الشجرة التى نهاه عن الاكل منها . فصار خاطئا وصار جميع ذريته خطاة مستحقين للعقاب فى الآخرة بالهلاك الابدى . وقد جاء جميع أبناء آدم خطاة مذنبين فهم يحملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب أبيهم الذى هو الاصل لذنوبهم

---

(١) أرسلت الى صاحبنا الدكتور اسرائيل ولفنسون ليلخص لى شأن المسيح مما جاء فى كتب (أو صار يسرائيل) و(ديرى يمى عولام) وزخرونوت لبيت دافيد) و(جراطص) ولم يرد الى رد الى الآن فاذا جاء قبل انتهاء الطبع أثبته

ولما كان الله تعالى من صفته العدل والرحمة فمن عدله أنه لا يترك الجريمة دون عقاب والالم يكن عادلا . والعقاب مناف للرحمة فلا يكون رحيما اذا عاقب ولا بد من تحقق العدل والرحمة معا — للخروج من هذا الاشكال شاء الله أن يحل ابنه (تعالى) الذى هو بنفسه الله فى رحم امرأة من ذرية آدم ويتجسد جنينا فى رحمها ويولد منها فيكون ولدها انسانا كاملا من حيث أنه ابن لتلك المرأة وإلها كاملا من حيث أنه ابن الله . ويكون معصوما من جميع المعاصى . ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس ويأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون ويتلذذ ويتألم كما يتلذذون ويتألمون — يأتي أعداء الله وأعداء شريعته ويقتلونه شر قتلة وأفظعها — وهى أن يصلبوه ويسمروا يديه ورجليه فى الخشب ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه ويضفروا له اكليلا من الشوك ويبصقوا فى وجهه كل ذلك ليفدى البشر من جريمة لم يقترفها هو ولا هم راجع تفسير المنار صفحة ٢٥ ح ٦

أقول . ان هذه العمليه لم يتحقق بها عدل ولا رحمة . لانه ليس من العدل فى شيء أن يؤتى ببرىء غير مذنب ويطوق اثم جريمة جناها سواه كما ان عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة . وبخاصة اذا كان المعاقب من شأن الجبلة ان تشمله بالرحمة ولو مع الذنب فالابن البار غير الآثم أولى

والعقاب على هذا الوجه يخالف الكتاب المقدس عندهم . تثنية ص ٢٤ : ١٦ لا يقتل الآباء عن الاولاد ولا يقتل الاولاد عن الآباء كل انسان بخطيته يقتل

ولان الذى يعلق على خشبة ملعون من الله وكيف يلعن الله من لم يخطىء تثنية ص ٢١ . ٢٢ واذا كان على انسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة ٢٢ فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم لان المعلق ملعون من الله , فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبا

وعلى قول المسيحيين قد بقى الله تعالى مجردا عن صفتى العدل والرحمة من زمن عصيان آدم الى أن اهتدى الى تلك الحيلة التى ظهرت له قبيل خلق المسيح فى مريم

وهناك محظور آخر وهو أن عقيدة الصلب لما كانت هى كل الايمان كانت حادية لمعتنقها على النشوز على كل الفضائل بل مخذلة عن فعل كل بر وتقوى فيكون صاحبها أباحيا فاتكا ليس للفضيلة فى نفسه نصيب

عقيدة الصلب والفداء وثنية

بين يدى الآن كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية تأليف محمد طاهر التنير البيروتى افندى وقد جمع فيه الشيء الكثير مما يشترك فيه النصارى مع الوثنيين المختلفى النحل والامكنة من العقائد . ولو أردت أن أتتبع ما فيه لطال بنا القول وامتد . ولكنى اقتصر على ما نقله السيد رشيد رضا فى تفسير المنار ج ٦ ص ٣٢ . ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق

قال (دوان) فى كتابه خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الاخرى (ص ١٨١ و١٨٢) ماترجمته بالتلخيص

« ان تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم » وذكر الشواهد على ذلك .

منها قوله « يعتقد الهنود ان كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الاله فشنو الذى لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم تحرك حنوا كى يخلص الارض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه »

وذكر أن (مستر موي) قد صور كرشنا مصلوبا كما هو مصور فى كتاب الهنود منقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الانسان معلقا ، ووجدت

له صورة مصلوبا وعلى رأسه اكليل من الذهب · والنصارى تقول ان يسوع صلب وعلى رأسه أكليل من الشوك

وقال « هوك » فى ص ٣٢٦ من المجد الأول من رحلته (ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة »

وقال « هورينولمس » فى ص ٣٦ من كتابه (الهنود) ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطية الاصلية . ومما يدل على ذلك ما جاء فى مناجاتهم وتوسلاتهم التى يتوسلون بها بعد « الكياتري » وهو (اني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة وحملتنى أمى بالاثم فخلصنى ياذا العين الحندقوقية يا مخلص الخاطئين من الآثام والذنوب

وقال القس جورج كوكس فى كتابه (الديانات القديمة) فى سياق الكلام عن الهنود (ويصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لانه قدم شخصه ذبيحة)

ونقل هيجين عن (اندرادا الكروزيوس) وهو أول أوربى دخل بلاد النيبال والتبت أنه قال فى الاله (اندرا) الذى يعبدونه أنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير لكى يخلص البشر من ذنوبهم . وأن صورة الصلب موجودة فى كتبهم .

وفى كتاب جورجيوس الراهب صورة الاله (اندرا) هذا مصلوبا وهو بشكل صليب أضلاعه متساوية العرض متفـاوتة الطول فالرأسى أقصرها (وفيه صورة وجهه) والسفلى أطولها ، ولولا صورة الوجه لما خطر لمن يرى الصورة أنها تمثل شخصا

هذا ـــ وأما ما يروى عن البوذيين فى (بوذة) فهو أكثر انطباقا على ما يرويه النصاري عن المسيح من جميع الوجوه حتى أنهم يسمونه المسيح ،

والمولود الوحيد ، ومخلص العالم ، ويقولون أنه انسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات . بين ذلك كثير من علماء الغرب، منهم (بيل) فى كتابه (تاريخ بوذه) و (هوك) فى رحلته و(مولر) فى كتابه تاريخ الآداب السنسكريتية ، وغيرهم

ومن أراد المقابلة بين آله النصارى وآلهة الوثنيين الاولين فى الشرق والغرب فعليه أن يقرأ كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية لمحمد طاهر افندى التنير البيروتي

فهل يتصور من مسلم هداه الله بالاسلام إلى التوحيد الخالص والدين القيم دين العقل والفطرة المبنى على تكريم نوع الانسان أن يستحب العمى على الهدى فيرضى لنفسه التخبط فى ظلمات هذه العقائد الوثنية ؟ اه

الاناجيل وصلب المسيح

لم تختلف الاناجيل الاربعة فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى انجيل آخر . ولما كانت هذه الاناجيل من تأليف قوم يدعى المسيحيون لهم الالهام ويعتقدون خلوها من الخطأ . كان ينبغى أن تكون كتابتهم فى هذه الحادثة المهمة التى هى مناط النجاة ودعامة الايمان فى نظرهم متطابقة متوافقة بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلا إذ النفس لا تطمئن إلى الاخذ بروايات إذا اتفقت فى موضع واحد من قصة جاءت فى جميعها فانها تتخالف فى مواضع كثيرة . وإذا لم يكن الراوى أمينا كل الامانة كانت الثقة بروايته ضعيفة والتصديق بها غير سائغ

وأني أريد أن أحاكم روايات هذه الاناجيل ليتبين المطلع بنفسه ما فيهـا من الخلل بمجرد المقارنة

متى ص ٢٦ : ٣٦ حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جثسيماني فقال للتلاميذ اجلسوا ها هنا حتى أمضى وأصلي هناك ٣٧ ثم أخذ معه بطرس وابني زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت امكثوا ها هنا واسهروا معى ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا ابتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ٤٠ . ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما . فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا ساعة واحدة ٤١ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف ٤٢ فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا ابتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك ٤٣ ثم جاء فوجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة ٤٤ فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه ٤٥ ثم جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم الى أيدى الخطاة ٤٦ قوموا ننطلق هوذا الذى يسلمنى قد اقترب

٤٧ وفيما هو يتكلم إذ بهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ٤٨ والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله هو هو امسكوه ٤٩ فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام يا سيدى وقبله ٥٠ فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت. حينئذ تقدموا وألقوا الايادي على يسوع وأمسكوه ٥١ وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ٥٢ فقال له يسوع رد سيفك الى مكانه لان كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون ٥٣ أتظن

أني لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبي فيقدم لي أكثر من اثنى عشر جيشا
من الملائكة ٥٤ فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون

٥٥ في تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف
وعصى لتأخذوني . كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل ولم تمسكوني
٥٦ وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الانبياء . حينئذ تركه التلاميذ
كلهم وهربوا

ص٢٧ : ١١ فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود؟
فقال له يسوع أنت تقول ١٢ وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون
عليه لم يجب بشيء ١٣ فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك ١٤ فلم
يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا

١٥ وكان الوالى معتادا في العيد أن يطلق للجميع أسيرا واحدا من أرادوه
١٦ وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس ١٧ ففيما هم مجتمعون قال لهم
بيلاطس من تريدون أن اطلق لكم باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح
١٨ . لانه علم انهم اسلموه حسدا ١٩ وإذ كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت
اليه امرأته قائلة إياك وذلك البار . لاني تألمت اليوم كثيرا في حلم من اجله ٢٠
ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على ان يطلبوا باراباس
ويهلكوا يسوع ٢١ فأجاب الوالى وقال من من الاثنين تريدون ان أطلق لكم
فقالوا باراباس ٢٢ قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح
قال له الجميع ليصلب ٢٣ فقال الوالى وأى شر عمل . فكانوا يزدادون صراخا
قائلين ليصلب ٢٤ فلما رأى بيلاطس أنه لاينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب
أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا اني بريء من دم هذا البار . ابصروا

أنتم ٢٥ فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا ٢٦ حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب

٢٧ فأخذ عسكر الوالي يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ٢٨ فعروه وألبسوه رداء قرمزيا ٢٩ وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه . وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين . السلام يا ملك اليهود

٣٠ وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه ٣١ وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب

٣٢ وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا (١) اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه ٣٣ ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثه وهو المسمى موضع الجمجمة ٣٤ أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب . ولما ذاق لم يرد أن يشرب

مرقس — ص ١٤ : ٣٢ وجاءوا الى ضيعة اسمها جثسيماني فقال لتلاميذه اجلسوا ها هنا حتى أصلي ٣٣ ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب ٣٤ فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا . ثم تقدم قليلا وخر على الارض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان أمكن ٣٦ وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك . فاجزعني هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت . ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة ٣٨ اسهروا

---

(١) صحة هذا اللفظ (قوريني) كما صححه العلامة أحمد زكي باشا ولان القيرواني نسبة إلى القيروان أي العكسر وهذه المدينة لم تكن موجودة في ذلك العهد بل أسسها عقبة بن نافع والي أفريقيا من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة خمسين هجرية كما في ابن الاثير

وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف ٣٩
ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه ٤٠ ثم رجع ووجدهم أيضا نياما
إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا
الآن واستريحوا . يكفى قد أتت الساعة . هوذا ابن الانسان يسلم إلى أيدى
الخطاة ٤٢ قوموا لنذهب هوذا الذى يسلمني قد اقترب

٤٣ وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثنى عشر ومعه جمع كثير
بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ٤٤ وكان مسلمه قد أعطاهم
علامة قائلا . الذى أقبله هو هو . امسكوه وامضوا به بحرص ٤٥ فجاء
للوقت وتقدم اليه قائلا يا سيدى يا سيدى . وقبله ٤٦ فألقوا أيديهم عليه
وأمسكوه ٤٧ فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس
الكهنة فقطع أذنه

٤٨ فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى
لتأخذونى ٤٩ كل يوم كنت معكم فى الهيكل ولم تمسكونى . ولكن لكى
تكمل الكتب ٥٠ فتركه الجميع وهربوا ٥١ وتبعه شاب لابسا أزارا على عريه
فأمسكه الشباب . فترك الازار وهرب منهم عريانا

لوقا — ص ٢٢ : ٣٩ وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه
أيضا تلاميذه ٤٠ ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكى لا تدخلوا فى تجربة
٤١ وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى ٤٢ قائلا يا ابتاه
إن شئت أن تجيز عنى هذه الكاس . ولكن لتكن لا أرادتى بل أرادتك ٤٣
وظهر له ملاك من السماء يقويه ٤٤ وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة
وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض ٤٥ ثم قام من الصلاة وجاء

إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن فقال لهم لماذا أنتم نيام . قوموا لئلا تدخلوا فى تجربة

٤٧ وبينما هو يتكلم إذا جمع والذى يدعى يهوذا أحد الاثنى عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله ٤٨ فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان ٤٩ فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يارب انضرب بالسيف ٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى ٥١ فأجاب يسوع وقال دعوا لى هذا ولمس أذنه وأبرأها

يوحنا — ص ١٨ : ١ قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه وعبر وادى قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه ٢ وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع . لان يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه ٣ فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ٤ فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون ٥ أجابوه يسوع الناصرى . قال لهم يسوع أنا هو . وكان يهوذا مسلمة أيضا واقفا معهم ٦ فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الارض ٧ فسألهم أيضا من تطلبون . فقالوا يسوع الناصرى ٨ أجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ٩ ليتم القول الذى قاله ان الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا

١٠ ثم ان سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى وكان اسم العبد ملخس ١١ فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك فى الغمد الكاس التى اعطانى الآب ألا أشربها

١٢ ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ١٣ ومضوا به إلى حنان أولا لانه كان حما قيافا الذى كان رئيسا للكهنة فى تلك

السنة ٤١ وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت انسان واحد عن الشعب

إن أدنى نظر يهدى الى أن عبارات هذه الاناجيل الاربعة متخالفة وشهادتها لا تصلح أن تكون مستندا يثبت به أمر له من الاهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح التى يدعيها المسيحيون ويجعلونها أساس ايمانهم

(١) ان متى يقول ان يسوع جاء مع تلاميذه الى قرية جثسيماني ووافقه مرقس وخالفهما لوقا وقال — الى جبل الزيتون . وقال يوحنا عبر وادى قدرون حيث كان بستان وعبارة يوحنا قريبة من عبارة لوقا فى المعنى

(٢) قال متى ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب ووافقه مرقس — وخالف لوقا فى ذلك وذكر أنه انفصل عنهم رمية حجر وصار يصلى وكذلك أسقط يوحنا هذه العبارة

(٣) ذكر متى أنه قال لمن معه (نفسى حزينة حتى الموت امكثوا هاهنا وأسهروا معى وأنه كان يصلى قائلا يا ابتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكاس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت . ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما فعاتب بطرس وأمرهم بالسهر ثم صلى وعاد اليهم فوجدهم نياما فعاد وصلى ثالثة ثم جاء إلى التلاميذ فقال لهم ناموا واستريحوا وانبأهم أن ابن الانسان يسلم إلى ايدى خطاة ثم قال قوموا ننطلق هوذا الذى يسلمنى قد اقترب وعبارة مرقس توافق عبارة متى فى المعنى

واما لوقا . فزاد أمرين — أحدهما — أن ملكا من السماء نزل إلى المسيح يقويه وهو يصلى — ثانيهما — انه كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض . وأسقط مجيئه إلى التلاميذ المرة الثالثة واما يوحنا وهو احد الثلاثة الذين انفرد بهم يسوع عن سائر التلاميذ فقد اسقط ذلك كله ولم يذكر شيئا منه وهو دليل على عدم حصول شىء من ذلك

ولعمرى إذا كان الملك جاء وهم نيام فما الذى أنذرهم به ؟ وإذا كان عرقه صار كأنه قطرات دم وهم نيام فى جوف الليل لم يروا شيئا فكيف يثبتون هذا ؟

(٤) قال متى : وفيما هو يتكلم إذا يهوذا احد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب والذى سلمه أعطاهم علامة قائلا — الذى أقبله هو هو أمسكوه . فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام ياسيدى وقبله فقال يسوع يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الايادى على يسوع وأمسكوه

وافق مرقس متى فى المعنى وقال لوقا أن المسيح قال له — يايهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان؟ بدل قوله يا صاحب لماذا جئت وزاد لفظ (والكتبة قبل شيوخ الشعب وأسقط يوحنا الكتبة وشيوخ الشعب وزاد « الفريسيين » ولم يذكر أن يهوذا قبله أو دل عليه . بل قال انه كان وافقا معهم وزاد أن المسيح خرج اليهم وقال لهم من تطلبون . قالوا يسوع الناصرى فقال لهم أنا هو وأنه لما قال لهم ذلك رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض ثم أعاد سؤاله وأعادوا الجواب . ثم قال فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون

(٥) ذكر متى أنهم قبضوا على يسوع ثم ان بطرس استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح برد سيفه إلى مكانه . وقال : أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة فكيف تكمل الكتب ؟ انه هكذا ينبغى أن يكون . ثم قال : وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الانبياء . حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا

أما مرقس فقد وافقه فى المعنى الا هرب التلاميذ كلهم . وزاد قوله وتبعه شاب لابسا أزارا على عريه فأمسكه الشبان فترك الازار وهرب عريانا — وهو

يريد بذلك الشاب يوحنا ذلك الغلام الذى كان المسيح يحبه - وأما لوقا فلم يذكر من ذلك كله سوى أن بطرس ضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح بان يغمد سيفه وانفرد عن الجميع بان المسيح لمس أذنه وأبرأها وأما يوحنا فلم يزد شيئا بل نقص جملا وانفرد بذكر اسم العبد الذى قطعت أذنه أن اسمه ملخس

(٦) ان المحاورة التى قصها يوحنا بين المسيح وطالبيه وقوله لهم من تطلبون وقولهم يسوع الناصرى ورجوعهم وسقوطهم بعد قوله لهم أنا هو - تدل دلالة واضحة انهم ما كانوا يعرفونه . فلو جاء انسان آخر وقال لهم أنا هو فأمسكوا به فانهم لا يشكون فى أنهم رجعوا بالمطلوب — ومن جهة أخرى تفيد أن يهوذا الاسخريوطى برىء من تهمة تسليمه لان يوحنا لم يذكر تقبيله اياه ولا تسليمه لهم بل المسيح هو الذى دلهم على نفسه ان كان هو الذى قبض عليه

(٧) يقول يوحنا أنهم ذهبوا للقبض عليه « وجاء — يهوذا — إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح »

وقد انفرد يوحنا بذلك عن الثلاثة وذلك معقول لان الوقت كان ليلا وهم لا يعرفون المسيح ولذلك استأجروا يهوذا الاسخريوطى للدلالة عليه وهو لم يدلهم عليه ولم يشر اليه على حسب رواية يوحنا . وكل من تعرض صادقا أو كاذبا وقال أنا يسوع فهم مصدقوه وآخذوه ولا سبيل الى التحقق من شخصيته مادام يهوذا ساكتا والليل يساعد على ذلك

(٨) انفرد لوقا بأن رؤساء الكهنة كانوا قد ذهبوا للقبض عليه

بعد القبض على يسوع

يقول متى — ص ٢٦ : ٥٧ والذين أمسكوا يسوع مضوا به الى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ ٥٨ وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل الى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية ٥٩ وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله يطلبون شهادةزورعلى يسوع لكى يقتلوه ٦٠ فلم يجدوا . ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا . ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور ٦١ وقالا : هذا قال انى أقدر أن أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه ٦١ فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشىء . ماذا يشهد به هذان عليك ٦٣ وأما يسوع فكان ساكتا . فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ٦٤ قال له يسوع أنت قلت . وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء ٦٥ فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف . ما حاجتنا بعد إلى شهود . ها قد سمعتم تجديفه ٦٦ ماذا ترون فأجابوا وقالوا أنه مستوجب الموت ٦٧ حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه . وآخرون لطموه ٦٨ قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك

٦٩ أما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار . فجاءت اليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلى ٧٠ فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدرى ما تقولين ٧١ ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى ٧١ فأنكر أيضا بقسم أنى لست أعرف الرجل ٧٣ وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فان لغتك تظهرك ٧٤

فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أني لا أعرف الرجل . وللوقت صاح الديك ٧٥ فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له أنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات . فخرج الى خارج وبكى بكاء مرا

(٩) يقول متى ان الذين أمسكوا يسوع مضوا به الى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ ووافق على ذلك مرقس ولوقا . وأما يوحنا فقال انهم أوثقوه وذهبوا الى حنان حما قيافا . فخالف الثلاثة فى ذلك

(١٠) ذكر متى أن بطرس تبع يسوع من بعيد الى دار رئيس الكهنة ووافقه مرقس ولوقا وأما يوحنا فخالفهم وذكر أن بطرس تبع يسوع هو والتلميذ الآخر (يعنى يوحنا)

(١١) ذكر متى أن بطرس كان خارج الدار فجاءت اليه جارية وقالت وأنت كنت مع يسوع الجليلى فأنكر قدام الجميع . ثم إذ خرج الى الدهليز رأته أخرى فقالت (وهذا كان مع يسوع الناصرى) فانكر بقسم انى لست أعرف الرجل وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف انى لا أعرف الرجل وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له انك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج الى خارج وبكى بكاء مرا

واما مرقس فقد ذكر هذه الحادثة ولكنه جعل بطرس داخل الدار يستدفئ فقالت له الجارية ذلك وانكر وانها هى بنفسها التى رأته فى الدهليز وقالت للحاضرين انه منهم وليست جارية اخرى كما زعم متى وان الديك صاح عقب المرة الاولى لا بعد المرات الثلاث وانه فى المرة الثالثة صاح الديك فصياح الديك مرة واحدة عند متى بعد انكار بطرس ثلاث مرات وصياحه عند مرقس مرتين

وجعل عبارة المسيح له (أنت تنكرني ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين) وأما لوقا . فجعل سؤال الجارية له مرة واحدة هي الاولى فأنكروأن سؤاله في المرتين الاخيرتين كان من رجلين لا من جارية ورجال وزاد قوله فالتفت الرب ونظر الى بطرس فتذكر كلام الرب

وأما يوحنا فقال ان دخول بطرس كان برجاء الغلام (يوحنا) للبوابة التي قالت لبطرس « ألست أنت أيضا من تلاميذ هذا الانسان » قال ذاك لست أنا وان الغلام كان معروفا عند رئيس الكهنة ودخل مع يسوع أول الامر ثم رجا البوابة في ادخال بطرس وأن المصطلين قالوا له أيضا ألست أنت من تلاميذه فأنكر وقال له . واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه « أما رأيتك أنا معه في البستان ؟ » فأنكر أيضا وللوقت صاح الديك

فانظروا هداكم الله الى هذه المسأله الصغيرة القصيرة كم فيها من التناقض ؟

(١٢) ذكر متى ان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله كانوا يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه فلم يجدوا ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا

انظروا الى هذا الكلام القلق المتناقض كل التناقض. اذا كانوا طلبوا شهود زور فلم يجدوا . فكيف يقول بعد ذلك « ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ؟ » أكتب الكاتب هذا الكلام ومعه عقله؟ان المرء ليستحي ان يكتب مثل هذا

اما مرقس فكان أكثر حذقا وأوفر لباقة اذ قال . وكان رؤساء الكهنة والجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا لان كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهادتهم

والعجب العاجب من أمر انجيل متى اذ يقول « وكان رؤساء الكهنة

والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه ! كأنهم إذا وجدوا شهادة حق بادانته لا يقبلونها لانها شهادة حق وهم لا يطلبون الا شهادة الزور .

(١٣) المفهوم صراحة من عبارة كل من متى ومرقس أن المحاكمة والمناقشة بين الكهنة ورئيسهم من جهة وبين يسوع من الناحية الاخرى كانت ليلا عقب القبض عليه ووصوله الى دار رئيس الكهنة ولكن لوقا ويوحنا جعلا المحاكمة صباحا

(١٤) ذكر متى أن يسوع مضوا به الى دار رئيس الكهنة قيافا. ومرقس وافقه على ذلك الا أنه خالفه بعدم ذكره اسم قيافا ولوقا لم يوافقهما على ذلك بل ذكر ان الرؤساء سلموه الى الخدام ومكث الليل كله معذبا بايديهم الى الصباح وبعد اجتماع مشيخة الشعب أصعدوه الى مجمعهم

وقال يوحنا أنهم أخذوه أولا الى دار حنان ثم الى دار قيافا رئيس الكهنة موثقا

(١٥) يقول متى « ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور وقالا هذا قال — انى أقدر أن أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء ماذا يشهد هذان عليك وأما يسوع فكان ساكتا فأجاب رئيس الكهنة وقال أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ فقال له يسوع أنت قلت وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة وآتيا على سحاب السماء فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف ما حاجتنا بعد الى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفه .ماذا ترون ؟ فأجابوا وقالوا أنه مستوجب الموت ـ حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ أيها المسيح من ضربك ؟

وقد خالف مرقس متى فزاد فى شهادة الشهود عليه قول الشاهدين « أنى أنقض هذا الهيكل المبنى بالايادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأياد» وقول رئيس الكهنة « أنت المسيح ابن المبارك ؟ » فقال يسوع «أناهو» الخ نخالف متى فى هذه المواضع الثلاثة وقوله المبارك يريد (داود)

وأما لوقا فقد ضرب صفحا عن طلب شهود زور على المسيح ولم يذكر سوى قول مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة (ان كنت المسيح فقل لنا . فقال ان قلت لكم لا تصدقون وان سألت لا تجيبونى ولا تطلقونى منذ الآن تجدون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع أفأنت ابن الله فقال لهم أنتم تقولون ذلك) نخالف بذلك كلا من سابقيه — ومن المفارقات قول لوقا انهم قالوا له « أفأنت ابن الله » مع أنه لم يدع أنه ابن الله بل عبر بلفظ « ابن الانسان »

وأما يوحنا فقد ألغى شهادة الزور وشهوده وألغى محاكمة الكهنة والشيوخ والكتبة له ولم يذكر من ذلك شيئا أصلا وهو من أصحاب المسيح وقد شهد ما لم يشهده متى لانه كان معروفا من رئيس الكهنة ودخل داره مع يسوع كما نص على ذلك يوحنا فى انجيله مكذبا مرقس الذي يقول انه فر عريانا وبعد هذا فشهادة من شهدوا بمسألة نقض الهيكل ليست شهادة زور فقد جاء فى يوحنا ص ٢٠ : ١٩ (انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه) فكيف يصح أن يقال أنهم شهدوا زورا ؟

وبعد هذا كله فان الكهنة ورئيسهم لم يقولوا ان سبب الموت هو ماذكر من هدم الهيكل وبنائه . بل حين قال لهم أنه المسيح على رأى مرقس وأنه سيكون على يمين قوة الله . ومع هذا فلم يرفعوه الى الوالى بشىء من هذا بل قالوا أنه يفسد الشعب ويقول أنه ملك اليهود

(١٦) قال متى ص ٢٧ : ١ ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطى الوالى — ووافقه مرقس غير أنه لم يذكر صفة بيلاطس ولا جنسيته . واختصر لوقا وقال فى ص ٢٣ : ١٠ فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس وقال يوحنا فى ص ١٨ : ٢٨ ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا دار الولاية لكيلا يتنجسوا فيأكلون الفصح—وهذه العبارة انفرد بها يوحنا دون الثلاثة

(١٧) قال متى حينئذ لما رأى يهوذا الذى اسلمه انه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا قد اخطأت اذ سلمت دما بريئا . فقالوا ماذا علينا انت ابصر فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا ان نلقيها فى الخزانة لانها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم الى هذا اليوم حينئذ تم ما قيل بارمياء النبي القائل واخذوا الثلاثين من الفضة من ثمن المثمن الذى ثمنوه من بنى اسرائيل واعطوها عن حقل الفخارى كما امرنى الرب

هذا التقرير قد اسقطه اصحاب الاناجيل الثلاثة وخالفه مؤلف (الابركسيس) اعمال الرسل ص ١ : ١٨ فان هذا — اى يهوذا — اقتنى حقلا من اجرة الظلم واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلها وصار ذلك معلوما عند سكان اورشليم حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما اى حقل دم — فالفرق بين تقرير متى وتقرير سفر الاعمال ظاهر واذا اخذنا باحدهما وجب ان يكون الآخر كاذبا وعبارة سفر الاعمال تفيد ان مؤلفه ليس عبرانيا بدليل قوله (فى لغتهم)

وبعد هذا فقد نسب متى الى رؤساء الكهنة شراء حقل الفخارى بالفضة وحينئذ تم ما قيل بارمياء الى آخره

ونسبة القول الى ارمياء غلط فان هذا القول لا يوجد فى كتب ارمياء فذكر متى لاسم ارمياء غلط يقينا وانما هذا القول فى سفر زكرياء عليه السلام ونصه « فقلت لهم ان حسن فى أعينكم فأعطونى أجرتى والا فامتنعوا فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضـة فقال لى الرب ألقهـا الى الفخارى الثمن الذى ثمنونى به . فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها الى الفخارى فى بيت الرب ثم قصفت عصاى الاخرى » وبعد هذا فهذا الكلام الذى فى زكرياء لا تعلق له بالمسيح أصلا وليس فى شأنه ولكن القوم يتصيدون كل كلام ويلحقونه بكتبهم المقدسة ليقيموه دليلا على أن الحادثة قد تنبأ بها الانبياء من قبل وهى بعيدة من غرضهم بعد السماء من الارض

وقد علق صاحب الفارق على هذه العبارة بكلام طويل فى صفحة ٢٤٨ من الجزء الاول وما بعدها فليرجع اليه من أراد المزيد

(١٨) اختلفت الاناجيل الاربعة فى بسط السبب الذى بنى عليه الوالى صلب المسيح وكل واحد يخالف الآخر — واذا قلنا الوالى . فلا نعنى بذلك أنه دان المصلوب أو وجده مذنبا فان كل اناجيل القوم مصرحة بانه لم يجد فيه علة تستوجب الموت — قال متى فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشىء فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك . فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة فتعجب الوالى جدا — وقد وافقه مرقس — وأما لوقا فأثبت ما لم يثبته متى ومرقس فقال ص ٢٣:٢ وابتدأوا يشتكون عليه قائلين اننا وجدنا هذا يفسد الامة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر

قائلا انه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول . وبديهى أن هذا ضد ما قاله متى من أنه لم يجب بشىء حتى تعجب الوالى

والمطلع على الاناجيل يعلم فساد تلك الدعاوى بما أثبته أصحابه من قوله اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ومن هربه ممن أرادوا المناداة به ملكا فلو أنه المسيح لتبرأ من مقالتهم واستشهد على نقض دعواهم ولكنه المسكين يهوذا الاسخريوطى الذى دهش للقبض عليه وارتبك عقله واستغرق فى التأمل فيما هو قادم عليه من أهوال الموت فأنساه ذلك كل جواب — وقد انفرد لوقا باحياء هيرودس الذى أثبت موته من قبل وذكر أن بيلاطس أرسل اليه بيسوع وكان هيرودس « الميت من زمن مديد » يتمنى رؤية المسيح وأراد أن يصنع أمامه آية فلم يجبه بشىء . وكيف يجيبه أو يصنع آية وليس هو المسيح صاحب الآيات وانما هو يهوذا ؟

وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة فى ص ١٨ : ٢٨ وما بعدها إذ قال أنهم لم يدخلوا دار الولاية لئلا يتنجسوا فخرج اليهم بيلاطس وقال أية شكاية تقدمون على هذا الانسان فأجابوا وقالوا لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدا . ليتم قول يسوع الذى قاله مشيرا الى أية ميتة كان مزمعا أن يموت

فعلم أنهم لم يذكروا الاسباب التى بنوا عليها طلب قتله وهو بذلك يخالف لوقا الذى جعل تلك الاسباب (١) الافساد فى الارض (٢) ادعاء الملك (٣) التحريض على عدم اداء الجزية لقيصر وزاد عن الثلاثة قوله ليتم قول يسوع الى آخره

(١٩) علم من متى ص ٢٧: ١٨ و٢٢ و٢٣ و٢٤ ان بيلاطس كان يعتقد براءة المسيح وأنهم أسلموه حسدا وأنه لا شر فيه وانه غسل يديه قدام الجميع قائلا انى برىء من دم هذا البـار . فكيف يصح مع هذا أن يقال أنه جلده وأسلمه ليصلب كما يقول متى ؟

وقد وافقه مرقس فى المعنى مع هذا التناقض — وأما لوقا فخالفهما فى الجلد فلم يذكر ان بيلاطس جلده ولم يذكر أنه غسل يده براءة من دمه

وأما يوحنا فوافق ثلاثتهم على اعتقاد الوالى براءة يسوع وجلده ولم يذكر غسل يده

(٢٠) ثابت من الاناجيل الاربعة أن اليهود طلبوا صلب المسيح واطلاق مجرم لهم اسمه (باراباس) وقد اختلفت صفتهم لباراباس — قال متى أنه كان أسيرا عند بيلاطس وقال مرقس ولوقا انه كان فى فتنة حصل فيها قتل وقال يوحنا وكان باراباس لصا

(٢١) قال متى ص ٢٧ أخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة وعروه وألبسوه رداء قرمزيا وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه وأخـذوا القصبة وضربوه على رأسه وبعـد ما استهزءوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيـابه ومضوا به للصلب

وقد وافقه مرقس على ما ذكره الا فى شيئين : التعرية ولون اللباس فقد جعله ارجوانيا لا قرمزيا

وأما لوقا فلم يجعل الاستهزاء بالمسيح فى دار الولاية كما فعل متى ومرقس ولم يقل ان العسكر المستهزئون . بل ذكر أن الشعب هو الذى كان يهزأ به

عند موضع الصلب ولم يذكر تعرية ولا رداءقرمزياولاارجوانيا ـ نعم أنه جعل (المرحوم) هيرودس هو الذى ألبسه رداء لامعا

ويوحنا جعل ان العسكر (أى الفتوات) هم الذين ضفروا له اكليل الشوك والبسوه ارجوانا ولم يذكر تعرية كما قال متى . وزاد يوحنا أن بيلاطس أعاد عليه السؤال فلم يعطه يسوع جوابا وقال له أما تكلمنى ؟ وكان بيلاطس يطلب أن يطلقه لولا تحكم اليهود

(٢٢) يقول متى ص ٢٧ : ٣٢ وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا (١) اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه وزاد مرقس كنيته فقال (أبو الكسندرس وروفس) ووافق لوقا متى وقد ناقض يوحنا الثلاثة وكذب مسألة « سمعان القيروانى » ص ١٩ : ١٧ وذكر أنهم مضوا به وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له جمجمه

(٢٣) ذكر متى أنهم لما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ولم يبين من هم الذين اقتسموا ثيابه بطرق القرعة . ومثل ذلك فى مرقس ونسى لوقا مسألة اللباس والقرعة فلم يكتبها بتدقيق ولا غير تدقيق وأما يوحنا فقد ذكر أن العسكر هم الذين اقتسموا ثيابه بلا قرعة وأما قميصه فاقترعوا عليه

(٢٤) قال متى ص ٢٧ : ٣٣ ولما أتوا الى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ولما ذاقه لم يرد أن يشرب وقد خالفه مرقس فقال — أعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل . وأما لوقا فقال عن العسكر الذين استهزءوا به انهم كانوا يقدمون له خلا ولم يقل انه ممزوج بمرارة كما قال متى وأما يوحنا فقد أسقط العبارة من أصلها

(٢٥) انفرد لوقا بقوله (وتبعه جمهور كبير والنساء اللواتى كن يلطمن أيضا وينحن عليه فالتفت اليهن يسوع وقال يا بنات أرشليم لا تبكين على . بل

(١) الصواب قورينيا نسبه ألى قورين كما تقدم فى صفحة ٤٤٥

ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن . لانه هوذا أيام تأتى يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد والثدى التى لم ترضع . حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطينا لانهم كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس ؟ ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا

(٢٦) اتفق الاربعة أصحاب الاناجيل على أن المسيح صلب وصلب معه اثنان آخران قال متى ومرقس انهما لصان وقال لوقا — وجاءو باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه وقال يوحنا وصلبوا اثنين آخرين معه ولم يذكر وصفهما .

(٢٧) ذكر متى ان المجتازين والكتبة والكهنة والشيوخ كانوا يجدفون عليه ويستهزئون به وان اللصين اللذين سمرا وصلبا معه كانا يعيرانه ووافقه على ذلك مرقس وذكر لوقا أن المعير أحدهما فقط وان الثاني كان ينهاه وانتهره قائلا اولاتخاف أنت الله اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ... ثم قال ليسوع اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك فقال له يسوع الحق أقول لك انك اليوم تكون معى فى الفردوس وأما مرقس فأسقط استهزاء اللص واللصين به

(٢٨) لم يحدد كل من متى ولوقا ويوحنا وقت الصلب فى أية ساعة ابتدأ ولكن حدده مرقس الساعة الثالثة

(٢٩) اجتمع الثلاثة من أصحاب الاناجيل على أنه عند الساعة السادسة كانت على الارض ظلمة الى الساعة التاسعة وخالفهم يوحنا فلم يذكر ظلمة على الارض أصلا

(٣٠) اختلف أيضا أصحاب الاناجيل فى الكلمات الاخيرة للمسيح فقال متى ص ٢٧ : ٤٦ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلى ايلى لما شبقتنى اى إلهى إلهى لماذا تركتنى . فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا

انه ينادى إيلياء وللوقت ركض واحد منهم وأخذاسفنجةوملأهاخلاوجعلها على قصبة وسقاه وأما الباقون فقالوا اترك لنرى هل يأتى إيليا يخلصه فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح

وقد خالف مرقس فقال انه قال الوى الوى لما شبقتنى ولم يقل إلى إيلى كما يقول متى

وخالفهما لوقا فقال انه نادى بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك استودع روحى ولما قال هذا أسلم الروح وخالفهما فى مسألة سقياه الخل وخالف الثلاثة يوحنا فلم يذكر للمسيح كلاما سوى أنه كانت أمه والغلام الذى يحبه واقفين مع بعض النساء بقربه فقال لامه يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك

وخالف يوحنا الثلاثة فذكر ان سقياه الخل بعد أن طلب الشرب وقال أنا عطشان والثلاثة جعلوا ذلك من الساقى ابتداء ولم يذكر شيئا من قوله إيلى أو الوى

(٣١) قال متى ص٢٧: ٥٠ فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح — ووافقه مرقس — وقال لوقا أنه قال ونادى بصوت عظيم يا أبتاه فى يديك استودع روحى - ولما قال هذا أسلم الروح — وقال يوحنا « فلما أخذ يسوع الخل قال قد اكمل ونكس رأسه وأسلم الروح »

(٣٢) قال يوحنا ص ١٩: ٢٥ وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لامه يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا امك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته

وقد انفرد يوحنا بذكر هذه العبارة فلم يذكرها سواه ، وقد قال بطرس عن التلاميذ انهم حين القبض على يسوع هربوا وكان منهم غلام « يريد يوحنا »

يلبس رداء على عريه فأمسكه جندى فترك له الرداء وهرب عريانا فكيف طوعت له نفسه أن يعود ليرى يسوع مصلوبا وقد هرب لمجرد القبض عليه؟ وعبارة يوحنا تفيد أن هؤلاء الواقفات كن قريبات منه وهو مصلوب

وأما لوقا فلم يذكر قرب أحد من معارفه اليه ولم يشر اليهم بكلمة بل قال « وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك »

ولم يذكر مرقس أحداً من معارفه نظر حادثة الصلب من قريب. بل قال « وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومة اللواتى أيضا تبعنه من الجليل وأخر كثيرات اللواتى صعدن معه الى أورشليم

وعبارة متى توافق عبارة مرقس

فهذه الاناجيل لم تتفق حتى فى هذا الموقف الجلى وعلى كل فلم يكن أحد من معارف يسوع على قرب من الصلب وموضع الصلب

(٣٣) ذكر متى ص ٢٧:٥١ ان حجاب الهيكل قد انشق الى نصفين اثنين من فوق الى اسفل حين أسلم المسيح الروح والارض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا الكثيرين

وأما مرقس فقد أهمل هذا القول كله ولم يذكر منه شيئا وتواضع لوقا قليلا فقال ص ٢٣:٤٥ وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه . ولم يذكر زلزلة ولا تشقق الصخور ولا تفتح القبور ولا قيام الاموات — وقد ذكر ذلك قبل اسلام الروح خلافا لمتى

وأما يوحنا وهو الذى يزعمون أنه كان حاضرا صلب المسيح فلم يذكر شيئا من ذلك كله

(٣٤) اتفق متى ومرقس ولوقا على أن الذى تسلم جسد المسيح ولفه فى ثياب كتان ودفنه هو يوسف وصفه متى بانه كان غنيا ومشيرا صالحا وانفرد متى بانه كان تلميذاً ليسوع ومنتظراً ملكوت الله وخالفهم يوحنا فأشرك معه نيقوديموس

ارانى قد مللت جدا من ايراد الاقوال المتخالفة فى هذا الشأن من شؤون المسيح بين بعض هذه الاناجيل وبعضها الآخر وأظن أن القارئ قد مل كما مللت وسئم كما سئمت ولو ذهبت فى هذا الشوط أعدد هذا التضاد بين الاناجيل لأضعت وقتا ثمينا

بعد هذا استحلف كل قارئ بكل ما يحلف به . هل تطمئن نفسه الى أن يأخذ عقيدة الصلب من هذه الكتب التى جهل مؤلفوها عن التحقق جهلا تاما ولم يعلم فى بعضها من ترجمه ومبلغ امانته وكل منها يثبت ما تنفيه الاناجيل الاخرى أو تزيد عليه أو تنقص عنه

اى امرئ منى بالخذلان من الله يطرح عقله وضميره ثم يعتقد وقوع صلب المسيح ويحتج لذلك بشهادة هذه الاناجيل المتخالفة المتخاذلة ؟

وانى أعتمد على فطنة القارئ واحيله على خاتمة هذه الاناجيل ليرى تخالفها أيضا واضحا فى مسألة قيام المسيح من الاموات وصعوده الى السماء فانه ان شاء الله لا يجد رجلا واحدا يذكر له انه رآه قد قام من القبر وخرج منه وصعد الى السماء وهو ناظر وإنما سيجد مريم المجدلية ومريم الاخرى قد اتتا بحنوط وطيب لتحنطا وتطيبا جسد يسوع فلم تجداه . ولا تسل عن تخالف الاناجيل فى هذه النقطة وهكذا

وبعد كل ماقدمنا فهل يظن ظان أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى ابتدع مسألة نفى صلب المسيح وقتله من تلقاء نفسه ؟ أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن له غاية يريدادراكها من نفى صلب المسيح وقتله . بل اثباته لذلك أدخل فى الباب الذى طرقه كثيراً من أن اليهود كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق . فحادثة المسيح أدل على ما يدعيه إذا كان قد قتل حقيقة ولكنه ما كان ينفى أو يثبت الشيء من تلقاء نفسه وكما يشتهى (ان هو إلا وحى يوحى)

وإذا نظرنا الى مسألة صلب المسيح وقتله لم نجدها عند المسيحيين مسألة اجماعية - بل وجد من طوائف المسيحيين من ينفى الصلب والقتل فمن القائلين بذلك (الساطرينوسيون) و (الكاربوكراتيون) و (المركيونيون) و (البارديسيانيون) و (التاتيانيسون) و (المانيسيون) و (البارسكاليونيون) و (البوليسيون) وهؤلاء مع كثيرين غيرهم لم يسلموا بوجه من الوجوه أن المسيح سمر فعلا ومات على الصليب - وماذ لو هنا مقرر فى تاريخهم (موسيهيم) الذي يدرس فى مدارس اللاهوت الانجيلية - ومن القائلين بأن الشخص المصلوب غير عيسى قطعاً وانه لم تسلط عليه أيدى مضطهديه بل رفع الى السماء

طوائف(الدوسيتية - والمرسيونية والفلنطنيائية)—وهنا شهادات من علماء النصرانية تفيد المطلع بصيرة

الاولى - قال المسيو - أرادوارسيوس الشهير أحد أعضاء (الانسيتودى فرانسى فى باريس المشهور بمعارضة المسلمين فى كتابه (عقيدة المسلمين فى بعض مسائل النصرانية) صفحة ٤٩ (ان القرآن ينفى قتل عيسى وصلبه ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه - وما قاله القرآن موجود عند طوائف منهم الباسيليديون كانوا يعتقدون بغاية السخافة ان عيسى

وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السيرناى تماما وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه « اليهود » الغالطين — ومنهم السرنتيون فانهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل من كلام الحواريين واذا كلامه نفس كلام الباسيلديين وقد صرح انجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل عيسى انه يهوذا) انتهى

الثانية — قال المتر ارنست دى بونس الالماني فى كتابه « الاسلام أي النصرانية الحقة » فى صفحة ١٤٢ مامعناه — ان جميع مايختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح لامن أصول النصرانية الاصلية

الثالثة — قال ملمن فى الجزء الأول من كتابه المسمى « تاريخ الديانة النصرانية » ان تنفيذ الحكم كان فى وقت الغلس واسدال ثوب الظلام فيستنتج من ذلك امكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا فى سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف وصدقهم القرآن) انتهى

تراجع ص ٢٨١ و ٢٨٢ من كتاب الفارق بين المخلوق والخالق

قيام المسيح من القبر

قال متى فى ص ٢٨ : (١) وبعد السبت عند فجر أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر (٢) واذا زلزلة عظيمة حدثت لان ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه (٣) وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج (٤) فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات (٥) فأجاب الملاك وقال للمرأتين لاتخافا انتما . فاني أعلم انكما تطلبان يسوع المصلوب (٦) ليس هو هاهنا . لانه قام كما قال . هلما انظرا

الموضع الذى كان الرب مضجعا فيه (٧) واذهبا سريعا وقولا لتلاميذه انه قام من الاموات . هاهو يسبقكم الى الجليل . هناك ترونه . ها أنا قد قلت لكما (٨) فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه (٩) وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه . اذا يسوع قال لهما سلام لكما . فتقدمتا وامسكتا بقدميه وسجدتا له (١٠) فقال لهما يسوع لاتخافا . اذهبا وقولا لاخوتي ان يذهبوا الى الجليل وهناك يرونني (١١) وفيما هما ذاهبتان اذا قوم من الحراس جاءوا الى المدينة واخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان (١٢) فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة (١٣) قائلين . قولوا ان تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام (١٤) واذا سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين (١٥) فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم فشاع هذا القول عند اليهود الى هذا اليوم (١٦) واما الاحد عشر تلميذا فانطلقوا الى الجليل حيث أمرهم يسوع (١٧) ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا (١٨) فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الارض (١٩) فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (٢٠) وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر آمين

(١) علم من أقوال متى ان امرأتين ذهبتا الى القبر عند فجر أول الاسبوع فقط لتنظرا القبر.

وأما مرقس فخلط فى الوقت فقال ان الذهاب كان باكرا جدا ثم قال إذ طلعت الشمس وجعل من ذهب الى القبر ثلاث نسوة . (١) مريم المجدلية (٢) ومريم أم يعقوب (٣) وسالومة . وقال انهن ذهبن ليدهنه بالحنوط الذى اشترينه — ولعمرى من اين اشترينه واليهود لايبيعون ولايشترون فى السبت ؟

وأما لوقا . فجعل شراء الحنوط قبل الدخول فى السبت وان الذاهبات هن نساء كن حضرن مع يسوع من الجليل ومعهن أناس لم يبين عددهم وهل كانوا رجالا أو نساء ؟ لم يبين ذلك وجعل منهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويونا . فزاد على المسمين (يونا) وانقص سالومة التى أثبتها مرقس

وخالف يوحنا فجعل الذاهبة الى القبر مريم المجدلية وحدها . وان الظلام كان باقيا ولم يذكر أن الشمس كانت أشرقت كما قال مرقس

(٢) علم من متى أن المرأتين أتتا الى القبر والحجر مطبق على بابه وان الملك نزل من السماء أما مهما على الهيئة التى وصف

وخالفه مرقس فقال ان اللائى ذهبن الى القبر تطلعن الى القبر فوجدن الحجر قد دحرج

وأما لوقا فوافق مرقس فى أن النساء وجدن الحجر مدحرجا عن القبر قبل أن يأتين إليه

وأما يوحنا - وهو الذى قال ان الذى ذهب انما هو مريم المجدلية وحدها فقال انها نظرت الحجر مرفوعا عن القبر

(٣) يستفاد من متى أن الملك أخبر المرأتين بأن يسوع قام من الاموات وانه يطلب لقاء تلاميذه بالجليل وانهما نظرتا الى المكان الذى كان مضجعا به

وخالفه مرقس فلم يذكر ملكا وقال انهن رأين فى القبر شابا جالسا فى القبر عن اليمين

وخالفهما لوقا فقال انهن دخلن القبر ولم يجدن جسد يسوع وفيما هن متحيرات إذ وقف بهن رجلان بثياب براقة وانهما قالا لهن لماذا تطلبن الحى بين الاموات وانه فى الجليل

وخالف يوحنا جميع هذه الاناجيل وقال ان مريم المجدلية رأت الحجر

مرفوعا فعادت بسرعة الى سمعان بطرس والى التلميذ الذى كان يسوع يحبه واخبرتهما قائلة أخذوا السيد من القبر

(٤) يعلم من متى أن المرأتين لما انطلقتا لاخبار التلاميذ لقيهما يسوع وقال سلام لكما الخ

وخالف مرقس . فذكر انهن خرجن سريعا وهربن من القبر لان الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات ـ وانه ظهر أولا لمريم المجدلية وحدها فذهبت واخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون فلما سمعوا انه حى وقد نظرته فلم يصدقوا

وخالف لوقا ـ فقال انهن ذهبن واخبرن الرسل فلم يصدقوهن ـ وانفرد لوقا بأن بطرس ركض الى القبر وانحنى ونظر الاكفان وحدها فتعجب بما كان

وأما يوحنا فجعل وصول الخبر الى التلاميذ على لسان مريم المجدلية وحدها وان من ركض الى القبر اثنان بطرس والتلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقد سبق هذا صاحبه فنظر الى الاكفان فى القبر ولم يدخل ودخل بطرس بعد ان جاء الى القبر ثم بعد ذلك دخل التلميذ الآخر الذى جاء أولا الى القبر ورأى فآمن

ثم أتى يوحنا بمريم المجدلية الى القبر مرة ثانية وانها كانت واقفة تبكى ثم انحنت ونظرت فى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند رأسه والآخر عند رجليه وسألاها عن بكائها فقالت أنهم أخذوا سيدي ولا أعلم أين وضعوه ولما قالت ذلك التفتت فرأت يسوع ولم تعلم أنه هو وظنته البستاني وقالت له . ياسيد ان كنت حملته فقل لى أين وضعته وانا آخذه وان يسوع قال لها يامريم فالتفتت وقالت له « ربوني الذى تفسيره يامعلم »

(٥) ذكر مرقس انه ظهر لاثنين بهيئة أخرى فاخبرا التلاميذ فلم يصدقوا

وذكر لوقا ان اثنين كانا منطلقين الى بلدة عمواس فاقترب إليهما يسوع وهما يتحاوران فيما كان من حادثة صلب المسيح وقتله وقيامه من الاموات وقد امسكت أعينهما عن معرفته فقال لهما ماهذا الكلام الذى تتطارحان به وانتما ماشيان عابسين فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له . هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام . فقال لهما وماهى . فقال المختصة بيسوع الناصرى الذى كان انسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ونحن نرجو أنه هو المزمع أن يفدى اسرائيل ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدوث ذلك بل بعض النساء منا حيرننا اذ كن باكرا عند القبر ولما لم يجدن جسده أتين قائلات انهن رأين منظر ملائكة قالوا انه حى ومضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا هكذا كما قالت النساء وأما هو فلم يروه . فوبخهما قائلا أيها الغبيان والبطيئا القلوب بجميع ماتكلم به الأنبياء وفسر لهما الأمور الغامضة من موسى وجميع الأنبياء وانهما شددا عليه فى أن يميل معهما ففعل ولما اتكأ أخذ خبزا وكسره وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما

وقد انفرد لوقا بهذه الحكاية وهى تؤيد ماقاله أهل الاسلام ونطق به القرآن ـ وجاء فى انجيل برنابا من أن المسيح شبه لليهود وتغيرت هيئته حتى خفى عن كليوباس ورفيقه ولم يعرفاه حتى كسر الخبز وناولهما فأكلاه فانفتحت عيونهما

من ذلك كله لانجد شاهدا واحدا من الرجال ولا من النساء سواء أكان موافقا للمسيح أو منافيا له قد شاهد المسيح وهو فى القبر وشاهده يخرج منه ـ وانما يقول الذين يزعمون أنهم شاهدوه أنهم رأوه خارج القبر وهو يشهد لاهل الاسلام أن الذى قتل سواه وأما هو فقد ظل سليما معافى مبرأ من الوقوع

في أيدي أعدائه ـ وأقتصر على هذا القدر واترك ما بقي من التضارب والتضاد بين الإناجيل في الحسبان وحسبي الله وكفى

المسيح عيسى بن مريم

عبد الله ورسوله

جاء في القرآن الكريم أن عيسى عبد الله ورسوله ـ وليس هو الله ولا ابنا لله ـ اقرءوا هذه الآيات :

سورة البقرة — وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافي السموات والارض كل له قانتون ١١٦

سورة آل عمران — ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ٥٩

سورة النساء — وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ١٥٧

يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات ومافي الارض وكفى بالله وكيلا ١٧١ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا ١٧٢

سورة المائده — لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً ١٧

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ٧٢ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ٧٣ أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ٧٤ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم نظر أني يؤفكون ٧٥

سورة الأنعام — بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ١٠١

سورة مريم — قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ٣٠ وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا ٣١ وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ٣٢ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ٣٣

سورة الفرقان — الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ٢

سورة الزخرف — ان هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ٥٩ ولو نشأ لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون ٦٠ وأنه لعلم للساعه فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ٦١

سورة الصف — وإذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل انى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ٦

سورة الاخلاص — قل هو الله أحد الله الصمد ٢ لم يلد ولم يولد ٣ ولم يكن له كفوا أحد ٤

هذا بعض ماجاء فى القرآن الكريم وكله ناطق بما قلت فى صراحة لاتحتمل التأويل

وقد جاء مثل ذلك فى الاناجيل وكتب العهد الجديد كما سيأتى

أما جماعة النصارى فقد خلقوا لهم عقيدة هى أن الله مركب من ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس . وهذه كلها واحد . فانحدر الله الذى هو الاب أو الابن على اختلاف أقوالهم وحل فى مريم وتجسد انسانا وولد منها وهو يسوع الى آخر مايقولون .

وهذا الكلام لم يقله المسيح ولم يعلم به ولكن المسيحيين لما أذاعوا المسيحية بين الوثنيين الذين كانوا يدينون بالاقاليم وتجسد الآلهة والصلب والفداء ودخلوا فى المسيحية حاملين لتلك العقيدة احبوا أن يوفقوا بين ما ألفوه من عقيدة وبين هذا الدين الجديد وأخذوا يؤلهون المسيح ويقولون انه الله انحدر منه أقنوم الابن المتحد مع الاب والروح القدس وتجسد فى رحم مريم ثم خرج انسانا الها ــ ولهم فى هذا الباب أقوال لا يقولها عاقل. فهذه هى العوامل التى آلت بهم الى عبادة المسيح رغم أنفه — وقد جاء فى القرآن كثير من الآيات فى الرد عليهم

اقرءوا الآيات الآتية :

سورة النساء — لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا ١٧٢

سورة المائدة — لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شىء قدير ١٧

سورة المائدة — لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال

المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ٧٢

سورة المائدة — ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ٧٥

سورة التوبة — وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ٣٠

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا ألا ليعبدوا الها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ٣١

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله ألا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ٣٢

سورة مريم — ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ٣٤ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ٣٥ وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ٣٦

سورة الزخرف — ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ٣٧

سورة الصف — واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين

يقولون هذا فى حين أن المسيح يرفض ذلك ويعترف بأنه عبد يعبد الله تعالى ويفعل مشيئته وهذه الاناجيل التى صنعوها والرسائل التى كتبها قديسوهم تنطق عليهم بالحق والثبت انه عبد رسول . وإليكم الشواهد على ذلك

(١) فى يوحنا ص ١ : ٥١ من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان ـ فاعترف بأنه ابن انسان وليس ابنا لله ولا هو الله

(٢) يوحنا ص ٤ : ٦ (يسوع قد تعب من السفر) ومحال أن يتعب الله الذى بقوته قامت السموات والارض وما فيها

(٣) يوحنا ص ٣ : ٢٦ فجاءوا الى يوحنا المعمدان وقالوا له يامعلم هو ذا الذى كان معك فى عبر الاردن الذى أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه أجاب يوحنا وقال لايقدر انسان أن يأخذ شيئا ان لم يكن قد أعطى من السماء أنتم أنفسكم تشهدون لى انى قلت لست أنا المسيح بل انى مرسل قدامه

فأنتم ترونه قد شهد على المسيح بأنه انسان وانه لايقدران يأخذ شيئاً ان لم يكن قد أعطى من السماء وبأنه المسيح . وقال عنه فى ٣٠ (ينبغى انذلك يزيد وانا أنقص) ومعلوم ان الاله لايزيد ولاينقص

(٤) يوحنا ص ٣ : ٣٤ لان الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله لانه ليس بكيل يعطى الله الروح فأنتم ترون أن يحي جعل المسيح رسولا لله يتكلم بكلام الله

(٥) يوحنا ص ٤ : ٣٤ قال لهم يسوع طعامى ان أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله ـ وهنا شهد بأنه رسول يعمل مشيئة الذى أرسله

(٦) يوحنا ص ٤ : ٤٤ لأن يسوع نفسه شهد ان ليس لنبى كرامة فى وطنه ـ وهذا صريح فى نبوته وانه كسائر الأنبياء لايلقون الكرامة فى أوطانهم وانما يقوم بنصرهم البعداء

(٧) يوحنا ص ٤ : ١٩ قالت له الامرأة ياسيد أرى أنك نبى ٢٥ أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى . فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شىء قال لها يسوع أنا الذى يكلمك هو ـ وذلك يثبت انه نبى وانه المسيح الذى وعدوا به

(٨) يوحنا ص ٥ : ١٩ لا يقدر الابن ان يعمل من نفسه شيئاً الا ما ينظر الاب يعمل - وهذا مثل ضربه لعمله الذى يأتى به واثبت به انه لا يقدر أن يعمل عملا الا ماعلمه الله أن يعمله

(٩) يوحنا ص ٥ : ٢٤ الذى يرانى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية فاعترف بأنه يرى . ومعلوم أن الله لا يرى واعترف بأنه رسول

(١٠) يوحنا ص ٥ : ٣٠ أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً . . . . لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى

(١١) يوحنا ص ٥ : ٤٤ كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض والمجد الذى من الاله الواحد لستم تقبلونه

(١٢) يوحنا ص ٦ : ١٤ - ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم

(١٣) يوحنا ص ٦ : ٢٩ أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله ان تؤمنوا بالذى هو أرسله

(١٤) يوحنا ص ٦ : ٢٨ - لأنى قد نزلت من السماء ليس لاعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى ان كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئا بل أقيمه فى اليوم الأخير لأن هذه هى مشيئة الله الذى أرسلنى

(١٥) يوحنا ص ٦ : ٤٤ لا يقدر أحد أن يقبل الى ان لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى - فتبين من هذه العبارة انه يقول أن الهداية انما تكون من الله وانى عبد رسول ليس لى من الامر شىء

(١٦) يوحنا ص ٧ : ١٦ و ١٨ أجابهم يسوع وقال تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى . ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى . من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم

(١٧) يوحنا ص ٧ : ٢٨ فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق

(١٨) يوحنا ص ٧ : ٣٣ فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى الى الذى أرسلني

(١٩) يوحنا ٧ : ٤٠ وكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي آخرون قالوا هذا هو المسيح - والمسيح لم يهدهم الى الصواب بأنه الله أو ابن الله

(٢٠) ٧ : ٥١ فتش وانظر انه لم يقم نبي من الجليل . فرؤساء الكهنة والفريسيون ينكرون عليه مايدعيه من أنه نبي

(٢١) يوحنا ٨ : ٢٦ الذى أرسلنى هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم.

(٢٢) يوحنا ص ٢٨ : ٨ ولست أفعل شيئاً منى نفسى بل أتكلم بهذا كما علمنى أبي والذى أرسلنى هو معى

(٢٣) يوحنا ١١ ص : ٤٢ ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليومنوا أنك أرسلتنى

(٢٤) يوحنا ص ١٢ : ٢٨ أيها الآب نجنى من هذه الساعة - والاله لابد أن يكون تام القدرة ومن العجز أن يطلب النجاة من سواه بل طالب النجاة مقر بالعبودية والافتقار الى من ينجيه

(٢٥) يوحنا ص ١٣ : ٤٩ لم أتكلم من نفسى بل الاب الذى أرسلنى هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم

(٢٦) يوحنا ص ١٣ : ١٦ ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله

(٢٧) يوحنا ١٤ : ١٦ وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر وفى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٤٨ واطلب من الآب فيعطيكم فارقليطا آخر

حجة المسيحيين فى الهية المسيح

يتمسك المسيحيون بأن المسيح اله وابن اله بألفاظ وردت فى بعض الاناجيل التى صنعوها مثل اطلاق لفظ (ابن الله) عليه . وهو دليل واه واهن لان هذا الاطلاق معارض باطلاقه (ابن الانسان) على نفسه - وباطلاق (ابن داود) على نفسه أيضا فلابد من حمل هذا الاطلاق على معنى لا يتنافى مع ماثبت من جلال الله وتنزهه عما لا يليق به

معلوم ان لفظ الابن بمعناه الحقيقى باتفاق لغات أهل العالم انه المتولد من من نطفة الاب والام . وذلك محال على الله ان تكون له صاحبة أو يوجد له ولد يتولد من نطفته — تعالى عما يقولون - فلابد من الحمل على معنى مجازى يناسب شأن المسيح عيسى بن مريم بحيث لا يحط من قدر الله ولا يرفع المسيح فوق قدر نفسه

(١) ومن قارن بين ص ١٥ : ٩ مرقس (ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله انه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الانسان ابن الله) وبين ماجاء فى لوقا ص ٢٣ : ٤٧ (بالحقيقة كان هذا الانسان بارا) علم أنهم كانوا يطلقون على البار ابن الله بلا فارق بين المسيح وغيره

وقد كانوا يستعملون لفظ (ابن الله) فى حق الصالح كما يطلقون (ابن ابليس)على الطالح

(٢) متى ص ٥ : ٩ (طوبى لصانعى السلام لانهم أبناء الله يدعون —
٤٥ باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم صلوا لاجل الذين يسيئون اليكم

ويطردونكم ٤٦ لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات)

(٣) وفى يوحنا ص ٨ : ٤١ (أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا اننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ٤٢ فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى) ٤٤ (أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لانه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فانما يتكلم بما له لانه كذاب وأبو الكذب) وهو انما يريد أنتم عاصون لله مطيعون للشيطان

(٤) الرسالة الاولى ليوحنا ٣ص : ٩ (كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لان زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لانه مولود من الله ١٠ بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد ابليس)

(٥) ص ٤ : ٧ (كل من يحب فقد ولد من الله)

(٦) ص ٥ : ١ (كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله وكل من يحب الوالد يحب المولود منه ٢ بهذا نعرف اننا نحب أولاد الله اذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه

(٧) يوحنا ص ٢٠ : ١٧ لا تلمسينى لانى لم أصعد بعد الى أبي ولكن اذهبي الى أخوتى وقولى لهم انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى وإلهكم

(٨) يوحنا ص ١٤ : ٢٨ ان أبى أعظم منى

(٩) متى ص ٨ : ٢٠ فقال يسوع للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار وأما ابن الانسان فليس له ابن يسند رأسه

(١٠) متى ص ٩ : ٦ ولكن لكى تعلموا ان لابن الانسان سلطانا على الارض لكى يغفر الخطايا

ولو كان كل من يسميه الله ابنا يحمل على البنوة الحقيقية ويكون الها مستوجبا

للعبادة . لكان كل بنى اسرائيل آلهة لان الله أطلق على شعب اسرائيل قول ابنى ص ٤ خروج ٢٢ (وتقول له هذا ما يقول الرب ابنى بكرى اسرائيل) ٢٣ (فقلت لك أطلق ابنى ليعبدني)

مزمور ٨٨ : ٢٠ (وجدت داود عبدى مسحته بدهن قدسى ٢٦ هو يدعونى أنت أبى وإلهى وناصر خلاصى ٢٧ وأنا أيضا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الارض)

أرميا ص ٣١ ، ٩ (اني صرت ابا لاسرائيل وافرام هو بكرى)

صمويل ثان ص ٧ قول الله فى حق سليمان (وأنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا) وانى أقتصر على ذلك

وأورد هنا ماورد فى دائرة المعارف للبستانى فى ثلاث كلمات هن أساس العقيدة المسيحية وهن لفظ (ثالوث) ولفظ (روح) ولفظ (ابن) ليتبين القارى ، أن العقيدة التي كان يعتقدها المسيح كانت توحيدا صرفا مبرأ عن عقيدة التثليث وعن ادعاء الالهية

الثالوث

كلمة تطلق عند النصارى على وجود ثلاثة أقانيم معا فى اللاهوت تعرف بالآب والابن والروح القدس . وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت الا ماندر . والذين يتمسكون بهذا التعليم يذهبون الى أنه مطابق لنصوص الكتاب المقدس . وقد أضاف اللاهوتيون اليه شروحا وايضاحات اتخذوها من تعاليم المجامع القديمة وكتابات آباء الكنيسة العظام . وهى تبحث عن طريقة ولادة الاقنوم الثانى وانبثاق الاقنوم الثالث وما بين الاقانيم الثلاثة من النسبة وصفاتهم المميزة وألقابهم

ومع أن لفظة ثالوث لاتوجد فى الكتاب المقدس ولا يمكن أن يؤتى بآية

من العهد القديم تصرح بتعليم التالوث . قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير الى وجود صورة جمعية فى اللاهوت . ولكن إذ كانت تلك الآيات قابلة لتفاسير مختلفة كانت لا يؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم التالوث بل كرموز الى الوحى الواضح الصريح الذى يعتقدون انه مذكور فى العهد الجديد . وقد اقتبس منه مجموعان كبيران من الآيات كحجج لاثبات هذا التعليم أحدهما . الآيات التى ذكر فيها الاب والابن والروح القدس معا . والاخر التى ذكر فيها كل منهم على حدة . والتى تحتوى على نوع أخص صفاتهم ونسبة أحدهم الى الآخر .

والجدال عن الاقانيم فى اللاهوت ابتدأ فى العصر الرسولى . وقد نشأ على الاكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين . فان ـ ثيوفيلوس ـ أسقف أنطاكية فى القرن الثانى استعمل كلمة — ترياس — اليونانية . ثم كان ترتليانوس . أول من استعمل كلمة — ترينيتاس — المرادفة لها ومعناها الثالوث . وفى الايام السابقة للجمع النيقاوى حصل جدال مستمر فى هذا التعليم وعلى الخصوص فى الشرق وحكمت الكنيسة على كثير من الاراء بانها — أراتيكية (١) ومن جملتها الابيونيين الذين كانوا يعتقدون أن المسيح انسان محض والسابليين ـ الذين كانوا يعتقدون أن الاب والابن والروح القدس انما هى صور مختلفة أعلن بها الله نفسه للناس والآريوسيين الذين كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزليا كالآب بل هو مخلوق منه قبل العالم . ولذلك هو دون الآب وخاضع له . والمكدونيين الذين أنكروا كون الروح القدس اقنوما

وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ للميلاد . ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ . وقد حكما بان الابن والروح القدس مساويان للآب

---

(١) متطرفة أو الحادية

فى وحدة اللاهوت وان الابن قد ولد منذ الازل من الآب . وان الروح القدس منبثق من الآب — ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩ حكم بان الروح القدس منبثق من الابن أيضا

وقد قبلت الكنيسة اللاتينية باسرها هذه الزيادة وتمسكت بها . وأما الكنيسة اليونانيه . فمع أنها كانت فى أول الامر ساكتة لا تقاوم . قد أقامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسبة ذلك بدعة . وعبارة (ومن الابن أيضا) لا تزال من جملة الموانع الكبرى للاتحاد بين الكنيسة اليونانية والكاثوليكية

وكتب اللوثريين والكنائس المصلحة . أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما كان عليه من دون تغيير . ولكن قد ضاد ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالسوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم حاسبين ذلك مضادا للكتاب المقدس والعقل . وقد أطلق سويد نبرغ الثالوث على اقنوم المسيح معلما بثالوث ولكن لا ثالوث الاقانيم بل ثالوث الاقنوم — وكان يفهم بذلك إن ما هو إلهى فى طبيعة المسيح هو الآب وان الالهى الذى اتحد بناسوت المسيح هو الابن . وان الآلهى الذى انبثق منه هو الروح القدس

وانتشار مذهب العقليين فى الكنائس اللوثيرية والمصلحة أضعف مدة من الزمان اعتقاد الثالوث بين عدد كبير من اللاهوتيين الجرمانيين

وقد ذهب كنت الى أن الآب والابن والروح القدس انما تدل على ثلاث صفات أساسية فى اللاهوت وهى القدرة والحكمة والمحبة أو على ثلاثة فواعل . وهى الخلق والحفظ والضبط وقد حاول كل من هيجن . وشلنغ . أن يجعلا لتعليم الثالوث أساسا تخيليا . وقد اقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون وحاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية

---

(١) الناسوت الجسم

ولاهوتية وبعض اللاهوتيين الذين يعتمدون على الوحى لا يتمسكون بتعليم استقامة الرأى الكنائسية بالتدقيق كما هى مقررة فى مجمعى نيقية والقسطنطينية المسكونيين . وقد قام محامون كثيرون فى الايام المتأخرة لعضد آراء الدابيليين على الخصوص

ابن

هى بالانكليزية سن وبالفرنسوية (فى) وهى لفظة اضافية تطلق على الولد الذكر لاب أو أم يقال ابن فلان كما يقال ابن فلانة قيل معناه انه يبنى على ما بنى أبوه شبه الاب بالاس والابن بما يبنى عليه ويستعار الابن فى كل شىء صغير فيقول الشيخ للشاب الاجنبى يا ابنى ويسمى الملك رعيته الابناء وكان الانبياء فى بنى اسرائيل يسمون أممهم أبناء والحكماء والعلماء يسمون المتعلمين منهم أبناءهم وكذا خدمة الدين عند أكثر الامم يسمون قومهم بالابناء وقد يكنى بالابن فى بعض الاشياء لمعنى الصاحب كابن عرس وابن مائن على الاستعارة والتشبيه ويقال أيضا لكل ما يحصل من جهة شىء أو تربيته أو كثرة خدمته أو قيامه بأمره أو توجهه اليه أو اقامته عليه هو ابنه كما يقال أبناء العلم وأبناء السبيل وأبناء الدنيا وهلم جرا

روح

وقال بوسوى الكاثوليكى الرومانى عن الروح القدس : — ان الروح القدس المنبثق من الآب والابن . هو من نفس جوهرهما : فهو معهما اله واحد (راجع ثالوث) واعترض كثيرون من الاريوسيين والمكدونيين وغيرهم على لاهوت روح القدس . واختلفت الآراء وتباينت من (جرى) التعليم بلاهوته ـ وقال الاريوسيون والمكدونيون والذين ذهبوا مذهبهم ان الروح القدس إنما هو مخلوق كالملائكة ولكنه أرفع درجة منهم ـ وقال مارأتونيوس ان روح القدس مستعمل مجازا يكنى به عن أفعال الله ـ وسمى أصحاب هذا القول فى الكتب الدينية بالمجازيين · ولم يسموا الروح القدس (الله) وجعلوا له صفات الالهية . وقال كلارك وهو من العلماء الحديثين : ان الروح القدس لم يدع (الله) فى الكتب المنزلة !! وقال اثناسيوس ان كلمة الروح القدس استعملت اسما لله . وبالعكس . نسب الى الروح ما لا ينسب الا الى الله كتقديس الانفس . ومعرفة جميع الحقائق . وغير ذلك ـ وبين ان القول بالمجاز فى غير محله

وأما السوسينيون أو (السوسينيانيون) فقالوا ان الكنيسة لم تعتقد ألوهية الروح القدس قبل المجمع القسطنطينى الذى شجب المكدونيين سنة ٣٨١ . ورد عليهم بقول ماريوستينيانوس فى القرن الثانى — اننا نعبد الاله الحقيقى الآب والابن والروح (النبوى) وبما كتبه اكليمنضس الاسكندرى فى القرن الثالث خاتما به كتابه لتهذيب الاولاد وتعليمهم — وهو التضرع الى الاقانيم الثلاثة — وقالوا : أن جميع معلمى الكنيسة فى القرون الثلاثة الالى واعتقدوا

ألوهية الروح القدس — وجمع مارباسيليوس شهادتهم بذلك فى كلامه على الروح القدس — وذكر اعتقـاد ألوهيته فى الدسولجيا — وهى ترنيمة قديمة العهد تاريخ نظمها مجهول . ويستدل عليها بالتغطيس ثلاث مرات فى المعمودية . وباستهزاء الامم الوثنية القديمة بالمسيحيين لاعتقادهم الثالوث

وقال مولت لفيلوباترس على سبيل الانتقاد ان الاله الحقيقى عند النصارى هو فى ثلاثة والثلاثة فى واحد — الاله السائد . وابن الاب والروح الذى ينبثق منه — وهكذا كان الوثنيون يتهمون النصارى بعبادة ثلاثة آلهة

واعترض بعض العلماء على ألوهية الروح القدس . بالقول — ان اعتقادها لا يقبله العقل — فقال المكدونيون لا ندرك ما هو الروح القدس فى الجوهر الالهي : فلابد أن يكون مولودا أو غير مولود . فاذا لم يكن مولودا فما الفرق بينه وبين الاب — واذا كان مولودا فبماذا يمتاز عن الابن ؟ — فقالوا بانه مولود من الابن فقط فرد عليهم ماراثناسيوس — بانه لم يدع الروح القدس فى الكتب المنزلة ابنا — ولكنه دعى روح الآب وروح الابن فقط — والادراك البشرى يعجز عن كشف اكثر من ذلك . وقال : من المحال أن نعتبر الروح القدس مخلوقا . لاننا نجعله باعتباره كذلك شيئا غير مساو للآب والابن متحدا معهما . ولا نسلم ان التوليد هو الواسطة الفريدة للانبثاق من الآب والابن ونسلم بجهل الفرق بين التوليد والانبثاق — ولكن التوليد والانبثاق ابديان لازمان . ولا يأتيان بشيء من غير الجوهر المولد والباثق فلا ينبغى أن نخلطهما بالاعتقاد كالفلاسفة القدماء من جهة صدور الارواح

وفى دستور الايمان على رأى المجمع القسطنطينى ان الروح منبثق من الآب وبعد سنة ٤٤٧ قالت كنيسة اسبانيا ثم الغلية أى فرنسا ثم جميع الكنائس اللاتينية أنه منبثق من الآب والابن — وهذه الاضافة من الاسباب التى

جعلت البطريرك فوتيوس (٨٦٦) والبطريرك ميخائيل كرولاريوس (سنة ١٠٤٣) يروجان انفصـال الكنيسة اليونانية الشرقيـة عن اللاتينية أى الغربية

وقال الروم الارثوذكس وغيرهم . ان رؤساء الكنائس اللاتينية غيروا تعاليم المجمع القسطنطينى واتهموها بالتزوير وأوسعوها طعنا وقذفا . فأجابت انها غيرتها جهارا للتوضيح — والخصام الناشىء عن ذلك قديم العهد فترى آثاره فى المجمع الذى عقد سنة ٧٦٧ وبحث عنه فى مجمع اكس لاشابل سنة ٨٠٩ وتجدد فى المجمع اللاترانى الرابع سنة ١٢١٥ وفى مجمع لون الثاني سنة ١٢٧٤ وفى مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩ — وقال اللاتين . ان اليونان قبلوا المجمع الاخير بتعليم اللاتين من جهة الانبثاق ثم رجعوا

وأما الروم الارثوذكس فقالوا انهم حافظوا على القديم ورفضو الحديث

ويسمى الروح القدس غالبا فى العهد القديم أي التوراة روح الله وروح الله القدس كما فى (مز ٥١ : ١١ واشعيا ٥٨ : ١٠ و١١) أو روح الرب الصالح (مز ١٤٣ : ١٠ ونحميا ٩ : ٢٠) وفى الانجيل الروح أو روح القدس أو روح الله أو روح الرب أو روح يسوع المسيح كما فى (مت ٣ : ١٦ واعمال ٥ : ٩ وفيلبى ١ : ١٩) وغيرها الخ الخ

موقف للمسيح لم يذكر فى القرآن

ومما يتعلق بقصص المسيح موقف لم يذكر فى القرآن الكريم وانما ذكر فى الاناجيل

قال متى ص ٢١ : ١ ولما قربوا من أورشليم وجاء الي بيت فاجي عند

جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما اذهبا الى القرية التى أمامكما فللوقت تجد ان أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتيانى بهما وان قال لكما أحد شيئا فقولا الرب محتاج اليهما فللوقت يرسلهما . فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبي القائل (قولوا لابنة صهيون · هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على اتان وجحش ابن اتان) فذهب التلميذان وفعلا كما أمر يسوع واتيا بالاتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما والجمع الاكثر فرشوا ثيابهم فى الطريق وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها فى الطريق والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنا لابن داود مبارك الآتى باسم الرب أوصنا فى الاعالى

والمتأمل فيما جاء بانجيل متى هذا وما جاء فى الاناجيل الاخرى يرى تناقضا ظاهرا

(١) يقول متى انه أرسل تلميذين فأتياه بجحش واتان والقى التلميذان عليهما ثيابهما فجلس عليهما

وأنا لا أدرى ولا مؤلف الانجيل المذكور يدرى ولا المنجم يدرى كيف ركب المسيح الاتان والجحش معا وينتظمها فى جلسة واحدة

(٢) أما مرقس · فكان ذا لباقة وكياسة . فقد كذبه وقال انه أرسلهما ليأتياه بجحش فقط فأتيا به ووضعا ثيابهما عليه وجلس عليه ودخل أورشليم

(٣) كان لوقا كمرقس فذكر انه انما ركب جحشا فقط بعد أن أرسل تلميذين فأحضراه

(٤) وأما يوحنا · فانه كذب الاناجيل الثلاثة فى انه أرسل أحدا إلى القرية ليأتيه بالاتان والجحش كما زعم متى أو بالجحش كما ذكر كل من مرقس ولوقا بل قال انه وجد جحشا فركبه ودخل به أورشليم

(٥) ـ عبارة لكي يتم ما قيل بالنبي القائل (قولوا لابنة صهيون) الخ التي جاءت في متى لم يذكرها من بقية الاناجيل سوي يوحنا بعبارة تغاير عبارة متى ونصها (لا تخافي يا ابنة صهيون هوذا ملكك يأتي جالسا على جحش اتان)

فاختلاف الاناجيل فى هذه الحادثة القصيرة هذا الاختلاف الفاحش وتناقضها فيه يدعو القارىء الى اعتقاد أحد أمرين . إما أن تكون هذه المسألة لم تحصل فلا المسيح أرسل الى أتان وجحش ولا الى جحش ولا ركب على شيء من ذلك ولكن المسيحيين رأوا هذه العبارة فى كتاب نبي من الانبياء فأتوا بها ليدلوا على ان المسيح تكلم عنه الانبياء بشيء وتم ما أخبروا به على الوجه الذى نصوه ـ وإما أن يكون المسيح قد صنع الامر على وجه من تلك الوجوه التي ذكروها ويكون أحد الانجيلين المتناقضين كاذبا والآخر صادقا

وبعد هذا فمن هو النبي الذى جاء فى كتابه هذه العبارة قولوا لبنت صهيون الخ)؟ والجواب ان النبي الذي ذكر هذه العبارة فى كتابه هو زكريا عليه الصلاة والسلام فى ص ٩ : ٩ (ابتهجى جدا يا ابنة صهيون اهتفى يابنت أورشيم هوذا ملكك يأتي اليك — هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان) وبعد ذلك كله فمن هو الملك الذى جاء الى أورشليم ؟ ودخلها منصورا وكان عادلا ومتواضعا وراكبا على جحش ابن اتان ؟

وهل بدخول المسيح أورشليم على الوجه الذى ذكرته الاناجيل تكون النبوة قد تحققت؟

والجواب ان النبوة لا تحقق الا بوجود رجل له صفة الامرة قد قهر أعداءه ودانوا له بالطاعة وعلى أثر ذلك دخل الى أورشليم بهيئة المتواضع ودخلها راكبا حمارا لا كالملوك الجبارين .

والمسيح لم يدخل أورشليم على هذا الوجه فليس له صفة الامرة على أهلها وليس له كلمة نافذة فيهم فهو فرد من أفراد الرعية الرومانية لا أكثر ولا أقل

وقد علم الخاص والعام ما صنعه معه أهل أورشليم بعد ذلك بأيام قليلة فليس هو الذى تنبأعنه زكرياولا تتحقق نبوة زكريا بدخوله اورشليم على جحش ولا على اتان وجحش

وأما الشخص الذى تحققت به هـذه النبوة بالفعل فهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ خرج من المدينة راكبا على حمار حتى وصل الى معسكر الاسلام بالجابية فخرج اليه أهل اورشليم واعتقدوا منه صلحا وبعد تمام الصلح دخل الى اورشليم راكبا حماره الذى أتي عليه من المدينة وهو صاحب الامر والنهى فى صهيون وأورشليم والكلمة العليا بعد الله له والطاعة طاعته . وأما وداعة عمر وعدله وتواضعه فهى مضرب المثل الى اليوم وبدخوله تحققت نبوة زكرياء عليه السلام

جاء فى الطبرى فى أنباء سنة ١٥ هجرية بصفحة ١٥٨ من الجزء الرابع ما نصه

« وجميع ما خرج عمر الى الشام أربع مرات — فاما الاولى فعلى فرس . وأما الثـانية فعلى بعير . وأما الثالثة فقصر عنها ان الطاعون مستعر — وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها وخرج

ومعلوم ان عمر لم يكن يدري ما قاله زكرياء ولا علم له به وانماجاء لغرض معاونةعمرو بن العاص على فتح تلك البلادالتى تعذرعليه فتحهافخرج من المدينة على حماره الى فلسطين غير متعمد لذلك ولم يقصد تفسير نبوة زكرياء

موقف للمسيح فى اليوم الاخر

ذكر القرآن الكريم موقفا للمسيح عليه السلام فى اليوم الاخريوم القيامة ولما كان ذلك متحقق الوقوع متي حضر وقته فقد عبر فيه بلفظ الماضي

ذلك أن الله تعالى يسأله وهو أعلم بالواقع عن ضلال امته فيه وفى امه إذ بعضهم قد عبده وحده وبعضهم عبده وأمه واتخذوهما إلهين من دون الله ليقيم الحجة على ضلال ما عمل اتباعه من بعده فيجيبه منكرا ذلك جاحدا له مقررا انه فى حياته انما دعا الى الله وحده وعبادته دون سواه وانه كان يراقبهم ويسددهم بالنصائح إلى وفاته وبعد ذلك كان الله الرقيب عليهم وهو الشهيد على كل شيء وان أمر عباده اليه ان شاء عذب وان شاء رحم

اقرأوا هذه الآيات

سورة المائدة : وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ١١٦ ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ١١٧ ان تعذبهم فانهم عبادك وأن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ١١٨ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم

والحمد لله أولا وآخراً وهو حسبي وكفى

وكان الفراغ من كتابة هذا فى الساعة العاشرة قبل الظهر من اليوم الثالث عشر من شهر محرم الحرام سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة والف من هجرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الموافق لليوم الثامن من شهر مايو سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة والف من ميلاد المسيح عليه السلام

تنبيهات

الأول

أوردت عند الكلام على مسألة بقره بنى اسرائيل بالملزمة ١٥ الكلام على حادثة طنوب التى حصل فيها انفعال شديد لعبد الغفار قاتل أبى سعدة من تلا ·

وقد وقفت على الحكم فى تلك القضية واقتطفت منه ما يأتي

عبد الغفار السيد منصور

منجود علام على

بسيونى احمد عبد الغفار منصور

عبد العزيز سيد احمد

قتلوا بطنوب عمدا عبد الحميد مرسى أبو سعده بان ذبحوه وقطعوه مع سبق الاصرار ليلة ٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ وقد حكم على أولهما بالاعدام وعلى الثانى والثالث بالاشغال الشاقة وبراءة الرابع فى القضية نمرة ٢٧٦ أحالة ١٩٢٠ وكان رئيس الجلسة صالح بك حقى وتاريخ الحكم ٢١ يولية سنة ١٩٢٠

الثانى

قدمنا ماذكرته التوراة من أن ابراهيم حين تغرب فى مصر قال عن سارة أنها أخته فاخذها الملك وقبل أن يقربها ضوبق فى منامه بسببها وأنه عاتب ابراهيم لانه قال أنها أختى ولم يقل هى زوجتى وفعلا مثل ذلك مع أبى مالك ملك جرار واشتد فى عتاب ابراهيم

وقد تأملت فى المسألتين فوجدتهما بعيدتي الحصول لان سارة ذهبت الى

مصر مع ابراهيم وسنها نحو سبعين سنة ومن كانت فى مثل تلك السن لا يطمع فيها طامع وعند ما كانا فى جرار كانت سنها تسعين سنة وقبل ذلك بسنة قد قالت عن نفسها (عجوز عقيم) وقالت (أألدو أنا عجوز وهذا بعلى شيخا) وبعيد فى مجرى العادة أن يطمع ملك مترف فى بنت تسعين

الثالث

تكلمنا فيما مضى من الكتاب عن طوفان نوح وأن الهند تذكران مدنيتها أقدم من طوفان نوح

وهناك رأى ثان لاهل الهند فى الطوفان انقله عن تاريخ الادب الهندى لصديقنا السيد أبى النصر احمد الحسينى الهندى

وهو لم يطبع بعد ـ قال فى الجزء الاول منه الخاص بالثقافة الوثنية الهندية فى الباب الخامس وعنوانه (برهانا وأوبانيشاد) ص ٤٢ — ٤٣ من النسخة المخطوطة ·

ومما يلفت النظر فى « ساتاباتا برهانا » قصة الطوفان التى قد بينت فى ضمن بيان الضحايا .

والقصة وإن اختلفت من وجوه كثيرة عما فى القرآن والتوراة فانها تربط القصة الهندية بالقصة السامية ·

· فى هذه القصة البرهمانية يقوم « مانو » بدور سيدنا نوح فى القرآن والتوراة ومانو اسم قد نال التقديس والاحترام فى أدب الثقافة باسره من الوثنيين · فهو ابن الله ومصدر جميع الناس وجدهم الاسطورى · وخلاصة القصة · أنه بينما كان مانو يغسل يديه ذات يوم اذ جاءت فى يده سمكة . ومما اندهش له أن السمكة كلمته وطلبت منه انقاذها من الهلاك ووعدته جزاء على ذلك أنها ستنقذ مانو فى المستقبل من خطر عظيم

والخطر العظيم المحدق الذى انبأت به السمكة كان طوفانا سيجرف جميع المخلوقات . وعلى ذلك حفظ مانوا السمكة فى المرتبان . فلما كبرت أخبرت مانو عن السنة التى سيأتى فيها الطوفان ثم أشارت على مانوا أن يصنع سفينة كبيرة ويدخل فيها عند طغيان الماء قائلا (أنا أنقذك من الطوفان)

فصنع مانوا السفينة وكبرت السمكة حتي لم يتسع لها المرتبان فالقاها فى البحر — ثم جاء الطوفان كما أنبأت السمكة وحين دخل مانوا السفينة سبحت السمكة اليه فربط سفينته بقرن على رأسها فجرتها الى الجبال الشمالية — وهناك ربط مانو السفينة بشجرة وعند ما غاض الماء بقى مانو وحده

قصة الطوفان وأهميتها الحقيقية ليست فى الاتصال المنبث فى كلمات مانو والسفينة والطوفان بل فى النور الذى ترميه القصة فى كشف التاريخ الابتدائى لطقوس القربان . وهو يرى فى الخطوات التى يتخطى بها مانو لنيل القوة الخارقة لايجاد الخلق وفى بادىء الامر كان مانوا يتمنى أن يكون له نسل فانهمك فى العبادة والمجاهدة ثم قام بالضحية المسماة (باكا) ومن ثم خلقت المرأة بعد سنة — وقد أخبرت المرأة مانو أنها خلقت من ضحيته . وقالت له — أنا بركة — استعملنى فى القربان فتصبح كثير الذرية والماشية . فاستمر فى العبادة والمجاهدة مع المرأة وبواسطتها انتج هذه الذرية فهى ذرية مانو وأي نعمة طلب بواسطتها أعطيت له

الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
٦	١٩	الـكابتن	الـكاتبين
٧	١	عل	على
٨	١٨	لقد	ولقد
٨	١	أوليا	أولياء
٩	١	مذموما	مذءوما
١٠	١٠	يعلمون	يعملون
١٠	١٤	عل	على
٢١	١٧	براهنيه	براهينه
٢١	١٩	ظهار	ظاهر
٢٢	٢١	داورن	دارون
٢٨	٩	ويفسك	ويسفك
٢٨	١٢	تكون	تكونا
٣٠	١	وهنا	هنا
٣٠	٢١	تعال	تعالى
٣٥	١	جه	جده
٣٥	٢	حـ	حديث الشفاعة
٤٠	٢	إلا	ألا
٤٠	١٢	استكبار	استكبارا
٤١	١	إن	أن
٤٧	١٦	أوبوه	وأبوه

ص	س	خطأ	صواب
٨٤	٢٠	قطيعه	قطعيه
٨٦	٦	تضفه	تضيفه
٨٦	١٥	يحولها	يحولها
٩٥	٤	عبيدين	عبدين
٩٩	٢٠	يحرقه	يحرق
١٤٢	٨	راودوه	رادوه
١٥١	٢٠	أريد	أريد أن
١٥٣	٢٣	عربه	جمع عربه
١٦١	١٩	فلما أن جاءها	فلما جاءها
١٦٢	١٤	ياموسى أقبل ولا تخف	ياموسى لا تخف
١٦٤	٦	ينزله	ينزل
١٧٠	٥	وأرد	وارد
١٨٤	١٣	إن تلقى	أن تلقى
١٨٥	١٨	أو أله	أوله
١٨٩	٢٢	اتبعون	اتبعونى
١٩١	١٢	ريبكم	ربكم
٢٢٣	٢٢	يعبرا	يعبر
٢٠٧	٥	واذا	واذ
٢٢٧	١٩	»	»
٢٢٨	٢١	البقرة	البقر
٢٣٠	١	تتقون	تعقلون

ص	س	خطأ	صواب
٢٣٢	٥	أنجيناكم	نجيناكم
٢٣٢	٥	واذا	واذ
٢٣٢	١٠	التداریء	التدارؤ
٢٤٠	١٧	كيفما	كيفا
٢٨١	٧	استكبرا	استكبروا
٢٩٥	٤	ابن اسحق	ابن يعقوب بن اسحق
٢٩٩	١٤	أحدا	أحد
٣٢٢	٩	يردهما	يردها
٣٢٧	٥	والجن	ومن الجن
٣٨١	٦	الفاروق	الفارق
٤١٣	٥	الحوريين	الحواريين
٤١٤	١٣	الاسكندرية	الاسكندرونة
٤٢٧	١٥	لتبدير	لتدبير
٤٢٩	١٦	المثرة	الثروة
٤٣٢	٤	١٩٢٥	١٩٢٤
٤٤١	٣	المجد	المجلد
٤٤٣	١٠	فتشتط	فنشيط
٤٤٥	٢٠	العكسر	العسكر
٤٧٢	٧	نظر	انظر
٤٧٣	٩	الاقاليم	الاقانيم
٤٨٤	١	بدع	لم يدع

فهرست الاعلام

حرف ا

آحاز — ١٥٥ - ٢٥٤
آدم-٦-٣٥-٢٣٥-٣٧١-٤٣٦-٤٣٨
آسا - ١٥٥
ابراهيم - ١٧ - ٥١ - ٥٣ - ١٠١ - ١٥٦
١٧٤ . ٢٢١ . ٢٦٧ . ٢٨٩ . ٣٤١ ٤٣٦
ابراهيم الحربى — ٢٥٧
ابراهيم بن طهمان — ٣٣٤
ابشالوم — ٣٢٥
ابليس ٦ . ٧ . ٨ . ١٢ . ١٤ . ٢٥ . ٣٠ . ٣٤
ابن الجوزى — ٢٥٧
ابن تيميه — ٢٥٧
ابن جرير — ٣٣٤
ابن حوقل ٧٩
ابن رشد ٢٣
ابن سينا ٢٣
ابن عباس . ٢٥٤ . ٢٥٦ . ٢٦٦ . ٦٢٨ . ٣٣٤
ابن عضاء الله ١٠٥
ابن وهب ٣٣٦
أبو الفتح الاسكندرى ٤٣٧
أبو الكسندرس ٤٦٠
أبو النصر احمد الحسيني الهندي ٤٩٢
أبو حذيفه ٣٣٤
أبو حنيفة ٣٠٨
أبو زيد السروجى ٤٢٧
أبو صالح ٣٣٤
أبو هريرة ١٧ ٣٥
أبى بن كعب ٢٤٥
أبيا ١٥٥
أبياثار ٣٠٢
أبيكورس ٢٣
أثناسيوس ٤٨٤
احمد (صلعم) ٤٧٢ ٤٧٤
احمد بن منصور ٣٣٤
احمد ٢٥٦
احمد فؤاد عبد المجيد ٢٣٥ ٢٣٨
احمد القادياني ٤٣٣
احمس ١٠٥ ١٣٩ ٢٧٨
أخزيا ١٥٥
أخنوخ ٣٥

تابع حرف ا

أخيش ٣٠١
أديثيل ٨٧
ادريس ٣٥
آدسن ٢٤
أرادوا رسيوس ٤٦٥
ارسطوطاليس ٢٣
أرشميدس ٢٣
أرنفشذ ٢٦٧
أرفكشاد ٥١ ٥٣
إرم ٢٦٧ ٢٧٧
أرميا ٤٥٦ ٤٥٧
أرنست دى بونس ٤٦٦
أسباهم ٣٤١
استان ٣٤١
استيفن ٢٤
اسحق ٥٦ ١٠١ ١٥٦ ١٧٤
اسراءيل ٤٨٠
أسف ٢٧٧
أسماعيل ١٧ ٥٥ ١٠١ ١٥٦ ٢٥٢
أشعياء ٢٦٤ ٢٦٥
أشير ١ ١
أصبغ بن الفرج ٣٣٦
أفرام ٤٨٠
أفرايم ١٣٨
افلاطون ٢٣
الاسكندر المقدونى ٢٥٧
ألجن
الحافظ البغوى ٢٧٧
الحباب ٢٨٢
الحرث بن همام ٤٣٧
الخضر ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦
الخلود ٢٦٧
الديلمى ٢٠٨
السائب ٣٣٤
السامرى ٢١٣
السدى ٣٣٤
الشافعى ٣٠٨
الفارابى ٢٣
الكلبى ٢١١
النابغة الذبيانى ٣٢٨
المختار ٢٦٨
الياس ١٥٦ ٢٥٦
اليسع ٥٦ ٢٥٦
امصيا ١٥٥

تابع حرف ا

انتل ٣٤١
اندراوس ٤١١
أنوش ٣٥ ٣٦
ايشبوشت ٣٠٤
ايلياء ٤٦٢
أيوب ١٥٦ ٣٤٠ ٣٤٥

حرف ب

باراباس ٤٥٩
بالاق ١٥٣
بتوئيل ٨٨
بختنصر ٣٤١
بديع الزمان الهمذانى ٤٣٧
برثولماوس ٤١١
برنابا ٤٦٦ ٤٧٠
بطرس ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٦٢ ٤٦٩
بعور ١٥٣
بقراط ٢٣
بلعام ١٥٣
بلها ٨٩
بليا بن ملكان ٢٥٦ ٢٥٧
بنيامين ١٠١ ١١٨ ١٢١ ١٢٢
بوجارت ٣٤١
بوعز ٢٩٥
بوزن ٢٤
بيل ٤٤٢
بيلاطس ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠

حرف ت

تارح (آزر) ٥١ ٥٢ ٦٢ ٩٠
تارشنوف ٢٤٤
ترتليانوس ٤٨١
ترهاقه ١٩٩
توما ٤١١
تيما ٨٧

حرف ث

ثمود ٢٧٧ ٢٨٨
ثيوفيلوس ٤٨١

حرف ج

جابر ٢٧٧
جاد ١ ١ ٢ ٣
جالوت ٢٩٨ ٣٠٢
جاليئرس ٢٣٠
جرجس زوين الفتوحي ٤٠٢
جرشوم ١٥٨
جلاسيوس ٤٠٩
جورج كورس ٤٤١
جورجي زيدان ٢٢ ٨٥ ٢٧٩
جون جيوس ٤٤١

حرف ح

حاذر ٢٧٧
حام ٤٨
حدار ٨٧
حزقيل ٣٤٦
حصرون ٢٩٥
حنان ٤٥٣ ٤٥٤
حواء ١٢ ١٥ ٢١

حرف خ

خفرع ١٩٩

حرف د

دارون ٢٢
دان ١٠١
داون ٤٤٠
دومة ٨٧
داود ٤٧ ١٥٥ ١٥٦ ٢٩٤ ٢٩٥ ٣٤٠ ٤٢٢

حرف ذ

ذؤاب بن عمرو بن لبيد ٢٨٢
ذو نواس الحميرى ٣٧٢

حرف ر

راحيل ٨٩
راغب عطية ٢٣٨ ٢٤٠

تابع حرف ر

رأوبين ١٠١ ١٢٣
رب عمانى ديز ٣٤١
رباب بن صعر ٢٨٢
رباح ٢٦٧
رحبعام ١٥٥
رحمه بنت أفرايم ٣٤٤
رحمة الله الهندى افندى ٣٥ ٤٠٢
رعمسيس الثانى ٢٠٠
رعو ٥١ ٥٢ ٢٦٧
رفقه ٨٩
رمسيس ١٩٩ ٢٠٠
روفس ٤٦٠

حرف ز

زارح ١٩٩
زبلن ٢٤
زبولون ١٠١
زكريا ١٥٦ ٤٥٧
زلفا ٨٩
زمران ٨٧
زومر ٢٤٤

حرف س

سارة ٦٢ ١٠١
سالومة ٤٦٣ ٤٦٧ ٤٦٨
سام ٤٨ ٥١ ٥٣ ٢٦٧ ٢٧٧
ستكر ٢٤٤
سروج ٥١ ٥٣ ٢٦٧
سعد بن معاذ ٣١٠
سعد بن جبير ٢٥٤ ٢٥٦
سفيان ٢٥٤
سقراط ٢٣
سلمون ٢١٥
سليمان ١٥٥ ١٥٦ ٢٩٤ ٢٠٨ ٣٤٠ ٣٤١ ٤٨٠
سمعان القانوى ٤١١ ٤٦٠
سمعان بطرس ٤١١ ٤٦٨
سملر ٣٤١
سواع ٢٦٨
سويد نبرغ ٤٨٢
سيمون السرناى ٤٦٦

حرف ش

شارل فيريه ٢٤٤
شالح ٥١ ٥٣ ٢٦٧
شعياء ٢٤٦
شعيب ١٥٢ ١٥٤ ١٥٧ ٢٨٩ ٢٩٤
شفره ١٣٩
شلنغ ٤٨٢
شمعون ٢٢١
شوحا ٨٧
شيث ٣٥ ٣٦
شيشاق ١٩٩

حرف ص

صالح عليه السلام ٢٧٧ ٢٨٨
صدقيا ١٩٩
صادوق ٢٨٣
صفور ١٥٣
صفوره ١٥١
صمود ٢٦٨
صمويل ٢٩٦ ٢٩٧ ٣ ٣

حرف ط

طالوت «شاول» ١٥٥ ٢٩٧ ٣٠٤ ٣١٢
طيطوس ٤٢٣

حرف ع

عابر ٥١ ٥٣ ٢٦٧
عاد ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٧٨
عامر ٢٥٦ ٢٧٧
عبد الرحمن بن زيد ٣٣٦
عبد الرحمن بن عوف ٣١٠
عبد الله التعايشى ١٧٧
عبد العزيز غباشى ٤٣٢
عبد الله بن رباح ٢٦٧
عبيد ٢٧٧
عثليا ١٥٥
عثمان بن عفان ١٦
عثمان دقنة ١٧٧
عطاء ٣٣٤
على بن أبى طالب ٣١٠
على بن موسى الرضا ٣٥٧
عمران ٧٥ ٢٤١

تابع حرف ع

عمر بن الخطاب ٤٨٩
عمرو بن دينار ٢٥٤
عمرى ٢١٦
عمواس ٤٧٠
عمينا داب ٢٩٥
عنتره ٢٨٣
عوبيد ٢٩٥
عوص ٢٦٧
عيسو ٨٩
عيسى ١٧ ٤٧ ١٥٦ ٣٢٤ ٣٥٨ ٤٥٦ ٤٦٦ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٨

حرف غ

غاليلى ٢٤

حرف ف

فارص ٢٩٥
فار قليط ٤٧٧
فالج ٥١ ٥٣ ٢٦٧
فرعون ١١٦ ١٣٩ ٢٦٥
فرويد ٢٣٦
فوتيوس ٤٨٦
فورستنو ٢٤٤
فوطيفار ١٠٥
فوعه ١٣٩
فيجورو ٢٤٤
فيلبس ٤١١

حرف ق

قاين ٢٣٥
قارون ٢٤٦ ٢٥١
قاهت ٧٥ ١٤١
قتاده ٢١١
قدار بن سالف ٢٨٣
قصى ٧٩
قطوره ٨٧
قورح ٢٥٠

تابع حرف ق

قيافا ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٤ ٤٥٦
قيدار ٨٧
قينان ٣٥ ٣٦

حرف ك

كاست ٣٤١
كالب بن يفنه ٢٢٤
كرشنا ٤٤٠ ٤٤١
كلاب ٧٩
كلارك ٤٨٤
كلب ٢١١
كلوبا ٤٦٢
كليوباس ٤٧٠
كنت ٤٨٢
كنعان ٤٨
كوبرنيق ٢٤
كود ٣٤٢
كورى ٢٤

حرف ل

لامك ٣٥
لباوس ٤١١
لبلاس ٢٤
لود ٣٤٢
لوط ٣٠ ٥٥ ١٠١ ١٥٦ ٤٣٦
لوكلانش ٢٤
لويس ملحمه ١٩٩
ليا بنت يعقوب ٣٤٤
ليئة ٨٩
ليكلرك ٣٤١

حرف م

ماجى ٣٤٢
ماخير ٣٤٤
مار أتونيوس ٤٨٤
ماشح ٢٧٧
مانو ٤٩٣
مبسام ٨٧
متوشالح ٣٥
متى العشار ٤١١

تابع حرف م

محمد(صلعم) ٨٥ ١٠٢ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٦٥ ٣٢٤ ٣٥٨ ٤٠٠ ٤٣٣ ٤٦٥
محمد طاهر البيروتى ٤٤٢
محمد عبده ٢٢٥
محمد لبيب البتنونى بك ٨٥
محمد فتحى بك ٢٤٣
مدام كورى ٢٤
مدان ٨٧
مدين ٨٧ ٢٨٩
مرة الهمدانى ٣٣٤
مركونى ٢٤
مريم المجدلية ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩
مريم ام يعقوب ٤٦٧ ٤٦٨
مريم بنت عمران ٦ ١٤٢ ٢٠٣ ٣٩٥
مسا ٨٧
مسلم ١٧ ٣٥
مسيح ٤٥١ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٧ ٤٥٩ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٨٢
مشاع ٧٧
مصدع ٢٨٣
ملخس ٤٥٠
ملمن ٤٦٦
منسا ١٢٨ ٣٤٤
منفتاح ١٩٩
مهلئيل ٣٥ ٣٦
مورس ٢٤
موسى بن مسعود ٣٣٤
موسى عليه السلام ١٧ ٧٥ ١٣٩ ٢٦٥ ٢٧٨ ٢٩٤ ٣٢٤ ٣٢٦ ٣٤١ ٣٩٠ ٤٢٩ ٤٣٦ ٤٧٥
مولر ٤٤٢
موى ٤٤٠
ميكال بنت شاول ٣٠١
ميكايلس ٣٤١ ٣٤٢

حرف ن

ناباط ٢١٦
ناحور ٥١ ٥٣ ٨٨ ٢٦٧
نافيش ٨٧
نبايوت ٨٧

تابع حرف ن

نحشون ٢٩٥
نسر ٢٦٨
نفتالى ١٠١
نكو ١٩٩
نوح ٣٥ ٥٢ ٥٣ ١٥٦ ٢٦٧ ٢٧٨
نون ٢١١ ٢٩٤
نيقوديموس ٢٣٥ ٤٦٤
نيوتن ٢٣

حرف ه

هاجر ٦٤ ١٠١
هاران ٦٢ ٩٠
هاسي روس ٣٤١
هامان ١٤٠ ٢٦٥
هرون ١٦٠ ٢٦٥ ٤٣٦
هنرى مريون ٢٤
هود ٢١ ٣٧ ٢٦٥ ٢٧٦
هورن ٣٤١
هورنيوليس ٤٤١
هوك ٤٤١ ٤٤٢
هيجين ٤٤١ ٤٤٢
هيرودوس ٣٧٩ ٣٨٣ ٤٥٨ ٤٦٠
هيلز ٣٤٢

حرف و

واط ٢٤
ود ٢٦٨

حرف لا

لابان ٨٩ ١٥٧
لاوي ٧٥ ١٠١ ١٤١

حرف ى

يارث ٣٥ ٣٦
يافث ٤٨
يثرون ١٥٤
يحيى بن زكرياء ٣٨٦ ١٥٦ ٤٣٦
يربعام ٢١٦
يساكر ١٠١

تابع حرف ى

يسوع ٤٤٩ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٦١ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧٧
يسى ٢٥٩
يشباق ٨٧
يطور ٨٧
يعقوب بن حلفى ٤١١
يعقوب بن زبدى ٤١١
يعقوب عليه السلام ٥٩ ٧٥ ٨٩ ١٠١ ١٤١ ١٥٦ ١٥٧ ٢٤١
يعوق ٢٦٨
يغوث ٢٦٨
يفنه ٢١١
يقشان ٨٧
يهودا الاسخريوطى ٤١١ ٤٢٦ ٤٣٢ ٤٥٠ ٤٥٨
يهوذا بن يعقوب ٤١٠١ ١٠ ١٢١ ٢٩٥
يهوذا — ٤٤٣ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥٦ ٤٦٦
يهورام ١٥٥
يهوشافاط ١٥٥
يوآش ١٥٥
يوثام ١٥٥
يوحنا المعمدان ٤٧٥
يوحنا بن زبدى ١١٤
يوسف النجار ٣٦٢
يوسف اليهودى ٤٣٧
يوسف عليه السلام ١٠١ ١٥٦ ١٨٨ ٢٦٠
يوسى ٤٦٣
يوشع ٢١١ ٢٢٣ ٢٥٥ ٢٦٠ ٢٩٤ ٢٩٥
يوكابد ٧٥ ١٤١
يونا ٤٦٨
يونثان بن شاول ٣٠٠
يونس الحكيم ١٧٦
يونس عليه السلام ١٥٦ ٣٤٥ ٣٥٣

فهرس الكتاب

صفحة	
	المقدمة
٦	قصة آدم عليه السلام
٧	خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له
٨	محاجة ابليس وانظاره الى يوم الدين
٩	آدم خليفة الله فى أرضه
١٠	تعليم الله آدم أسماء المسميات
١٢	سكنى آدم وزوجه الجنة وخروجهما منها
١٤	مسائل وأجوبتها
١٩	نظرية دارون
٢٥	قصة آدم فى سفر التكوين
٢٧	من هم الملائكة
٣١	من هم الجن
٣٤	العظة من قصة آدم
٣٥	نوح عليه السلام
٣٨	ارسال الله نوحا الى قومه
٣٩	اجتهاد نوح فى دعوته

صفحة	
٤١	ياس نوح من هداية قومه وصنعه الفلك
٤٢	اتمام نوح سفينته
٤٢	استشفاع نوح فى ابنه
٤٤	مسائل
٤٨	قصة نوح فى التوراة
٥١	عمر نوح
٥٣	ابراهيم عليه السلام
٥٧	قصة ابراهيم
٥٨	تبييت ابراهيم الشر للاصنام ومحاكمته
٦٠	محاجة ابراهيم للملك
٦٢	اخفاق ابراهيم فى هداية قومه
٦٣	رحلته الى أور الكلدانيين ثم الى حاران
٦٣	رحلته الى فلسطين
٦٣	« « الى مصر
٦٤	دخول ابراهيم بهاجر وولادة اسماعيل

صفحة	
٦٦	ابراهيم والملائكة
«	دفاع ابراهيم عن لوط ومجادلته عن قومه لوط
٦٨	البشرى باسحاق
٦٩	حب الاستطلاع فى ابراهيم
٧١	رزق ابراهيم باسحاق
٧٢	تغرب ابراهيم فى أرض ابى مالك
٧٥	مسألتان
٧٦	قصة اسماعيل واقدام ابراهيم على ذبحه
٧٨	قصة الذبح فى التوراة
٧٩	رحلة اسماعيل وهاجر الى وادى مكة
٨٢	بناء اسماعيل وابراهيم البيت
٨٦	زواج اسماعيل — اولاد اسماعيل
٨٧	بقية اولاد ابراهيم غير اسماعيل واسحاق
٨٨	وفاة ابراهيم وقصة اسحاق وزواج اسحاق

صفحة	
٩٠	تغرب اسحاق وموته
«	لوط
٩١	أهل سدوم
٩٧	مكان العبرة فى قصة ابراهيم وما معها
١٠١	يوسف عليه السلام وأخوته
١٠٤	يوسف عند سيده
١٠٥	محنة يوسف
١٠٨	يوسف وامرأة العزيز
١١١	يوسف فى السجن يدعو لدينه
١١٢	الفرج ليوسف
١١٦	يوسف بحضرة الملك
١١٨	اخوة يوسف فى مصر يمتارون
١١٩	اخوة يوسف عند أبيهم
١٢٢	حيلة يوسف فى ابقاء بنيامين عنده
١٢٥	يوسف يتعرف الى اخوته
١٢٧	الاخلاق التى تستفاد من قصة يوسف واخوته
١٥٣	العظة البالغة

صفحة		صفحة	
١٣٧	بنو اسرائيل بمصر	١٨٦	تمادى فرعون وقومه
١٣٨	وفاة يعقوب	١٨٨	الائتمار بموسى لقتله
١٤١	ولادة موسى وارضاعه فى بيت فرعون	١٩٠	فرعون يستخف بموسى ويباهى بأنه ملك مصر
١٤٣	تربية موسى فى بيت فرعون	١٩٢	الآيات التى أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه
١٤٤	خروج موسى من مصر الى أرض مدين	١٩٧	انطلاق بنى اسرائيل
١٤٧	أرض مدين ونزول موسى بها	٢٠٨	ذهاب موسى عن بنى اسرائيل
١٥١	مصاهرة موسى للشيخ	٢١٢	اتخاذ بنى اسرائيل العجل
١٥٢	من هو صهر موسى	٢٢١	أمر الله بنى اسرائيل بدخول الارض المقدسة وعصيانهم
١٥٧	قضاء موسى مدة استئجاره		
١٦٤	المواقف المتقدمة فى التوراة	٢٢٥	نتق الجبل فوق بنى اسرائيل
١٦٨	عود موسى الى مصر ودعوته لفرعون	٢٢٨	بنو اسرائيل ومسألة البقرة
		٢٤٦	قصة قارون وموقف موسى بأزائه
١٧٠	تذكير فرعون موسى تربيته فى بيت فرعون	٢٥٤	العبد الصالح صاحب موسى
١٧١	موسى يحاج فرعون فى ربوبية الله تعالى	٢٥٩	موت هرون
		٢٦٠	موقف لبنى اسرائيل بعد موسى
١٧٥	فرعون يتجاهل الله ويأمر ببناء الصرح	٢٦١	ثناء الله على موسى وهرون
		٢٦٢	العبرة التى تستفاد من قصة موسى
١٧٩	معجزتا العصا واليد		

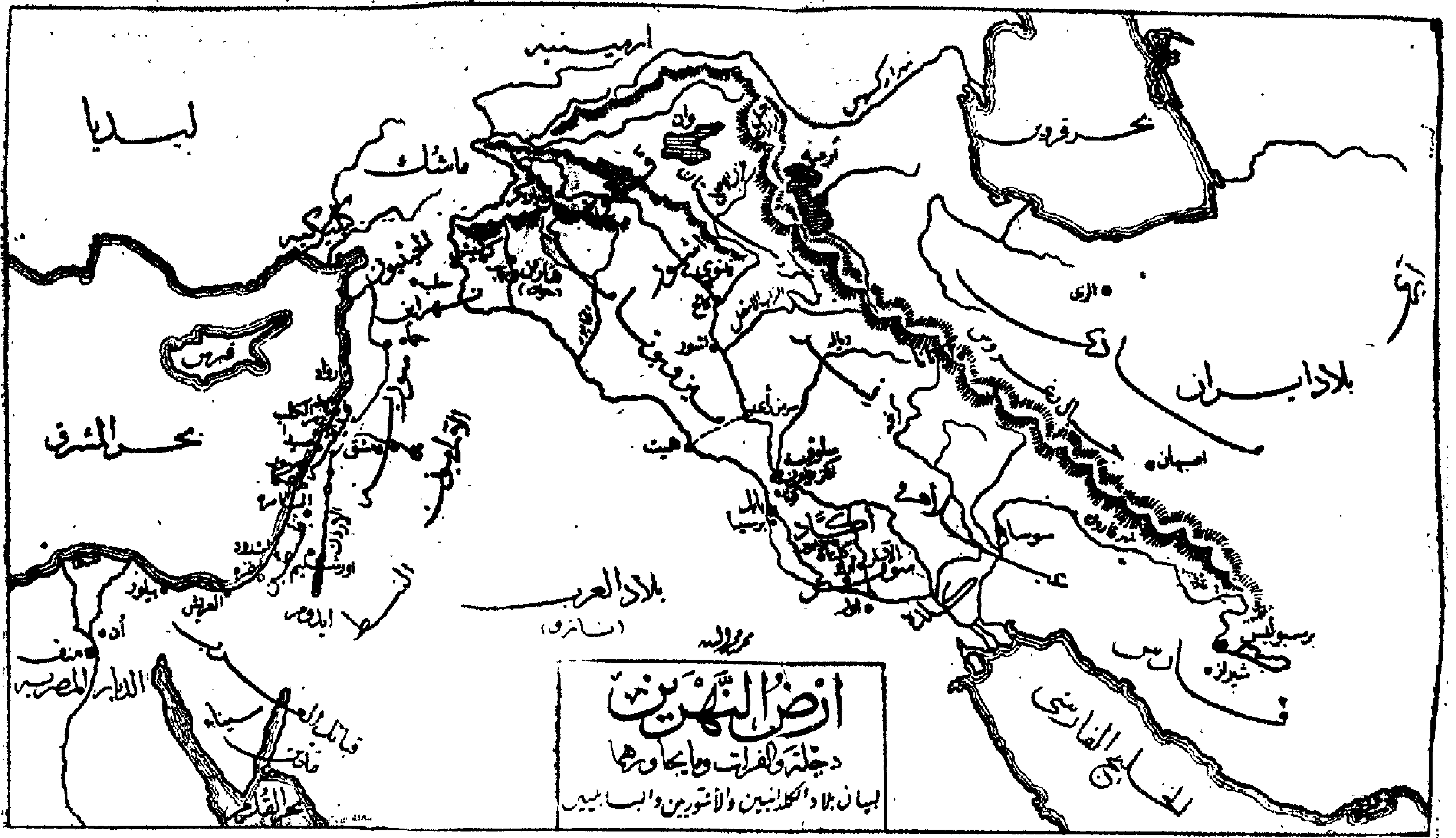
صفحة

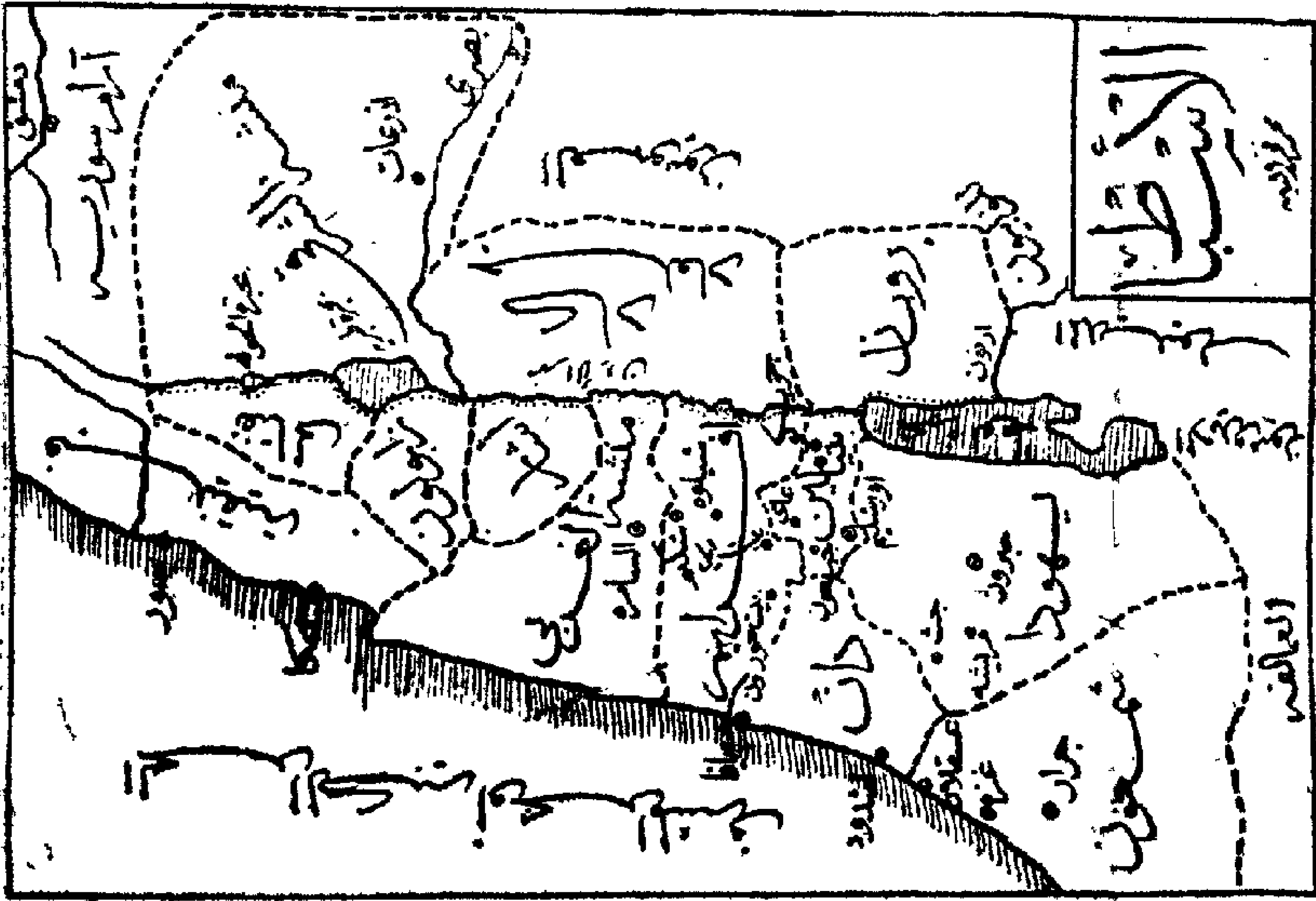
٢٦٥ هود عليه السلام
٢٦٨ مساكن عاد ، عبادتهم
٢٧٥ العبرة من قصة هود مع قومه عاد
٢٧٧ قصة صالح عليه السلام : نسب صالح وثمود ـ مساكن ثمود
٢٧٩ دين أهل ثمود
٢٨٩ قصة شعيب عليه السلام ـ قومه ومكانهم
٢٩٠ تهديد شعيب والمؤمنين باخراجهم من القرية
٢٩٤ زمن شعيب
٢٩٥ داود عليه السلام
٣٠٠ رجع الكلام الى داود
٣٠٥ نعم الله على داود
٣٠٨ موقفان لداود
٣١٣ حكمه داود
٣١٤ ما يتعلق بالفتنة من القرآن
٣١٥ مكان العبرة من قصة داود
٣١٦ سليمان بن داود عليه السلام
٣٢٦ اسالة عين القطر لسليمان

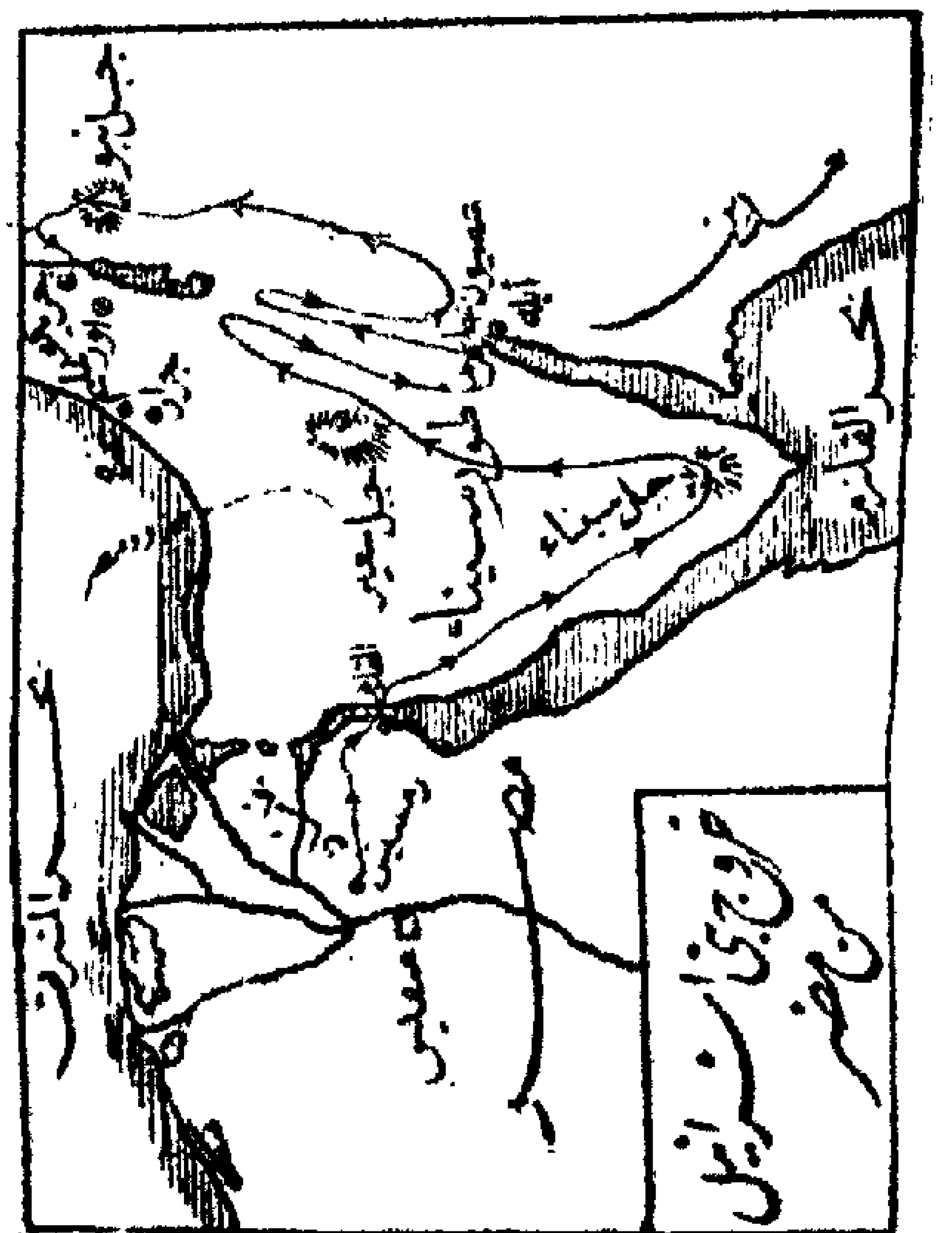
صفحة

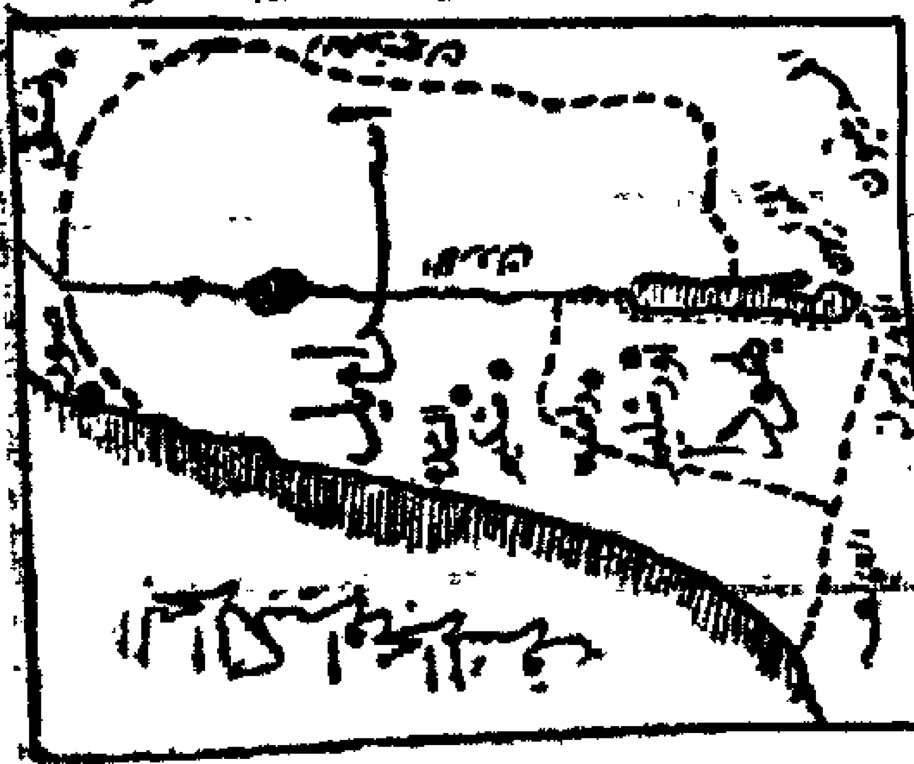
٣٢٧ تسخير الجن لسليمان
٣٢٨ سليمان وملكة سبأ
٣٣٣ موت سليمان عليه السلام
٣٤٠ ايوب عليه الصلاة والسلام
٣٤٥ يونس « «
٣٥٠ يونس عند أهل الكتاب
٣٥٣ آيات عامة بما نزل بالامم الخالية من العذاب
٣٥٨ المسيح عيسى بن مريم
٣٦١ نسب المسيح عند النصارى
٣٦٣ مريم بنت عمران
٣٦٥ تبشير مريم بعيسى
٣٦٩ حمل مريم بالمسيح وولادتها اياه
٣٧٦ مريم تفكر فى أمرها
٣٧٩ ختان المسيح
٣٨١ ذهاب يوسف ومريم بالمسيح الى مصر
٣٨٢ المسيح أيام صباه
٣٨٣ يسوع يحاج العلماء

صفحة		صفحة	
٣٨٤	كيف ابتدأت نبوة المسيح	٤٤٠	عقيدة الصلب والفداء وثنيه
٣٨٥	يسوع يتلقى الانجيل من جبريل	٤٤٢	الاناجيل وصلب المسيح
		٤٥١	بعد القبض على يسوع
٣٨٦	نبوة المسيح على رأس ثلاثين سنة	٤٦٦	قيام المسيح من القبر
		٤٧١	المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله
٣٨٧	معنى كلمة الانجيل		
٣٩٠	المهمة التي جاء بها المسيح	٤٧٨	حجة المسيحيين فى ألهية المسيح
٤٠١	الاناجيل الموجودة الآن		
٤٠٧	أنجيل برنابا	٤٨٠	الثالوث
٤١٠	الحواريون	٤٨٣	معنى كلمة ابن
٤١٤	معجزات عيسى عليه السلام	٤٨٤	« « روح
٤٢٥	خاتمة أمر المسيح	٤٨٦	دخول عمر بن الخطاب أورشليم
٤٣٠	ألقاء شبه المسيح على غيره		
٤٣١	الشبه والاشتباه	٤٩٠	المسيح فى اليوم الاخر
٤٣٧	اليهود وصلب المسيح	٤٩١	تنبيهات
٤٣٨	خاتمة شأن المسيح عند النصاري		

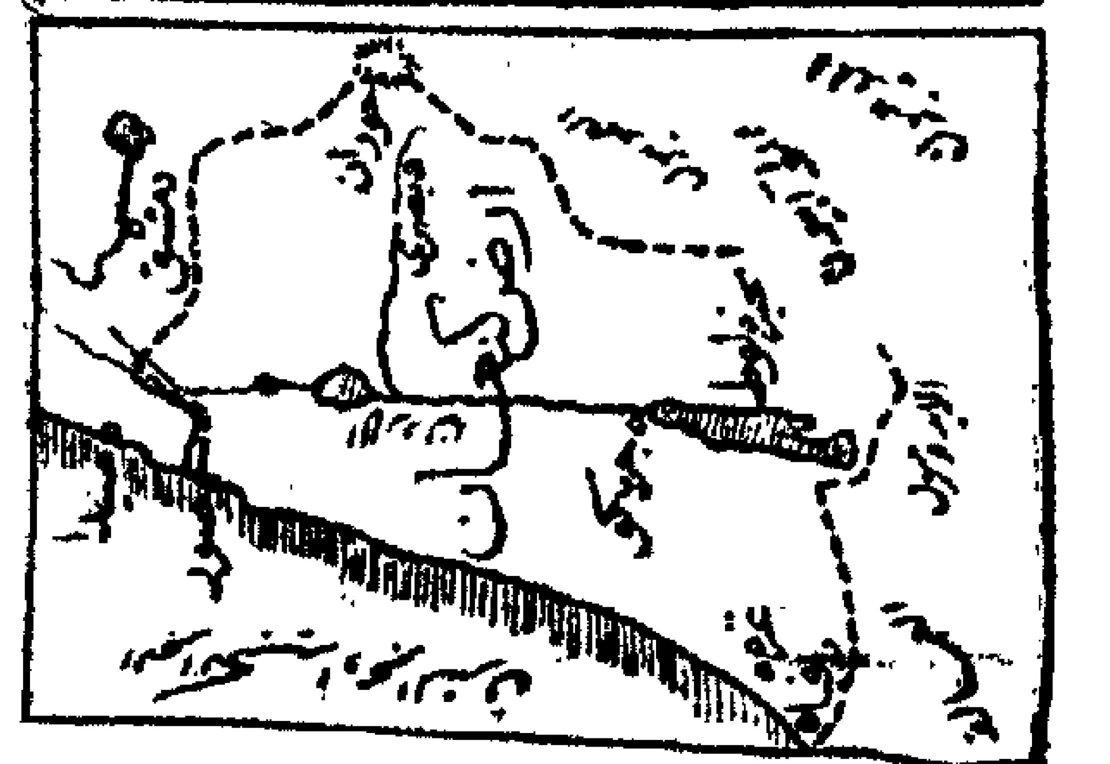

أرض النهرين
دجلة والفرات وما يجاورهما
لبيان بلاد الكلدانيين والأشوريين والبابليين
ليديا
بحر الشرق
بلاد العرب
بلاد إيران
بحر قزوين
الخليج الفارسي
فارس
الديار المصرية
أرمينيا
قبرص
هيت
سوسا
أصفهان
شيراز
برسبوليس

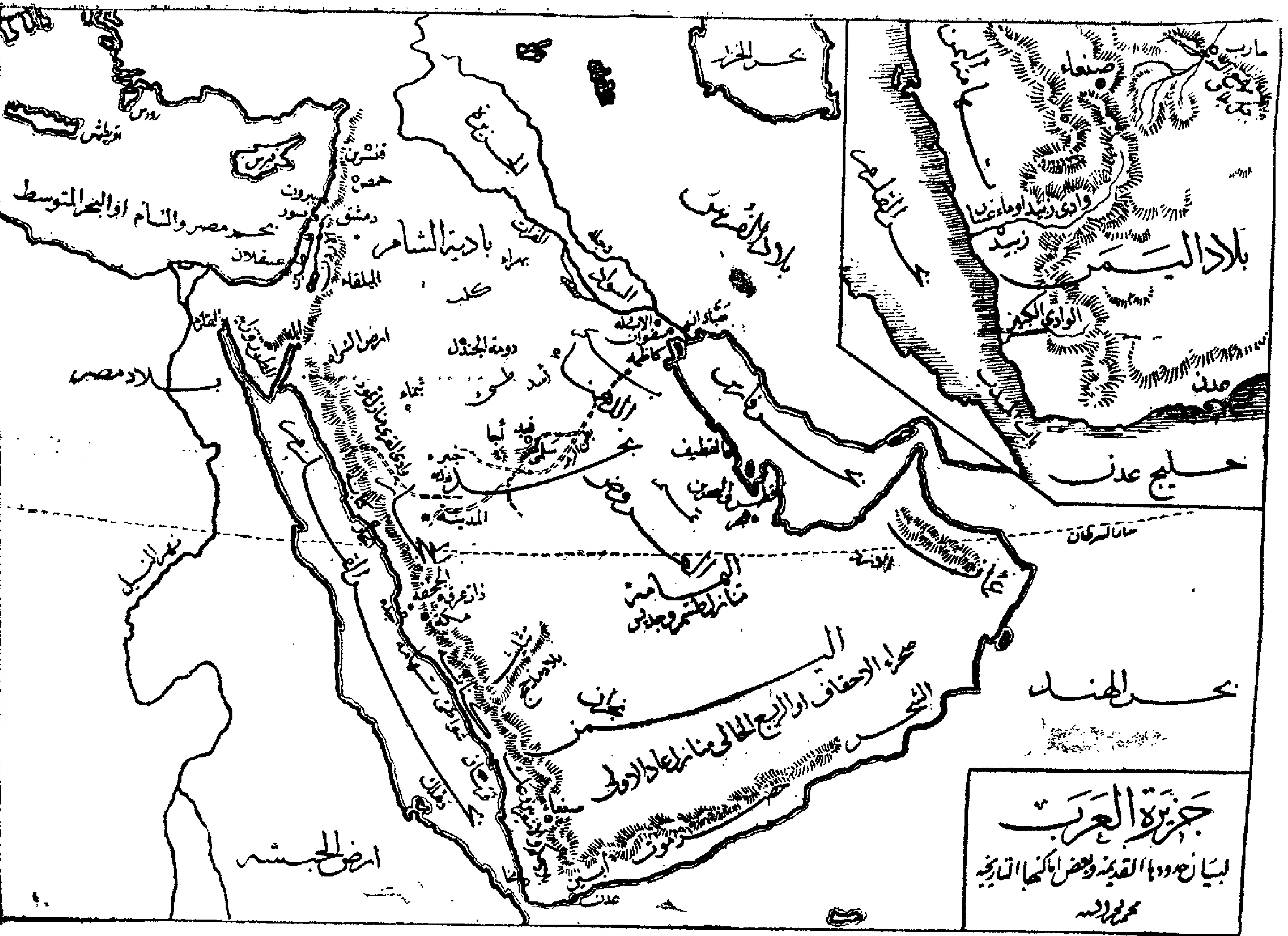











جزيرة العرب
لبيان حدودها القديمة وبعض اماكنها التاريخية
بحر الهند
خليج عدن
بلاد اليمن
صنعاء
زبيد
الوادي الكبير
بحر القلزم
بلاد فارس
بحر الخزر
بادية الشام
دومة الجندل
تيماء
المدينة
مكة
اليمامة
القطيف
البحرين
حضرموت
عدن
عمان
ارض الحبشة
بلاد مصر
بحر مصر والشام او البحر المتوسط
قبرس
دمشق
عسقلان
بيروت
حمص
قنسرين
الفرات
دجلة
رودس
كاظمة
الابلة
مارب

